

# مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

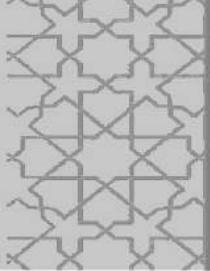
العدد الحادي والخمسون  
ربيع الآخر ١٤٤٠ هـ



رقم الإيداع: ٣٥٦٣ / ١٤٢٩ / ١٩ بتاريخ ١٤٢٩ / ٠٦ / ١٩  
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤١٩٨ - ١٦٥٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المشرف العام

الدكتور / محمود بن سليمان آل محمود

مدير الجامعة المكلف

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير

الدكتور / عبد الرحمن بن عبد العزيز المقبل

عميد البحث العلمي

مدير التحرير

الدكتور / أحمد بن محمد عبد الله هزازي

وكيل عمادة البحث العلمي للنشر العلمي

## أعضاء هيئة التحرير

أ.د. سعد عبد العزيز مطلوب

الأستاذ في قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة الكويت

أ.د. عبد العزيز بن صالح العمار

الأستاذ في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية

أ.د. عبد الكريم بن علي عوف

الأستاذ في قسم اللغة العربية وأدابها بكلية العلوم الإنسانية

جامعة الملك خالد

أ.د. عبد الله بن سليم الرشيد

الأستاذ في قسم الأدب - كلية اللغة العربية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

الأستاذ في قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

أ. د. محمد بن نافع العنزي

الأستاذ في قسم علم اللغة التطبيقي بمعهد تعليم اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

د. هشام عبد العزيز محمد الشرقاوي

أمين تحرير مجلة الجامعة - عمادة البحث العلمي

## قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم العربية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

**أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :**

- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .
- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتمدة في مجاله .
- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخرير .
- أن يتسم بالسلامة اللغوية .
- لا يكون قد سبق نشره .
- لا يكون مستلماً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواءً كان ذلك للباحث نفسه، أو لغيره .

**ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :**

- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية (مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاكه الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .
- أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (A 4).
- أن يكون حجم المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش حجم (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد).
- يقدم الباحث نسخة مطبوعة من البحث، ونسخة حاسوبية مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة.

**ثالثاً: التوثيق :**

- ١- توضع هواش كل صفحة أسفلها على حدة .
  - ٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .
  - ٣- توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .
  - ٤- ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .
- رابعاً :** عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العلم متوفى .

**خامساً :** عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

**سادساً :** تُحَكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.

**سابعاً :** تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للجريدة .

**ثامناً:** لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .

**تاسعاً :** يُعطى الباحث نسختين من المجلة، وعشرون مستلات من بحثه .

**عنوان المجلة :**

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢ ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - ٢٥٩٠٢٦١ ناسوخ (فاكس)

[www.imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

E.mail: [arabicjournal@imamu.edu.sa](mailto:arabicjournal@imamu.edu.sa)

## المحتويات

أثر اللُّغَيَّةُ في التَّقْعِيدِ النَّحْوِيِّ وَالصَّرْفِيِّ

دراسة تحليلية

د. حمادة محمد حسين أحمد بوادي

إعجاز التَّنَاسُبُ فِي الدُّعَاءِ وَالْاسْتِجَابَةِ

د. زينب بنت عبد اللطيف بن كامل كردي

مشكلة الفصاحة في اللغة العربية

بين ثوابت النَّظَامِ الْلُّغَوِيِّ وَمُتَغَيِّرَاتِهِ

د. كمال قادری

القصص الديني في أدب الأطفال

دراسة مقارنة بين الأدباء العرب والأمريكي

د. وفاء بنت إبراهيم السبيل

المتحدث الأصلي (native speaker) في الدراسات اللغوية الحديثة ،

والمتحدث الأصلي في اللغة العربية

د. صالح بن فهد العصيمي

تناوب الزحاف بين السببين الخفيفين

دراسة عروضية صوتية

أ.د. حسام محمد أيوب



# أثر اللُّغَيَّةِ فِي التَّقْعِيدِ النَّحْوِيِّ وَالصَّرْفِيِّ

## دراسة تحليلية

د. حمادة محمد حسين أحمد بودي

الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية بأسيوط - جامعة الأزهر

الأستاذ المشارك في قسم النحو والصرف وفقه اللغة

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## أثر اللُّغَيَّةِ فِي التَّقْعِيدِ النَّحْوِيِّ وَالصَّرْفِيِّ

### دراسة تحليلية

د. حمادة محمد حسين أحمد بودي

الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية بأسيوط - جامعة الأزهر

الأستاذ المشارك في قسم النحو والصرف وفقه اللغة كلية اللغة العربية

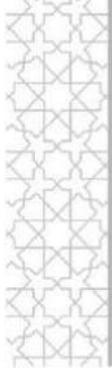
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاریخ قبول البحث: ٩/٨/١٤٣٩

تاریخ تقديم البحث: ٣/٨/١٤٣٩

### ملخص الدراسة:

يهدف البحث إلى الوقوف على أثر "اللُّغَيَّةِ" في التَّقْعِيدِ النَّحْوِيِّ وَالصَّرْفِيِّ؛ إذ تجد كثيراً من النحويين يذكرون وجوهاً نحوية وصرفية تجيزها هذه اللُّغَيَّات، فأردت جمع هذه الموضع، ودراستها، وبيان سبب وصفها بذلك، وقد تبين من هذه الدراسة أن الوصف بـ"لغية" قد دخل في أبواب من النحو والصرف أهمها : المعرف والمبني، نواسخ الابداء، والفاعل، والمعولات، والاستثناء، وحرروف الجر، ونعم وبئس، والتواصب، والجوازم، وكنايات العدد، والتصغير، والوقف، والتقاء الساكنين، والإدغام، وأن "اللُّغَيَّةِ" قد أطلق عليها أوصاف أخرى مثل القياس، الرداءة، والغلط، واللحن، والشذوذ، وخلاف الصواب، وخلاف المشهور، وخلاف الوجه إلى غير ذلك، مما سيظهر لم يطلع على هذا البحث.



## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين.. والصلاه والسلام على أشرف المرسلين ، وبعد :  
لَكَ الْحَمْدُ رَبُّنَا ، وَالصَّلَوةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَجَمِيعِ  
صَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبَعَهُمْ مَحَافِظًا عَلَى دِينِ اللَّهِ ، وَلِغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .  
أما بعد ،

فاللغة العربية هي شرف أمة الإسلام و هويتها ، والتي اصطفاها و شرفها  
الله تعالى على غيرها من اللغات ، وهي لغة القرآن الكريم الذي تحدى به  
الثقلين على أن يأتوا بسورة مثله ، فلن يستطيعوا أن يأتوا بآية مثله ، ولو كان  
بعضهم لبعض ظهيراً .

ومن الثابت أن الله - تعالى - قد أوجب على كل مسلم أن يتعلم من العربية  
بقدر ما يقيم به ألفاظ سورة الفاتحة ، وبقدر ما يقيم به التكبير والتسبيح  
والسلام في الصلاة ، وما لا يسع مسلماً جهله ، قال الله تعالى : ﴿فَاقْرَءُوا مَا  
يَسِّرَ مِنْهُ﴾<sup>(١)</sup> .

يقول ابن تيمية رحمه الله : "إِنَّ نَفْسَ الْأَنْجَانِ لَا يَعْلَمُ مِنَ الدِّينِ ، وَمَعْرِفَتُهُ  
فَرْضٌ وَاجِبٌ ؛ فَإِنَّ فَهْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ فَرْضٌ ؛ وَلَا يَفْهَمُ إِلَّا بِفَهْمِ الْأَنْجَانِ  
الْعَرَبِيَّةِ ، وَمَا لَا يَتَمَكَّنُ مِنْهُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ" <sup>(٢)</sup> .

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى - رضي الله عنهما : "أَمّا بعد :  
فَتَفَقَّهُوا فِي السُّنْنَةِ ، وَتَفَقَّهُوا فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَأَعْرَبُوا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ عَرَبٌ" <sup>(٣)</sup> .

(١) من الآية : ٢٠ سورة المزمل .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/٤٦٩ .

(٣) ينظر مصنف ابن أبي شيبة : ٦/١١٦ ، وجامع بيان العلم وفضله لأبي عمر القرطبي : ٢/١١٣٢ .

وإن البحث في موضوعات النحو والصرف لن ينقطع ، فهو دائم متجدد ، وليس كما يدعى بعض الباحثين أن الأوائل ما تركوا شيئاً من جاء بعدهم . وقد اختارت موضوع "أثر اللُّغَيَّة في التعريب النحوي والصرف في دراسة تحليلية" ؛ إذ تجد كثيراً من النحويين يذكرون وجوهًا نحوية وصرفية تجيزها هذه اللُّغَيَّات ، فأردت جمع هذه الموضع ، ودراستها ، وبيان رأي النحويين فيها ، أضفت إلى ما سبق أنني لم أقف على باحثٍ قد خصَّ هذا الموضوع بالدراسة والتحليل .

وقد اقتضت طبيعةُ البحث أن يأتي في مباحثين ، تسبقهما مقدمة وتمهيد ، وتعقبهما خاتمة ، وقائمة المصادر .

المقدمة : ذكرت فيها أهمية الموضوع ، وسبب اختياره .

التمهيد : تعريف عام باللغة واللغة واللهجة ، والمصطلحات ذات الصلة .

المبحث الأول : أثر اللغة في التعريب النحوي .

المبحث الثاني : أثر اللغة في التعريب الصرفي .

الخاتمة : ذكرت فيها أهم نتائج البحث .

قائمة المصادر : وفيه أهم مصادر البحث ومراجعةه .

وقد اتبعت في دراسة هذا البحث المنهج الآتي :

جمعت - ما وقفت عليه - من بطون كتب النحو واللغة والتفسير ما حكم عليه النحويون بـ "لغية" ، أو وصفوه بذلك .

وضعت عنوانين لمسائل البحث ، ضمت فيما بينها عشرين مسألة ، منها خمس عشرة في النحو ، وخمس في الصرف<sup>(1)</sup> ، وقد سرت في ترتيب المباحث والمسائل على ترتيب ابن مالك في الألفية لأنَّه المنهج الشائع .

---

(1) وقفت على لغتين ذكرهما ابن السراج وأبو حيان ، ولم أجد للنحويين فيهما كلاماً ، الأولى : بناء نحو : قُرْ قار ، وعَرْ عَار على الكسر ، والثانية : إمالة فتحة الراء في الفعل

وثقت المذاهب والآراء من مصادرها المعتمدة، وعززت ما لم يعز منها. ذكرت في كثير من المسائل موقفي من الآراء والمذاهب التي أوردتها، وترجح ما يظهر رجحانه ما أمكن.

أسأل الله - تعالى - أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى، وأن يرزقنا السداد والرشاد، إنه سميع علiem. وصلى الله وسلم وبارك على معلم الناس الخير.

#### التمهيد:

(تعريف عام باللغة واللغوية واللهمجة )

اللغة عند اللغويين: بزنة فُعَة، نقص منها حرف، وتمامها: لُغُوة بزنة فُعلَة، كَكُرَة، وَقُلَةٌ وَتُبَةٌ، لامائتها كُلُّها واوات<sup>(١)</sup>، مِنْ لَغَوْتَ، أَيْ: تَكَلَّمْتَ، وَمَصْدُرُهُ: الْلَّغُوُ، وَمِنْ مَعَانِيهِ الْطَّرْحُ، فَالْكَلَامُ لِكَثْرَةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ يُرْمَى بِهِ، وَالْجَمْعُ: لُغَاتٌ وَلَغُونٌ وَلُغَيْنٌ وَلُغَيَّ<sup>(٢)</sup>.

تعريف اللغة اصطلاحاً: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" <sup>(٣)</sup>. وقيل: مَا جرى على لسان كل قوم، وقيل: الْكَلَامُ المصطلح عَلَيْهِ بَيْنَ كُلِّ الْقَبَائِلِ، وَقَيلُ: مَعْرِفَةُ أَفْرَادِ الْكَلِمَةِ وَأَوْضَاعِهَا<sup>(٤)</sup>.

---

"رمى" ، ينظر الأصول في النحو لابن السراج: ٢ / ١٣٣ ، وارتساف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي: ٢ / ٥٣٩.

(١) ينظر البارك في اللغة لأبي علي القالي: ٤٠١ ، وتأج العروس للزيدي: ٤٦٢/٣٩.

(٢) ينظر المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده: ٦ / ٦٢ ، ولسان العرب لابن منظور: ١٥ / ٢٥٠.

(٣) الخصائص لابن جنبي: ١ / ٣٤.

(٤) ينظر الكليات لأبي البقاء الكفوبي: ٧٩٦.

ومن أوضح تعريفاتها أنها "مجموعة من الصفات اللغوية تنتهي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة" <sup>(١)</sup> . فاللغة هي وعاء الفكر بما حوتة من ألفاظ تدل على معانٍ يتداولها الناس ، فيفهم كل منهم مراد الآخر.

وعلى ذلك فهي تعد رابطة أساسية في المجتمع ، تكون أهم مقوماته ، ومن دونها لا يمكن أن يكون هناك مجتمع أو جماعة ، فهي الأداة الفعالة التي تربط بين أفراد المجتمع ، وتجعل منه وحدة متماسكة <sup>(٢)</sup> .

واللغات السبع المشهورة بالفصاحة في العرب العرباء هي: لُغَةُ قُرَيْشٍ ، وهذيل ، وهوازن ، واليمن ، وطيء ، ونَقِيف ، وَبَنِي تَعْمِيم <sup>(٣)</sup> .

واللغة: تصغير لغة ، وأصلها: لُغَيَّةٌ فَأَدْغَمُوا الْوَاءُ فِي الْيَاءِ <sup>(٤)</sup> ، والمراد بها: استعمال قبيلة عربية أو أكثر لكلمة أو أكثر على طريقة خاصة ، خالفت فيه الاستعمال الأكثر شهرة عند باقي القبائل ، فهي قريبة من اللهجة ، التي هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتهي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة ، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، ولكنها تشتراك جمیعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم

---

(١) في اللهجات العربية للدكتور / إبراهيم أنيس : ١٥.

(٢) ينظر اللهجات العربية د: إبراهيم نجا : ٧.

(٣) ينظر كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي : ١ / ٢١٤ ، والكليات : ٧٩٦.

(٤) البارع في اللغة : ٤٠١.

ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات<sup>(١)</sup>.

وإذا تميزت هذه اللهجة جاز لنا أن نسميها لغة، يقال: لغة قريش، ولغة أهل الحجاز، ولغة بني تميم، ولغة أهل اليمن، مع أنها كلها تمتُّ بصلة قوية إلى اللغة الأم، وهي اللغة العربية<sup>(٢)</sup>.

والناظر في الفكر النحوي يدرك أن علماء العربية كانوا يسرون وراء هدف أجهدوا أنفسهم من أجله، ألا وهو: وضع علم للغة ذاتها ذي أصول مستنبطه من استقراء كلام العرب، وصياغة قواعد مستوحاة من النماذج العربية، لها طابع الشمول والانضباط، إلا أنه من شأن كل تنظير - وإن كان نتيجة منهج استقرائي - أن يوجد فيه ما يخرج عن النظام؛ ومن ثم كان أصلهم الجامع: "القياس على ما كثر وشاع واطرد" فليس المقياس ما قالته العرب أيّا كان، بل المقياس المعيار المستخرج من تتبع كلام العرب باعتبار الكثير المطرد غالباً<sup>(٣)</sup>، قال ابن نوبل سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سميتها عربية، أيدخل فيها كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ قال: أعمل على الأكثر، وأسمى ما خالفني لغات<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ينظر اللهجات العربية د/ إبراهيم أنيس: ١٦، والمقتضب في لهجات العرب د/ محمد رياض كريم: ٥٥.

(٢) ينظر اللهجات العربية د/ إبراهيم نجا: ٧.

(٣) ضوابط الفكر النحوي د/ محمد عبد الفتاح: ٦/٢٣.

(٤) ينظر طبقات النحوين واللغويين لأبي بكر الزبيدي: ٣٩، والمزهر للسيوطى: ١/١٨٤.

ومبدأ التميز هذا بين "ما شاع في اللسان العربي" ، و"الظواهر الشاذة أو الفردية" مهم جدًا ، وهو يدل على حرص النحاة على تصوير الواقع اللغوي بما فيه من مختلف الجزئيات ، مع تمجيلهم للظواهر المطردة بجعلها معياراً يبنون عليه قواعدهم ، ويقيمون عليه قوانينهم.

وتصنيعهم هذا ليس بدعاً ، فإن هذه الظاهرة موجودة في جميع اللغات ؛ إذ يحتوي نحو كل لغة من اللغات<sup>(١)</sup> - كما يقول فندريس : "على قدر يزيد أو ينقص من الأسماء والأفعال الشاذة ، وتسمى - أيضاً - بالصيغ القوية في مقابلة الصيغ الضعيفة أو العليلة التي تستسلم للتنظيم الذي يفرضه "القياس" ، هذه الصيغ القوية تبقى خارج القاعدة ، وتدين بمقاومتها إلى شيوع استعمالها الذي يبقى عليها حية في الذهن ، ولا يطيق لها تغييرًا ، وهي تفرض نفسها بخصائصها الفردية ، وإن كانت هي نفسها في أغلب الأحيان غير جديرة بأن تصير مثلاً ، وأن تتخذ أساساً لعمل قياس"<sup>(٢)</sup> .

وينبغي على المتكلم بلغة ما أن يلزم ما اطرد وشاع على ألسنة جماعتها ، وإلا تحولت اللغة إلى نظام فردي ، وفقدت طابعها الجمعي ، ومن ثم فقدت قدرتها على أداء وظيفتها ، وهذا ما قرره - من قبل - ابن السراج بدقة بالغة ؛ إذ يقول : "وليس البيت الشاذ ، أو الكلام المحفوظ بأدنى إسناد حجة على الأصل المجمع عليه في كلام ولا نحو ولا فقه ، وإنما يرکن إلى هذا ضعفة أهل النحو ، ومن لا حجة معه"<sup>(٣)</sup> .

(١) ضوابط الفكر النحوي: ٦ / ٢٣.

(٢) اللغة لفندريس: ٢٠٨.

(٣) الأصول في النحو: ١ / ١٠٥.

وقد تواترت مقولات النحوين الضابطة في هذا الباب، من خواص قولهم: "الأقل": نوادر تحفظ عن العرب ولا يقاس عليها، ولكن الأكثر يقاس عليه<sup>(١)</sup>، "فلو جعلت النوادر والشواذ غرضك، واعتمدت عليها في مقاييسك، كثرت زلاتك"<sup>(٢)</sup>، فـ"الأشياء العارضة لا ينكسر بها القياس المستمر"<sup>(٣)</sup>، فـ"الأكثر عدم الالتفات إلى الأقل، وهذا من أصولهم"<sup>(٤)</sup>، فـ"قوانينهم - أبدا - إنما يعهدونها على الأصول لا العوارض"<sup>(٥)</sup>، "فلا تقس إلا على ما فهم من العرب فيه الاطراد، فالتعبير النادر إذا وقع في باب من أبواب العربية ولم يستمر ولم يطرد لم يجز القياس عليه"<sup>(٦)</sup>، "الضرورة والنادر لا حكم لهما، ولا يعرض على الكثرة بهما"<sup>(٧)</sup>.

وقد تَنَوَّعت عبارات العلماء في وصف الظاهرة النحوية التي خرجت عن القاعدة، فعبروا عن ذلك بـاللفاظ مُتَعَدِّدة وـمُتَقَارِبة، منها: "غير مطرد"، "وشاذ"، وـ"قليل"، وـ"أقل"، وـ"لغية"، وـ"نادر"، وـ"ليس بالكثير"، وـ"ليس بالفصيح"، وـ"ليس بالقياس"، وـ"ليس بالجيد"، وـ"ليس بالوجه"، وـ"لا وجه له"، وـ"غريب"، وـ"منكر"، وـ"وهم"، وـ"غلط"، وـ"خطأ"، وـ"خطأ فاحش"، وـ"لغة ضعيفة"، وـ"لغة ردية"، وـ"لغة عامية"، وـ"قبح في العربية"، وأشباه ذلك مما يُفيد القلة حيناً، والضعف حيناً آخر، وإن كانت هناك فروق بين

(١) كتاب سيبويه: ٤ / ٤.

(٢) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطى: ١٢٢ / ٣.

(٣) المتبغ في شرح اللمع للعكברי: ٤١٨.

(٤) ينظر التوطئة للشلوبين: ١١٦.

(٥) شرح المقدمة الجزولية الكبير للشلوبين: ١ / ٢٥.

(٦) التبصرة للصimirي: ١ / ٣٥٤.

(٧) الإغفال لأبي علي الفارسي: ٢ / ١٠.

بعضٍ هَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتِ ، وَسَأَكْتُفِي بِذَكْرِ تَعْرِيفَاتٍ أَكْثَرَ هَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتِ تَدَالِلًا مَعَ الْلُّغَةِ ، وَهِيَ الشَّاذُ وَالنَّادِرُ وَالْلُّغَةُ الْمُعْنَيَّةُ.

أَوَّلًا: الشَّاذُ: عَرَفَهُ ابْنُ جَنْيَ بِقَوْلِهِ: "مَا فَارَقَ عَلَيْهِ بَقِيَّةَ بَابِهِ، وَانْفَرَدَ عَنْ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ"<sup>(١)</sup>، وَعَرَفَهُ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ الْمُحَدِّثِينَ بِأَنَّهُ: "هُوَ الْخَرُوجُ عَنِ الْقِيَاسِ، وَعَدْمُ الْاِتِّسَاقِ مَعَ الْمُأْلُوفِ مِنِ الْقَوَاعِدِ الْعَامَّةِ، أَوْ هُوَ مُخَالَفُ الْقِيَاسِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى قَلَةِ وُجُودِهِ أَوْ كَثْرَتِهِ"<sup>(٢)</sup>.

ثَانِيًّا: النَّادِرُ: الْخَارِجُ عَنِ النَّظَائِرِ إِلَى قَلَةِ فِي بَابِهِ، أَوْ هُوَ الَّذِي يَكُونُ وُجُودُهُ قَلِيلًا لَكِنْ يَكُونُ عَلَى الْقِيَاسِ<sup>(٣)</sup>.

ثَالِثًا: الْلُّغَةُ الْمُعْنَيَّةُ هِيَ الَّتِي لَمْ يَصُلْ حُكْمُهَا إِلَى الْبَثُوتِ، أَوْ هِيَ الَّتِي فِي ثَبُوتِهَا كَلَامٌ<sup>(٤)</sup>.

وَلَا شَكَ أَنْ تَعْبِيرَ النَّحْوَيْنِ عَنِ الْلُّغَةِ الْمُعْنَيَّةِ بِالْخَيْثَةِ أَوِ الرَّدِيَّةِ أَوِ الْقَبِيْحَةِ كُلَّهَا تَعْبِيرَاتٌ مُتَقَارِّبَةٌ، تَدُورُ فِي فَلَكٍ وَاحِدٍ يُفِيدُ الْإِسْتِهْجَانَ وَضَرُورَةَ التَّرْكِ. وَإِذَا تَعَارَضَ ارْتِكَابُ شَاذٍ وَلُغَةٍ ضَعِيفَةٍ؛ فَإِنَّ ارْتِكَابَ الْلُّغَةِ الْمُعْنَيَّةِ أَوَّلَى مِنْ ارْتِكَابِ الشَّاذِ؛ لِأَنَّ أَمْرَ الْمُتَكَلِّمِ إِذَا دَارَ بَيْنَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِلُغَةِ ضَعِيفَةٍ أَوْ بِكَلَامٍ شَاذٍ فَإِنَّ التَّكَلُّمَ بِالْلُّغَةِ الْمُعْنَيَّةِ أَوَّلَى؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْلُّغَةُ - عَلَى ضَعْفِهَا - مَرْوِيَّةٌ عَنِ الْعَرَبِ أَوْ عَنِ بَعْضِ الْعَرَبِ، وَكُلُّ لُغَةٍ تَمْثِلُ حَقْلًا لِغَوْيَّا لَا يَصْحُ إِهْدَارُهُ أَوِ الْحَيْفُ عَلَيْهِ؛ وَلِيُسَّ كَذَلِكَ الشَّاذِ؛ فَالْلُّغَةُ الْمُعْنَيَّةُ إِنَّمَا قَدِمَتْ عَلَى الشَّاذِ لِأَنَّ الْلُّغَةَ الْمُعْنَيَّةَ مُجَمَّعٌ عَلَى أَنَّ طَائِفَةً مِنِ الْعَرَبِ قَدْ نَطَقَتْ بِهَا -

(١) الخصائص: ٩٧ / ١.

(٢) معجم المصطلحات النحوية والصرفية للدكتور / محمد سمير اللبدي: ١١٣.

(٣) ينظر رسالتان في اللغة للمرمني: ٧٣، والتعريفات للجرجاني: ١٦٤.

(٤) ينظر التعريفات: ١٦٤، وشرح الشافية للرضي: ٤ / ٤.

وإن كانت ضعيفة - ولأن الأصل في الشاذ أن يُحفظ ولا يقاس عليه؛ فلا يجوز أن تبني عليه القواعد<sup>(١)</sup>.

### بين اللغة واللغة:

تواتر في كتب تاريخ النحو أن البصريين قد بنوا قواعدهم على الكثير المطرد وليس على اللغات الضعيفة، ولا على خليط اللغات، وقد سبقت الإشارة إلى هذا، وما يؤكد ذلك ما ذكره محمد بن سلام الجمحي من إنه قال ليونس: هل سمعت من ابن أبي إسحاق شيئاً؟ قال: نعم؟ قلت له هل يقول أحد الصواب - يعني السويف - قال: نعم، عمرو بن تميم تقولها، وما تُريد إلى هذا؟ عليك يباب من التَّحْوَ يطرد وينقاس<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا تبَدَّلت تلك اللغات الضعيفة التي لم تصل إلى درجة الفصيح الذي استقرت عليه العرب، فابتعد عنها البصريون ورفضوها، كما عُرف البصريون بتشددهم في القياس فلا يقيسون على القليل أو الشاذ، بل لا يقيمون قاعدهم إلا على قدر كبير من السمع<sup>(٣)</sup>، ولم يقبلوا إلا الشواهد المتواترة، وتواترها هو كثرة دورانها على الألسنة، فإذا ما وصلت هذه الشواهد إلى هذه الدرجة من التواتر صح الأخذ بها، واستنباط القواعد منها<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر الاقتراح في أصول النحو للسيوطى: ١٤٦ ، وأصول النحو: ٣٢٣.

(٢) طبقات فحول الشعراء: ١ / ١٥.

(٣) ينظر مدرسة الكوفة للدكتور / مهدي المخزومي: ٣٧٩ ، والموجز في نشأة النحو للدكتور / محمد الشاطر: ٢٨ ، واللغة والنحوين القديم والحديث للأستاذ / عباس حسن: ٤٦.

(٤) ينظر ما فات الإنصاف من مسائل الخلاف للدكتور / فتحي بيومي: ٢١ ، والمدرسة النحوية في مصر والشام للدكتور / عبد العال سالم مكرم: ١٩١.

أما الكوفيون فقد توسعوا في السماع حتى قبلوا كل ما نقل عن العرب، واعتمدوه ولو نادراً أو قليلاً، فهم إذا سمعوا لفظاً في شعر أو نادر كلام جعلوه باباً ولو كان مثلاً واحداً، فقد قيل: "إنهم لو سمعوا بيتاً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبيوا عليه"<sup>(١)</sup>، كما أخذوا عن قبائل الأطراف وعن الأعراب الذين عاشوا قريباً من البداوة. لذا يقول الرياشي<sup>(٢)</sup> البصري مفتخراً: "نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب، وأكلة اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد: أصحاب الكواميخ، وأكلة الشواريز"<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا فعند إطلاق لفظ اللغة على استعمال نحوي أو لغوي فيراد به تكلُّم قبائل عربية كثيرة موثوق من فصاحتها بهذا اللفظ أو التركيب أو الأسلوب، وشاع هذا الاستعمال وانتشر، بخلاف ما إذا تكلمت به طائفة

(١) ينظر ما فات الإنصال: ٢٥، وهمي الهوامع للسيوطى: ١٦٨ / ١، والاقتراح: ١٥٧.

(٢) هو العباس بن الفرج بن علي بن عبد الله الرياشي ، من الموالى ، لغوي راوية، له كتاب الخيل ، وكتاب ، الإبل ، وما اختلفت أسماؤه من كلام العرب ، روى عنه المبرد ، توفي سنة ٢٥٧ هـ.

تنظر ترجمته في نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري : ١٥٢ - ١٥٥ ، ووفيات الأعيان : ٣ / ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) حرشة: جمع حارش وهو صائد الضب، الكواميخ: جمع كامخ وهو نوع من المخللات المشهية، واليرابيع: حيوان صغير على هيئة الجرذ الصغير، وله ذنب طويل ينتهي بخصلة من الشعر، هو قصير اليدين طويل الرجلين، والشواريز: جمع شيراز، وهو اللبن الرائب المستخرج ماؤه.

ينظر: التهذيب في اللغة للأزهري : (حرش، كامخ، ربع، شرز).

(٤) ينظر أخبار النحويين البصريين: ٦٩ ، وإنما الرواة على أنباء النحاة للفقطي : ٣٧١ / ٢

قليلة، أو لم يكتب له الديوع والشهرة، فإنه يطلق عليه "لغية" في الأعم الأغلب، وسيتضح هذا في الصفحات الآتية.

### المبحث الأول:

#### أثر اللُّغَيَّةِ في التعقید النحوی

##### ١ - استهلاك حركة الإتباع لحركة الإعراب

قال ابن جنی : "... ومن ذلك قراءة أبي جعفر ریزید: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾<sup>(١)</sup>، قال أبو الفتح: هذا ضعيف عندنا جدًا؛ وذلك أن "الملائكة" في موضع جر، فالباء إذن مكسورة، ويجب أن تسقط ضمة الهمزة من ﴿اسجدوا﴾ لسقوط الهمزة أصلًا إذا كانت وصلًا، وهذا إنما يجوز ونحوه إذا كان ما قبل الهمزة حرفًا ساکنًا صحيحًا، نحو قوله: ﴿عَلَيْكَ وَقَالَتُ أَخْرُجُ﴾، وادخلُ ادخلُ، فضمُّ لالتقاء الساکنین لتخرج من ضمة إلى ضمة، كما كنت تخرج منها إليها في قوله: اخرج.

فاما ما قبل همزته هذه متحرك - ولا سيما حركة إعراب - فلا وجه لأن تمحف حركته ويحرك بالضم، ألا تراك لا تقول: قل للرجل ادخل، ولا: قل للمرأة ادخلني؛ لأن حركة الإعراب لا تستهلك حركة الإتباع إلا على لغية ضعيفة، وهي قراءة بعض الbadia: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> بكسر الدال<sup>(٣)</sup> " " <sup>(٤)</sup>.

(١) من الآية: ٣٤ من سورة البقرة، والقراءة للأعمش وقُتيبة أيضًا، ينظر إعراب القرآن للنحاس: ٤٥ / ١، والكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليه للهذلي: ٣٧٣.

(٢) من الآية: ٢ سورة الفاتحة.

(٣) القراءة لمحمد بن السميفع، والحسن بن أبي الحسن البصري، وأبي الشعاء، وإبراهيم بن عبلة، وزيد بن علي، ورؤبة.

ينظر مختصر شواذ القرآن لابن خالويه: ١، والمحتسب لابن جنی: ١ / ٣٧.

(٤) ينظر المحتسب: ١ / ٧١.

## الدراسة:

قرئ قوله تعالى: «لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا»؛ بضم التاء إتباعاً لضمة الجيم ، وفي هذا استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع ، وذلك من وجهين: أحدهما: أن يكون قد نوى الوقف فسكن التاء ، وضمهما تشبيهاً بضمة التاء في قراءة ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، والكسائي <sup>١</sup> «وَقَالَتْ أَخْرُجَ عَلَيْهِنَّ» <sup>(١)</sup> يضم التاء إتباعاً لضمة الراء؛ لئلا يخرجوا من كسر إلى ضم. والثاني: أنه أتبع الضم الضم ، كما أتبع الكسر الكسر في قراءة: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» فكسر الدال <sup>(٢)</sup>.

ومن استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع قراءة: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» بكسر الدال ، قال الفراء: " وأما من خفض الدال من «الْحَمْدُ» فإنه قال: هذه الكلمة كثرت على السن العرب حتى صارت كالاسم الواحد ، فتقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة ، أو كسرة بعدها ضمة ، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل: إيل فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم " <sup>(٣)</sup> .

يقول ابن جنی: "... هذا اللفظ كثر في كلامهم ، وشاع استعماله ، وهم لما كثّر في استعمالهم أشدّ تغييراً .. فلما اطرد هذا ونحوه لكثره استعماله أتبعوا أحد الصوتين الآخر ، وشبهوهما بالجزء الواحد وإن كانوا جملة من مبدأ وخبر ، فصارت: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» كـ إيل وإطل" <sup>(٤)</sup> .

(١) من الآية: ٣١ سورة يوسف ، تنظر القراءة في السبعة في القراءات لابن مجاهد: ٣٤٨ ، وحجة القراءات لأبي زرعة: ١٢٢.

(٢) الإنصاف للأنباري: ٦١٢ / ٢.

(٣) معاني القرآن: ٣ / ١.

(٤) المحتسب: ١ / ٣٧.

ومنه قول الشاعر:

وقال اضرب الساقين أمك هايل<sup>(١)</sup>

بضم نون الشنوية لأجل ضم الهمزة، ومثله قول امرئ القيس:  
وَيَلِمُّهَا فِي هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةٌ وَلَا كَهْدَا الَّذِي فِي الْأَرْضِ مَطْلُوبٌ<sup>(٢)</sup>  
الأصل: ويل لأمها، فحذف اللام الأولى، واستثنى ضم الهمزة بعد  
الكسرة، فنقلها إلى اللام بعد سلب حركتها، وحذف الهمزة، ثم أتبع اللام  
الميم، فصار اللفظ: ويللها.

تعقيب:

بعد دراسة اللغة يجدر ذكر الآتي:

أولاً: أن العربي - دائماً - يحافظ على حركة الإعراب؛ لأن المعنى يتحدد  
بها ، بل إنه قد بالغ في محفظته عليها حتى في حالة الوقف ، فتجده تارة ينقلها  
إلى الحرف الذي قبل الحرف الأخير، نحو: هذا بُكَرٌ، ورأيت بَكَرَ، ومررت  
بِكَرٍ، وأخري بالإشمام<sup>(٣)</sup> ، ولا شك أن هذه المحفظة لا تتأتى عند استهلاك  
الحركة الإعرابية بحركة الإتباع ، وهو السبب في وصف ابن جني لها بـ "لغية".

---

(١) شطر من بحر الطويل، ولا يُعرف له قائل ولا تتمة، ينظر الكتاب: ١٤٦ / ٤،  
وشرح كتاب سيبويه للسيرافي: ١٥ / ٥، وشرح الشافية للرضي: ٢٦٢ / ٢.

الشاهد: "الساقين أمك" بضم نون الشنوية حيث أتبع الأول للثاني للتجانس.

(٢) البيت من بحر البسيط ، وهو للشاعر في ديوانه: ٢٢٧ ، والكتاب: ٢٩٤ / ٢ ، وشرح  
المفصل لابن عييش: ١١٦ / ٢ ، وبلا نسبة في الحجة للقراء السبعة: ٦ / ٣٤٠.

يصف الفرس فشيء بعذاب في الجو، لاح لها ذئب، فأخذت تطارده، وقد عظم من  
شأن الذئب وشأن العذاب معاً، ليكون ذلك أقوى في تشبيه الفرس بالعذاب.

الشاهد: "وَيَلِمُّهَا" بكسر اللام إتباعاً لكسرة الميم.

(٣) ينظر الكتاب: ٤ / ١٧٣ ، القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية د/ حمدي  
العدي: ١ / ٣٨٤ ، ٣٨٥.

ثانياً: أن بعض النحويين<sup>(١)</sup> قد خطأوا قراءة أبي جعفر، قال الزجاج: "قرأ أبو جعفر المدنى وحده **«للملائكة اسجدوا»** بالضم، وأبو جعفر من جلة أهل المدينة، وأهل الثبت في القراءة إلا أنه غلط في هذا الحرف؛ لأن "الملائكة" في موضع خفض فلا يجوز أن يُرفع المخصوص، ولكن شبه تاء التأنيث بكسر ألف الوصل؛ لأنك إذا أبتدأت قلت: اسْجُدوا، وليس ينبغي أن يقرأ القرآن بتوهم غير الصواب"<sup>(٢)</sup>.

وقد قيض الله من يرد عليهم، يقول أبو حيان: "إذا كان ذلك في لغة ضعيفة، وقد نقل أنها لغة أزد شنوة، فلا ينبغي أن يخطأ القارئ بها، ولا يُغلط، والقارئ بها أبو جعفر، أحد القراء المشاهير الذين أخذوا القرآن عرضاً عن عبد الله بن عباس وغيره من الصحابة، وهو شيخ نافع بن أبي نعيم، أحد القراء السبعة"<sup>(٣)</sup>.

ويقول ابن الجزري بعد أن وجه القراءة: "ولا التفات إلى قول الزجاج...؛ لأن أبي جعفر إمام كبير، أخذ قراءته عن مثل ابن عباس وغيره، وهو لم ينفرد بهذه القراءة؛ بل قد قرأ بها غيره من السلف، وروينها عن قتيبة عن الكسائي من طريق أبي خالد، وقرأ بها أيضاً الأعمش... وإذا ثبت مثله في لغة العرب فكيف ينكر؟"<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: أن قراءة أبي جعفر أكثر شذوذًا من قراءة: **«الحمد لله»**<sup>(٥)</sup> بكسر

(١) ينظر الحجة للقراء السبعة للفارسي: ٦٥ / ١، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية: ٣٧٨ / ٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ١١١، ١١٢ / ١.

(٣) البحر المحيط: ٢٤٦ / ١.

(٤) النشر في القراءات العشر: ٢١٠ / ٢.

(٥) القراءة المتواترة بالرفع. الآية: ٢ في سورة الفاتحة.

الدال ؛ وإنما كانت أشد لوجود الفاصل وإن كان ساكناً<sup>(١)</sup>.

## ٢ - إعراب جمع التكسير بالحروف

قال السمين : "... والفصيح في "شياطين" وبابه أن يُعرَب بالحركات ؛ لأنه جمع تكسيرٍ، وفيه لُغَيَّةٌ رديئةٌ، وهي إجراؤه إجراءً الجمع المذكر السالم، سُمع منهم: لفلانٌ بستانٌ حوله بساتون، وقرئ شاداً<sup>(٢)</sup> : «وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ»<sup>(٣)</sup>.

### الدراسة :

أعرب بعض العرب جمع التكسير بالحروف ، قالوا: لفلانٌ بستانٌ حوله بساتون ، وكتب الحسين بن علي بن العباس في كتاب له : وهم مجانون ، توهם أنه جمع مسلم<sup>(٤)</sup> ، ومنه قراءة «وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ» ، وقد وجهت هذه القراءة بأنه لما كان آخره كآخر يبرين وفلسطين<sup>(٥)</sup> . فكما أجرى إعراب هذا على النون تارة ، وعلى ما قبله تارة ، فقالوا: يبرين ويبرون ، وفلسطين وفلسطون - أجرى ذلك في "الشياطين" تشبيهاً به فقالوا: الشياطين والشياطون ، وقال أبو فيد مؤرج السدوسي : إن كان استيقاً من شاط ، أي :

(١) ينظر الدر المصنون للسمين الحلبي : ٢٧٢ / ١.

(٢) القراءة المتواترة «وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ» من الآية : ٢١٠ سورة الشعرا . القراءة للحسن ، والأعمش ، وابن السميفع . ينظر مختصر شواذ القرآن : ١٠٨ ، وشواذ القراءات للكرماني : ٣٥٧ ، وروح المعاني للآلوي : ١٣٠ / ١٠ .

(٣) الدر المصنون : ١٤٦ / ١.

(٤) عمدة الكتاب لأبي جعفر النحاس : ٣٤٢ .

(٥) المراد : ما سمي به جمع المذكر السالم .

احترق، يشيط شوطة، كان للقراءة وجه. قيل: ووجهها أن بناء المبالغة منه  
شياط، وجمعه الشياطون، فخففت الياء<sup>(١)</sup>.

وقد عده الفراء والزجاج والنحاس وابن جني<sup>(٢)</sup> غلطاً، قال الزجاج: "وَقَرَأَ الْحَسْنُ "الشَّيَاطُونَ" ، وَهُوَ غَلَطٌ عِنْدَ النَّحَاوِينَ ، وَمُخَالَفَةٌ عِنْدَ الْقَرَاءِ لِلْمَصْحَفِ ، فَلَا يَحْوِزُ فِي قِرَاءَةِ وَلَا عِنْدَ النَّحَاوِينَ ، وَلَوْ كَانَ يَحْوِزُ فِي النَّحْوِ ، وَالْمَصْحَفُ عَلَى خَلَافَهِ لَمْ تَجُزْ عِنْدِ الْقِرَاءَةِ بِهِ"<sup>(٣)</sup>. وقال النحاس: "وَقَرَأَ الْحَسْنُ "الشَّيَاطُونَ" ، وَهُوَ غَلَطٌ عِنْدَ جَمِيعِ النَّحَاوِينَ"<sup>(٤)</sup>.

وجعله العكبري شبيهاً بالغلط، حيث قال: "وَقَرَأَ الْحَسْنُ: "الشَّيَاطُونَ" ، وَهُوَ كَالْغَلَطِ ، شَبَهَ فِيهِ الْيَاءَ قَبْلَ الْتُوْنِ بِيَاءَ جَمْعِ التَّصْحِيحِ"<sup>(٥)</sup>.

ولم يرضض أبو حيان الوصف بالغلط؛ فقال: "وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: غَلَطُوا، لِأَنَّهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَنَقْلِ الْقُرْآنِ يَمْكَانُ"<sup>(٦)</sup>.

وجعله النحاس<sup>(٧)</sup> ومكي بن أبي طالب<sup>(٨)</sup>، ولم يصل عند ابن عطية والسمين<sup>(٩)</sup> إلى درجة اللحن، قال ابن عطية: "وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: هُوَ لَهْنٌ،

(١) ينظر عبث الوليد للمعري: ٥٠٧ - ٥٠٩، والكشف للزمخشري: ٣/٣٣٩، والبحر المحيط: ٨/١٩٦.

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء: ٢/٢٨٥، والمحتسب: ٢/١٣٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٤/١٠٣.

(٤) إعراب القرآن: ٣/١٣٢.

(٥) التبيان في إعراب القرآن: ١/٩٩.

(٦) البحر المحيط: ٨/١٩٦.

(٧) إعراب القرآن: ٢/١٦.

(٨) الهدایة إلى بلوغ النهاية: ٣/٢٠٦٤.

(٩) الدر المصور: ٤/٦٨٥.

وليس كذلك، بل هو شاذ قبيح، وإنما هو محمول على قولهم: سنون وأرضون، إلا أن هذه في جمع مسلم، و"شياطون" في جمع مكسر، فهذا موضع الشذوذ".<sup>(١)</sup>

وقد عده ابن الأثير، وأبو حيان، والألوسي<sup>(٢)</sup> شاداً.

تعليق:

تبين من دراسة اللغة أن إعراب جمع التكسير إعراب الجمع السالم قد وقف منه النحويون موقف الرفض، فوصفوه بالغلط واللحن والشذوذ، وما ذكروه صحيح؛ لأن ما ورد من شواهد قليل، لكنّ هذا لا يسوغ تغليط القراءة السابقة؛ قال الألوسي: "والذي أراه أنه متى صرحت رفع هذه القراءة إلى هؤلاء الأجلة لزم توجيهها؛ فإنهم لا يقرؤون إلا عن روایة كغيرهم من القراء في جميع ما يقرؤونه عندنا".<sup>(٣)</sup>

٣ - بناء "بعליך" ونحوه على فتح الجزأين

قال ابن هشام: "...الْبَابُ الثَّانِيُّ: مَا لَزِمَ الْبَنَاءَ عَلَى السُّكُونِ أَوْ نَائِيَّهُ، وَهُوَ نَوْعٌ وَاحِدٌ، أَوْ الْفَتْحُ، وَهُوَ سَبْعَةٌ، ثُمَّ قَالَ: "وَمَا رُكِّبَ مِنَ الْأَعْدَادِ وَالظُّرُوفِ وَالْأَحْوَالِ وَالْأَعْلَامِ تَحْوُ: أَحَدٌ عَشَرُ، وَتَحْوُ: هُوَ يَأْتِينَا صَبَاحَ مَسَاءً، وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَ، وَتَحْوُ: هُوَ جَارِيٌّ بَيْتٌ بَيْتٌ، أَيْ: مُلَاصِقًا، وَتَحْوُ: بَعْلَبَكَ فِي لُغَيَّةٍ".<sup>(٤)</sup>

(١) المحرر الوجيز: ٢/٣٠٧.

(٢) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ١/٣٠٩، والبحر المحيط: ١/٥٢٢، وروح المعاني: ١/٣٣٧.

(٣) روح المعاني: ١٠/١٣٠.

(٤) شذور الذهب لابن هشام: ٥.

## الدراسة :

المراد بالعلم المركب : كل اسمين تُرَزَّل ثانيهما من الأول منزلة تاء التأنيث ، فإن كان آخره كلمة "وَيْه" بُني على الكسر ، مثل "سيبوية" ، وإن لم يكن جاز فيه أن يُبني جزءاً تشبّهَا بـ "خمسة عشر" ، فتقول : هذه حضرموت بعلبك ، ورأيت حضرموت ، ومررت بعلبك ، فيفتح آخر الجزأين إلا إذا كان الجزء الأول معتلاً بالياء ، كـ معيكرب ، وقاليقلا فإنه يجب سكونه مطلقاً ، لأن ثقل التركيب أشد من ثقل التأنيث ، فناسب أن ينحص بمزيد التخفيف ، فسكنوا ما كان منه معتلاً ، وإن كان نظيره من المؤنث يفتح نحو : رامية وغازية ، وذلك في الرفع والنصب والجر<sup>(١)</sup> .

ويجوز فيه أن يُعرب إعراب ما لا ينصرف ؛ لوجود علتين فيه : العلمية والتركيب المجزي ، فتقول : جاءني بعلبك ، ورأيت بعلبك ، ومررت بعلبك<sup>(٢)</sup> .

كما يجوز إضافة صدره إلى عجزه فيخفض على ما يقتضيه الحكم من صرفٍ وغيره ، ويكون الأول مُعرِباً بحسب العوامل ، ويعتبر كالكلمة الواحدة ؛ فيعامل من ناحية الإعراب معاملة المفرد ، فيكون على حسب جملته : مبتدأ ، أو خبراً ، أو فاعلاً ، أو مفعولاً ، ... أو غير ذلك ؛ لكنه يرفع بالضمة من غير تنوين ، وينصب ويجر بالفتحة في الحالتين من غير تنوين ، تقول : رامهرمُزْ جميلة ، وإن رامهرمُزْ جميلة ، سمعت برامهرمُزْ ، فتتغير حركة الحرف الأخير وحده تبعاً لحالة الإعراب ، ويقى غيره على حاليه الأولى .

(١) ينظر شرح الكافية الشافية لابن مالك: ٣/١٤٥٥ ، وشرح ابن الناظم: ٥٠ ، والارتفاع: ٢/٨٦٥ ، والتصريح للشيخ خالد: ٢/٣٣٠ .

(٢) ينظر شرح الأشموني: ١/١١٦ .

## تعليق:

ذكر النحويون أن بناء "بعلبك" ونحوه على فتح الجزأين هو أقل اللغات، قال السيوطي: "وَهَذِهِ اللُّغَةُ أَنْكَرَهَا بَعْضُهُمْ، وَقَدْ نَقَلَهَا الْأَئْمَانُ" <sup>(١)</sup>، وقد تكون هذه القلة سبب وصف ابن هشام لها باللغية، كما ذكروا أن إعراب الاسم بتمامه إعراب ما لا ينصرف هو أفعص اللغات وأشهرها وأكثرها، وأن الإضافة أشهر من البناء. <sup>(٢)</sup>

## ٤ - نصب خبر "ما" الحجازية إذا توسط بينها وبين اسمها

قال أبو حيان: "وقوله - يعني ابن مالك - وقد تعلم - يعني "ما" الحجازية - متوسطاً خبراها" <sup>(٣)</sup> هذا الذي قاله، وأجازه هو منهب الفراء، أجاز الفراء أن يقول: ما قائمًا زيد، وحكي الجرمي أن ذلك لغية، وحكي: "ما مسيئاً من أعتب" <sup>(٤)</sup>.

## الدراسة:

يُسَبِّ إِلَى الْفَرَاءِ <sup>(٥)</sup> جواز إعمال "ما" الحجازية إذا تقدم خبراها على اسمها، فيقال: ما منطلقاً زيد، ونسبوا له استدلاله بقول الفرزدق:

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ نِعْمَتَهُمْ... إِذْ هُمْ قُرْيَشٌ وَإِذْ مَا مِثْلُهُمْ بَشَرٌ <sup>(٦)</sup>

(١) الهمع: ١/٢٨٢.

(٢) ينظر توضيح المقاصد للمرادي: ١/٣٩٩، وتمهيد القواعد لناظر الجيش: ٢/٥٩٩، ٨/٤٠٥٠.

(٣) التسهيل لابن مالك: ٥٧.

(٤) التذليل: ٤/٢٦٦، وينظر الهمع: ١/٤٥٠.

(٥) ينظر الارتشاف: ١١٩٧/٣، والهمع: ١/٤٥٠.

(٦) البيت من بحر البسيط، وهو للشاعر في ديوانه: ١٦٧، واللباب في علل البناء والإعراب للعكيري: ١/١٧٦، والمغني لابن هشام: ٧٨٢، وبلا نسبة في شرح الأشموني: ١/٢٢٦.

وما نسب للقراء من جواز الإعمال مع التقديم ينافقه ما جاء في معاني القرآن؛ إذ قال: "فإذا قدّمت الفعل قبل الاسم رفعت الفعل واسمها، فقلت: ما سامحُ هذا، وما قائمُ أخوك" <sup>(١)</sup>.

وجعله المرادي من اختلاف النقل، فقال: "واختلف النقل عن القراء، فنقل عنه أنه أجاز: ما قائمًا زيد، بالنصب، ونقل ابن عصفور عنه أنه لا يجوز النصب" <sup>(٢)</sup>.

وابن عصفور لم ينسب رأيًا إلى القراء، وإنما نسب إلى أهل الكوفة إعرابهم لـ "مثُل" في قول الفرزدق بمنزلة البدل <sup>(٣)</sup>.

وقد ذهب سيبويه والجمهور <sup>(٤)</sup> إلى أن الخبر إذا تقدم لا يجوز نصبه نحو: ما قائمُ زيد، يقول سيبويه: "فإذا قلت: ما منطلق عبد الله، أو ما مسيء من أعتب رفعت، ولا يجوز أن يكون مقدمًا مثله مؤخرًا، كما أنه لا يجوز أن تقول: إن أخوك عبد الله، على حد قولك: إن عبد الله أخوك؛ لأنها ليست بفعل، وإنما جعلت بمنزلته، فكما لم تتصرف "إن" كال فعل كذلك لم يجز فيها كل ما يجوز فيه، ولم تقو قوته فكذلك "ما" <sup>(٥)</sup>.

قال المبرد: "فالرفع الوجه، وقد نصبه بعض النحويين، وذهب إلى أنه خبر مقدم، وهذا خطأ فاحش، وغلط بين" <sup>(٦)</sup>.

---

الشاهد: ما مثلهم بشر، حيث أعمل الشاعر "ما" عمل "ليس" مع تقدم خبرها على اسمها.

(١) معاني القرآن: ٢/٤٣.

(٢) الجنى: ٣٢٤.

(٣) شرح الحمل: ١/٥٩٣.

(٤) ينظر المقتضب للمبرد: ٤/١٩١، وشرح التسهيل لابن مالك: ١/٣٦٩، والتصريح: ١/٢٦٤.

(٥) ينظر الكتاب: ١/٦٠.

(٦) المقتضب: ٤/١٩١.

وللجمهور ردود كثيرة على بيت الفرزدق ، منها :

الأول : أن الرواية لو كانت بالنصب فالشاعر قد أخطأ في هذا ؛ لأنه تييمي ، وأراد أن يتكلم بلغة أهل الحجاز ، فلم يعرف أنهم لا يعملون "ما" إذا تقدم الخبر على الاسم ، ولعله وجد خبر "ليس" قد جاء متقدماً على اسمها ، فتوهم أن ما - لكونها بمعنى "ليس" - تعطى حكمها ، ولم يلتفت إلى أن "ما" فرع من "ليس" في العمل ، وأن الفرع ليس في قوة الأصل<sup>(١)</sup> .

والثاني : أن الرواية لو كانت بالنصب والشاعر لم يخطئ فلا نسلم أن "مثل" منصوبة ، بل هي مبنية على الفتح في محل رفع خبر مقدم ، و"بشر" مبتدأ مؤخر ، وإنما بنيت "مثل" لأنها اكتسبت البناء من المضاف إليه ، وجاز ذلك البناء ولم يجب ، ولهذا شواهد كثيرة منها قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَحَقٌ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> مثل في هذه الآية الكريمة صفة لـ «حق» مع أن «حق» مرفوع و«مثل» مفتوح ، فوجب أن يكون مبنياً على الفتح في محل رفع<sup>(٣)</sup> .

الثالث : أن "مثل" منصوبة على الحال ، ويكون تقديره : وإذا ما في الدنيا بشر مثلهم فيكون "بشر" مبتدأ ، "ومثلهم" نعتاً له ، و"في الدنيا" خبر ، فلما تقدمت "مثلهم" ، نصبت على الحال كقولك : "في الدار قائماً رجل"<sup>(٤)</sup> .

الرابع : أنه يخرج على الشذوذ<sup>(٥)</sup> .

---

(١) ينظر اللباب في علل البناء والإعراب : ١ / ١٧٧ ، وتمهيد القواعد : ٣ / ١٢٠٤ .

(٢) من الآية : ٢٣ سورة الذاريات .

(٣) ينظر توجيه اللمع لابن الخباز : ١٤٦ ، وتخلص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام : ٢٨٣ .

(٤) ينظر شرح الكتاب للسيرافي : ١ / ٣٢٩ ، وأسرار العربية للأبناري : ١٢١ .

(٥) ينظر الكتاب : ٦٠ ، وشرح الجمل : ١ / ٥٩٣ ، وشرح الأشموني : ١ / ٢٥٧ .

وقد نقل ابن الشجري وابن الأثير<sup>(١)</sup> الإجماع على بطلان العمل إذا تقدم الخبر؛ لأنها عملت بحكم الشّبه، لا بحكم الأصل في العمل.

**تعليق:**

بعد دراسة اللغة يجدر ذكر الآتي :

أولاً : أن إعمال "ما" الحجازية مع تقدم الخبر قد وصفه الجرمي بـ "لغية" كما تقدم، وقد ورد عنه أنه وصفه بـ "لغة"<sup>(٢)</sup>، والظاهر الأول؛ دليل ذلك أن سيبويه قد قال : "وزعموا أن بعضهم قال..."<sup>(٣)</sup>، وذكر النصب مع تقدم الخبر، ولم يحدد القائل، ثم قال : "وهذا لا يكاد يعرف"<sup>(٤)</sup>، كما أن العكوري قد جعلها من قبيل **اللغة الضعيفة**<sup>(٥)</sup>، ف تكون أقرب إلى اللغة منها إلى اللغة.

ثانياً : نسب ابن مالك إلى سيبويه جواز الإعمال مع تقدم الخبر، فقال : "وقد تعلم متوضطاً خبرها، وموجاً بـ "إلا" ، وفaca لسيبوويه في الأول، وليونس في الثاني"<sup>(٦)</sup>، وهو مخالف لكلام سيبويه المتقدم، قال أبو حيان : "ثم قال سيبويه بعد ذلك : "وزعموا أن بعضهم قال ، وهو الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم... إذ هُم قُرِيشٌ وإذَا مَا مِثَلُهُمْ بَشَرٌ

وهذا لا يكاد يعرف".<sup>(٧)</sup> فهذا لم يسمعه سيبويه من العرب ، وإنما قال : "وزعموا أن بعضهم قال". ثم قال : "وهذا لا يكاد يعرف" ، نفي المقاربة ،

(١) ينظر البديع في علم العربية لابن الأثير: ١/٥٦٨، وأمالي ابن الشجري: ٢/٥٥٦.

(٢) ينظر الارشاف: ٣/١١٩٨ ، والجني الداني للمرادي: ٣٢٣ ، والتصريح: ١/٢٦٤.

(٣) الكتاب: ١/٥٩.

(٤) السابق نفسه.

(٥) ينظر اللباب في علل البناء والإعراب: ١/١٧٧.

(٦) التسهيل: ٥٧.

(٧) الكتاب: ١/٥٩.

والمقصود نفي العرفان كقوله: «لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا»<sup>(١)</sup>، فإذا كان قوله هذا فكيف يُنسب إليه أنه أجاز نصب الخبر مقدماً؟ وقد نص النص الذي لا يحتمل التأويل أنه يرفعه، وأن مثل "إذ ما مثلهم بشر" لا يكاد يعرف، فكيف يبني على ما لا يكاد يعرف قانون، فيسوغ نصب الخبر تسوياً جائزاً؟ هذا تحميل لكلامه ما لا يحتمله".<sup>(٢)</sup>

وقال أبو حيان أيضاً: "ونسبة جواز ذلك إلى سبيوبيه باطلة".<sup>(٣)</sup>

ثالثاً: أن الصحيح الذي عليه عامة النحويين أنه لا يجوز نصب خبر "ما" إذا توسط، بل يجب الرفع، فإن لم يطابق ما بعده كان مبتدأ، وكان ما بعده مرفوعاً به أغنى عن الخبر، وإن طابق فيجوز هذا الوجه، ويجوز أن يكون خبراً مقدماً<sup>(٤)</sup>.

٥ - إعمال "عسى" "عمل" "إن" وشروطه

قال ابن هشام: "هذا باب الأحرف الثمانية الداخلة على المبتدأ والخبر،... والسابع: "عسى" في لغة، وهي بمعنى "لعل"، وشرط اسمه أن يكون ضميراً، كقوله:

فقلت: عَسَاهَا نَارٌ كَأسٍ وَعَلَّهَا

وقوله:<sup>(٥)</sup>

أَقُولُ لَهَا لَعْلِي أَوْ عَسَانِي<sup>(٦)</sup>

(١) من الآية: ٤٠ سورة النور.

(٢) التذليل لأنبي حيان: ٤ / ٢٧٢.

(٣) الارتشاف: ٣ / ١١٩٨.

(٤) ينظر التذليل: ٤ / ٢٦٨.

(٥) شطر بيت من بحر الطويل، وتمته: "تَشَكَّى فَاتِي تَحْوَهَا فَأَعُودُهَا"

وهو لصخر بن الجعد الخضري في المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعیني: ٢ / ٧٢٠، والتصريح: ١ / ٢٩٧، وبلا نسبة في تمهيد القواعد: ٣ / ١٢٨٠.

الشاهد: عَسَاهَا نَارٌ كَأسٍ ، حيث جاءت "عسى" بمعنى "لعل" وجاء اسمها ضميراً الغائبة، فنصب محلها بها، ورفع ما بعده على الخبرية.

(٦) شطر بيت من بحر الوافر، وتمته: ولِي نَفْسٌ تَنَازَعَنِي إِذَا مَا

وهو حينئذ حرف وفاقاً للسيرافي، ونقله عن سيبويه<sup>(١)</sup>؛ خلافاً للجمهور في إطلاق القول بفعاليته<sup>(٢)</sup>، ولا بن السراج<sup>(٣)</sup> في إطلاق القول بحرفيته<sup>(٤)</sup>.

#### الدراسة:

جاء عن بعض العرب النصب بـ "عسى" ، وهي حينئذ بمعنى "لعل" في الترجي والإشراق ، فحملت في العمل عليها ، كما حملت "لعل" على "عسى" في إدخال "أن" في خبرها ، قال سيبويه : " وأما قولهم : عساك فـ "الكاف" منصوبة . قال الراجز ، وهو رؤبة :

يا أبَّا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكَا<sup>(٥)</sup>

---

وهو لعمran بن حطان في الكتاب : ٢ / ٣٧٥ ، والمقاصد الشافية للشاطبي : ١ / ٣٣٠ ، وبلا نسبة في الخصائص : ٢٧ ، والمفصل للزخنري : ١٧٧ .

الشاهد : " عساني " ، حيث استعملت " عسى " حرفًا بمعنى " لعل " وجاء اسمها ضميراً للمتكلم ، فنصب محلًا بها ، ورفع ما بعده على الخبرية .

(١) ينظر شرح الكتاب : ٣ / ٣٩ .

(٢) ينظر المغني : ٢٠١ ، والهمع : ٤٦ ، والتذليل : ٤ / ٣٢٧ ..

(٣) نسب كثير من النحوين إلى ابن السراج أن " عسى " حرف ، لكن كلام ابن السراج في الأصول على أنها فعل ، يقول : " الأشياء التي ترتفع بها الأسماء ارتفاع الفاعل ستة أشياء : فعل متصرف . وفعل غير متصرف .... ، فأما الأول : وهو الفعل المتصرف فنحو : قام وضرب ... ، الثاني : وهو الفعل الذي هو غير متصرف نحو : ليس وعسى و فعل التعجب ونعم وبئس لا تقول منه . يفعل ولا فاعل " . ينظر الأصول : ١ / ٧٥ ، ٧٦ ، وأسرار العربية : ١٠٨ ، وشرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام : ٢٨ ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ١ / ٣٢٢ .

(٤) ينظر أوضح المسالك لابن هشام : ١ / ٣١٣ ، ٣١٨ ، ٣١٦ ، ٣١٩ .

(٥) الرجز للشاعر في ملحقات ديوانه : ١٨١ ، واللحجة للقراء السبعة : ٤ / ٣٩١ ، وبلا نسبة في اللامات للزجاجي : ١٣٥ ، واللمحة في شرح الملحمة لابن الصاتغ : ٢ / ٦١٨ .

والدليل على أنها منصوبة أنك إذا عنيت نفسك كانت علامتك نبي <sup>(١)</sup>، وشرط اسمها أن يكون ضميراً لغائب أو متكلم أو مخاطب كما ذكر في الآيات السابقة.

فتبيّن أن الضمير المتصل بـ"عسى" فيما سبق هو اسمه، وهو في موضع نصب، وما بعده خبره، هذا مذهب سيبويه.

وذهب المبرد إلى أن "عسى" باقية على أصلها، ولكن انعكاس الإسناد، يجعل المخبر عنه خبراً فالياء في موضع نصب خبر لـ"عسى" تقدم، وأن "والفعل في موضع رفع اسم لها، قال المبرد: فَأَمَّا قَوْلُ سَيِّوْيَهُ: إِنَّهَا تَقْعُدُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ يَمْنَزِّلَةً لَعَلَّ مَعَ الْمُضْمِرِ فَتَقُولُ: عَسَاكَ وَعَسَانِي - فَهُوَ غَلْطٌ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ لَا تَعْمَلُ فِي الْمُضْمِرِ إِلَّا كَمَا تَعْمَلُ فِي الْمُظْهَرِ، فَأَمَّا قَوْلُهُ :

تَقُولُ بَنْتِي: قَدْ أَنِّي إِنَا كَا... يَا أَبِتِي عَلَكَ أَوْ عَسَا كَا

وَقَالَ آخِرُ :

ولِي نَفْسٌ أَقُولُ لَهَا إِذَا مَا... تَخَالَفَنِي: لَعَلِي أَوْ عَسَانِي فَأَمَّا تَقْدِيرُهِ عِنْدَنَا: أَنَّ الْمَفْعُولَ مَقْدَمٌ، وَالْفَاعِلُ مُضْمِرٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: عَسَاكَ الْخَيْرُ أَوْ الشَّرُّ، وَكَذَلِكَ: عَسَانِي الْحَدِيثُ، وَلَكِنَّهُ حَذَفَ؛ لِعِلْمِ الْمُخَاطِبِ بِهِ، وَجَعَلَ الْخَبَرَ اسْمًا عَلَى قَوْلِهِمْ: "عَسَى الْغَوَّبِ أَبُوسًا" <sup>(٢)</sup>. وَرُدَّ قَوْلَهُمَا بِأَمْرِيْنِ :

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ جَعْلُ خَبْرٍ "عَسَى" اسْمًا مُفَرِّدًا، وَهُوَ ضَرُورَةٌ، أَوْ شَادٌ.

---

الشاهد: "عَسَا كَا" ، حيث استعملت "عَسَى" حرفاً يعني "لعل" وجاء اسمها ضميراً للمخاطب، فنصب محلها بها، ورفع ما بعده على الخبرية

(١) الكتاب: ٢ / ٣٧٤ ، ٣٧٥.

(٢) المقتضب: ٣ / ٧١ ، ٧٢.

والثاني: أن من قال "أو عساه" فقط اقتصر على فعل ومنصوبه دون مرفوعه، ولا نظير لذلك، ولا يرد هذا على سيبويه؛ لأنه يرى أن "عسى" الذي ينصب الاسم حرف، فهو نظير: إن مالاً وإن ولداً<sup>(١)</sup>.

وذهب الأخفش<sup>(٢)</sup> إلى أن "عسى" باقية على رفعها الاسم، ونصبها الخبر، ولكن ضمير النصب - الذي هو الياء وأخواتها - وضع موضع المرفوع، فهو نائب عنه، كما ناب ضمير الرفع عن ضمير النصب وضمير الجر في التوكيد، نحو: "رأيتك أنت"، و"مررت بك أنت"، و"أن" والفعل في موضع نصب خبراً لها.

#### تعقيب:

تبين من دراسة اللغة أمران:

الأول: أن إعمال "عسى" عمل "لعل" لغة لبعض العرب حكاه الناس، وليس يمقصُور على السمع، قال محمد بن مسعود الغزني<sup>(٣)</sup>: "ولما أفرط في كثرة استعماله أخرجته من الفعلية إلى الحرافية حتى صار مثل "لعل" في اقتضاء الاسم والخبر كقولهم: عساه يخرج، وعساهما خارجان، وعساهم خارجون، وعساك، وعساكما، وعساكم، أي: لعله يخرج<sup>(٤)</sup>، والمشهور أنه إذا اتصل بها ضمير أن يكون بصورة المرفوع، وهو الذي نزل به القرآن، قال

(١) ينظر شرح الرضي على الكافية: ٢/٤٤٧ ، والتنليل: ٤/٣٦٢ ، والتصريح: ١/٢٩٨.

(٢) ينظر شرح الكتاب للسيرافي: ٣/١٣٩ ، والهمج: ١/٤٨٢.

(٣) هو محمد بن مسعود الغزني، صاحب كتاب البديع، أكثر أبو حيان من النقل عنه، وذكره ابن هشام في المغني، توفي سنة ٤٢١هـ.

تنظر ترجمته في البغية: ١/٢٤٥ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ١٢/١٩.

(٤) ينظر الارشاف: ٣/١٢٣٤.

تعالى : ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَا تُقَاتِلُوا﴾<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> .

الثاني : ذكر الشاطبي أن هذه اللغة قليلة ، قال : " وأما الثالث فالجواب عنه من وجهين ، أحدهما : أن تلك اللغة قليلة ، نصوا على ضعفها ، وضعفها من جهة السمع ، فإنها لم تكثر في الكلام ، ومن جهة القياس لإخراج عسى - وهي فعل - من بابها ، وهو باب "كان" إلى باب "إن"<sup>(٣)</sup> .

ويرى البحث خلاف ذلك ؛ فعدم كثرة هذه اللغة مرده النظر إلى اللغة الأكثر استعمالاً في "عسى" ، وهي عملها عمل "كان" ، ولا يعني ذلك قلة الشواهد على عملها عمل "لعل" ؛ فقد سبق ذكر شواهد كثيرة على ذلك وعلى هذا فوصفها باللغة أبدر وأليق من وصفها باللغية.

#### ٦ - تذكير الفعل المسند إلى المؤنث الحقيقية غير المقصول

قال أبو حيان : "باب العلامات التي تلحق الفعل دلالة على تأنيث المرفوع به ، وعلى تثنية وجمعه ؛ فمن ذلك التاء الساكنة تلحق وجوباً الماضي المسند إلى المرفوع الذي تأنيثه حقيقي إذا لم يفصل بينهما ، ومثناه وجمعه بالألف والتاء نحو : قامت هند ، وقامت الهندان ، وقامت الهندات ، وقولهم : قال فلانة قيل : لغية ، وقيل : شاذ لا يقاس عليه ، وأجزاء الأخفش ، والرمانى ، ورده المبرد".<sup>(٤)</sup>

(١) من الآية : ٢٤٦ من سورة البقرة.

(٢) ينظر شرح التسهيل لابن مالك : ١/٣٩٦ ، والتنزيل : ٤/٣٥٨ ، والمقاصد الشافية : ٢/٢٩٨ .

(٣) ينظر المقاصد الشافية : ٢/٣٠٠ ، والمقاصد التحوية في شرح شواهد شروح الألفية : ٤/١٧٢٩ .

(٤) الارتشاف : ٢/٧٣٤ .

## الدراسة:

حکی سیبویه: قال فلانة، و"فلانة" فاعل مؤنث حقيقي متصل بالفعل المذكر، قال سیبویه: "إنما جاءوا بالباء للتأنيث لأنها ليست علامة إضمار كالواو والألف، وإنما هي كهاء التأنيث في طلحة، وليس باسم. وقال بعض العرب: "قال فلانة" وكلما طال الكلام فهو أحسن، نحو قوله: حضر القاضي امرأة؛ لأنه إذا طال الكلام كان الحذف أجمل، وكأنه شيء يصير بدلاً من شيء... وإنما حذفوا التاء لأنهم صار عندهم إظهار المؤنث يكفيهم عن ذكرهم التاء، كما كفاهم الجميع والاثنان حين أظهروهم عن الواو والألف"<sup>(١)</sup>.

وهو ما أجازه الأخفش<sup>(٢)</sup>، والرمانی<sup>(٣)</sup>، وقال ابن كيسان<sup>(٤)</sup> بأنه لا مانع من القياس عليه ما دام سیبویه قد حکی ذلك.

وقد رد المبرد ذلك فقال: "فاما ضرب جاريتك زيداً، وجاء أمتك، وقام هند فغير جائز؛ لأن تأنيث هذا تأنيث حقيقي، ولو كان من غير الحيوان لصلاح وكان جيداً نحو: هُدُم دارك، وعُمر بلدُك؛ لأن تأنيث لفظ لا حقيقة تحته، كما قال عبيد: «وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَّمُوا الصَّيْحَةُ»<sup>(٥)</sup> وقال: «فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةً مِّنْ رَّبِّهِ»<sup>(٦)</sup>، أما:

(١) ينظر الكتاب: ٣٨ / ٢.

(٢) التذییل: ١٩٦ / ٦.

(٣) ينظر رأيه في البدیع في علم العریة: ١٠٤ / ١، والارتشاف: ٧٣٤ / ٢.

(٤) ينظر الهمع: ٣٣٣ / ٣.

(٥) من الآية: ٦٧ سورة هود.

(٦) من الآية: ٢٧٥ سورة البقرة.

## لقد ولد الأُخيطلَ أمُ سوءٍ<sup>(١)</sup>

فإنما جاز للضرورة في الشعر جوازاً حسناً، ولو كان مثله في الكلام لكان عند النحويين جائزاً على بُعد، وجوازه للتفرقة بين الاسم والفعل بكلام، فتقديرهم أن ذلك الكلام صار عوضاً من علامة التأنيث نحو: حضر القاضي اليوم امرأةً، ونزل دارك ودار زيدٍ جاريةً، والوجه ما ذكرت لك، ومن أولى الفعل مؤنثاً حقيقياً لم يجز عندي حذف علامة التأنيث".<sup>(٢)</sup>

وحجة المبرد أنه قد يشترك الرجال والنساء في الأسماء، قال الشاعر:  
تجأزْتُ هِنْدًا رَغْبَةً عن قِتَالِهِ إِلَى مِلِكٍ أَعْشَوْ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ<sup>(٣)</sup>

و"هند" في البيت اسم رجل.<sup>(٤)</sup>

ويكفي رد مذهب المبرد بما يأتي:

١- أن ما قاله سيبويه صحيح؛ لأنه حكا عن العرب وهو غير متهم في حكايته، ثم إن كلام المبرد "ظاهر الفساد بين الاختلال، وذلك أنه حكى عن سيبويه أنه روى عن بعض العرب: قال فلانة ثم خطأه في ذلك، وهذا موضع

---

(١) صدر بيت من بحر الوافر، وتمته: على باب استها صلب وشام، وهو لجير في ديوانه: ٥١٥، وإيضاح شواهد الإيضاح للقسيسي: ١/٤٩٨، والخزانة للبغدادي: ٩٦: ١٢١، وبلا نسبة في معاني القرآن للفراء: ٢/٣٠٨، ومعاني القراءات للأزهري: ٢/٢٥٤.

(٢) ينظر المقتضب: ٢/١٤٤: ١٤٦.

(٣) البيت من بحر الطويل، وهو بلا نسبة في شرح الجمل لابن عصفور: ١/٢٨٧، والتصريح: ٢/٦١٩، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية: ٤/٢٠٧٧. الشاهد: أن المبرد منع أن تترك علامة التأنيث من المسند إلى المؤنث الحقيقي التأنيث، وقد جاءت "هند" علماً على مذكور، فهو علماً مشترك بين الرجال والنساء.

(٤) شرح المفصل لابن يعيش: ٣/٣٥٩.

التكذيب فيه أشبه من التخطئة؛ لأنّه ليس بقياس قاسه فيرد عليه ويخطأ فيه، وإنما ذكر أن بعض العرب قال ذلك، فإن كانت التخطئة لمن قال ذلك من العرب فهذا رجل يجعل كلامه في النحو أصلًا، وكلام العرب فرعاً، فاستجاز أن يخطئها إذا تكلمت بفرع يخالف أصله<sup>(١)</sup>.

٢ - أن سبيوه قد احتج بما لا مدفوع له، وهو قول جرير:

لقد ولد الأخيطل أم سوءٍ على باب استهَا صُلْبٌ وشَامُ  
فقد مثَّل حذف التاء من فعل المؤنث على رأى من أجاز ذلك بأحسن  
تشيل، وهو للنحوي أن يفعله، وهو أن يمثل لما جاء عن العرب ويعتل له،  
وعليه فليس للمبرد أن يرد ذلك<sup>(٢)</sup>.

٣ - أن السماع بخلاف ما ذهب إليه، فهو تعليلٌ في مُقابَلَةِ النصّ، فأمّا إذا سُمِّي بمذَكَّرٍ كامرأةٍ تسمَّى بـ"زَيْدٍ"، أو "قَاسِمٍ"، لزم إلحاقي العلامة سوءٌ في ذلك الفصلٍ وعدمُه، نحو: "قالت زَيْدٌ" ، و"أَقْبَلَتِ الْيَوْمَ قَاسِمٌ" . ولا يجوز حذف التاء منه؛ لثلا يُلْبِسُ بالمذَكَّر؛ لأنَّ الفاعل لا دلالة فيه على التأنيث، إذ لا علامة فيه للتأنيث، ولا هو غالبٌ في المؤنث، نحو: "زَيْنَبٌ" ، و"سُعَادٌ" ، وليس كل لغة توجد في كتاب الله، ولا كل ما يجوز في اللغة يأتي به القرآن الكريم أو الشعر العربي، وللمبرد مذاهب يجوزها لا توجد في القرآن الكريم ولا غيره، ومن ذلك إجازته مثل قوله: إن زيد قائمًا قياسًا على: ما زيد قائمًا<sup>(٣)</sup>.

ومن العلماء من ذهب إلى أن حذف التاء شاذ<sup>(٤)</sup>، ورديء لا ينقاس<sup>(٥)</sup>،  
ولا يجوز إلا حيث سُمع<sup>(٦)</sup>، وكل هذه الألفاظ تدل على أن تذكير الفعل

(١) ينظر الانتصار لسبيوه على المبرد لابن ولاد: ١٢٤، وشرح الرضي على الكافية: ٣٤١ / ٣.

(٢) ينظر الانتصار: ١٢٤، وشرح الكتاب للسيرافي: ٢ / ٣٦٩.

(٣) ينظر شرح الكتاب للسيرافي: ٢ / ٣٦٩، وشرح المفصل لابن يعيش: ٣ / ٣٦٠.

(٤) ينظر شرح الجمل لابن عصفور: ١ / ٦٠٤ ، والمقاصد الشافية: ٢ / ٥٧١.

(٥) ينظر أوضح المسالك: ٢ / ٩٧.

(٦) ينظر توضيح المقاصد: ٢ / ٥٩٠ ، والتصریح: ١ / ٤٠٨.

المسند إلى المؤنث الحقيقى غير المفصول لغية قمية بعدم التكلم بها، حقيقة بالطرح والاستبعاد، وأن الصحيح هو ما عليه الجمهور من وجوب التأنيث.

#### تعقيب:

ظهر ما سبق أن تذكير الفعل المسند إلى المؤنث الحقيقى غير المفصول ضعيف؛ يدل على ذلك أن سيبويه قد حكا عن بعض العرب، ولم يسمهم؛ لذا كان حقه أن يحفظ ولا يقاس عليه؛ حتى لا يؤدي إلى فوضى التعبير، والخروج على مشهور القواعد.

٧ - إسناد الفعل إلى علامة التثنية والجمع مع وجود الفاعل الظاهر  
قال صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي : "... يقولون : قاما الرّجُلان ،  
وقاموا الرّجّال ، فيلحقون الفعل علامة التثنية والجمع ، وما سمع ذلك إلا في  
لغية ضعيفة لم ينطق بها القرآن ولا أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ولا  
نُقل عن الفصحاء ، ووجه الكلام توحيد الفعل ، كما قال تعالى : ﴿قَالَ  
رَجُلَانِ﴾<sup>(١)</sup> ، و﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ، فأما قوله تعالى : ﴿وَأَسَرُوا  
النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾<sup>(٣)</sup> ، فالذين بدل من الضمير الذي في لفظة أسروا ،  
وقيل : بل موضعه نصب على الذم ، وكذلك قوله : ﴿شَمْ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ  
مِّنْهُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ، فكثير بدل من الضمير<sup>(٥)</sup> .

(١) من الآية ٢٣ سورة المائدة .

(٢) من الآية ١ سورة المنافقون .

(٣) من الآية ٣ سورة الأنبياء .

(٤) من الآية ٧١ سورة المائدة .

(٥) تصحيح التصحيح وتحرير التحريف : ٤١١ ، ٤١٢ .

## الدراسة :

بعض العرب<sup>(١)</sup> يلحقون الفعل المسند إلى ظاهر مثنى أو مجموع عالمة كضميره، فيقولون: قاما أخواك، وخرجوا إخوتك، وذهبن البنادات، فالألف والواو والنون علامات للثنية والجمع، وهي حروف لا ضمائر، فهي منزلة تاء التأنيث في نحو: خرجت هند، وجاءت المرأة، وهي التي تعرف بـ"لغة أكلوني البراغيث".

وقد خرّج أبو عبيدة، والأخفش، وابن جني<sup>(٢)</sup> على هذه اللغة بعض آيات من القرآن الكريم: «وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَّمُوا» وعن قوله: «عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ»

وفي هذه اللغة شذوذ من وجهين :

أحدهما: وجود القرينة الدالة على تعدد الفاعل، وهو ضعيف، وسوغه قياسه على التأنيث، حيث جاز إلهاق العالمة الدالة على تأنيث فاعله. وثانيهما: أن الضمير اللائق بالعود على "البراغيث" هو النون لا الواو، فلو قيل: "أكلتني" كان جيداً<sup>(٣)</sup>.

للغة، منها: أن يكون "الذين ظلموا" بدلًا من الواو، وعليه فالواو

(١) نسبت إلى طيئ أو أزد شنوة في الارتفاع: ٧٣٩/٢، وشرح الأشموني: ١/٣٩٢، وإلى أزد شنوة فقط في البحر الحيط: ٤٠٨/٧، ونسبها ابن عقيل في شرح الألفية: ٨٠/٢ إلى بنى الحارث بن كعب، ونسبها ابن هشام للجميع في المغني: ٤٧٨.

(٢) ينظر مجاز القرآن: ١٧٤/١، ٣٤/٢، ومعانى القرآن: ١، ٤٤٧/١، ٢٨٦، ٦٢٩/٢.

(٣) ينظر جواهر الأدب في معرفة كلام العرب للإريلي: ١٧٥.

ضمير، وأبدل الظاهر منها، وتقدر بعد "ظلموا" منهم<sup>(١)</sup> وهو مذهب سيبويه<sup>(٢)</sup> ، أو خبراً لمبتدأ مذوف كأنه قال : وأسروا النجوى. قيل : من هم ؟ فقال : "الذين ظلموا"<sup>(٣)</sup> .

وكذلك خرروا "كثير" على البدل مما في "عموا" ، والواو الأخرى - واو "صموا" - عائدة على كثير فكأنه قال : عمى كثير منهم وصموا<sup>(٤)</sup> ، ويجوز أن تكون خبراً لمبتدأ مذوف ، أي : العمى والصم منهم كثير<sup>(٥)</sup> أو هم كثير منهم ، أي : من أصحاب هذين الوصفين<sup>(٦)</sup> .

إسناد الفعل إلى عالمة التثنية والجمع مع وجود الفاعل الظاهر بين اللغة واللغة كتب النحو واللغة<sup>(٧)</sup> مليئة بوصف إسناد الفعل إلى واو الجماعة مع وجود الفاعل الظاهر بأنه لغة لا لغة ، فهذا ابن السراج يقول عن الفعل : "ولا يجوز أن يشتمي ولا يجمع لما بينت لك ، فإذا قلت : الزيدان يقومان. فهذه

---

(١) ينظر إعراب القرآن للنحاس : ٦٤/٣ ، ومشكل إعراب القرآن للكي بن أبي طالب : ٤٧٧/٢ .

(٢) الكتاب : ٤١/٢ .

(٣) ينظر التعليقة على كتاب سيبويه للفارسي : ٢٤٥/١ ، ومشكل إعراب القرآن : ٤٧٧/٢ .

(٤) ينظر إعراب القرآن للنحاس : ٣٣/٢ ، وأمالي ابن الشجري : ٢٠٢/١ .

(٥) ينظر إعراب القرآن للنحاس : ٣٣/٢ .

(٦) ينظر أمالي ابن الشجري : ٢٠٢/١ .

(٧) ينظر تاج اللغة وصحاح العربية : ٤/١٣٦١ ، ومشكل إعراب القرآن : ٤٧٧/٢ ، وشرح التسهيل لابن مالك : ١١٦/٢ ، وشرح ابن الناظم على الألفية : ١٥٩ ، والجني : ١٤٩ .

الألف ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع وإذا قلت : الزيدون يقومون بهذه الواو ضمير الجمع والنون علامة الرفع ويجوز : قاموا الزيدون ويقومون الزيدون على لغة من قال : أكلوني البراغيث<sup>(١)</sup>.

قال أبو حيان : "... وال الصحيح أنها لغة حسنة"<sup>(٢)</sup> ، وقال المرادي : "وهي لغة ثابتة خلافاً لمن أنكرها"<sup>(٣)</sup>.

يقول بعض الباحثين :<sup>(٤)</sup> "... وهي لغة فصيحة ، ولكنها لم تبلغ من الشيوع والجري على ألسنة الفصحاء ما بلغته الأولى - يعني إفراد الفعل في حال تقدمه على الفاعل - التي يحسن الاكتفاء بها اليوم والاقتصار عليها". وهي منسوبة إلى طيء وأزد شنوة ، وبني الحارث بن كعب ، وهي قبائل عربية مشهورة بفصاحتها.

#### تعقيب :

حكم ابن أبي الربيع على هذه اللغة بأنها قليلة<sup>(٥)</sup> ، وهذا يحتاج إلى توضيح ، فهي قليلة بالنسبة إلى اللغة الأخرى الشائعة - يعني تجريد الفاعل من علامة الثنائية أو الجمع لا أنها قليلة في حد ذاتها ، فقد جاءت في القرآن الكريم - كما ارتأه بعض النحويين - و جاءت في الحديث الشريف كثيراً كما في حديث أبي هريرة الصحيح : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار"<sup>(٦)</sup> ،

(١) الأصول : ١/١٧٢ .

(٢) البحر المحيط : ٧/٤٠٨ .

(٣) الجنى الدانى : ١٧٠ .

(٤) هو د / حسين البدرى النادى في كتابه الدراسات النحوية الحديثة : ١٥ ، ١٦ .

(٥) البسيط في شرح جمل الزجاجي : ١/٢٦٩ .

(٦) الحديث رواه البخاري في كتاب مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ - باب فضل صلاة العصر :

وحدثت جابر بن عبد الله : "من كن له ثلاث بنات يؤدبهن ويرحمهن ويكتفهن وجبت له الجنة البتة" <sup>(١)</sup>.

وقد جاءت هذه اللغة في الشعر كثيراً، فقد جمع لها أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة <sup>(٢)</sup> أكثر من عشرين شاهداً، وفي نهاية بحثه خلص إلى أن: "هذه اللغة لم تكن مهجورة في الاستعمال، ولا بعيدة من الفصاحة" <sup>(٣)</sup>.

ومن الشواهد التي يتحقق بها في هذا المضمار قول الشاعر:  
يُلُومُونِي فِي اشْتِرَاءِ النَّخْيَ لِأَهْلِي فَكُلَّهُمْ أَلَوْمَ <sup>(٤)</sup>  
وغير ذلك كثير.

فظهر من المعالجة السابقة أن إسناد الفعل إلى عالمة التثنية والجمع مع وجود الفاعل الظاهر ليس لغية أبداً؛ بل هي لغة موجودة في العربية، في شعرها ونشرها بل في أفحص نص فيها في القرآن الكريم <sup>(٥)</sup>؛ لذا دافع ابن عنها، ووقف لمن ردها وضفتها، أو استبعدها وأنكرها ، فقال: "... وأما أن يحمل جميع ما ورد من ذلك على التأويل وغير صحيح؛ لأن الأئمة المأخذ عنهم

---

١١٥/١ ، رقم الحديث : ٥٥٥ ، ومسلم في باب فضل صلاته الصبح والعشرين، والمحافظة عليهما : ١/٤٣٩.

(١) رواه أحمد في المسند : ١٥٠/٢٢ تحت رقم: ١٤٢٧٢.

(٢) هو الشيخ / محمد محيي الدين عبد الحميد - رحمه الله.

(٣) ينظر كتاب في أصول اللغة من إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ٢١١ ، ٢١٣ .

(٤) البيت من بحر المقارب وهو لأبيحية بن الحلاج في ديوانه: ٧١ ، وهو لأمية بن أبي الصلت في ديوانه: ٩٩ ، والمقاصد الشافية: ٢/٥٥٧ ، وبلا نسبة في شرح كتاب سيبويه: ٢/٣٦٦ ، وشرح المفصل لابن يعيش: ٢/٢٩٦ برواية "يعذل" في الآخرين.

(٥) ينظر آراء في الضمير العائد ولغة أكلونى البراغيث للدكتور / خليل أحمد عمادرة : ٣٧ .

هذا الشأن متفقون على أن ذلك لغة لقوم مخصوصين من العرب، فوجب تصديقهم في ذلك كما نصدقهم في غيره ... <sup>(١)</sup>.  
وعليه فُرِّدَ وصف الصفدي لإسناد الفعل إلى علامة التشيبة والجمع مع وجود الفاعل الظاهر بأنه لغية.

#### ٨. نصب "درى" مفعولين

قال ابن هشام: "... وَكَانُوهُمْ مُبْتَدأ وَخَبَرٌ فِي الْأَصْلِ، وَهُوَ أَفْعَالُ الْقُلُوبِ" ظن "لَا يَمْعَنِي" اتهم، و"علم" لَا يَمْعَنِي "عرف"، و"رأى"، لَا من "رأي"، و"وجد" لَا يَمْعَنِي "حزن" أو "حقد"، و"حجا" لَا يَمْعَنِي "قصد"، و"حسب" و"زعم"، و"حال" و"جعل"، و"درى" في لغية <sup>(٢)</sup>.

#### الدراسة:

ينصب الفعل "درى" مفعولين بنفسه إذا كان بمعنى "علم" عند الكوفيين <sup>(٣)</sup> وابن مالك <sup>(٤)</sup>، ولكنه قليل نحو: دريت ثمرة العلم العمل، ودريت زيداً ذا فصلٍ، ومنه قول الشاعر:

دُرِيتُ الْوَفِيَ الْعَهْدَ يَا عَرُو فَاغْتَبِطْ فَإِنْ اغْتَبَطْتُ بِالْوَفَاءِ حَمِيدٌ  
فاللائمة مفعول أول نائب عن الفاعل، و"الوفي" مفعول ثانٍ، فإن كانت

(١) شرح الكافية الشافية: ٥٨٣/٢

(٢) شذور الذهب: ٢٥.

(٣) لم أجد مذهبهم فيما وقفت عليه من كتبهم، ينظر الارشاد: ٤ / ٢١٠٠.

(٤) ينظر التسهيل: ٧١، وشرحه لابن مالك: ٢ / ٧٩، وشرح الكافية الشافية: ٢ / ٥٤٥.

(٥) البيت من بحر الطويل، وهو بلا نسبة في المقاصد الشافية: ٢ / ٤٥٧، والتصريح: ١ / ٣٥٩، والهمع: ١ / ٥٤١.

يُعْنِي "خَتَل" أي: خَدْعٌ، تَعْدَتْ لِوَاحِدَنَحْوُهُ: دَرِي الدَّبَّ الصَّيْدِ، إِذَا استَخْفَيْتَ لَهُ<sup>(١)</sup>.

وَالْأَكْثَرُ أَنْ تَسْتَعْمِلُ مَعْدَةً بِالبَاءِ كَقُولَكَ: دَرِيتَ بِهِ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهَا هَمْزَةُ النَّقْلِ، تَعْدَتْ إِلَى وَاحِدٍ بِنَفْسِهَا، وَإِلَى الثَّانِي بِالبَاءِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَا تَتَعَدِّي إِلَى لَوَاحِدٍ بِوَسَاطَةِ حَرْفِ الْجَرِّ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوَّتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، قَالَ أَبُو حِيَانَ: "وَلَمْ يَذْكُرْ أَصْحَابُنَا "دَرِي" فِيمَا يَتَعَدِّي إِلَى اثْنَيْنِ، وَلَعِلَّ قَوْلَهُ: "دَرِيتَ الْوَفِيَ الْعَهْدَ" مِنْ بَابِ التَّضْمِينِ، ضَمِنَ ذَلِكَ مَعْنَى "عَلِمْتَ"، وَالْتَّضْمِينُ لَا يَنْقَاسُ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَ أَصْلًا حَتَّى يَكْثُرَ ذَلِكُ، وَلَا يَبْثُتْ ذَلِكُ بَيْتُ نَادِرٍ مُحْتَمِلٍ لِلتَّضْمِينِ"<sup>(٣)</sup>.

#### ٩ - خروج ذاتٍ عن الظرفية

قَالَ السَّيُوطِيُّ: "... وَالْحَقُّ الْعَرَبُ - أَيْضًا - بِالْمَنْعُ التَّصَرُّفُ فِي الْتَّزَامِ النَّصْبِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ "ذَا" وَ"ذَاتٍ" مَضَافِينَ إِلَى زَمَانٍ، نَحْوُهُ: لَقِيَتْهُ ذَا صَبَاحٌ وَذَا مَسَاءٌ، وَذَاتٌ مَرَّةٌ وَذَاتٌ يَوْمٌ وَذَاتٌ لَيْلَةٌ، قَالَ: إِذَا شَدَّ الْعَصَابَةَ ذَا يَوْمٌ...<sup>(٤)</sup>

(١) ينظر تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد: ٤٢٦.

(٢) من الآية: ١٦ سورة يونس.

(٣) التذليل: ٦ / ٣٠.

(٤) صدر بيت من بحر الوافر، وتمته:

وَقَامَ إِلَى الْمَجَالِسِ وَالْخُصُومِ

وَهُوَ لَأْبِي قَيْسِ بْنِ الْأَسْلَتِ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبِيَّنِ لِلْجَاحِظِ: ٦٧ / ٣، وَالدَّرُرُ الْلَّوَامُعُ لِلشَّنَقِيَّطِيِّ: ١ / ٤٢٧، وَبِلَا نَسْبَةٍ فِي التَّذَلِيلِ: ٧ / ٢٧٤.

اللُّغَةُ: الْعَصَابَةُ: مَا عَصَبَ بِهِ، وَالْعَصَابَةُ: الْعَمَامَةُ، وَجَمِيعُهَا: عَصَابَاتٌ. يَرَاجِعُ:

اللُّسَانُ (عَصَبٌ)

إِلَّا فِي لُغَةِ خَثْعَمٍ فَإِنَّهَا أَجَازَتْ فِيهَا التَّصَرُّفَ، فَيُقَالُ: سِيرٌ عَلَيْهِ ذَاتٌ لَّيْلَةٌ  
بِرْفَعٍ "ذَاتٌ" وَقَالَ بَعْضُ الْخَثْعَمِيِّينَ<sup>(١)</sup>:  
عَزَّمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ...".<sup>(٢)</sup>

### الدراسة:

تُسْتَعْمَلُ كَلْمَةُ "ذَاتٌ" عِنْدَ خَثْعَمٍ<sup>(٣)</sup> غَيْرَ ظَرْفٍ، فَيَقُولُونَ: سَرِيَ عَلَيْهَا  
ذَاتٌ لَّيْلَةٌ، بِالرْفَعِ، قَالَ سَيِّدُهُ: "... وَذُو صَبَاحٍ بِمَنْزِلَةِ ذَاتٍ مَرَّةٍ، تَقُولُ: سِيرٌ  
عَلَيْهِ ذَا صَبَاحٍ، أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ يُونُسُ عَنِ الْعَرَبِ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي لُغَةِ خَثْعَمٍ  
مَفَارِقًا لِذَاتٍ مَرَّةٍ وَذَاتٍ لَّيْلَةٍ. وَأَمَّا الْجِيَّدُ الْعَرَبِيُّ فَأَنَّ تَكُونَ بِمَنْزِلَتِهَا، وَقَالَ  
رَجُلٌ مِنْ خَثْعَمٍ:

عَزَّمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ لِشَيْءٍ مَا يُسَوِّدُ مَنْ يُسَوِّدُ  
فَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْلُّغَةِ يُجْوِزُ فِيهِ الرَّفَعُ<sup>(٤)</sup>.

الشاهد: "ذَاتٌ يَوْمٌ" ، حِيثُ جَاءَتْ "ذَاتٌ" مَلَازِمَةً لِلنَّصْبِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ  
الْعَرَبَ الْحَقِّوْهَا بِالْمَنْوِعِ التَّصَرُّفِ.

(١) صَدَرَ بَيْتٌ مِنْ بَحْرِ الْوَافِرِ، وَتَمَّتْهُ: لِأَمْرٍ مَا يُسَوِّدُ مَنْ يُسَوِّدُ، وَهُوَ لَأَنْسُ بْنُ مَدْرَكَةِ  
فِي الْحَيَّانِ لِلْجَاحِظِ: ٣٩/٣، وَالْمَفْصِلُ: ١٢٤، وَبِلَا نَسْبَةٍ فِي الْمَقْتَضِبِ: ٤/٣٤٥  
وَالْخَصَائِصُ: ٣/٣٤.

الْمَعْنَى: قَرَرْتُ أَنْ أَقِيمَ إِلَى وَقْتِ الصَّبَاحِ؛ لِأَنِّي وَجَدْتُ الرَّأْيَ وَالْحَزْمَ قَدْ أَوْجَبَا ذَلِكَ،  
وَالْحَقِّيَّةُ أَنَّ الْمَرْءَ لَا يُسَوِّدُهُ قَوْمٌ إِلَّا مَا فِيهِ فِي الْخَصَالِ الْحَمِيدَةِ وَالْجَمِيلَةِ.

الشاهد: "ذِي صَبَاحٍ" حِيثُ خَرَجَتْ "ذِي" عَنِ الظَّرْفِيَّةِ ثُمَّ جُرِّتْ بِالإِضَافَةِ عَلَى لُغَةِ خَثْعَمٍ.  
(٢) الْبَمْعُ: ١٤٣/٢، ١٤٤/٣.

(٣) يَنْظَرُ الْأَصْوَلُ: ١/١٩٢، وَشَرَحُ الْكِتَابِ لِلْسَّيِّرِيِّ: ٢/١٢١، ١٢٢، وَشَرَحُ  
الْتَّسْهِيلِ لِابْنِ مَالِكٍ: ٢/٢٠٣.

(٤) الْكِتَابُ: ١/٢٢٦، ٢٢٧.

و عند عامة العرب <sup>(١)</sup> أن "ذات" إذا أضيفت إلى وقت تكون ملزمة النصب على الظرفية، ولا يتصرف فيها، كقولهم: لقيته ذات مرة، و ذات ليلة، قال سيبويه: "ومثل ذلك: سير عليه ذات مرة، نصب" ، لا يجوز إلا هذا؛ ألا ترى أنك لا تقول: إن ذات مرة كان موعدهم، ولا تقول: إنما لك ذات مرة، كما تقول: إنما لك يوم" <sup>(٢)</sup>.

و سبب التزام العرب الظرفية في "ذات" أنها صفة في الأصل لظرف محنوف، فالتقدير: لقيته قطعة ذات يوم، أو ذات مرة، وكذلك لقيته ذات صباح، أي: وقتاً ذات صباح، أي: صاحب هذا الاسم، فحذف الموصوف، و أقيمت صفتة مقامه، ولم يتصرفوا في الصفة بعد حذف الموصوف لأمرین: أحدهما: أن الصفة إذا لم تكن خاصة لم يجز إجراؤها مجرى الموصوف، و "ذات" بمعنى صاحبة ليست بخاصة بجنس الموصوف المحنوف؛ إذ قد يوصف بها الزمان وغيره، فلم يجز لذلك أن تجري مجرى الموصوف المحنوف، فيتصرف فيهما كما كان يتصرف فيه، كما أن صفة المصدر إذا لم تكن خاصة به وحذف موصوفها لم يجز إقامتها مقام المصدر، بل تبقى متنصبة على الحال. والآخر: أن إضافة ذات إلى مرة ويوم من قبيل إضافة المسمى إلى الاسم، وهي قليلة في كلام العرب، فلم يتصرفوا فيها لذلك، ولقيته صباحاً ويوماً ومرة في معنى: ذات يوم و ذات مرة، استغني به عنه لما كان يؤدي معناه مع ما فيه من الاختصار<sup>(٣)</sup>.

(١) التذليل: ٧/٢٧٤.

(٢) الكتاب: ١/٢٢٥.

(٣) ينظر المقتضى للجرجاني: ١/٦٣٦، والتذليل: ٧/٢٧٥، ٢٧٦، والمساعد لابن عقيل: ١/٤٩١.

١٠ - إعراب المستثنى منه - إذا تأخر وتقدم المستثنى عليه - بدلًا  
 قال أبو حيان: "قال ابن عصفور: "... إنما يعني به إذا حملت الكلام  
 على الوجه المختار، وإلا فقد حكى يونس أن بعض العرب يقول: ما جاءني  
 إلا زيدٌ أحدٌ؛ ألا ترى أن ذاك لغية ضعيفة، ووجهها أن يكون الاسم العام  
 فيها قد أريد به الخصوص، فإذا قلت: ما جاءني إلا زيدٌ أحدٌ، كان المراد  
 بأحد غير زيد من الآدميين"<sup>(١)</sup>، وقال ابن عقيل: "قال ابن عصفور فيه مرة:  
 إنه من القلة بحيث لا يقاس عليه، ومرة: إنه لغية ضعيفة، وأجازه الكوفيون -  
 كما نقل ابن عصفور. والبغداديون كما نقل ابن إصبع"<sup>(٢)</sup>.

#### الدراسة:

أجاز الكوفيون<sup>(٣)</sup> والبغداديون<sup>(٤)</sup> إعراب المستثنى منه - إذا تأخر وتقدم  
 المستثنى عليه - بدلًا، وذلك بأن يشغل العامل بالمستثنى ويجعل المستثنى منه  
 بدلًا، قال سيبويه: "وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون:  
 مالي إلا أبوك أحد، فيجعلون "أحدا" بدلًا، كما قالوا: ما مررت بمنزل أحد،  
 فجعلوه بدلًا، وإن شئت قلت: مالي إلا أبوك صديقا، لأنك قلت: لي أبوك

(١) التذليل: ٨/٢٣٩، ولم أقف على كلام ابن عصفور في كتبه، وقد جعل إعرابه بدلًا  
 قليلاً في المقرب: " وإن قدمته على المستثنى منه لم يجز فيه إلا النصب على كل حال،  
 نحو: ما قام إلا زيداً القوم، وقد يجعل على حسب العامل الذي قبله، ويجعل ما بعده  
 بدلًا، وذلك قليل" ، ومنه في شرح الجمل: "... الاستثناء المقدم لا يخلو أن يتقدم على  
 المستثنى منه أو على صفتة، فإن تقدم على المستثنى منه فلا يجوز فيه إلا النصب".

ينظر المقرب: ١٦٩ ، وشرح الجمل: ٢٦٣/٢.

(٢) المساعد: ١/٥٦٧.

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء: ١/١٦٨.

(٤) ينظر التذليل: ٨/٢٣٨ ، والارتفاع: ٣/١٥١٦ ، والتصريح: ١/٥٤٩.

صديقاً، كما قلت: من لي إلا أبوك صديقاً، حين جعلته مثل: ما مررت  
بأحد إلا أبيك خيراً منه<sup>(١)</sup>.

وهو ما أجازه ابن مالك حيث قال: "ومثل ما حكى يونس قول حسان بن  
ثابت رضي الله عنه:

لأنهم يرجون منه شفاعةٌ إذا لم يكن إلا النبيون شافعٌ<sup>(٢)</sup>

وحجتهم في إجازتهم رفع المستثنى السماع الذي حكاه سيبويه عن يونس  
عن بعض العرب، كما حكى ذلك الفراء، فأجازوا ما ورد به السماع. وقد  
أورده الفراء على أنه لغة لبعض العرب، وأثبتت أن النصب في هذه الحالة هو  
الوجه. قال: "ومن العرب من يرفع ما تقدم في إلا" على هذا التفسير، قال:  
وأنشدوا:

باليثي أسلفَ من جمَاءَ ليس له إلا بنيه وإلا عرسه شيع<sup>(٤)</sup>

وينشد: إلا بنوه وإلا عرسه<sup>(٥)</sup>:

---

(١) الكتاب: ٢٣٧ / ٢.

(٢) البيت من بحر الطويل من قصيدة حسان يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم، وهو  
في ديوانه: ٢٤١، وشرح التسهيل لابن مالك: ٢٩٠ / ٢، وشرح ابن الناظم على ألفية  
ابن مالك: ٢١٨، وبلا نسبة في شرح الأشموني: ٥٠٧ / ١.

والشاهد: "إذا لم يكن إلا النبيون شافع"، حيث رفع المستثنى المتقدم "النبيون" على رأي ابن مالك.

(٣) معاني الفراء: ١ / ١٦٨.

(٤) شرح الكافية الشافية: ٢ / ٧٠٤.

(٤) البيت من بحر البسيط من قصيدة لأبي زيد الطائي في وصف أسد في شعره: ١١١،  
وهي مدونة في الطرائف الأدبية لعبد العزيز الميمني: ٩٨، والثني: منعطف الوادي  
ومنقطعه، وجماء: موضع.

(٥) معاني القرآن للفراء: ١ / ١٦٨.

وقد ذهب جمهور البصريين<sup>(١)</sup> إلى وجوب نصب المستثنى إذا تقدم على المستثنى منه، سواء كان موجباً أو غير موجب؛ أما الموجب فلأنه كان قبل التقديم منصوباً، وأما غير الموجب؛ فلأن البدل لا يتقدم على المبدل منه، فبقي على أصل الاستثناء.

يقول المبرد: "هذا باب ما لا يجوز فيه البدل)، وذلك الاستثناء المقدم نحو: ما جاءني إلا زيداً أحد، وما مررت إلا زيداً بأحد. وإنما امتنع البدل؛ لأنه ليس قبل زيد ما تبدل منه، فصار الوجه الذي كان يصلح على المجاز لا يجوز هاهنا غيره، وذلك أنك كنت تقول: ما جاءني أحد إلا زيد، وتجيز ما جاءني أحد إلا زيداً، فلما قدمت المستثنى بطل وجه البدل، فلم يبق إلا الوجه الثاني، ومثال هذا قوله: جاءني رجل ظريف، فتجعل "ظريفاً" نعتاً لرجل، ويجوز "جاءني رجل ظريفاً" على الحال، فإذا قلت: جاءني ظريفاً رجل بطل الوجه الجيد؛ لأن "رجلًا" لا يكون نعتاً، فصار الذي كان هناك مجازاً لا يجوز غيره، فمن ذلك قوله: <sup>(٢)</sup>  
النَّاسُ أَلْبُّ عَلَيْنَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا... إِلَّا السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَاءِ وَزَرُّ.<sup>(٣)</sup>

---

(١) ينظر للملحة في شرح الملحقة: ٤٦٨، والكتاش: ١٩٥، والمقادص الشافية: ٣٨٥/٣.

(٢) البيت من بحر البسيط، وهو لكعب بن مالك في ديوانه: ٢٠٩، والكتاب: ٣٣٦/٢، والكامل للمبرد: ٣٩٨، وبلا نسبة في الإنصاف للأنباري: ١/٢٢٤، وتمهيد القواعد: ٥/٢١٦٣.

(٣) المقتضب: ٤/٣٩٧.

الشاهد: "إلا السُّيُوفَ وَأَطْرَافَ الْقَنَاءِ" حيث تقدم المستثنى على المستثنى منه، والتقدير: ما لنا وزر إلا السيوف. برفع السيوف على البدل أو نصبها على الاستثناء، فلما قدمت على المستثنى منه لم يجز الإبدال فوجب نصبها على الاستثناء.

وإنما وجوب النصب وامتنعت البدالية لسببين :

الأول : أن الرفع لا وجہ له إلا على البدالية ، والبدل لا يتقدم على المبدل منه ، وهو هنا مقدم ؛ يقول أبو علي : " فإن قدمت المستثنى فقلت : ما جاءني إلا زيداً أحداً ، لم يكن في المستثنى إلا النصب ؛ لأن البدل الذي كان يجوز في قوله : ما جاءني أحداً إلا زيداً قد بطل بتقدم الذي كان يكون بدلاً على المبدل منه فبقي النصب على أصل الاستثناء ولم يجوز غيره " <sup>(١)</sup> .

والثاني : أن البدل لا يكون أعم من المبدل منه ، ومع الرفع يبدل العام من الخاص ؛ يقول ابن عصفور : " الاستثناء المقدم لا يخلو أن يتقدم على المستثنى منه أو على صفتة ، فإن تقدم على المستثنى منه فلا يجوز فيه إلا النصب .

وزعم بعض النحويين أنه يجوز فيه النصب على الاستثناء ، وأن لا يكون ما بعده إلا مبنياً على ما قبله ويكون المستثنى منه تابعاً للاسم الذي قبله على الصفة أو على البدل ، وهذا الذي ذهب إليه باطل ؛ لأنه إذا قال : ما قام إلا زيداً أحداً ، فلا يخلو أن يجعل " أحد " فاعل قام ، " وإن زيداً " بدلاً منه ، أو يجعل " إلا زيداً " فاعلاً ، و " أحد " بدلاً منه ، فإن جعل " أحد " فاعلاً بـ " قام " وإن زيداً " بدلاً منه فباطل ؛ لأن البدل تابع ، وحكم التابع أن يكون بعد المتبوع ، فإن جعلته فاعلاً و " أحداً " بدلاً منه فباطل ؛ لأن " أحد " أعم من زيد ، فلو جعلته بدلاً لكان عكس البدل ؛ لأنه ليس من أقسام البدل بدلاً كل من بعض " <sup>(٢)</sup> .

#### تفصيّب :

يظهر مما سبق أن المختار نصب المستثنى إذا تقدم على المستثنى منه إن كان في كلام غير موجب ؛ لقوته في القياس ، ولأنه الأكثر والأشهر في كلام العرب . ويجوز الرفع على القلة ؛ لأنه مسموع نثراً وشعرًا ؛ فاللغات كلها حجة ، والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيّب غير مخطئ ، وإن كان غير ما

(١) الإيضاح العضدي للفارسي : ٢٠٦ .

(٢) شرح الجمل : ٢٦٣ / ٢ .

جاء به خيراً منه؛ فلا سبيل إلى إهدار هذا المسموع خاصة<sup>(١)</sup>، وقد وصف سيبويه من روى عنهم ذلك بأنهم موثوق في عربتهم، وخرجه على البدل، وقد نظره بقولهم: ما مررت بمنك أحد حيث قدم النعت على المعنوت، وأعرب النعت بحسب العامل، وأعرب المعنوت بدلاً من النعت؛ ولذا قال ابن مالك: "وقد يجعل المستثنى متبعاً والمستثنى منه تابعاً"<sup>(٢)</sup>.

### ١١ - فتح لام "كي"

قال السمين: "قوله **لِيْحَاجُوكُم**"<sup>(٣)</sup> هذه اللام تسمى لام "كي" بمعنى أنها للتعليل، كما أن "كي" كذلك، لا بمعنى أنها تنصب ما بعدها بإضمار بـ "كي" ، وهي حرف جر، ... المشهور في لغة العرب كسر هذه اللام؛ لأنها حرف جر وفيها لغية شادة، وهي الفتح<sup>(٤)</sup>.

#### الدراسة:

حق لام الجر إذا ولها ظاهر الكسر، ويدخل ضمن ذلك لام "كي"<sup>(٥)</sup>، وقد ورد عن بعض العرب فتح لام "كي" ، قال الأخفش ... وزعم يونس أن ناساً من العرب يفتحون اللام التي في مكان "كي" ، وأنشدوا هذا البيت، فزعم أنه سمعه مفتواحاً:

**يُؤَمِّنُنِي رَبِيعَةُ كُلَّ يَوْمٍ ♦ لَأَهْلِكَهُ وَأَقْتَنِي الدَّجَاجَا**

(١) الخصائص: ١٢/٢.

(٢) التسهيل: ١٠٢.

(٣) من الآية: ٧٦ من سورة البقرة.

(٤) الدر المصنون: ٤٤٣ / ١.

(٥) ينظر الحجة للقراء السبعة: ٢/٤٣٤، وشرح التسهيل لابن مالك: ٣/١٤٩، والمغني: ٢٩٥.

(٦) البيت من بحر الوافر، وهو بلا نسبة في الراهن في معاني كلمات الناس: ١/٢٦٠، برواية "أتأمرني" ، والتذليل: ١١/١٨٥ برواية: "وتأمرني" ، ولأشربها" ، والخزانة: ١٠/٣٣٩ برواية "توعادني".

وزعم خلف أنها لغة لبني العنبر، وأنه سمع رجلاً ينشد هذا البيت منهم مفتواحاً :

فَقُلْتُ لِكَلْبَيْيُ قُضَاعَة إِنَّمَا ♦ تَخَبَّرْتُمَانِي أَهْلَ فَلْجٍ لَأَمْنَعَا<sup>(١)</sup>  
يريد "من أهل فلنج". وقد سمعت أنا ذلك من العرب، وذلك أن أصل اللام الفتح، وإنما كسرت في الإضافة ليفرق بينها وبين لام الابتداء<sup>(٢)</sup>.  
وقال القراء: "... وبنو سليم يفتحون اللام إذا استؤنفت، فيقولون: ليقم زيد، ويجعلون اللام منصوبة في كل جهة، كما نصبت قيم لام "كي" إذا قالوا: جئت لآخذ حقّي"<sup>(٣)</sup>.

وُحْكِي أن الكسائي<sup>(٤)</sup> سمع من أبي حزام العُكْلِي: ما كنت لآتيك، بفتح اللام، وقرأ الحسن فيما روى ابن مجاهد: "ليلاً يعلم"<sup>(٥)</sup> بفتح اللام وسكون الياء<sup>(٦)</sup>، وأصل هذه القراءة "لأن لا"، وحُذِفتْ الهمزة اعتاباً، وأدْغمت النونُ في اللام، فاجتمع ثلاثة أمثالٍ، فتَقْلَلَ النطقُ به، فأُبَدِّلَ الوسْطَ ياءً تخفيفاً، فصار اللفظُ "ليلاً".

---

الشاهد : "لأهْلَكَه" حيث فتحت لام "كي" على لغة بعض العرب .

(١) البيت من بحر الطويل لعبد بن غاضرة العنبري في الديباج لأبي عبيدة: ٥٩ ، برواية :

فلا تحمداني بالوفاء ، فإنما تُخْيِرْتَنِي أَهْلَ فَلْجٍ لَأَمْنَعَا.

ولم أقف عليه في مراجع أخرى .

الشاهد : "لأَمْنَعَا" حيث فتحت لام "كي" على لغة بعض العرب .

(٢) معانى القرآن: ١٣١ ، ١٣٠ .

(٣) معانى القرآن: ١ / ٢٨٥ .

(٤) ينظر سر الصناعة لابن جنبي: ١٢ / ٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش: ٤ / ٤٨١ .

(٥) من الآية ٢٩ سورة الحديد .

(٦) تنظر القراءة في مختصر شواذ القرآن: ١٥٣ ، وشواذ القراءات للكرماني: ١ / ٤٦٦ .

### تعقيب:

ذكر غير واحد من أهل العلم أن فتح لام الجر لغة مشهورة معروفة<sup>(١)</sup>؛ لذا جعله أبو حيان لغة لا لغية<sup>(٢)</sup>، والصواب أنها لغة ضعيفة يتوقف عند ما سمع منها، ولا يقاس عليها؛ كي لا تتشابه مع غيرها من اللامات، قال الزجاج: "... وقد حكى بعض البصريين فتح لام الجر، نحو قولك: المال لِزِيدٍ، تقول: المال لِزِيدٍ، وهذه الحكاية في الشذوذ كالأولى؛ لأن الإجماع والروايات الصحيحة كسر لام الجر ولام الأمر، ولا يلتفت إلى الشذوذ، خاصة إذا لم يروه النحويون القدماء الذين هم أصل الرواية، وجميع من ذكرنا من الذين روا هذا الشاذ عندنا صادقون في الرواية، إلا أن الذي سمع منهم مخطئ".<sup>(٣)</sup>

### ١٢ - اتصال ضمير الرفع بـ"نعم وبئس"

قال ابن هشام: "... من العوامل ما يعمل في الظاهر وفي المُضمر يشَرُّط استثاره، وهو نعم وبئس، تقول: نعم الرجلانِ الزيدان، ونعم رجلانِ الزيدان، ولَا يُقال: نعمًا إِلَى فِي لغة".<sup>(٤)</sup>

### الدراسة:

أجاز الفراء أن يقال: الزيدان نعمًا رجلين، والزيدون نعموا رجالًا باتصال ضمير الرفع الساكن بـ"نعم" وـ"بئس"، وهو ما قد حکاه الكسائي والأخفش<sup>(٥)</sup> عن بنى أسد، قال الفراء: "ويجوز أن تذكر الرجلين فتقول:

(١) ينظر المحرر الوجيز: ٥ / ٢٧١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٧ / ٢٦٨، والدر المصنون: ١٠ / ٢٥٩.

(٢) ينظر الارشاف: ٤ / ١٦٦١.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٢ / ٩٨.

(٤) المغني: ٧٥٥.

(٥) ينظر الإنصاف: ١ / ٨٦، واللباب: ١ / ١٨٠، وشرح الكافية للرضي: ٤ / ٢٤٢، وشرح الكافية الشافية: ٢ / ١١٠٢، ١١١١، وشرح التسهيل لابن مالك: ٣ / ٥.

بئساً رجلين، وبئس رجلين، وللقوم: نعم قوماً، ونعموا قوماً، وكذلك الجمع من المؤنث، وإنما وحدوا الفعل وقد جاء بعد الأسماء لأن لـ "بئس" ونعم" دلالة على مدح أو ذم لم يرد منها مذهب الفعل، مثل: قاما وقعدا، فهذا في "بئس ونعم" مطرد كثير، وربما قيل في غيرهما مما هو في معنى "بئس ونعم"<sup>(١)</sup>.

واتصال ضمير الرفع بهما يدل على فعليهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف<sup>(٢)</sup>.

ومذهب أكثر النحويين<sup>(٣)</sup> أن "نعم" و"بئس" إذا ذكرت بعد ما يعني عن المخصوص لا تتحمل ضميره، بل تأتي مجردة للإسناد إلى ما بعدها نحو: "الزيدان نعم الرجالان" ، و"الزيدون نعم الرجال" ، أو "نعم رجالاً". قال سيبويه: "واعلم أنك لا تُظهر علامة المضرين في "نعم" ، لا تقول: نعموا رجالاً، يكتفون بالذى يفسره كما قالوا: مرت بكل"<sup>(٤)</sup>.  
قال ابن مالك:

ورفع "نعم" مضمر اسم قدما لم يأت إلا في شذوذ فاعلما<sup>(٥)</sup>

تعقيب:

بعد دراسة اللغة يتضح أن الصحيح الذي تبني عليه قواعد النحو هو ما عليه عامة العرب من منع اتصال ضمير الرفع بـ"نعم وبيئس" ، حتى إن بعض النحويين قد نقل الإجماع عليه، حيث قال: "أما "نعم" فإن الضمير لا يكون إلا مفرداً مذكراً على كل حال، نحو قوله: نعم رجلاً زيد، ونعم امرأة

والتنزيل: ١٠ / ١٢٤ ، وتمهيد القواعد: ٥ / ٢٥٢٣ ، وشرح التسهيل للشيخ خالد:

٧٨٤ / ٢ ، والهمع: ٣٥ / ٣.

(١) معاني القرآن: ١ / ٢٦٨ .

(٢) ينظر توضيح المقاصد: ٢ / ٩١٢ ، والتصريح: ٢ / ٧٥ .

(٣) ينظر شرح الكافية الشافية: ٢ / ١١١١ .

(٤) الكتاب: ٢ / ١٧٩ .

(٥) الكافية الشافية مع شرحها: ٢ / ١١٠٤ .

هند، ... لا خلاف في ذلك بين البصريين والkovfien...<sup>(١)</sup>، والحق أن الخلاف واقع في هذا الضمير، وما حكاه الكسائي والأخفش يحفظ، ولا يقاس عليه. وأما قول الأخفش بعد نقله ذلك عن بعضبني أسد: "لا آمن أن يكون فيهم التلقين"<sup>(٢)</sup>، فليس بمسلم له، والناقل لهذا القول من الكوفية، فعل الدافع له نصرته لمذهب البصريين، والكسائي موثوق بنقله وأمانته<sup>(٣)</sup>.

### ١٣ - إلغاء النصب بـ"إذن" مع استيفاء الشروط

قال المرادي: "وبعض العرب يلغى "إذن" مع استيفاء الشروط، وهي لغية نادرة، حكها عيسى، وسيبوه، ولا يقبل قول من أنكرها"<sup>(٤)</sup>.

#### الدراسة:

حکى سیبوه أن ناساً من العرب لا يعملون "إذن" مع استيفاء الشروط، قال: "وزعم عيسى بن عمر أن ناساً من العرب يقولون: إذن أفعل ذاك، في الجواب، فأخبرت يونس بذلك فقال: لا تبعدن ذا، ولم يكن ليروي إلا ما سمع، جعلوها بمنزلة "هل ويل"<sup>(٥)</sup>، ومنه الحديث "إذن يخلف يا رسول الله"<sup>(٦)</sup>. وزعم ابن طاهر أن ما رواه عيسى من الرفع إنما جاز ذلك فيه؛ لأنّه فعل حال لا مستقبل<sup>(٧)</sup>، وهو ضعيف إذ لا يلتيس مثله على سیبوه، ويزعم أنه لغة<sup>(٨)</sup>.

(١) شرح الجزوئية للأبدي: ١ / ٥٤٥.

(٢) الارشاف: ٤ / ٢٠٥٢.

(٣) المسائل المتفق عليها بين النحوين للباحث: دخيل بن غنيم العواد: ١٥٤.

(٤) الجنى: ٣٦٣.

(٥) الكتاب: ٣ / ١٦.

(٦) صحيح البخاري: ٦ / ٣٤ - رقم الحديث: ٤٥٤٩ - كتاب تفسير القرآن باب {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثُمَّا قَلِيلًا، أُولَئِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ}. الارشاف: ٤ / ١٦٥١.

(٧) ينظر المساعد: ٣ / ٧٣.

ورواية عيسى قد تلقاها البصريون **بِالْقُبُولِ**، وَوَاقِهُمْ **ئُلْبَ**، وَخَالِفُ سَائِرِ الْكُوْفَيْنِ، فَلَمْ يَجِزْ أَحَدٌ مِنْهُمُ الرِّفْعَ بَعْدَهَا، قَالَ أَبُو حَيَّانُ: "وَرِوَايَةُ التَّقْفَةِ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ حَفِظَ حَجَّةَ عَلَى مَنْ لَمْ يَحْفَظْ، إِلَّا أَنَّهَا لُغَةٌ نَادِرَةٌ جَدًا؛ وَلَذِلِكَ أَنْكَرَهَا الْكُسَائِيُّ وَالْفَرَاءُ عَلَى اتِساعِ حَفْظِهِمَا وَأَخْذَهُمَا بِالشَّاذِ وَالْقَلِيلِ"<sup>(١)</sup>.

وَالإِهْمَالُ هُوَ الْقِيَاسُ؛ لَأَنَّهَا غَيْرُ مُخْتَصَّةٍ، وَإِنَّا أَعْمَلُهَا الْأَكْتَرُونَ حَمْلًا عَلَى "ظِنٍّ"؛ لَأَنَّهَا مُثْلَهَا فِي جُوازِ تَقْدِيمِهَا عَلَى الْجَمْلَةِ، وَتَأْخِيرِهَا عَنْهَا، وَتَوْسُطُهَا بَيْنِ جُزَائِهَا، كَمَا حَمِلَتْ "مَا" عَلَى "لَيْسٍ" لَأَنَّهَا مُثْلَهَا فِي نَفْيِ الْحَالِ، وَالْمَرْجُعُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى السَّمَاعِ<sup>(٢)</sup>.

وَالْمَشْهُورُ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ النَّصْبُ فِي الْمُضَارِعِ إِذَا تَوَفَّرَ الشُّرُوطُ الْأَتِيَّةُ: الْأُولُّ: التَّصْدِرُ مُثْلٌ: "إِذْنُ أَكَافِئُكَ". فَإِنْ تَقْدِمُ عَلَيْهَا مُبْتَدِأٌ أَوْ شَرْطٌ أَوْ قَسْمٌ لَمْ تَعْمَلْ، وَارْتَفَعَ الْفَعْلُ بَعْدَهَا مُثْلٌ: "أَنَا إِذْنُ أَكَافِئُكَ"، وَاللَّهُ إِذْنُ أَكَافِئُكَ".

الثَّانِيُّ: الْإِسْتِقْبَالُ، فَإِنْ كَانَ الْفَعْلُ حَالِيًّا فِي الْمَعْنَى رَفِعَتْهُ، تَقُولُ لِمَنْ يَحْدُثُكَ بِخَبْرٍ: "إِذْنُ أَطْنَكَ صَادِقًا" بِالرِّفْعِ لَيْسَ غَيْرَهُ.

الثَّالِثُ: الْإِتْصَالُ، فَإِذَا فَصَلَ بَيْنَ "إِذْنٍ" وَالْمُضَارِعِ فَاصلَ بَطْلُ عَمَلِهَا وَارْتَفَعَ الْفَعْلُ بَعْدَهَا، تَقُولُ: "إِذْنُ أَنَا أَكَافِئُكَ" بِالرِّفْعِ فَحَسْبٌ، وَقَدْ اغْتَفَرُوا الْفَصْلُ بِالْقَسْمِ وَ"لَا" النَّافِيَّةِ، تَقُولُ: "إِذْنُ وَاللَّهُ أَكَافِئُكَ" "إِذْنُ لَا أَضِيعُ جَهْدَكَ"<sup>(٣)</sup>.

وَذَهَبَابْنُ يَعْيَشٍ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ إِعْمَالُهَا لَا غَيْرَ إِنْ دَخَلَتْ فِي الْفَعْلِ فِي ابْتِدَاءِ الْجَوَابِ، وَ- أَيْضًاً - ذَهَبَابْنُ عَصْفُورٍ، فَقَالَ: "وَإِنْ وَقَعَتْ صَدِرًا

(١) يَنْظَرُ الْهَمْعُ: ٣٧٦ / ٢.

(٢) يَنْظَرُ شَرْحَابْنِ النَّاظِمِ عَلَى الْأَلْفَيَّةِ: ٤٧٨، وَالْتَّصْرِيفُ: ٣٧٠ / ٢.

(٣) يَنْظَرُ شَرْحَ التَّسْهِيلِ لابْنِ مَالِكٍ: ٤ / ٢٠، وَالْأَرْتَشَافُ: ٤ / ١٦٥١، وَتَهْيَدُ الْقَوَاعِدُ: ٨ / ٤٦٣.

فالإعمال ليس إلا<sup>(١)</sup>.

### تعقيب:

الأول: أن إلغاء النصب بـ"إذن" مع استيفاء الشروط قد وصف بـ"لغية" ، ووصف - أيضاً - بأنه لغة نادرة<sup>(٢)</sup> ، وضعيفة<sup>(٣)</sup> ، وقليلة جداً<sup>(٤)</sup> ، وشاذ لا يُعتبر<sup>(٥)</sup> ، وكل هذه الأوصاف تؤكد قبحها ، وقلة الناطقين بها ، وما يؤيد هذا أن سيبويه لم يُحدد الناطقين بإهمالها ، ووصفهم بأنهم ناس من العرب.

الثاني: أن ما ذكر المرادي بعد أن أورد اللغة أنه "لا يقبل قول من أنكرها"<sup>(٦)</sup> صحيح ؛ لرواية الثقات ؛ إلا أنه يجب الوقوف على ما سمع ، ولا يقاس عليه.

### ١٤ - فتح لام الأمر

قال السمين: "...وقرأ عكرمة "لتألَفْ قُريش" <sup>(٧)</sup> فعلاً مضارعاً<sup>(٨)</sup> ، وعنه "لِيَلَفُ"<sup>(٩)</sup> على الأمر ، واللام مكسورة ، وعنه فتحها مع الأمر<sup>(١٠)</sup> ، وهي لغية<sup>(١١)</sup> .

(١) ينظر شرح المفصل: ٤/٢٢٦ ، وشرح الجمل: ٢/١٧٢.

(٢) ينظر توضيح المقاصد: ٣/١٢٤٠ ، والمساعد: ٣/٧٢ ، وحاشية الصبان: ٣/٤٢٦.

(٣) ينظر المقاصد الشافية: ٦/٢٣.

(٤) شرح الجمل لابن عصفور: ٢/١٧٢.

(٥) رصف المبني للمالقي: ٦٤.

(٦) الجنى: ٣٦٣.

(٧) القراءة المتواترة "لِيَلَفْ قُريش". الآية: ١ سورة قريش.

(٨) ينظر جامع البيان للطبرى: ٢٤/٦١٩ ، وروح المعانى: ١٥/٤٧٣.

(٩) ينظر مختصر شواذ القرآن: ١٨٠ ، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠٢/٢٠.

(١٠) وقرأ بها أيضاً هَلَالِ بْنِ فِتْيَانَ . تنظر القراءة في البحر المحيط: ١٠/٥٤٨ ، وفتح القدير للشوکانى: ٥/٦٠٩.

(١١) الدر المصور: ١١/١١٤.

## الدراسة:

من العرب من يبني لام الأمر على الفتح، وقد حكاه الأخفش والكسائي عن بعض العرب<sup>(١)</sup>، قال الفراء : "...وبنوا سليم يفتحون اللام إذا استئنفت فيقولون : ليقم زيد<sup>(٢)</sup> ، يريد : أنهم لا يفتحونها إلا إذا لم يكن قبلها "واو" أو "فاء" أو "ثم"<sup>(٣)</sup> ، وروي عن الفراء - أيضاً - أنها تفتح لفتحة الياء بعدها، فظاهر هذا أنها لا تفتح إذا انضم ما بعدها نحو : "لِيَكْرَمْ" ، أو انكسر نحو : "لِتَذَنْ"<sup>(٤)</sup> ، وقد تُسبِّب الفتح لقبيلة عكل<sup>(٥)</sup> .

وكسر لام الأمر هو مشهور لغة العرب<sup>(٦)</sup> ، وقد تسكن للتخفيف إذا كان قبلها شيءٌ نحو قوله : فلِيقم زيد<sup>(٧)</sup> ، قال ابن جني : "من ذلك قراءة الحسن : «فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ»"<sup>(٨)</sup> ، قال أبو الفتح : "هذا - لعمري - الأصل في لام الأمر أن تكون مكسورة، إلا أنهم أقرروا إسكانها تحفيقاً، وإذا كانوا يقولون : مُرْه فلِيَقْمْ، فيسكنونها مع قلة الحروف والحركات، فإسكانها مع كثرة الحروف والحركات أمثل، وتلك حالها في قوله : «فَلَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ»" ،

(١) ينظر إعراب القرآن للنحاس: ٢٣٦ / ١.

(٢) ينظر معاني القرآن: ٢٨٥ / ١.

(٣) ينظر الارتساف: ١٨٥٥ / ٤.

(٤) ينظر البحر المحيط: ١٩٨ / ٢ ، وتوضيح المقاصد: ١٢٦٨ / ٣.

(٥) مختصر شواذ القرآن: ١٨٠ .

(٦) ينظر الأصول: ٢١٩ / ٢ ، والبدع لابن الأثير: ٦٢٢ / ١ ، وتمهيد القواعد: ٩ / ٤٣٠٦ .

(٧) الأصول: ٢١٩ / ٢ .

(٨) من الآية: ١١ سورة إبراهيم، تنظر القراءة في الدر المصنون: ٧ / ٧٦ ، والبحر المحيط: ٤٦ / ٦ .

لا سيما وقبلها كسرة الهاء، فاعرف ذلك، فإن مصارفة الألفاظ باب معتمد في الاستقال والاستخفاف".<sup>(١)</sup>

وقد علوا كسرها بأمور:

١- أنه أقرب إلى الجزم؛ لأنها حركة مقابلة ومقابله وهو الجر<sup>(٢)</sup>.

٢- أن في ذلك حملاً على لام الجر؛ لأن عملها نقىض عملها. ومن كلامهم حمل النقىض على النقىض، كما يحمل النظير على النظير.

٣- للفرق بينها وبين لام الابداء التي تدخل على الأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين؛ ألا ترى أنك تقول: "إن زيداً ليضرب"، أي: لضارب، فكرهوا أن يقولوا في الأمر: "إن زيداً ليضرب"، فيلتبس بقولك: "إن زيداً لضارب".<sup>(٣)</sup>

٤- أنها إذا فتحت أشيبت لام التوكيد<sup>(٤)</sup>.

**تعليق:**

قال الشوكاني: "وَفَتْحُ لَامِ الْأَمْرِ لُغَةً مَعْرُوفَةً"<sup>(٥)</sup>، وتابعه في ذلك القنوجي<sup>(٦)</sup>، ولا أدرى معنى "معروفة"، ولم تتكلم به إلا قبيلتان عربستان فقط، وليس له شاهد إلا بيت شعري غير معروف:

لأَدَنَاهَا وَمَا فِيهَا دَنِيٌّ لَيْرَقْدُثُّمْ يِرْقَدْ لَنْ يُصَارَا<sup>(٧)</sup>

(١) المحتسب: ٣٥٩ / ١.

(٢) شرح التسهيل لابن مالك: ٤ / ٥٨.

(٣) الجني: ١٨٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٢ / ٩٨.

(٥) فتح القدير: ٥ / ٦٠٩.

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن: ١٥ / ٣٩٨.

(٧) البيت من بحر الوافر، ولم أقف على قائله.

لأَدَنَاهَا وَمَا فِيهَا دَنْيٌ لَيْرَقْدُ ثُمَّ يَرْقَدُ لَنْ يُصَارَا<sup>(١)</sup>

قال الزجاج: "ولا يلتفت إلى الشذوذ، خاصة إذا لم يروه النحويون القدماء الذين هم أصل الرواية، وجميع من ذكرنا من الذين رووا هذا الشاذ عندها صادقون في الرواية، إلا أن الذي سمع منهم خطئه"<sup>(٢)</sup>.

#### ١٥ - مفارقة "كم" الخبرية صدر الكلام

قال السيوطي: "... ويجب تقديره إن تضمن شرطاً أو استفهاماً، خلافاً للكوفية فيما قصد به استثناء، أو أضيف إلىهما، أو تنصبه فاصلاً جواباً 'اما'، أو 'أمر فيه الفاء'، أو 'كان معمول مفسر الجواب'، أو 'كم' الخبرية إلا في لغية"<sup>(٣)</sup>.

#### الدراسة:

حکى الأخفش<sup>(٤)</sup> جواز أن مفارقة "كم" الخبرية لصدر الكلام، نحو: فككت كم عان، وملكت كم غلام؛ لأنها بمعنى "كثير" فكما جاز القول: ملكت كثيراً من الغلمان، وفككت كثيراً من العناة جاز أن لا تتصدر "كم". وقد سبق الفراء الأخفش في ذلك، فقال: " قوله: «أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كُمْ أَهْلُكُنَا»<sup>(٥)</sup> كم في موضع رفع بـ «يَهْدِ» كأنك قلت: أ ولم تهدهم القرون الهايلكة"<sup>(٦)</sup>.

(١) البيت من بحث الواфер، ولم أقف على قائله.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٩٨ / ٢.

(٣) ينظر الهمع: ٧ / ٢.

(٤) ينظر التذليل: ٣٩ / ٧، ٣٥ / ١٠، ١٤٦٩ / ٣، ٧٨٤ / ٢، والارشاف: ١٤٦٩ / ٣، والمساعد: ١١٤ / ٢.

(٥) من الآية: ٢٦ سورة السجدة.

(٦) معاني القرآن: ٢ / ٢٣٣.

وهذا فاسد؛ لأنَّ العرب لم يسمع منها إلاَّ أنْ يجعل صدراً، فيمكن إن لحظتَ في ذلك الحمل على "رُبَّ" كما قالوا؛ لأنَّها تلزم الصدر بإجماع<sup>(١)</sup>. كما أنَّ المعنى الذي تؤديه الأداة وكذلك الوظيفة مختلف في حال استبدالها باسم من معناها، ولو جاز على قوله: أن لا تتصدر "كم" لأنَّها بمعنى "كثير"، ولفظ "كثير" يمكن ألا تتصدر لجائز - أيضاً. ألا تتصدر "كيف" الاستفهامية. فإذا قلنا: كيف حالك؟ فـ"كيف" بمعنى "أستفهم" عن حالك، إذ يمكن أنْ يقال: عن حالك استفهم، فهذا القياس لا يجوز؛ لأنَّ العربية لغة القصد والإيجاز في إيصال المعاني إلى المتلقي<sup>(٢)</sup>.

وقد أجاز الكوفيون<sup>(٣)</sup> حمل قوله تعالى: «أَلْمَ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ»<sup>(٤)</sup> على ذلك كما تقدم ذكره عن الفراء. ولم يجز ذلك البصريون<sup>(٥)</sup>، قال ابن هشام: "...وَكَذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ عَصْفُورِ فِي «أَفْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا»<sup>(٦)</sup> إِنْ "كم" فَاعلْ مَرْدُودٌ بِأَنْ "كم" لَهَا الصَّدْرُ، وَقَوْلُهُ: إِنْ ذَلِكَ جَاءَ عَلَى لُغَةِ رَدِيَّةِ حَكَاهَا الْأَخْفَشُ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ يَقُولُ: مَلَكَتْ كَمْ عَيْدَ فِي خِرْجَهَا عَنِ الصَّدْرِيَّةِ خَطَا عَظِيمٍ؛ إِذْ خَرَجَ كَلَامُ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى هَذِهِ الْلُّغَةِ، وَإِنَّمَا الْفَاعِلُ ضَمِيرُ اسْمِ اللهِ سُبْحَانَهُ أَوْ ضَمِيرُ الْعِلْمِ أَوْ الْهَدِيِّ الْمَدْلُولُ عَلَيْهِ بِالْفَعْلِ أَوْ جَمْلَةً «أَهْلَكْنَا» عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْفَاعِلَ يَكُونُ جَمْلَةً إِمَّا مُطْلَقاً، أَوْ يَشْرِطُ كَوْنَهَا مَقْتَرَةً بِمَا يَعْلَقُ عَنِ الْعَمَلِ وَالْفَعْلِ

(١) ينظر شرح الجمل لابن عصفور: ٢٠ / ٢.

(٢) ينظر مسائل الخلاف النحوية في ارتشاف الضرب لنزار عبد اللطيف: ٥١٤.

(٣) ينظر المحرر الوجيز: ٤ / ٦٩.

(٤) من الآية: ٣١ سورة يس.

(٥) ينظر الكتاب: ٢ / ١٥٦ ، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب: ٩ / ٥٧٧٢.

(٦) من الآية: ١٢٨ سورة طه.

قلبي، نَحْوُ: ظَهَرَ لِي أَقَامَ زَيْدَ وَجَوْزَ أَبْوَ الْبَقَاءِ كَوْنَهُ ضَمِيرُ الْإِهْلَالِ الْمَفْهُومُ مِنَ الْجُمْلَةِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْمَوْاطِنِ الَّتِي يَعُودُ الضَّمِيرُ فِيهَا عَلَى الْمُتَّأَخِرِ"<sup>(١)</sup>.

وقد اختلف في جواز القياس على هذه اللغة على قولين:

الأول: أنه لا يجوز القياس عليها لأنها قليلة.

والآخر: أنه يجوز القياس عليها وإن كانت قليلة؛ لأنها لغة من لغات العرب، واختار هذا القول أبو حيان وابن عقيل والمرادي<sup>(٢)</sup>.

تعقيب:

تبين مما سبق أن مفارقة "كم" الخبرية للصدارة قد وصفه بعض النحويين بأنه لغة رديئة<sup>(٣)</sup>، ووصفه بعضهم بأنه لغة، وهذا يدل على استقباحها، وضرورة البعد عنها.

\* \* \*

---

(١) ينظر المعني: ٢٤٤، وبصائر ذوي التميز في طائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤ / ٣٨٦، ٣٨٧.

(٢) ينظر الارشاف: ٧٨٤ / ٢، والتذليل: ٣٥ / ١٠، وتوسيع المقاصد: ١٣٤١ / ٣، والمساعد: ٢ / ١١٤.

(٣) ينظر الارشاف: ١ / ٣، والهمع: ٢ / ٤٦٩٩.

## المبحث الثاني

### أثر اللُّغَيَّةِ في التععید الصرفي

#### ١- قلب ياء الشّلّاثيّ الثانية وَاوَا عند التصغير

قال الزبيدي : "... قال الجوهري<sup>(١)</sup> : "ولَا تقل : "شُوَيْ" بِالْلُّوَاءِ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ، أَوْ لُغَيَّةً حَكِيتَ عَنْ إِدْرِيسَ بْنَ مُوسَى النَّحْوِيِّ، بَلْ سَائِرُ الْكُوفَيْنِ، وَاسْتَعْمَلُهَا الْمُولَّدُونَ فِي أَشْعَارِهِمْ، قَالَهُ شِيخُنَا"<sup>(٢)</sup>.

#### الدراسة :

أجاز الكوفيون<sup>(٣)</sup> أن تقلب الياء وَاوَا عند تصغير نحو : شيء ، وعين ، وسیر ، فيقولون في تصغيرها : شوي ، وعوينة ، وسوير ، وقد تبعهم ابن مالك في التسهيل<sup>(٤)</sup>.

وقد استدلوا على جواز قلب الياء وَاوَا بثلاثة أمور :

الأول : أن ما قبلها مضموم ، كما قيل في ضارب : ضويرب ، وبالقلب يحصل التناسب .

الثاني : الفرار من اجتماع الياءات .

الثالث : السماع عن العرب ؛ حيث جاءت كلمات أصلها الياء ، وقد قلبت وَاوَا ، كقولهم في بيضة : بويضة بالواو ، وفي شيخ : شويخ ، وفي بيت : بويت .

قال السيرافي عن هذا القلب : "وهو أضعف الوجوه"<sup>(٥)</sup> .

وعند البصريين<sup>(٦)</sup> يجب ثبوت الياء ، قال سيبويه : "هذا باب تحqير ما كانت

(١) لم أجده كلامه في تاج اللغة وصحاح العربية .

(٢) تاج العروس : ١ / ٢٩٥ .

(٣) ينظر الارشاف : ١ / ٣٥٩ ، والمساعد : ٣ / ٤٩٨ ، والمقاصد الشافية : ٧ / ٣٥٥ .

(٤) ينظر : ٢٨٤ .

(٥) شرح الكتاب : ٤ / ٢٢٠ .

(٦) ينظر الكتاب : ٣ / ٤٦١ ، ٤٨١ ، ٤٦٢ ، ٢٧٩ - ٢٨١ ، وأمالي ابن

الألف بدلًا من عينه إن كانت بدلًا من واو ثم حقرّته رددت الواو، وإن كانت بدلًا من ياء رددت الياء، كما أنّك لو كسرّته رددت الواو إن كانت عينه واواً، والياء إن كانت عينه ياء، وذلك قوله في بابٍ: بوبٌ، كما تقول: أبوابٌ، ونابٌ: نيبٌ كما تقول: أنياب وأنيبٌ، فإن حقرت ناب الإبل فكذلك؛ لأنّك تقول: أنيابٌ<sup>(١)</sup>.

وعلى ذلك يصغرون: شيءٌ وعِين وبيت وشيخ على: شئٌ وعِينه وبيتٌ وشيخٌ ياءات الياء وضم الحرف الأول، وما جاء بقلبه واواً فهي ألفاظ شاذة على غير القياس؛ لأن الثاني في بنية التصغير وهو الياء يجب لها التحرك بالفتح، والضمة لا تقوى على قلبها إلا إذا كانت ساكنة كمُوقن ونحوه، خلاف المتركزة؛ فإنها قوية بالحركة، فلم تقو الحركة عليها، بل قويت الياء على الضمة حتى قلبتها كسرة، لكن على الجواز، فقالوا: شئٌ وبيتٌ ونيبٌ<sup>(٢)</sup>.

وقد استدلوا بأمرین:

الأول: أن التصغير كالجمع؛ فهما يردان الأشياء إلى أصولها.  
الثاني: أن الأصل في هذه الأسماء وما أشبهها الياء، فوجب أن ترد إليها كما رد ما كان أصله الواو إليها.<sup>(٣)</sup>

تعقيب:

وافق مجمع اللغة العربية على استعمال هذه اللغة موافقة للمذهب الكوفي؛ طبقاً لما جاء في نص قراره الذي جاء تحت عنوان: "تصغير ما ثانية

الشجري ١٩٣ / ٢ ، وشرح الشافية للرضي: ١ / ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٠٩ .

(١) الكتاب: ٣ / ٤٦١ ، ٤٦٢ .

(٢) ينظر المقاصد الشافية: ٧ / ٣٥٦ .

(٣) ينظر النحو الوافي لعباس حسن: ٤ / ٧٠٧ ، والقرارات النحوية والصرفية لجمع اللغة العربية بالقاهرة جمعاً ودراسة وتقويمًا خالد بن سعود العصيمي: ٥٨١ .

حرف علة": "ما ثانية ألف، أو واو، أو ياء، من الاسم الثلاثي يرد إلى أصله عند التصغير، ويجوز فيما أصل ثانية الياء أن يقلب واوًّا عند التصغير أحداً بمذهب الكوفيين فيه، وتجويز ابن مالك له، ولو رود السماع به، وعلى هذا يجوز في تصغير: عين وشيخ، وليفة، وشيء... أن يقال: عونية، وشونية، ولوليفة، وشويء".<sup>(١)</sup>

والحق أنه لم يذكر في كتب النحوين من المسموع بالقلب إلا كلمات معدودة، وليس هناك لبس يوجب القلب فلا يمكن القول بإطلاق إجازته، مع إمكان تحريره على الشذوذ<sup>(٢)</sup>، قال ابن هشام: "ولا يجوز "شويء" تصغير شيء"؛ لأنه ليس من كلام العرب".<sup>(٣)</sup>

لذا ضعفه بعض النحوين جداً، ومنعوا النطق به<sup>(٤)</sup>.

## ٢ - إلحاد تاء المؤنث ياء

قال أبو حيان: "... وإن كان الضمير غير هاء، فالإسكان ولحادي الماء نحو: غلاميٌّ وغلاميٌّ، في لغة من فتح الياء، ويضرِّبُونَ ويضرِّبُنَّ، وضرِّبَتْ وضرِّبَتْ، على الخلاف الذي تقدم، وضرِّبَتْ وضرِّبَتْ، وفي لغة تستتبع كسرة التاء فتقول: ضربٌ".<sup>(٥)</sup>

### الدراسة:

الحق بعض العرب تاء المؤنث ياء، فيقولون: أنتي فعلتي وضربي، قال سيبويه: "وحذثني الخليل أن ناساً يقولون: ضربتيه فيلحةون

(١) كتاب في أصول اللغة من إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ١٥٤.

(٢) ينظر النحو الوافي لعباس حسن: ٤ / ٧٠٧، والقرارات النحوية والصرفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: ٥٨٢.

(٣) شرح الجمل: ٣٢٥.

(٤) ينظر شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٤ / ٢٢٠، وتنقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي: ١٤٧، واللباب في علل البناء والإعراب: ٢ / ١٦٧، ولسان العرب: ٣ / ٣.

(٥) الارتشاف: ٢ / ٨٢٢، ٨٢٣.

الياء، وهذه قليلة <sup>(١)</sup>، وقد نسبت لريعة <sup>(٢)</sup>، وعدي بن الرباب <sup>(٣)</sup>، ومنه قول الشاعر:

رميئه فأقصدت فيما أخطأت في الرّميه

بسهمين مليحين أعارتكيهما الطّيّبه <sup>(٤)</sup>

وقد وصفها الأخفش بأنها لغة رديئة <sup>(٥)</sup>، ووصفها ابن الأثير بأنها قليلة <sup>(٦)</sup>.

تعقيب:

ظهر أن اللغة الجيدة التي شاعت عند العرب الاكتفاء بالكسرة بعد التاء، وأن إلحاق بعض العرب تاء المؤنث ياء ثقيل قليل الاستعمال.

٣ - كسر المدغم فيه قبل هاء الغائب في الأمر المضعف المضموم الفاء  
قال ابن الحاجب: "... وكوجوب الفتح في تَحْوِي: ردها، والضم في تَحْوِي:  
رده على الأَفْصَحِ، وَالْكَسْرُ لِغَيْهِ" <sup>(٧)</sup>.

الدراسة:

أجاز ثعلب كسر المدغم فيه قبل هاء الغائب في الأمر المضعف المضموم الفاء، فقال: "وازَرَرَ عَلَيْكَ قَمِيصَكَ، وَزَرَرَهُ، وَزَرَرَهُ، وَزَرَرَهُ، مَثُلَّ: مَدُّ،

(١) الكتاب: ٤ / ٤٠٠.

(٢) الارتشاف: ٢ / ٩١٢، ٩١٩.

(٣) عبّث الوليد للمعري: ٦ / ٥٠٦.

(٤) البيتان من بحر البزج، وهو ما بلا نسبة في مشكل إعراب: ١ / ٤٠٣، وشرح الرضي على الكافية: ٢ / ٤٢٠، والخزانة: ٥ / ٢٦٨، ٢٦٩.

(٥) ينظر الارتشاف: ٢ / ٩١٢.

(٦) البديع في علم العربية: ٢ / ١٥.

(٧) الشافية في علم التصريف: ١ / ٥٩، وينظر تمهيد القواعد: ٩ / ٤٦٧٤.

ومدّ، ومدّ<sup>(١)</sup>، وسمعه الأخفش<sup>(٢)</sup> من ناس منبني عقيل، يقولون: "مده، وعنه" ، بالكسر، قال أبو حيان: "وحكاه الكوفيون"<sup>(٣)</sup>.

والالتزام جمهور العرب الضم عند ضمير الغائب، قال سيبويه: "... فإذا كانت الهاء مضمومة ضمّوا، كأنهم قالوا: "مُدُوا، وَعَضُوا" ، إذا قالوا: "مُدُّه وَعَضُّه"<sup>(٤)</sup>؛ وذلك لأنّ الهاء خفية؛ فلم يعتد بوجودها، فكأنّ الدال قد ولّها الألف والواو، نحو: "رُدَّا" ، و"رُدُوا" ، فكما أنّ الألف لا يكون ما قبلها إلّا مفتوحاً، والواو الساكنة التي هي مدة لم يجز فيما قبلها إلّا الضم<sup>(٥)</sup>.

وجوز ثعلب الفتح في الفصيح كما تقدم، فتقول: "رُدَه وَعَضَه" ، وقد غلطه جماعة، والقياس لا يمنعه؛ لأنّ مجئ الواو الساكنة بعد الفتحة غير قليل ك: قَوْل وَطَوْل<sup>(٦)</sup>.

#### تعقيب:

ظهر مما تقدم أن جمهور العرب قد التزموا الضم عند ضمير الغائب، وقد قال ابن عقيل عن الفتح: "وهو رأي الأكثرين"<sup>(٧)</sup> ، والصواب ما تقدم.

٤ - إدغام آخر الفعل الساكن المدغم فيه إذا اتصل بضمير الرفع

قال ابن مالك: "... إن سكن ثانيهما لاتصاله بضمير مرفوع، أو لكون ما هما فيه "أ فعل" تعجبًا تعين الفك، والإدغام قبل الضمير لغية"<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر الفصيح: ٢٦٧، والتصریح: ٢/٧٦٤.

(٢) ينظر المفصل: ٤٩٤، وتوضیح المقاصد: ٣/١٦٤٩.

(٣) ينظر الارتشاف: ٧٢٥/٢، والمساعد: ٣٤٥/٣.

(٤) ينظر الكتاب: ٣/٥٣٢.

(٥) ينظر شرح المفصل لابن يعيش: ٥/٢٩٧، وتوضیح المقاصد: ٣/١٦٤٩.

(٦) ينظر شرح الشافية للرضي: ٢/٢٤٦، والتصریح: ٢/٧٦٤.

(٧) المساعد: ٣/٣٤٥.

(٨) التسهيل: ٣٢١.

## الدراسة:

أجاز بعض بنى بكر بن وائل<sup>(١)</sup> إذا سكن ثانٍ المدغمين لاتصاله بضمير مرفوع إسكان الأول المتحرك وتحريك الثاني الساكن والإدغام؛ لنقل اجتماع المثلين فيقولون: رَدَّنَا وَمَرَّنَا وَرَدَّتْ، قال سيبويه: "وزعم الخليل أنَّ أنساً من بكر بن وائل يقولون: رَدَّنَ، وَمَدَّنَ، وَرَدَّتْ جعلوه بمنزلة "رَدَّ وَمَدَّ"<sup>(٢)</sup>.

وقد وصفَها السيرافي بأنها لغة رديئة فاشية في عوام أهل بغداد، ووصفها الرَّضيُّ بِأَنَّهَا شَادَّةٌ قَلِيلَةٌ، ووصفها ابن مالك بأنها رديئة، ووصفها المرادي والشاطبي والشيخ خالد بأنها ضعيفة<sup>(٣)</sup>.

وعند جمهور العرب<sup>(٤)</sup> أنه إذا سكن آخر الفعل المدغم فيه لاتصاله بضمير الرفع وجب الفك؛ لأنَّ الإدغام يوجب تسكين الأول، والاتصال بالضمير يوجب تسكين الثاني، فترك الإدغام فراراً من التقاء الساكنين، وكان تحريك الأول أولى؛ لأنَّ حركته تدل على وزنه، وهي مع التسكين مُحْتَمَلٌ كُوْنُها فتحةً أو كسرةً أو ضمةً، بخلاف حركة الثاني؛ فإنَّه لا يُشك في أنَّها فتحة؛ إذ المتحرك بها آخر فعل ماض، وقد عُلِّمَ كونه مبنياً على الفتح، قال السيرافي: "وأجمع على ذلك جل العرب من أهل الحجاز وبني قيم وأكثر العرب، فيقولون: "رَدَّتْ" ، و"هَنْ يَرَدَّنْ" ، و"يَضْرِبَنْ" ، و"يَذْهَبَنْ" ، ولزم بنو قيم

(١) ينظر الممتع الكبير في التصريف لابن عصفور: ٤١٩، والارتفاع: ٣٤٣ / ١، وتهيد القواعد: ٥٢٧١ / ١٠.

(٢) الكتاب: ٥٣٥ / ٣.

(٣) ينظر شرح الكتاب: ٤ / ٢٦٨، وشرح الكافية للرضي: ٣ / ٢٤٥، وإيجاز التعريف في علم التصريف لابن مالك: ٢٠٩، وتوسيع المقاصد: ٣ / ١٦٤٧، والمقاصد الشافية: ٩ / ٤٧١، والتصريح: ٢ / ٧٦٥.

(٤) ينظر الحجة للقراء السبعة: ١ / ١٠١، والكتناش: ٢ / ٣٠٧.

وغيرهم الإظهار في هذا؛ لأن الحرف الثاني لزمه سكون يؤمن من الحركة فيه لساكن يلقاءه من بعد، كما يلقاءه في قولك: "اردد الرجل"، و"اضرب القوم"، فلما كان الحرف المتصل به منعه ذلك لم يحركوه بحال<sup>(١)</sup>.

قال ابن مالك:

وفكَ حيَثُ مُدْغَمٌ فِيهِ سَكَنٌ... لِكُونِهِ بُضَمِّرَ الرَّفْعِ اقْتَرَنَ

نَحُواً: حَلَّتْ مَا حَلَّتْهُ وَفِي... جَزْمٍ وَشَبَهِ الْجَزْمِ تَخْيِيرٌ قَفِيَ<sup>(٢)</sup>

تَعْقِيبٌ:

ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف يؤكّد ما ذكره الجمهور من وجوب الفك، قال تعالى: «قُلْ إِنْ ضَلَّتْ فَإِنَّمَا أَضَلُّ عَلَى نَفْسِي»<sup>(٣)</sup>، وقال: «نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَّدْنَا أَسْرَهُمْ»<sup>(٤)</sup>، وفي الحديث: "حَتَّى إِذَا رَأَيْنَا جُدُرَ الْمَدِينَةِ هَشِيشْنَا إِلَيْهَا، فَرَفَعْنَا مَطِينَا" <sup>(٥)</sup>، وفي حديث آخر: "فَأَنَا وَاللَّهُ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدُنَّ، قَدْ بَدَتْ خَلَالُهُنَّ وَأَسْوَقُهُنَّ" <sup>(٦)</sup>، ثم إنـ هناكـ ثقلاـ واضحاـ ناتجاـ من إدغامـ آخرـ الفعلـ الساكنـ المدغمـ فيهـ إذاـ اتصلـ بضميرـ الرفعـ، وهوـ الذيـ أدىـ إلىـ وقوفـ النحوينـ منـ هذهـ الإدغامـ موقفـ الرفضـ وـعدـ القبولـ؛ لـذاـ رأـيناـ منـهـمـ الـفـاظـ التـقـيـحـ وـالـسـتـهـجـانـ، وـقـدـ تـنـوـعـتـ بـيـنـ الـوـصـفـ

(١) شرح الكتاب: ٤ / ٢٦٨.

(٢) ألفية ابن مالك: ٧٩، ٨٠.

(٣) من الآية: ٥٠ سورة سباء.

(٤) من الآية: ٢٨ سورة الإنسان.

(٥) صحيح مسلم: ٢ / ٤٧. - كتاب النكاح - باب فضيلة إعتاقه أمته، ثم يتزوجها - رقم الحديث: ١٣٦٥.

(٦) صحيح البخاري: ٤ / ٦٥. - كتاب المغازي - باب غزوة أحد. رقم الحديث: ٤٠٤٣.

بأنها لغة رديئة فاشية في عوام أهل بغداد، وشَادَّةٌ قَلِيلَةٌ، وضعيفة، ثم وصف ابن مالك لها بأنها لغية.

٥ - كسر نون "من" الجارة إذا وليها لام التعريف  
قال السمين: "وَقُرِيَءَ 《مِنِ اللَّهِ》<sup>(١)</sup> بكسر نون 《مِنْ》<sup>(٢)</sup> على أصل التقاء الساكنين، أو على الإِتَّبَاعِ لِمِيمٍ 《مِنْ》 وهي لُغَيَّةٌ"<sup>(٣)</sup>.

#### الدراسة:

من العرب من يكسر نون "من" الجارة إذا وليها لام التعريف، قال ابن جنبي: "من ذلك حكى أبو عمرو أن أهل نجران يقولون: 《بَرَاءَةُ مِنِ اللَّهِ》 بجُرُونَ الميم والنون.

قال أبو الفتح: حكاهَا سيبويه، وهي أول القياس، تكسرها لالتقاء الساكنين، قال سيبويه: "وزعموا أن ناساً من العرب يقولون: مِنِ اللَّهِ، فيكسرونه ويجرونه على القياس"<sup>(٤)</sup>.

غير أنه كثُر استعمال "من" مع لام المعرفة، فهربوا من تواли كسرتين إلى الفتح، وإذا كانوا قد قالوا: "قُمَ الْلَّيْلَ" ، "وَقُلَ الْحَقُّ" ففتحوا، ولم تلتقي هناك كسرتان، فالفتح في "مِنَ اللَّهِ" لتوالي الكسرتين أولى"<sup>(٥)</sup>.

قال سيبويه: "...والفتح في حرفين: أحدهما: قوله 《بَرَاءَةُ مِنِ اللَّهِ》<sup>(٦)</sup> ، لما

(١) من الآية: ١ سورة التوبية.

(٢) القراءة لأهل نجران في المحرر الوجيز: ٣/٤ ، والبحر المحيط: ٥/٣٦٧.

(٣) الدر المصنون: ٦/٦.

(٤) الكتاب: ٤/١٥٤.

(٥) المحتسب: ١/٢٨٣.

(٦) من الآية: ١ ، ٢ سورة آل عمران.

كان من كلامهم أن يفتحوا لالقاء الساكنين فتحوا هذا، وفرقوا بينه وبين ما ليس بهجاء، ونظير ذلك قولهم: من الله، ومن الرسول، ومن المؤمنين لما كثرت في كلامهم ولم تكن فعلاً، وكان الفتح أخف عليهم فتحوا، وشبهوها بـ "أين وكيف" <sup>(١)</sup>.

وفتح النون لالقاء الساكنين هو اللغة الفصيحة، وللنحوين فيها أقوال: قال الكسائي: أصل "من" من حذفوا الألف وأبقوها الفتحة، وقيل: كرهوا الجمع بين كسرتين فحرقوها في أكثر الموضع بالفتح.

قال أبو جعفر: "وأحسن ما قيل في هذا قول سيبويه، قال: لما كثر استعمالهم لها ولم يكن فعلاً، وكان الفتح أخف عليهم فتحوا وشبهوها بـ "أين وكيف" <sup>(٢)</sup>.

والوجه الفتح مع لام التعريف هرّباً من تواли الكسرتين <sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) الكتاب: ٤ / ١٥٣ ، ١٥٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس: ٢ / ٢٠١.

(٣) ينظر الكشاف: ٢ / ٢٤٢ ، وروح المعاني: ٥ / ٢٣٨.

## الخاتمة

الحمد لله ، والصلوة والسلام على البشير النذير ، أسعد موجود ، وأكرم مخلوق ، الذي أتى جوامع الكلم ، وفصل الخطاب ، وعلى آله وأصحابه الأبرار الأطهار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .  
أما بعد

فقد انتهت دراسة أثر اللغة في التعريب النحوي والصرف إلى عدة نتائج أهمها :

أولاً : أن الوصف بـ "لغية" قد دخل في أبواب من النحو والصرف هي :  
العرب والمبني ، نواسخ الابتداء ، الفاعل ، المفعولات ، والاستثناء ،  
وحرروف الجر ، ونعم وبئس ، والنواصب ، والجوازم ، وكنيات العدد ،  
والتصغير ، والوقف ، والتقاء الساكنين ، والإدغام .

ثانياً : أن ابن السراج هو أول من وصف بـ "لغية" فيما وقفت عليه ،  
وآخرهم السيوطى ، وأكثرهم وصفاً بها هما السمين الحلبي والسيوطى ، وأن  
الوصف بها قد وقع بكثرة عند النحويين المتأخرين .

ثالثاً : أن "اللغية" قد أطلقت عليها أوصاف أخرى ، مثل :

- ١- القياس ، كإلغاء النصب بـ "إذن" مع استيفاء الشروط<sup>(١)</sup> .
- ٢- الرداءة ، كإدغام آخر الفعل الساكن المدغم فيه إذا اتصل بضمير الرفع<sup>(٢)</sup> .
- ٣- الغلط ، كإعراب جمع التكسير بالحروف<sup>(٣)</sup> .
- ٤- ضعيف ، كاستهلاك حركة الإتباع لحركة الإعراب<sup>(٤)</sup> .

(١) ينظر شرح الألفية : ٤٧٨ .

(٢) شرح الكتاب : ٤ / ٢٦٨ .

(٣) إعراب القرآن : ٣ / ١٣٢ .

(٤) ينظر المحتسب : ١ / ٧١ .

- ٥ - الشذوذ، كحذف التاء من الفعل المسند إلى المؤنث الحقيقى غير المقصول<sup>(١)</sup>.
- ٦ - منكراً، كبناء المركب المرجى على فتح الجزأين<sup>(٢)</sup>.
- ٧ - خلاف الصواب، كقلب ياء الثلاثي الثانية واواً عند التصغير<sup>(٣)</sup>.
- ٨ - خلاف المشهور، كفتح لام "كي"<sup>(٤)</sup>.
- ٩ - خلاف الوجه، ككسر نون "من" الجارة إذ وليها لام التعريف<sup>(٥)</sup>.
- ١٠ - اللحن، كإعراب جمع التكسير بالحروف<sup>(٦)</sup>.
- ١١ - لا يقاس عليه، كإعراب المستثنى منه - إذا تأخر وتقدم المستثنى عليه - بدلًا<sup>(٧)</sup>.
- ١٢ - الندرة، كإلغاء "إذن" مع استيفاء الشروط<sup>(٨)</sup>.
- رابعًا: أن ابن هشام قد وصف اتصال ضمير الرفع بـ"نعم وبئس" بأنه "لغية"<sup>(٩)</sup>، ووصفه ابن مالك بأنه شاذ، حيث قال:
- ورفع "نعم" مضمر اسم قدمًا... لم يأت إلا في شذوذ فاعلما<sup>(١٠)</sup>

(١) الارشاف: ٢ / ٧٣٤.

(٢) توضيح المقاصد: ٣ / ١٢٠٤.

(٣) تشريف اللسان وتنقیح الجنان: ١٤٧.

(٤) الدر المصنون: ١ / ٤٤٣.

(٥) الكشاف: ٢ / ٢٤٢.

(٦) البحر المحيط: ٤ / ٥٥٣.

(٧) التنقیل: ٨ / ٢٣٨.

(٨) توضيح المقاصد: ٣ / ١٢٤٠.

(٩) المغني: ٧٥٥.

(١٠) شرح الكافية الشافية: ٢ / ١١٠٤.

وقد رفض ثعلب وصفه بالشذوذ، فقال : "وحكى الكسائي : ...وكذا مررت بقوم نعم قوماً، ونعم بهم قوماً، ونعموا قوماً، وهذا كثير في كلام العرب، لا يقال شاذ" <sup>(١)</sup> ، ووصفه الشاطبي بأنه قليل لا يقاس على مثله <sup>(٢)</sup> ، بينما وصفه المرادي والأشموني بأنه نادر <sup>(٣)</sup> .

خامسًا : نسب ابن مالك إلى سيبويه جواز إعمال "ما" الحجازية مع تقدم الخبر <sup>(٤)</sup> ، وهو مخالف لكلام سيبويه.

سادسًا : ذكر بعض النحويين أن عمل "عسى" عمل "لعل" لغة قليلة <sup>(٥)</sup> .  
ويرى البحث خلاف ذلك ؛ فعدم كثرة هذه اللغة مرده النظر إلى اللغة الأكثر استعمالاً في "عسى" ، وهي عملها عمل "كان" ، ولا يعني ذلك قلة الشواهد على عملها عمل "لعل" ، فقد سبق ذكر شواهد كثيرة على ذلك.

سابعاً : ذكر غير واحد من أهل العلم أن فتح لام الجر لغة مشهورة معروفة <sup>(٦)</sup> ؛ لذا جعله أبو حيان لغة لا لغية <sup>(٧)</sup> ، والصواب أنها لغية يتوقف عند ما سمع منها ، ولا يقاس عليها ؛ كي لا تتشابه مع غيرها من اللامات ، قال الزجاج : "... وقد حكى بعض البصريين فتح لام الجر ، نحو قوله : المال

(١) مجالس ثعلب : ١ / ٢٧٣.

(٢) المقاصد الشافية : ٤ / ٥٣١.

(٣) ينظر توضيح المقاصد : ٢ / ٩١٢، وشرح الأشموني : ٢ / ٢٨٤.

(٤) التسهيل : ٥٧.

(٥) ينظر المقاصد الشافية : ٤ / ٣٠٠، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية : ٤ / ١٧٢٩.

(٦) ينظر المحرر الوجيز : ٥ / ٢٧١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٧ / ٢٦٨، والدر المصنون : ١٠ / ٢٥٩.

(٧) ينظر الارشاف : ٤ / ١٦٦١.

لزِيدٍ، تقول : المال لزِيدٍ، وهذه الحكاية في الشذوذ كالأولى ؛ لأن الإجماع والروايات الصحيحة كسر لام الجر ولام الأمر، ولا يلتفت إلى الشذوذ، خاصة إذا لم يروه النحويون القدماء الذين هم أصل الرواية، وجميع من ذكرنا من الذين رووا هذا الشاذ عندنا صادقون في الرواية، إلا أن الذي سمع منهم مخطئ<sup>(١)</sup>.

ثامنًا: جرى مجمع اللغة العربية بالقاهرة على إقرار لغية واردة ؛ فأجاز قلب ياء الثلاثي الثانية وأوًا عند التصغير موافقة للمذهب الكوفي، فيقال في تصغير نحو: شيء، وعین: شُوي، وعُوینة، والحق أنه لم يذكر في كتب النحويين من المسموع بالقلب إلا كلمات معدودة، وليس هناك لبس يجب القلب فلا يمكن القول بإطلاق إجازته، مع إمكان تحريره على الشذوذ.

وآخر دعوانا ب توفيق ربنا      أن الحمد لله الذي وحده علا

\*       \*       \*

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٢ / ٩٨.

## ثبات المصادر

- إنحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر للبناء الدمياطي، تحقيق/ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان، تحقيق/ د: رجب عثمان محمد، مطبعة المدنى بالقاهرة، ط الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- الأصول في النحو لابن السراج، تحقيق/ د: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- إعراب القرآن للنحاس، تحقيق/ د: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- أمالى ابن الشجري، تحقيق/ د: محمود محمد الطناحي، مطبعة المدنى بالقاهرة، ط الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف للأبباري، تحقيق/ الشيخ: محمد محى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، تحقيق/ الشيخ: محمد محى الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط الخامسة، ١٩٧٩م.
- إيجاز التعريف بفن التصريف لابن مالك، تحقيق/ د: محمد المهدى عبد الحى عمار سالم، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.
- إيضاح شواهد الإيضاح للحسن بن عبد الله القيسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- الباجع في اللغة لأبي علي القالي، تحقيق/ هشام الطعان، مكتبة النهضة بغداد، دار الحضارة العربية بيروت، ط الأولى، ١٩٧٥م.
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق/ صدقى محمد معروف، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م.

- البديع في علم العربية لابن الأثير، تحقيق/ د: فتحي أحمد على الدين، د: صالح حسين العابد، مطبوعات جامعة أم القرى بالسعودية، ١٤٢٠ هـ.
- بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي، تحقيق/ محمد على النجار، مطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.
- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق/ د: حسين نصار، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٣ م.
- التبیان في إعراب القرآن للعکبri، تحقيق/ محمد على البحاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- تحفة الأقران في ما قرئ بالتشليث من حروف القرآن لأبی جعفر الرعینی، دار کنوز أشبیلیة، السعیدیة، ط الثانیة، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م.
- التذیل والتکمیل في شرح کتاب التسهیل لأبی حیان، تحقيق/ د: حسن هنداوی، دار القلم دمشق، ط الأولى، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.
- التصريح بضمون التوضیح للشیخ خالد الأزهري، دار الكتب العلمیة، بیروت، ط الأولى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م.
- تمهید القواعد لناظر الجيش، تحقيق/ د: علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزیع والترجمة، ط الأولى، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م.
- توضیح المقاصد والمسالک بشرح ألفیة ابن مالک للمرادی، تحقيق/ د: عبد الرحمن على سلیمان، دار الفکر العربي، ط الأولى، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٨ م.
- جامع البیان في القراءات السبع للدّانی، جامعة الشارقة، الإمارتات، ط الأولى، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني، إبراهيم أطفیش، دار الكتب المصرية، ط الثانية، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م.

- الجني الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق/ د: فخر الدين قباوة، والأستاذ: محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣ م.
- اللحجة للقراء السبعة للفارسي، تحقيق/ بدر الدين قهوجي، وبشير جوبياتي، دار المأمون للتراث، ط الثانية، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣ م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، تحقيق/ الأستاذ: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط الأولى، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.
- الخصائص لابن جني، تحقيق/ الأستاذ: محمد على النجار، القاهرة، ١٩٥٢ م.
- الدر المصنون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحقيق/ د: أحمد محمد الخراط، دار القلم ، دمشق، ١٤٠٦ هـ.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط الخامسة، ١٩٩٠ م.
- ديوان رؤبة بن العجاج، ضمن مجموعة أشعار العرب، تحقيق/ وليم بن الورد البروسي، ١٤٠٠ هـ، ١٩٩٠ م.
- ديوان كعب بن مالك، تحقيق/ سامي مكي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٦ هـ، ١٩٦٦ م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي، تحقيق/ أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، تحقيق/ علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق/ د: حسن هنداوي، دار العلم دمشق، ط الأولى، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م.

- شرح الألفية لابن عقيل، تحقيق/الشيخ، محمد محيي الدين عبدالحميد، دار التراث، القاهرة، ط العشرون، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م.
- شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق/د: عبد الرحمن السيد، د: محمد بدوى المختون، دار هجر للطباعة والنشر، مصر، ط الأولى، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م.
- شرح جمل الرجالجي لابن عصفور، تحقيق/د: صاحب أبو جناح، إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف العراقية.
- شرح ديوان جرير محمد بن إسماعيل عبد الله الصاوي، الشركة اللبنانية للكتاب.
- شرح الرضي على الكافية، تحقيق/يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨ م.
- شرح السيرافي على كتاب سيبويه، تحقيق/ محمد حسين مهدي، على سيد على، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م.
- شرح شافية ابن الحاجب للرضي، تحقيق/ محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام، تحقيق/ عبدالغنى الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط الأولى، ١٩٨٤ م.
- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، تحقيق/الشيخ: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ، ١٩٩٢ م.
- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق/ د: عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث بدمشق، ط الأولى، ١٤٠٢ ، ١٩٨٢ م.
- شرح المفصل لابن يعيش، تحقيق/ دكتور: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.
- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م.

- شواذ القراءات للكرماني، تحقيق/ د: شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، من دون تاريخ.
- الصاحب في فقه اللغة لابن فارس، تحقيق/ السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى الحلبي.
- صحيح البخاري، تحقيق/ د: مصطفى أديب البغا، طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- عيث الوليد للمعري، تحقيق/ ناديا علي الدولة، من دون بيانات الطباعة.
- عمدة الكتاب لأبي جعفر النحاس، تحقيق/ بسام عبدالوهاب الجابي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط الأولى ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- فتح القدير للشوکانی، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط الأولى، ١٤١٤هـ.
- في اللهجات العربية للدكتور: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط الرابعة، ١٩٧٣م.
- القراءات الشاذة دراسة صوتية ودلالية، د: حمدي سلطان العدوي، دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- القرارات النحوية والصرفية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة للدكتور: خالد بن سعود العصيمي، دار التدمرية بالرياض، ط الثانية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، تحقيق/ جمال بن السيد بن رفاعي، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط الأولى، ٢٠٠٧م.
- كتاب سيبويه، تحقيق/ الأستاذ: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط الثانية، ١٩٧٧م.
- كتاب في أصول اللغة من إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشئون المطبع الأميرية، ط الأولى، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للثانوي، تحقيق/ د: علي دحروج، ط الأولى، ١٩٩٦م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقوابيل في وجوه التأويل للزمخشري ، تحقيق / عبد الرزاق المهدى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٤٠٧ .
- الكتاب في فن النحو والصرف لأبي الفداء ، تحقيق / د: رياض بن حسن الخوام ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠ م .
- اللباب في علل البناء والإعراب للعكبرى ، تحقيق / غازى طليمات ، عبد الإله نبهان ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط الأولى ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٤ م .
- لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٤١٤ هـ .
- اللمحة في شرح الملحقة لابن الصائغ ، تحقيق / إبراهيم بن سالم الصاعدي ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط الأولى ، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م .
- اللهجات العربية للدكتور : إبراهيم نجا ، مطبعة السعادة ، ١٩٧٦ م .
- المبسوط في القراءات العشر لابن مهران النيسابوري ، تحقيق / سبيع حمزة حاكيمي ، مجمع اللغة العربية بدمشق .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جنّي ، تحقيق / على النجدي ناصف وآخرين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ١٣٨٦ هـ .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ، تحقيق / عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط الأولى ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م .
- الحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، تحقيق / مصطفى السقا ، حسين نصار ، مطبعة الحلبي بمصر ، ط الأولى ، ١٣٧٧ هـ ، ١٩٥٨ م .
- مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ، عنى بنشره : برجشتراسر ، مكتبة الرحمنية بمصر ، ١٩٣٤ م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ، تحقيق / فؤاد على منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ، ١٩٩٨ م .

- المسائل المتفق عليها بين النحويين للباحث : دخيل بن غنيم العواد ، رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بأم القرى ، ١٤٢٣ هـ.
- المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل ، تحقيق/ د: محمد كامل بركات ، مطبوعات جامعة أم القرى بالسعودية ، ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠١ م.
- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق/ د: حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثانية ، ١٤٠٥ م.
- معاني القرآن للأخفش ، تحقيق/ د: هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط الأولى ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م.
- معاني القرآن للفراء ، تحقيق/ أحمد يوسف نجاتي وآخرين ، دار السرور ، بيروت.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، تحقيق/ د: عبد الجليل عبده شلبي ، المكتبة العصرية ، بيروت.
- معنى الليبي عن كتب الأعاريض لابن هشام الأنصاري ، تحقيق/ د: مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ، دار الفكر ، بيروت ، ط السادسة ، ١٩٨٥ م.
- المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ، تحقيق/ د: علي بو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط الأولى ، ١٩٩٣ م.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي ، تحقيق/ د: عبد الرحمن العشيمين وآخرين ، مطبعة جامعة أم القرى ، ١٤٢٨ هـ.
- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعيني ، تحقيق/ د: علي فاخر وآخرين ، دار السلام للطباعة ، ط الأولى ، ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م.
- المقتضب للمبرد ، تحقيق/ الشيخ ، محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ط الثانية ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م.
- الممتع الكبير في التصريف لابن عصفور ، مكتبة لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٦ م.
- النحو الوفي لعباس حسن ، دار المعارف ، ط الخامسة عشرة.

النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

مع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطى، تحقيق/ د: عبدالحميد هنداوى، المكتبة التوفيقية، مصر.

\* \* \*

Publishing.

82-Al-Mubarrad. (1997). Al-Muqtadheb (2nd ed.) (Shaikh M. A. Odhaimah, Ed.). The Supreme Council for Islamic Affairs.

83-Ibn-Osfür. (1996). Al-Momte'e Al-Kabīr Fī Al-Tasrīf (1st ed.). Lebanon Library.

84-Hassan, A. (n.d.). AlNahū Al-Wāfi (15th ed.). Dar Al-Ma'āref.

85-Ibn-Atheer, Al-Zawi, T. A., & Al-Tanahi, M. M. (1979). Al-Nihāyah Fī Gharīb Al-Hadīth Wa Al-Ather. Beirut: The Scientific Library.

86-Ibn- Abi- Taleb, M. (2008). Al-Hidāyah Ila Bolūgh Al-Nihāyah (1st ed.). Al-Shārqa University , College Of Doctrine and Islamic Studies.

87-Al-Soyūtī. (n.d.). Hema'e Al-Hawāme'a Fī Sharh Al-Jawāme'a (A. Hindāwī, Ed.). Egypt: Al-Tawfīqiyah Library.

\* \* \*

- Ibn Sīdah, A. (1958). *Al-MuHkam Wa Al-MuHīT Al-A`zham* (1st ed.) (M. Al-Saqqa & H. Nassār, Eds.), Egypt: MaTba`at Al-Halabi.
- Ibn Khālawayh, A. (1934). *MukhtaSar Shawāth Al-Qur'ān Min Kitāb Al-Badī`* (G. Bergsträsser, Ed.). Egypt: MaTba`at Al-RaHmānyyah.
- Al-Suyūti, J. (1998). *Al-Muzhir Fi 'Ulūm Al-Lughah Wa Anwā`ihā* (1st ed.) (F. Mansūr, Ed.). Beirut: Dār Al-Kutub Al-`Ilmyyah.
- Al-`Awwād, D. (1423 AH). *Al-Masā'il Al-Muttafaq `Alayhā Bayna Al-NaHawīn* (Unpublished doctoral dissertation). Umm Al-Qurā University, Makkah.
- Ibn `Aqīl, B. (2001). *Al-Musā'id `Alā Tashīl Al-Fawā'id* (M. Barakāt). KSA: MaTbū`at Jāmi`at Umm Al-Qurā.
- Al-Qaysi, M. A. (1405 AH). *Mushkil I`rāb Al-Qur'ān* (2nd ed.) (H. S. Al-DHāmin, Ed.). Beirut: Mu'assasat Al-Risālah.
- Al-Akhfash, S. M. (1990). *Ma`āni Al-Qur'ān* (1st ed.) (H. Qurā`ah, Ed.). Cairo: Maktabat Al-Khānji.
- Al-Farrā', Y. (n.d.). *Ma`āni Al-Qur'ān* (A. Najāti et al., Eds.). Beirut: Dār Al-Surūr.
- Al-Zajjāj, I. (n.d.). *Ma`āni Al-Qur'ān* (A. Shalabi, Ed.). Beirut: Al-Maktabah Al-`Asryyyah.
- Ibn Hishām Al-Ansāri, A. (1985). *Mughni Al-Labīb `An Kutub Al-A`ārīb* (6th ed.) (M. Al-Mubārak & M. Hamd Allah, Eds.). Beirut: Dār Al-Fikir.
- 79-Al-Zamakhsharī. (1993). *Al-Mufassal fī Sun'at Al-E'erāb* (1st ed.) (Dr.A. Bu-Melhim, Ed.). Beirut: Dar-Alhillāl.
- 80-Al-Shātibī. (1428 h). *Al-Maqāsed Al-Shāfiyah Fī Sharh Al-Khulāsah Al-Kāfiyah* (Dr.A. Al-Othaimīn & Others, Eds.). Umm Al-Qurā University.
- 81-Al-Aynī, & Others. (2010). *Al-Maqāsed Al-Nahawiyah fī Sharh Shawāhed Shurūh Al-Alfiyah* (1st ed.) (Dr.A. Fakher, Ed.). Dār Al-Salam For

Tadmuryyah.

Al-Hadhli, Y. (2007). *Al-Kāmil Fi Al-Qirā'āt Wa Al-Arba'īn Al-Zā'idah `Alayha* (1st ed.) (J. Rifā`i, Ed.). N.p.: Mu'assasat Samā Li-Al-Tawzī` Wa Al-Nashr.

Sībawyh. (1977). *Al-Kitāb* (2nd ed.) (A. Harūn, Ed.). Cairo: Maktabat Al-Khānji.

Majma` Al-Lughah Al-`Arabyyah. (1975). *Fi Usūl Al-Lughah* (1st ed.). Cairo: Al-Hay`ah Al-Āmmah Li-Shu'ūn Al-Matābi` Al-Amīryyah.

Al-Tahānawi, M. (1996). *Kashāf IslaHāt Al-Funūn Wa Al-`Ulūm* (1st ed.) (A. Dahrūj, Ed.). N.p.

Al-Zumukhshuri, M. (1407 AH). *Al-Kashāf `An Haqā'iq Al-Tanzīl Wa `Uyūn Al-Aqāwīl Fi Wujūh Al-Ta'wīl* (A. Al-Mahdi, Ed.). Beirut: Dār IHyā` Al-Turāth Al-`Arabi.

Abu Al-Fidā', I. (2000). *Al-Kunnāsh Fi Fannai Al-NaHw Wa Al-Sarf* (R. Al-Khwām, Ed.). Beirut: Al-Maktabah Al-`Asryyah Li-Al-Tibā`ah Wa Al-Nashr.

Al-`Akbari, A. (1984). *Al-Lubāb Fi `Ilal Al-Binā` Wa Al-I`rāb* (1st ed.) (G. Talīmāt & A. Nabhān, Eds.). Beirut: Dār Al-Fikr Al-Mu`āSir.

Ibn Manzhūr, M. (1414 AH). *Lisān Al-`Arab* (3rd ed.). Beirut: Dār Sādir.

Ibn Al-Sā'igh, M. (2004). *Al-LamHah Fi SharH Al-MulHah* (1st ed.) (I. Al-Sā`idi, Ed.). Medina: Al-Jāmi`ah Al-Islāmyyah.

Najā, I. (1976). *Al-Lahajāt Al-`Arabyyah*. N.p.: MaTba`at Al-Sa`ādah.

Ibn Mahrān Al-Naysābūri, A. (n.d.). *Al-Mabsūt Fi Al-Qirā'āt Al-`Ashr* (S. Hākimi, Ed.). Damascus: Majma` Al-Lughah Al-Arabyyah.

Ibn Jinni, U. (1386 AH). *Al-MuHtasib Fi Tabyīn Wujūh Shawāth Al-Qirā'āt* (A. Nāsif et al., Eds.). Cairo: Al-Majlis Al-A`lā Li-Al-Shu'ūn Al-Islāmyyah.

Ibn `ATyyah, A. (1993). *Al-MuHarrir Al-Wajīz Fi Tafsīr Al-Kitāb Al-`Azīz* (1st ed.) (A. Al-Shāfi, Ed.). Lebanon: Dār Al-Kutub Al-`Ilmyyah.

Al-Tawzī`.

Ibn Hishām, A. Y. (1992). SharH Qatr Al-Nadā Wa Bal Al-Sadā (M. M. Abdulhamīd, Ed.). Beirut: Al-Maktabah Al-`Asryyah.

Ibn Mālik, M. A. (1982). SharH Al-Kāfyah Al-Shāfyah (1st ed.) (A. A. Harīdi, Ed.). Damascus: Dār Al-Ma'mūn Li-Al-Turāth.

Ibn Ya`ish, Y. A. (2001). SharH Al-Mufassal (1st ed.) (I. B. Ya`qūb, Ed.) Beirut, Lebanon: Dār Al-Kutub Al-`Ilmiyyah.

Ibn Al-Nāzhim, B. (2000). SharH Ibn Al-Nāzhim `Ala Alfiyyat Ibn Mālik (1st ed.) (M. B. `Uyūn Al-Sūd, Ed.). Beirut: Dār Al-Kutub Al-`Ilmiyyah.

Al-Kirmāni, M. (n.d.). Shawādh Al-Qirā'āt (S. Al-`Ajli, Ed.). Beirut: Mu'assasat Al-Balāgh.

Ibn Fāris, A. (n.d.). Al-Sāhibi Fi Fiqh Al-Lughah (A. Saqr, Ed.). N.p.: Matba`at `Isa Al-Halabi.

Al-Bukhāri, M. (1422 AH). SaHīH Al-Bukhāri (M. Al-Bagha, Ed.). N.p.: Tawq Al-Najāt.

Abi Al`alā' Al-Ma`arri, A. (n.d.). `Abath Al-Walīd (N. Al-Dawlah, Ed.). N.p.

Abi Ja`far Al-NaHHās, A. (2004). `Umdat Al-Kitāb (1st ed.) (B. Al-Jābi, Ed.). N.p: Dār Ibn Hazm.

Al-Shawkāni, M. (1414 AH). FatH Al-Qadīr (1st ed.). Damascus: Dār Ibn Kathīr.

Anīs, I. (1973). Fi Al-Lahajāt Al-`Arabyyah (4th ed.). Egypt: Maktabat Al-Anglū Al-Misryyah.

Al-`Adawi, H. (2006). Al-Qirā'āt Al-Shādhah Dirāsah Sawtīyah Wa Dalālīyah. Tanta: Dār Al-SaHābah Li-Al-Turāth.

Al-Usaymi, K. (2009). Al-Qarārāt Al-NaHwyyah Wa Al-Sarfyyah Li-Majma` Al-Lughah Al-`Arabyyah Bi-Al-Qāhirah (2nd ed.). Riyadh: Dār Al-

- Maknōn (Dr. A. M. Al-KharaT ed.). Demascus: Dar Al-Qalam.
- Dīwan Imru' al-Qais (1990) (5th ed.) (M. A. Ibrahim ed.) Egypt: Dar Al-Ma'arīf.
- Dīwan Ro'ba Bin Al'agag (1990). (W. A. Al-Barusy ed.) Ash`ar Al`arab.
- Dīwan Ka'ab Bin Malik (1966) (S. M. Al`any ed.). Baghdad: Al-NahDHa.
- Al-Malqy. RaSf Almabany Fi SharH Hurouf Alma'any. (A. M. Al-KharaT ed.) Damascus: MaTbu`at Mujama` Allughah Al`arabiyyah.
- Al'alusy. RouH Alma`any Fi TafSeel Al-Qura'an Al`azhīm Wa Alsab` Almathany. (A. A. `ATia ed.) Beirut: Dar al-Kutub al-`ilmayah.
- Ibn Ginnī (1985). Sir Sena`at Al`Irab (1st ed.) (H. Hindawy ed.). Damascus: Dar Al`elm.
- Al-shmuny (1998) SharH Al-shmuny `ala 'Alfyat Ibn Malik (1st ed.) Beirut: Dar al-Kutub al-`ilmayah.
- Ibn AQīl (1980) SharH Al'lfyā (20th ed.) (Sheikh M. M. Abdulhamid ed.) Cairo: Dar Altorath.
- Ibn Malik (1990) SharH Altashīl (1st ed.) (Dr. A. Alsayed, Dr. M. B. Almakhtūn ed.) Egypt: Dar Hijar lelTeba`a wa alnasher.
- ibn Asfour. SharaH Jamal Elzōjāji (Dr. S. Abu JanaH ed). EHia' Altorath Al'islami be wizarat al'wqaf Al'iraqiah.
- Al-Sawi, M. I. A. SharaH Dīwan Jarir. Alsharikah Allubnaniah lekitab.
- SharaH AlraDHi `Ala Alkafi (1978) (Y. H. Omar ed.). Jami`at Qaryounis.
- Al-Sīrāfi, A. A. (2008). SharH Al-Sīrāfi `Ala Kitāb Sībawayh (1st ed.) (M. H. Mahdali & A. S. 'Ali, Eds.). Beirut: Dār Al-Kutub Al-`Ilmayah.
- Al-Baghdādi, A. (1982). SharH Shāfyah Ibn Al-Hājib Li-Al-RaDHiy (M. N. Al-Hasan et al., Eds.). Beirut: Dār Al-Kutub Al-`Ilmayah.
- Ibn Hishām, A. Y. (1984). SharH Shudhūr Al-Dhahab Fi Ma`rifat Kalām Al-`Arab (1st ed.) (A. Al-Daqir, Ed.). Damascus: Al-Sharikah Al-MuttaHidah Li-

- (M. A. Al-Najar ed.). Cairo: MaTba`at Al-Majlis Al`la li'l-Shu'un al-Islāmiyya.
- Al-Zubaidy, M. M. (1973). Taj Al-'Arus Min Jawahir Al-Qamus. (Dr. H. Nassar ed.) MaTba`at Hokomat Al-Kuwait.
- Al-'Akbari. Al-Tebīan Fi E'rab Al-Qura'an. (M. A. Al-Bagawy ed.). MaTba`at Issa El-Baby Al-Halaby.
- Al-Ra`ini, A. (2007). ToHfat Al'qran Fi Ma Qore'a Be Al-Tathlīth Min Huruf Al- Qura'an (2nd ed.) Saudi Arabia: Dar Kunuz Ishbelya.
- Abi Hayyan (1997). Al-Tathyel wa Al-Takmeel Fi SharH Kitab Al-Tasheel (1st ed.). (Dr. H. Hendawy ed.). Demascus: Dar AlQalam.
- Al-Azahary, K. (2000). Al-TaSriH Be MaDHmun Al-TawDHiH (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'ilmayah.
- Al-Jaish, N. (2007) Tamhīd Al-Qawa'ed (1st ed.). (Dr. Fakhir, et al Ed.) Dar Al-Salam lelnasher wa altawzee` wa altarjamah.
- Al-Murady (2008) TawDHiH Al-Maqasid wa Al-Masalik Be SharH Alfyat Ibn Malek (1st ed.). (Dr. A. A. Solaiman ed.) Dar el-Fekr Al`arabi.
- Al-Dany (2007). Jame` Al- Bayan Fi Al-Qira'at Al-Sabe` (1st ed.) UAE: Jame`at Al-Shareqah.
- Al-Qurtuby (1964) Al-Jame` Le AHkam Al-Qura'an (2nd ed.) (A. Al-Bardony, E. ATFseeh ed.). Dar Al-Kutub Al-Masriyah.
- Al-Murady (1993). Al-Jana Al-Danī Fi Hurouf Alma'any (1st ed.). (Dr. F. Qabawa. M. N. Fade led.), Beirut: Dar Al-Kutub al-'ilmayah.
- Al-Farisi (1993). Al-Huja lel Qura'a Al-Sab'a (2nd ed.) (B. Qahwagy, B. Juwaijaty ed.). Dar Al-Ma'moun Leltorath.
- Al-Baghdady (1981). Khizanat Al'adab Wa Lob Lobab Līsan Al'arab (1st ed.) (A. Harūn ed.) Cairo: Maktabat Al-Khangy.
- Ibn Ginnī (1952) Al-KhaSa'eS (M. A. Al-Najar ed.). Cairo.
- Al-Samīn Al-Halaby (1406 H). Al-Dur Al-MaSon Fi Ulooum Al-Kitab Al-

## **List of References:**

### **Works cited**

- Al-Bana'a Al-DomiaTi (1998) 'EtHaf Fōdala'a ElBashar bil Alqira'at Al'rba`ata `ashar (1st ed.). (A. Mohrah ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-`ilmyah.
- Abi Hayyān (1998). Ertishaf AlDHarb Min līsan Al`arab (1st ed.) (Dr. R. O. MoHamad) Cairo: MaTba`at Al-Madany.
- Ibn Al-Siraj (1996). Al- 'usul Fi Al-NaHu (3rd ed.). (Dr. A. Al-Fatly ed.) Mō'sasat Al-Resalah.
- Al-NaHas (1995). E`rab Al-Qura'an (2nd ed.) (Dr. Z. G. Zahed ed.) Beirut: `alam Al- Kutub.
- Al-Shajary (1992). 'Amaly ibn Al-Shajary (1st ed.) (Dr. M. M. Al-TanaHy ed.) Cairo: MaTba`at Al-Madany.
- Al-'Anbary. El-'enasaf Fi Masa'el Al-Khilaf. (Sheikh M. M. Abdel-Hamid ed.) Egypt: Almaktaba Altejarya Alkubra.
- Ibn Hisham (1979). AwDHaH Al-Masalek Ila Alfyat Ibn Malik (5th ed.) (Sheikh M. M. Abdel-Hamid ed.). Beirut: Dar Al-Jeel.
- Ibn Malek (1422 H). Ijaz Al-Ta`reef Bi Fan Al-TaSreef (1st ed.) (Dr. M. A. A. Salem ed.) Aljame`ah al'islamyah bil Al-Madena Al-Monawra.
- Al-Qaisi H. A. (1408 H). EDHaH Shawahed Al'eDHaH. Beirut: Dar Al-Gharb Al'islami.
- Al-Qali A. (1975). Al-Bare` Fi Al-logha (1st ed.) (H. Al-Ta`an ed.) Baghdad: Al-NahDHa. Beirut: Dar Al-HaDHara Al`arabya.
- Abi Hayyān Al-Andalūsī (2001) Al-BaHr Al-MuHiT (S. M. Maroof ed.) Beirut: Dar El-Fekr.
- Ibn Al-'Athīr (1420 H). Al-Bade` Fi `Elm Al-`Arabya (Dr. F. A. Ali El-Dear, Dr. S. H. Al`abed ed.). Saudi: MaTbu`at Jame`at Um Al-Qura.
- Abady, F. (1992) Basha'er Thawi Al-Tamyez Fi LaTa'ef Al-Kitab Al-`Aziz.



## The Impact of Al-Loghaia on Grammatical and Morphological Rule Making: An Analytical Study

**Dr. Hammada Muhammad H. A. Buday**

Department of Grammar, Morphology and Philology

College of Arabic Language

Imam Muhammad Ibn Saud University

### **Abstract:**

The aim of the current research paper is to explore the impact of Al-loghaia (limited language) on the rule-making in grammar and morphology. The notion is significant because many grammarians mention grammatical and morphological forms accepted in Al-loghaia. Hence, I intend to collect, study and illustrate the reasons behind the rise of this notion. The study has shown that Al loghia or limited language, is tackled in a number of areas in grammar and morphology, the most important of which are: inflected and non-inflected words, Naskh of opening, the subject, consonants sequences, gemination, diminutive forms, exception articles, prepositions, the words *ni'ma* and *bi'sa*, accusatives, Jazm cases, alluding to numbers. Also one finds that Al-loghaia has been given other attributes such as: analogy, badness, faultiness, irregularity, exception, deviation, unconventionality, difference forms, and other terms recorded in the course of the current paper.

Keywords: language variation, irregularity, grammar, rule making.

اعجاز التناسب  
في الدعاء والاستجابة

د. زينب بنت عبد اللطيف بن كامل كردي  
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## أعجاز التنااسب في الدعاء والاستجابة

د. زينب بنت عبد اللطيف بن كامل كردي

قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاریخ قبول البحث: ٢٤: ٥/١٨/١٤٣٩ھ

### ملخص الدراسة:

الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على من لا نبيّ بعده، أما بعد؛ فتتناول هذه الدراسة التنااسب المعجز في الدعاء والاستجابة، وترتبط أجزائها كاشفة عن التنااسب التركيبية في النظم القرآني. وجاءت في تمهيد يشرح مفردات العنوان تبعه ثلاثة مباحث وخاتمة، رصدت أبرز نتائج الدراسة، فكان البحث الأول بعنوان مقامات الدعاء ومطالبه وجاء في قسمين؛ أولهما: مقامات الدعاء، ورصدتُ فيه الشواهد موضع الدراسة مصنفة في ثلاثة مقامات للدعاء؛ هي: مقام الاستعطاف، ومقام الصبر وانتظار الفرج، ومقام الاستنصرار بالله، والقسم الثاني عن مطالب الدعاء، التي توزعت إلى مطالب في الدنيا، ومتطلبات في الآخرة، ومتطلبات جامعة.

والبحث الثاني استنبط المظاهر الأسلوبية في الدعاء من استهلاله الدعاء بأسلوب النداء، إلى التفنن في عرضه، إلى التقديم للدعاء، وتكرار الألفاظ في الطلب، والتقييد بالجر والظرفية، وتناسب الدعاء مع خاتمه في اللفظ والمعنى.

والبحث الثالث استنبط المظاهر الأسلوبية في الاستجابة من طرق استهلال الاستجابة، إلى تناسب الاستجابة مع خاتمتها في اللفظ والمعنى. وفي الختام أسائل الله التوفيق والسداد، وأن يرزقنا تدبر كتابه على الوجه الأكمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين!



## المقدمة:

الحمد لله الذي دعانا للسؤال والإنابة، ووعدنا بالخير والاستجابة، والصلوة والسلام على خير خلقه محمد بن عبد الله النبي الأمين، الذي كان الدعاء أنسه وصلاحه في الرخاء والشدة، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فالقرآن الكريم أفق البلاغة الأرجح، ومدد الخير لمن أخلص الطلب، وتجزّد للفهم والعمل، ومن علومه علم المناسبات، الذي يربط بين السور والآيات والمقاطع والكلمات؛ فإذا هي أجزاء بنيان متصل؛ تتجلّى فيه أسمى الهدايات، منظومة بأوثق الروابط والترتيبات.

ومن الأمور التي لفتت نظري في تدبّر البيان المعجز موضوع الدعاء حين تتصل معه الاستجابة من مالك الملك جل جلاله؛ لذا جعلتهما موضوع هذه الدراسة (إعجاز التنااسب في الدعاء والاستجابة)؛ فللدعاء أثر عظيم على حياة المسلم؛ في الرخاء ينادي ويشكي، وفي الشدة يعترف بذنبه مستغفراً مستعطفاً مستنصرًا صابراً يتضرر الفرج، ثقة بمعيّته الموعودة، فتنفتح نفحات الاستجابة متنزّلة بالسكينة واليقين.

## أهداف الموضوع:

١. تدبّر المقامات التي وردت في الدعاء والاستجابة.
٢. استنباط المظاهر الأسلوبية في الدعاء.
٣. استنباط المظاهر الأسلوبية في الاستجابة.

## أهمية الدراسة:

### الأهمية النظرية:

تتجّلى قيمة إعجاز التنااسب في الدعاء والاستجابة في تدبّر مقامات استجابة الدعاء، واستنباط المظاهر الأسلوبية فيها باستشراف جانب من

بلاغة القرآن الكريم في التنااسب، وصولاً إلى فهم أمثل لطرق استجابة الدعاء؛ فمعرفة ظروف الدعاء وصيغته ومقاماته، ومقومات استجابته، ورحمة الله بعباده في الاستجابة أمر مهم في حياة المسلم.

### **الأهمية التطبيقية:**

تمدّ هذه الدراسة الباحثين المهتمين ببلاغة القرآن، بموضوع يتناول التنااسب المعجز في الدعاء والاستجابة، فيبحث في تنااسب الآي، وتلامس مطالعها ومقاطعها، وترتبط أجزائها كاشفاً عن التنااسب التركيبي المعجز. كما تخدم المؤسسات التعليمية التي تعلم التدبر، والمكتبة الإسلامية، وكلّ مسلم متدبر للقرآن.

### **مشكلة الدراسة:**

تحبيب الدراسة عن سؤال رئيس هو:  
كيف تنااسب الدعاء والاستجابة في القرآن الكريم؟  
وتتفرّع عنه التساؤلات الآتية:

١. ما هي مقامات الدعاء ومطالبه؟
٢. ما المظاهر الأسلوبية في الدعاء؟
٣. ما المظاهر الأسلوبية في الاستجابة؟

### **منهج الدراسة:**

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي مقروناً بالطريقة التحليلية الاستنباطية، بتتبع الآيات التي ورد فيها الدعاء متبعاً بالاستجابة، فرصدتْ أربعين شاهداً، صنفت حسب المقام مع استنباط الظواهر البلاغية الأسلوبية في تنااسب كلّ من الدعاء والاستجابة.

وسارت الدراسة على المنهج التاريخي في عرض الداعين بدءاً بالأئماء حسب أرجح ترتيب زمني لهم : آدم، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط،

شعيب، إسماعيل، يوسف، أيوب، يونس، موسى وهارون، داود، سليمان، زكريا، يحيى، عيسى، محمد<sup>(١)</sup>، عليهم السلام، لكن عرض الشواهد في الاستنباطات ورد حسب الظواهر الأسلوبية مع مراعاة ترتيب المصحف عند سرد دعوات نبى واحد. هذا وأسائل الله التوفيق والسداد.

التمهيد

يشرح التمهيد مفردات العنوان بعرض لحمة موجزة عن التناسب، والدعاء والاستحابة.

## مفهوم التنس:

لۇغۇ

أصل التناسب في اللغة يدل على اتصال ومقاربة ومشاكلة<sup>(٢)</sup>.

اصطلاحات

علم يعرف منه ارتباط آي القرآن وسورة فيما بينها، حتى يتحد أول كل منها بأخره، في نسق معجز مؤلف من آيات وسور آخر بعضها بأعناق بعضها في بناء محكم مترابط<sup>(٣)</sup>.

## قيمة علم المناسبات:

معرفة مجالات الاتصال والتلاويم بين الأمور، والبحث عن أسرار التلازم والاتساق والتناسب في الكلام أمر مهم في إقبال النفس واستجابتها؛ لذا تحدث العلماء عن التناسب في القرآن، وفيما يأتي عرض لأبرز ما ذكر عنه:  
١. ذكر الفخر الرازي (٦٠٦هـ) أن ((أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط))<sup>(٤)</sup>، موجّهاً الأنظار إليها في تفسير سورة البقرة حيث

## ١) قصص النساء : ٧٦٧ - ٧٧١

(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب : نس.

(٣) بنظر : السـهـانـ في عـلـومـ الـقـرـآنـ : ٣٥/١

(٤) التفسير الكبير للرازي : ٢٤٥/٥

قال : «من تأمل في لطائف نظم هذه السورة ، وفي بذائع ترتيبها علم أنَّ القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضًا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته»<sup>(١)</sup> .

٢. لفت الزركشي (٧٩٤هـ) الأنظار إلى إعجاز التنااسب حيث ذكر أنَّ القرآن الكريم («من تنااسب ألفاظه ، وتناسق أغراضه ، قلادة ذات اتساق ، ومن تبسم زهره ، وتنسم نشره ، حديقة مبهجة للنفوس والأسماع والأحداق . كلُّ كلمة منه لها من نفسها طرب ، ومن ذاتها عجب ، ومن طلعتها غرّة ، ومن بهجتها درّة ، لاحت عليه بهجة القدرة ، ونزل من له الأمر ، فله على كلُّ كلام سلطانٌ وإمرة ! بهر تكُن فواصله ، وحسن ارتباط أواخره وأوائله ، وبديع إشارته ، وعجيب انتقالته ، من قصصٍ باهرة ، إلى مواعظٍ زاجرة ، وأمثالٍ سائرة ، وأدلة على التوحيد ظاهرة ، وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة ، وموقعٍ تعجب واعتبار ، ومواطنٍ تنزيهٍ واستغفار»<sup>(٢)</sup> .

٣. وضَّح البقاعي (٨٨٥هـ) القيمة الجليلة للتنااسب في معرفة العلل الترتيبية لأجزاء الكلام ، فهو من أسرار البلاغة ؛ لتحقيقه مطابقة المعاني لما يقتضيها من الأحوال والمقامات<sup>(٣)</sup> .

وما سبق تجلّى قيمة التنااسب ؛ فهو علم عظيم ، و المجاله واسع ، ينطوي على تدبر عميق في معاني البيان القرآني ، واستكناه لأوجه الترابط في السياق ، وما يقتضيه من مطابقة الأحوال والمقامات حتى يبدو النظم متالًّاً متناسقاً ؛

(١) التفسير الكبير للرازي : ٦٧/٤ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٤/١ .

(٣) ينظر : نظم الدرر : ٩/١ .

من هنا حرصت الدراسة على تدبر أسرار النظم القرآني المعجز في موضوع مهم هو التناسب في الدعاء والاستجابة لاستكناه المظاهر الأسلوبية التي تتحقق بها هذا التناسب المعجز في السياقات التي ورد فيها الدعاء متبعاً بالاستجابة.

### **نوعاً للناسبات القرآنية:**

الناسبات القرآنية نوعان:

أحدهما: في ترتيب السور فيما بينها.

والآخر: في تراكيب الآي، وترتيبها.

ولكلٌ منهما أنواع، وليس المقام هنا للتفصيل عن علم الناسبة، و موقف العلماء منه بين الأخذ والرد<sup>(١)</sup>؛ فما تناوله البحث من التناسب التركيبي الذي دعا إليه العلماء، ولم يكن محل خلاف.

### **مفهوم الدعاء:**

لغة:

أصلٌ يدلّ على الرغبة والإملأة بصوت وكلام. دعا الرجل يدعوا دعوة<sup>(٢)</sup> ودعاء، إذا نادى، وطلب، وسأل<sup>(٢)</sup>.

### **اصطلاحاً:**

ذكر الخطابي (٣٨٨هـ) أنَّ الدعاء: ((استدعاء العبد ربِّه بِعَنْكِ العناية، واستمداده إِيَّاه المعنونة، وحقيقة إظهار الافتقار إليه، والتبرُّؤ من الحول

---

(١) ينظر في تفصيل هذين النوعين و موقف العلماء منهم: البرهان في تناسب سور القرآن: ٦٣، ٦٤، والبرهان في علوم القرآن: ١/٢٥٦، والإتقان: ١٧٢/١، وتناسق الدرر: ٥٦.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: دعوة، ولسان العرب: دعا.

والقُوَّةُ، وهو سمة العبوديَّةُ، واستشعار الذلةُ البشريَّةُ، وفيه معنى الثناء على الله تَعَالَى، وإضافة الجود، والكرم إليه<sup>(١)</sup>.

وذكر البهاء السبكي (١٧٣٣هـ) أنَّ الدعاء طلب إلى الأعلى على سبيل التضرُّع والخضوع<sup>(٢)</sup>.

وأتفق شرَّاح التلخيص مع تعريف السبكي في أنَّ الدعاء طلب من الأدنى إلى الأعلى على وجه التضرُّع والتذلل والخضوع، وأدرجوه تحت أساليب الأمر والنهي والنداء من أساليب الإنشاء الظليبي<sup>(٣)</sup>. لكنَّ هذا التعريف يعم دعوات غير المؤمنين لآلهتهم، في حين اشتمل تعريف الخطابي على تخصيص الدعاء بالله تَعَالَى؛ ويجتمع التعرِيفان في اشتتمال كُلٍّ منهما على تحقيق معنى العبادة، ويتأكد هذا التحقيق في قول النبي ﷺ: "الدعاء هو العبادة"<sup>(٤)</sup>؛ حيث يدلُّ القصر فيه على التأكيد والبالغة؛ فيشمل العبادات جميعها فرضها ونفلها، ومبعثه تذلل وتضرُّع إلى الله تَعَالَى.

وببناء على ما سبق يمكن تعريف الدعاء كما يأتي:  
طلب من العباد إلى الله تَعَالَى على وجه التضرُّع والخضوع مُحْقِقاً معنى العبادة.

---

(١) شأن الدعاء : ٤.

(٢) ينظر : مواهب الفتاح (ضمن شروح التلخيص) : ٣٢٠/٢.

(٣) ينظر : عروس الأفراح، ومحتصر السعد، وحاشية الدسوقي (ضمن شروح التلخيص) : ٣٢٠/٢.

(٤) حديث صحيح عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه البخاري في الأدب المفرد : ٢٩٦، وأبو داود : ١٤٧٩، والترمذى : ٣٢٠٧، ٣٥٢٨، ٣٦٦٨، وصححه الألبانى في الأدب المفرد : ٧١٤، وفي صحيح أبي داود : ١٣٢٩.

## مفهوم الاستجابة:

لغة:

أصل يدل على مراجعة، يقال: أجابه عن سؤاله، إجابة وإجابة وجواباً وجابة، فالإجابة والجواب: ما يكون ردًا على سؤال أو دعاء أو رسالة أو نحو ذلك. واستجوبه واستجابة واستجواب له واستجاب منه؛ إذا قبل دعاءه، وقضى حاجته<sup>(١)</sup>. وفي قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عَبْدٌ عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دُعَوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيَسْتَجِيبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَمَّا هُمْ يَرْسُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، معنى الاستجابة الانقياد لله فيما دعاهم إليه.

ومن أسماء الله المجيب، وهو مقترن بالقريب، وإجابته نوعان: عامة وخاصة، ف(( هو المجيب إجابة عامة للداعين مهما كانوا، وأين كانوا، وعلى أيّ حال كانوا، كما وعدهم بهذا الوعد المطلق. وهو المجيب إجابة خاصة للمستحبين له المنقادين لشرعه، وهو المجيب أيضًا للمضطربين، ومن انقطع رجاؤهم من المخلوقين، وقوى تعلقهم به طمعًا ورجاءً وخوفاً)).<sup>(٢)</sup>

اصطلاحاً:

الاستجابة هي موافقة الدعوة فيما طُلب بها<sup>(٣)</sup>.

الفرق بين الإجابة والاستجابة:

اختلف اللغويون في الفرق بين الإجابة والاستجابة؛ فرأى بعضهم أنهما بمعنى واحد<sup>(٤)</sup>، وذكر آخرون أن الإجابة أعم من الاستجابة والقبول؛ إذ هي

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب: جوب، والمجمع الوسيط: جاب.

(٢) تيسير الكريم الرحمن: ٩٤٩، وينظر: النهج الأسمى: ٣٠١-٣٠٢.

(٣) ينظر: الكليات: ٥٠.

(٤) ينظر: أساس البلاغة، ولسان العرب: جوب.

قطع سؤال السائل، وقد يكون القطع بالمخالفة، كما في قول الله تعالى:

﴿وَأَنْفَثُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخْرَجْتَنِي إِلَى أَجْلِ قَرِيبٍ فَأَصَدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الْأَصْلَاحِينَ ﴾٦١ ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهُ أَجَلٌ لَهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾٦٢﴾ [ال Manafortون: ١١-١٠].

فالسياق هنا يورد دعوة المقصرين عند حلول الأجل بطلب تأخيره، فكانت الإجابة بمخالفة ما أرادوا؛ فقد قضى الله أمره، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِدُونَ ﴾٦٣﴾ [النحل: ٦١].

وتحتخص الاستجابة بقبول الدعوة مع فضل عناء بها<sup>(١)</sup>، ويؤخذ هذا المعنى من الصيغة الصرفية للمصدر بزيادة حروف الاستفعال؛ فالسين والتاء للمبالغة للدلالة على إجابة بالموافقة مع عناء ورفق ب أصحابها. والتعدية باللام مع أنّ الفعل يتعدى بنفسه - للدلالة على كمال العناء بالمستجاب له، واحتراصه بترادف النعم، وتحقيق ما أراده إكراماً لسؤاله، وتقديراً لمقامه؛ لذا كانت الاستجابة ثواباً؛ لما فيها من الإعظام<sup>(٢)</sup>؛ لذا ترجح الدراسة الاختلاف بين الإجابة والاستجابة؛ فيمكن القول إنّ الاستجابة أخصّ بناء على المعنى اللغوي والصيغة الصرفية، وفيها قبول وعناء وتحقيق للمطلوب، وانقياد من العبد، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَظَنُونَ إِنَّ لِيَّتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾٦٤﴾ [الإسراء: ٥٦]، دلالة على أنّ البشر يقومون بقدرة الله

(١) ينظر : الفروق اللغوية : ٤٤ ، ونظم الدرر : ٣٠٦/١٧ ، والكليات : ٥١ ، والتحرير والتنوير : ١٣٣/١٧.

(٢) ينظر : الكشاف : ١٣٣/٣ ، وزهرة التفاسير : ٤٩٠٩/٩.

يُجَلِّ إِذْعَانًا لِأَمْرِهِ، وَانْقِيادًا لِدُعْوَتِهِ، دُونَ مَا تَوَهَّمُوا مِنْ مُسْتَحِيلَاتِ أَنَّهُمْ  
صَارُوا رَفَاتًا وَتَرَابًا<sup>(١)</sup>.

وَوَرَدَ الْحَضْرُ عَلَى الدُّعَاءِ مَعَ وَعْدِ اللَّهِ بِالْاسْتِجَابَةِ فِي قَوْلِهِ يُجَلِّكُ: **﴿وَقَالَ**  
**رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ**  
**جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ﴾** [غافر: ٦٠]، فَالْخَطَابُ لِلْمُسْلِمِينَ لِتَحْقِيقِ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ  
بِالدُّعَاءِ تَذْلِلًا وَتَضْرِعًا، وَالْتَّجَاءُ إِلَيْهِ دُونَ سُوَاهٍ، وَ(الآيَةُ مِنَ الْاحْتِبَاكِ: ذِكْرُ  
الدُّعَاءِ أَوْلًا دَلِيلًا عَلَى حَذْفِهِ ثَانِيًا، وَالْعِبَادَةُ ثَانِيًّا دَلِيلًا عَلَى حَذْفِهَا أَوْلًا)<sup>(٢)</sup>.

كَمَا وُعِدَ الْمُسْتَجِيْبُونَ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ الْمُنْقَادُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ  
وَبِالْحَسَنَى. قَالَ تَعَالَى: **﴿الَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابُهُمْ الْقُرْحُ لِلَّذِينَ**  
**أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَأَنَّقُوا أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [آل عمران: ١٧٣] ، وَقَالَ تَعَالَى: **﴿لِلَّذِينَ**  
**أَسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ أَحْسَنُ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمَثْلُهُ مَعَهُ**  
**لَا فَتَدْرِى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَا وَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ﴾** [الرعد: ١٨].

وَلَا كَانَتِ الإِجَابَةُ وَالْاسْتِجَابَةُ مِنَ الصَّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ الْمُرْتَبَطَةِ بِالْقُرْبَى  
وَالسَّمْعِ، كَانَ اِنْتِفَاؤُهَا عَنْ آلَهَةِ الْكُفَّارِ الْمَزْعُومَةِ دَلَالَةً عَلَى بَطْلَانِ عِبَادَتِهَا،  
قَالَ تَعَالَى: **﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحُقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كَبِسْطِ كَفَيْهِ**  
**إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِكَلِيلٍ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾** [سُورَةُ الرَّعْدِ: ١٤] ،  
وَقَالَ تَعَالَى: **﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ وَلَوْمَرَ**  
**الْقِيمَةُ يَكْفُرُونَ بِشَرِكَكُمْ وَلَا يُنِيبُنَّكَ مِثْلُ حَمِيرٍ﴾** [فاطر: ١٤].

(١) يُنْظَرُ: الْمُحَرِّرُ الْوَجِيزُ : ٤٦٣/٣.

(٢) نَظَمُ الدَّرْرِ : ١٧/١٠٠.

وبعد هذا التوضيح لمفردات العنوان، ذكر في المباحث الثلاثة الآتية مقامات الدعاء و مطالبه و المظاهر الأسلوبية للدعاء والاستجابة.

### مقامات الدعاء و مطالبه

#### أولاً : مقامات الدعاء :

رصدت الدراسة للآيات التي ورد فيها الدعاء متبايناً بالاستجابة أربعين موضعًا، صدرت الأدعية فيها عن الأنبياء والرسل، وعن غيرهم من البشر، صُنفت في ثلاثة مقامات : مقام الاستعطاف ، مقام الصبر وانتظار الفرج ، مقام الاستئصارات بالله. وفيما يأتي تفصيلها :

#### ١. مقام الاستعطاف :

رصدت الدراسة للدعوات التي ارتبطت في سياق واحد مع استجاباتها في مقام الاستعطاف تسعه مواضع ؛ جاءت باعتراف بالزلل<sup>(١)</sup> ، وإقرار بالذنب ، وطلب للمغفرة والرحمة. ورد سبعة منها عن الأنبياء والرسل ، وموضعاً عن المؤمنين المتفكّرين في الآفاق ، والنصارى الذين اهتدوا إلى الإيمان ، وفيما يأتي تفصيل الداعين في هذا المقام :

١. آدم عليه السلام<sup>(٢)</sup> : أزلّه الشيطان ؛ فأكل من الشجرة هو وزوجته حواء ، وبعد أن أدركوا فداحة الذنب بجأاً إلى الله مستعطفين معتبرين بظلم النفس ؛ فتاب عليهمَا ، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ <sup>(٣)</sup> قال أهليطوا بعضاً لبعض عدو و لكُم في الأرض مستقرٌ و متعٌ إلى حيٍن <sup>(٤)</sup> قال فيها تحيون وفيها تموتون و منها تخرجون <sup>(٥)</sup> ﴿[الأعراف: ٤٥ - ٤٣]﴾ ، وجاءت الاستجابة من الرحمن الرحيم بقبول التوبة التي صرّح بها في قوله

(١) للاستزادة من ألفاظ الاعتراف بالزلل والمقامات التي ورد فيها في القرآن ينظر :  
بلاغة القرآن في مقامات الاعتراف بالزلل لرغدة كردي.

تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰ إَادُمٌ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَكَاتَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْوَابُ الْرَّحِيمُ﴾ [القراءة: ٣٧] ، ولم يصرّح بها في الشاهد موضع الدراسة ثقة بما ذكر ؛ فاستجاب الله دعاءه ، وقبل توبيته ، وبدأ مرحلة استخلافه بهبوطه إلى الأرض لumarتها هو وذرّيته ، ومنازعة عدوّهم فيها ، حاملين معهم أمانة عجزت عنها السموات والأرض والجبال.

٢. نوح العليّ : راجع ربّه في ابنه ؛ فعاتبه ، فاستعطف معترفاً بالزلل طالباً المغفرة والرحمة ؛ فاستجاب له بتبشيره بالمبوط بسلام وبركات هو ومن معه ، قال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَوْدُ إِلَكَ أَنَّ أَسْكَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغْفِرُ لِي وَتَرْحَمُنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [٤٧] قيل يلُوْحُ أهْبِطِ يَسَّلِمُ مَنَا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمِّهِ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمْمٌ سَنُمْسِعُهُمْ ثُمَّ يَمْسِهُمْ مَنَا عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ [٤٨] [هود: ٤٧ - ٤٨].

٣. يوّنس العليّ : غاضب قومه ، واستعجل في هجرهم ؛ فاعترف بزلله ، ونادى ربّه مقرّاً بظلم نفسه ؛ فاستجاب له ، ونجاه من الغمّ. ورد ذلك في موضعين :

• قال تعالى : ﴿وَذَا الْنُونِ إِذْ ذَهَبَ مُعَاضِبًا فَظَرَّ أَنْ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلْمِكَتِ أَنْ لَآ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْهِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٨٨] [الأنبياء: ٨٨ - ٨٧]

• قال تعالى : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [٤٨] لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ وَنِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَيْذِ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [٤٩] فَاجْتَبَهُ رَبُّهُ وَفَجَعَلَهُ مِنَ الْأَصْلَاحِينَ﴾ [٥٠] [القلم: ٤٨ - ٥٠].

٤. موسى : العليّ اعترف بزلله ، وندم ، واستعطف ربّه في موضعين :

• استعجاله من ظنه ب أخيه حيث استغفر من صنيعه ؛ فاستجاب الله له بالشرى بحكم عام بأن من تاب فالله غفور رحيم ، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَعْفُرْ لِي وَلِخَيْ وَأَدْخُلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحْمَنِينَ ﴾ <sup>١٥١</sup> إِنَّ الَّذِينَ أَخْدُلْنَا عَجْلَ سَيِّئَاتِهِمْ غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ بَخْرَى الْمُفْتَرِينَ <sup>١٥٢</sup> وَالَّذِينَ عَمِلُوا أَسَيَّاتٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ <sup>١٥٣</sup> ﴾ [الأعراف: ١٥١ - ١٥٣].

• قتله القبطي ، إذ رجا من الله المغفرة ، فغفر له ، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ وَإِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ <sup>١٦</sup> ﴾ [القصص: ١٦].

٥. سليمان عليه السلام : وقع في فتنة أزاله عنه ملكه ، فلجا إلى الله مستعطفاً منيماً ، فسخر له الريح والشياطين ووعده بحسن مآب ، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ <sup>٢٥</sup> فَسَخَنَاهُ لَهُ الْرِّيحُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَامَهُ حَيْثُ أَصَابَ <sup>٢٦</sup> وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ <sup>٢٧</sup> وَءَاخْرِينَ مُقْرَبِينَ فِي الْأَصْفَادِ <sup>٢٨</sup> هَذَا عَطَاؤُنَا فَأَمْنِنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حَسَابٍ <sup>٢٩</sup> وَإِنَّهُ عِنْدَنَا لِرْفَعِ وَحْسَنَ مَعَابٍ <sup>٣٠</sup> ﴾ [ص: ٣٥ - ٤٠].

٦. أولو الألباب المفكرون في الآفاق : أثني الله على اهتدائهم بالتفكير إلى حكمته في خلق الكون ؛ ومسارعتهم بالاستعطاف معترفين بذنوب يرجون مغفرتها ، فيستجيب لهم واعداً بادخار الحسنات وتكفير السيئات وإدخال الجنات. قال تعالى: ﴿ وَيَنْفَكِرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ <sup>١١</sup> رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ <sup>١٢</sup> رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيَ إِلَيْلَيْمَنَ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَقَامَنَا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ <sup>١٣</sup> رَبَّنَا وَءَاتَنَا

مَا وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِيلٍ مِّنْكُمْ مَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَلَحِجُوا مِنْ دِيَرِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَيِّلٍ وَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَأَكْفَرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْنَتِهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ أُثْوَابٍ ﴿١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩١ - ١٩٥].

٧. النصارى الذين اهتدوا إلى الإيمان بالله: ذكر القرآن أنهم يستعطفون الله أن يدخلهم في زمرة الصالحين الشاهدين يوم القيمة، فيعدهم بالإثابة بالجنتات، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا إِمَانًا فَأَكْتُبْنَا مَعَ الشَّهِيدِينَ ﴾٨٤﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطَّمْعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الْأَصْلَاحِينَ ﴾٨٥﴿ فَأَنْتُمْ لِلَّهِ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَرَاءُ الْمُحْسِنِينَ

. [المائدة: ٨٣ - ٨٥] ﴿٨٥﴾

## ٢. مقام الصبر وانتظار الفرج:

جاءت دعوات هذا المقام في ثلاثة عشر موضعًا، احتضنت ثمانية منها بالأنبياء والرسل بعد ابتلاءات شتى منها الحرمان من الذرية، وفتنة كيد النساء، والمرض وفقد الأهل والمال، وخمسة منها صدرت عن غير الأنبياء، وهم: امرأة عمران، وأصحاب الكهف، والمؤمنون الصالحون في دعوات علمهم الله إياها لخيري الدنيا والآخرة للنفس والوالدين والأهل، وفيما يأتي تفصيل الداعين في هذا المقام:

١. إبراهيم عليه السلام: طلب الذرية داعيًا ربه أن يرزقه بولد صالح، فبشره بغلام حليم، ورد دعاؤه محكىًا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الْأَصْلَاحِينَ ﴾١٠١﴿ فَبَشَّرَنَّهُ بِعُلَمَاءِ حَلِيمٍ . [الصفات: ١٠١ - ١٠٢] ﴿١٠٢﴾

٢. يوسف الصليل : طلب صرف كيد النساء عنه حينما وقع في كيد عظيم ، وفتنة ملحة تبدّت أمامه بغيرياتها ، فصمد وصبر متظراً الفرج مؤثراً السجن داعياً الله أن يعينه ؛ فاستجاب له ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ الْسِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَلَا أَضْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَلَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ٣٣ ﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ وَفَصَرَقَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٤ ﴾ [يوسف: ٣٣ - ٣٤].

٣. أئوب الصليل : لجأ إلى ربه بعد صبر على الضرر الذي مسّه في بدنه وأهله وماله ، فاستجاب له ، وعوّضه أفضل مما فقد ، ورد ذلك في موضعين :

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَئُوبَ إِذْ نَادَنِي رَبِّهِ وَأَنِّي مَسَنِيَ الْصُّرُّ وَأَنَّتَ أَرَحْمُ الرَّحْمَيْنَ ٣٥ ﴾ فَاسْتَجَبَنَا لَهُ وَفَكَشَفَنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكْرَى لِلْعَدِيْدِينَ ٣٦ ﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ كُرْعَبْدَنَا أَئُوبَ إِذْ نَادَنِي رَبِّهِ وَأَنِّي مَسَنِيَ الشَّيْطَنُ يُصْبِبُ وَعَذَابٍ أَرْكَضَ بِرِجْلَكَ هَذَا مُعْتَسِلٌ بِارْدٌ وَسَرَابٌ ٣٧ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْنَا وَذَكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَيْبِ ٣٨ وَخُذْ بِيَدِكَ ضَغْنَا فَاضْرِبْ بِيَهُ وَلَا تَخْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا تَعْمَلُ الْعَدُّ إِنَّهُ أَوَّابٌ ٣٩ ﴾ [ص: ٤١ - ٤٤].

٤. امرأة عمران : دعت الله أن يتقبل ما في بطنها لخدمة بيت المقدس ؛ فاستجاب الله دعاءها بالقبول والكفالة والرزق والصلاح ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمَرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقْبَلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٤٠ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتِ رَبِّ إِنِّي وَضَعَتْهَا أُنْقَى وَلَلَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الْذَّكْرُ كَالْأُنْقَى وَإِنِّي سَمِّيْتُهَا مَرِيمًا وَإِنِّي أَعِيْذُهَا بِكَ وَدُرِّيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَنِ الرَّجِيمِ ٤١ فَتَقْبَلَهَا رَبُّهَا يَقْبُولُ حَسَنَ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا رَزْكِيًّا كُلُّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا

رَكَّيَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرَأُ أَنَّ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ [آل عمران: ٣٥ - ٣٧].

٥. ذكر يا الْعَلِيَّةِ : طلب الذرية ، ورد أمره إلى الله صابرًا مستسلمًا منتظرًا الفرج ، فيبشره الله بيعي الْعَلِيَّةِ ، ورد ذلك في ثلاثة مواضع :

• قَالَ تَعَالَى: هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَا رَبَّهُ وَقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرْيَةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٨﴾ فَنَادَاهُ الْمَلِئَةُ وَهُوَ قَالٌ يُصْلِي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَبَنِيَّا مِنَ الْصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾ [آل عمران: ٣٨ - ٣٩].

• قَالَ تَعَالَى: قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظُمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الْرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيقًا ﴿٤٠﴾ وَلَنِّي خَفْتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَاءِي وَكَانَتْ أُمَرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَّا ﴿٤١﴾ بِرَثْيَ وَيَرْثُ مِنْ إِلَيْكَ يَعْقُوبًا وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيَّا ﴿٤٢﴾ يَزَرَكَرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِعِلْمٍ أَسْمُهُ يَحْيَى لَهُ بَعْلَمٌ لَهُ وَمِنْ قَبْلِ سَمِيَّا [مريم: ٤ - ٧].

• قَالَ تَعَالَى: وَزَكَرِيَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَرَبِّ لَا تَذَرِّنِي فَرَدَا وَأَنَّ خَيْرَ الْوَرِثَيْنَ ﴿٤٣﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٤٤﴾ [الأنبياء: ٨٩ - ٩٠].

٦. موسى الْعَلِيَّةِ : دعا ربّه معرّضًا بحاجته مفتقرًا منتظرًا الفرج ؛ فعاجلته الاستجابة باستقرار وسكن وإنماء من فضل الله. قَالَ تَعَالَى: فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّ إِلَى الْأَظْلَلِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٤٥﴾ فَجَاءَتْهُ إِلَيْهِمَا تَمَشِي عَلَى أَسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّمَا يَدْعُوكَ لِيَجْرِيَكَ أَجَرَ مَا سَقَيْتَ لَنَّا فَلَمَّا

جَاءُهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخْفَى بَحْوَتْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢٥ قَالَ إِنَّهُمْ مَا يَأْبَى إِسْتَعْجِرَةٌ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَعْجَرَتِ الْقُوَىُ الْأَمِينُ ٢٦ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِلَيَّ أُبْنَتِي هَذِهِنَ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثُمَّنِي حِجَّجٌ فَإِنْ أَتَمَّتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْقَّ عَلَيْكَ سَتَّاجِدِنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْصَّالِحِينَ

﴿القصص: ٤٣ - ٤٢﴾ ٢٧

٧. أصحاب الكهف: التجأوا إلى ربهم هرباً بِإِيمانِهِمْ؛ فأنامُهُمْ سِنِينَ عدداً إلى أن ولّى عهد الظلم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَوَى الْفَتِيَّةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبُّنَا إِلَيْنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيْئَةً لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ٢٨ فَضَرَبُنَا عَلَيْهِ أَذَانَهُمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ٢٩ ثُمَّ بَعْثَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَئِ الْحَزِينُ أَحْصَى لِمَا لَيْثُوا أَمَدًا﴾ ٣٠ [الكهف: ١٠ - ١٩]

٨. عباد الله الصالحون: عَلِمُهُمُ اللهُ الدُّعَاءُ لِأَنفُسِهِمْ وَلِأَهْلِهِمْ، وَرَدَ ذلك في ثلاثة مواضع:

- الدُّعَاءُ لِلْأَنفُسِ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنِيسِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ إِبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فِيمَنْ أَنْتُمْ مِنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِلَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ٣١ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِلَيْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ٣٢ فُولَّتِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٣٣﴾ [البقرة: ٤٠٢ - ٤٠٠]
- الدُّعَاءُ لِلأَزْوَاجِ وَالذُّرِّيَّاتِ وَلِلْأَنفُسِ بِالتَّقْوِيَّةِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةً أَعْيُنٍ وَجْعَلْنَا لِلْمُمْتَقِنِينَ إِمَامًا ٣٤ أُولَئِكَ يُخَرِّبُنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَدَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا تَحْيَةً وَسَلَّمًا ٣٥ حَلِيمِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرَّاً وَمُقَاماً ٣٦﴾ [الفرقان: ٧٤ - ٧٦]

• شكر النعم على الإنسان وعلى والديه، والدعاء بصلاح النية والذرية : قال تعالى: ﴿وَصَّيَّرَا لِلنَّاسَ بِوَلَدِيهِ إِحْسَنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَرُهْبَانًا وَرَضَعَتْهُ كُنْهًا وَحَمَلَهُ وَفَصَلَهُ وَتَلَثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشْدَادُهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبُّ أُرْزَعَيْنِ أَنَّ أَشْكُرْ يَعْمَلُكَ أُتَّقَ أَعْمَتَ عَلَىَّ وَعَلَىَّ وَلِدَيَّ وَأَنَّ أَعْمَلَ صَلِحًا تَرَضَلَهُ وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبَثُّ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾١٥﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَسْأَلُ عَنْهُمْ أَحَسَنَ مَا عَمَلُوا وَتَسْجَلُونَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الْصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾١٦﴿

[الأحقاف: ١٥ - ١٦].

### ٣. مقام الاستنصار بالله :

جاءت دعوات هذا المقام في ثانية عشر موضعًا، اختص منها بالأنبياء والرسل خمسة عشر موضعًا، تضمنت طلب التأييد بأية للتصديق، وطلب التهيئة للدعوة، وبث المخاوف التي تعترى النفس خوفا على الرسالة، أو الشكوى من التكذيب والتصريح بطلب النصرة، أو اليأس من استجابة القوم بطلب الفتح أو النجاة، أو إهلاكهم، وورد ثلاثة منها في استغاثة المؤمنين في المعارك بطلب الصبر والتشييت والنصر. وفيما يأتي تفصيل الداعين في هذا المقام :

١. نوح عليه السلام : كذبوا قومه؛ فاستنصر ربه؛ لينجيه منهم؛ فاستجاب له، ونجاه ومن آمن معه، وأغرق الظلمة بالطوفان، وورد دعاؤه متبعاً بالاستجابة في أربعة مواضع :

• قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ وَمِنَ الْكَرِبِ الْعَظِيمِ ﴾١٧﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَيْنِتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوْءً فَأَعْرَقَنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾١٨﴿ [الأنبياء: ٧٦ - ٧٧].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ ٢٦ فَوَحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَصْنَعَ الْفُلَكَ يَأْعِيْنَا وَوَحِيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَقَارَ السَّنُورُ فَسَلَكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ أُشْتَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۚ وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الْذِيْنَ ظَلَمُوا إِلَهُمْ مُغْرِبُونَ ﴾ ٢٧ ﴾

[المؤمنون: ٢٦ - ٢٧].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾ ٢٨ فَأَفْتَحْ بَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجَّنِي وَمَنْ مَعَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ ٢٩ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلَكِ الْمَسْحُوْنِ ﴾ ٣٠ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِيْنَ ﴾ ٣١ ﴾

[الشعراء: ١١٧ - ١٢٠].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَنَا نُوحٌ فَلَنَعِمَ الْمُجِيْبُوْنَ ﴾ ٧٥ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ وَمَنْ الْكَرِبُ الْعَظِيْمُ ﴾ ٧٦ وَجَعَلْنَا ذُيْتَهُ هُمُ الْبَاقِيْنَ ﴾ ٧٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرِيْنَ سَلَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمَيْنَ ﴾ ٧٨ إِنَّا كَذَّلَكَ بَخَرِي الْمُحْسِنِيْنَ ﴾ ٧٩ إِلَهُو مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِيْنَ ثُمَّ أَعْرَقْنَا الْأَخْرِيْنَ ﴾ ٨٠ ﴾ [الصفات: ٧٥ - ٨٠].

٢. هود أو صالح<sup>(١)</sup> - عليهمما السلام - كلامها دعا قومه وكذبوا؛ فلجأ إلى الله مستفتحا عليهم مستنصرًا ربه بعد ما سلك كل مسلك في دعوتهم؛ واستجاب الله له بأن وعده بسرعة ندمهم، فأخذتهم الصيحة! قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ ٣١ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصِبِّحُنَّ تَدِيمِيْتَ ﴾ ٣٢ فَأَحْدَثْنَاهُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُثَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ ﴾ ٣٣ ﴾ [المؤمنون: ٣١ - ٣٣].

(١) لم يصرح السياق القرآني في هذا الموضع باسم النبي أو القوم، لكنه ذكر أنهم بعد قوم نوح: ﴿ ثُمُّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَاءَ أَخْرَيَنَ ﴾ ٣٢ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَبْعُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرِهِ ۖ أَفَلَا تَشْتَقُونَ ﴾ ٣٣ ﴾ [المؤمنون: ٣٢ - ٣٣] فالاهتمام كان بالحدث المتكرر على مر الأزمان من مستكبري القوم، وجاء العطف بعده والتعليق على القصص الواردة في سورة المؤمنون بعبارة جامعة تبيّن سنة الله في نصرة أنبيائه وإهلاك المكذبين الفجرة.

٣. لوط الملائكة : دعا قومه إلى التوحيد ونهاهم عن الفاحشة ، فهددوه بالإخراج ؛ فسأل ربه أن ينجيه وأهله ، فاستجاب له ، قال تعالى: ﴿رَبِّنِّيْحَنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْعَيْنَاهُ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا بَعْوَزًا فِي الْغَيْرِيْنَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرَيْنَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِيْنَ ﴿١٧٣﴾ [الشعراء: ١٦٩ - ١٧٣].

٤. موسى الملائكة : ورد له في مقام الاستنصار ثلاثة مواقف ، حوت ستة مواضع :

- طلب التأييد قبل الذهاب إلى فرعون : التجأ إلى ربّه ليبرئه من عيوب نفسه ، مستنصرًا به مستمدًا منه المعاونة طالبًا الأسباب التي تعينه على التبليغ ؛ فاستجاب له بأن آتاه سؤله وأيده بأخيه ، وبشرهما بمعيّته ، وورد دعاؤه متبعًا باستجابة الله له في أربعة مواضع :

- قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي أَشْرَحْ لِي صَدَرِي ﴿٤٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٤٦﴾ وَلَا حَلْلُ عُقْدَةَ مِنْ لِسَانِي ﴿٤٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٤٨﴾ وَلَا جَعْلُ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٤٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٥٠﴾ أَشْدُدْ بِهِهِ أَزْرِي ﴿٥١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٥٢﴾ كَنْ سُمِّيَّحَكَ كِيَرِيَ ﴿٥٣﴾ وَنَذَرْكَ كَثِيرًا ﴿٥٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ يِبْنًا بَصِيرًا ﴿٥٥﴾ قَالَ فَدَأْتُ أُوْتِيَتْ سُؤْلَكَ يَكْمُوْسَيَ ﴿٥٦﴾ [طه: ٤٥ - ٤٦].

- قال تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَقْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْعَنَ ﴿٥٧﴾ قَالَ لَا تَخَافَاً ﴿٥٨﴾ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٥٩﴾ [طه: ٤٥ - ٤٦].

- قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَيْنُونَ ﴿٦٠﴾ وَيَضِيقُ صَدَرِي وَلَا يَنْطَلُقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ هَرُونَ ﴿٦١﴾ وَلَهُمْ عَلَيْهِ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ كَلَّا فَأَذْهَبَنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمْعُونَ ﴿٦٣﴾ [الشعراء: ١٦ - ١٥].

- قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَخِي هَرُونُ هُوَ أَفَصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ

يُكَذِّبُونَ ﴿٤﴾ قَالَ سَنَشُدُ عَصْدَكَ يَا حَيَّكَ وَيَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا يَا يَنْتَ أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَلِبُونَ ﴿٥﴾ [القصص: ٣٣ - ٣٥].

- طلب النصرة بعد استكبار قومه وتقاعسهم عن القتال لإخراج العدو من الأرض المقدسة: حيث توجه إلى ربه ضارعاً، فاستجاب الله له بأن عاقب أولئك القوم باليه أربعين سنة، لا يستقررون ولا يهتدون إلى طريق: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِأُ إِلَّا نَفْسِي وَلَاخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمَ الْفَسِيقِينَ ﴿٦﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيمُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسِ عَلَى الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ ﴿٧﴾﴾ [المائدة: ٤٥ - ٤٦].

- طلب النصرة حين أيس من انقياد فرعون وقومه لدعوته: حيث دعا ربه أن يذهب أموالهم، ويشد على قلوبهم لينعقد فيها الكفر والضلال، فلا تقبل خيراً أبداً، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ أَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضْلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَقَّ يَرَوُ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾٨﴾ قَالَ قَدْ أَيْحَيْتَ دَعْوَتِكُمَا فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَنْيَعَنَّ سَيِّلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ وَجَوَزْنَا بِيَتِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعُهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرْقَ قَالَ إِنَّمَاتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَّا الَّذِي أَمْأَنْتَ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَلَانَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ٨٨ - ٩٠].

٥. ذكرى العجائب: دعا الله أن يؤيده بآية تدل على تحقق معجزة الولد استئنasa بالبشائر، فأكرمه بتائيده بآية أن يعجز لسانه عن كلامهم من غير آفة ولا سوء، فلا يقدر إلا على الإشارة والرمز<sup>(١)</sup>، وورد الدعاء واستجابته في موضعين:

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: ١٣٠

- قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي أَجْعَلَ لِي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةً أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَإِذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَيَحْ يَالْعَشِيْ وَالْأَبْكَرَ﴾ [آل عمران: ٤١].
- قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي أَجْعَلَ لِي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةً لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠].

٦. عيسى عليه السلام : سأله ربه أن ينزل مائدة من السماء، حين طلب الحواريون منه آية مرئية تزيد يقينهم <sup>(١)</sup>، فاستجاب له: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَلِيْدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيْدَةً لِأَوْنَانَا وَأَخْرَنَا وَءَاءِيَةً مِنْكَ وَأَرْزُقَنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [١٤٦] قال الله تعالى مُتَرَكِّلاً عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ أَعْذِبُهُ عَذَابًا لَأَعْذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٤] [المائدة: ١١٥ - ١١٦].

٧. المؤمنون المقاتلون في المعارك: حكى القرآن استغاثتهم، واستنصرتهم بالله، واستلهمهم الصبر والتشييت، وتنزلت الاستجابة بالتشييت والمدد الجليل، والنصر المؤزر، والإثابة في الدنيا والآخرة؛ ورد ذلك في ثلاثة مواضع:

• قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِعْ عَلَيْنَا صَبَرْ وَثِبْ أَفْدَامَنَا وَأَصْرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [٢٥١] فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاؤُدُّ جَالُوتَ وَأَكَلَهُ اللَّهُ الْمُلَكَ وَالْحَكِيمَةَ وَعَلَمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [٢٥١]. [البقرة: ٤٥٠ - ٤٥١].

• قال تعالى: ﴿وَكَائِنَ مِنْ نَّيِّي قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أُسْتَكَلُوا وَلَهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [١٦] وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثِبْ أَفْدَامَنَا وَأَصْرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَعَاتَنَهُمُ اللَّهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٦] [آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨].

(١) ينظر : تيسير الكريم الرحمن : ٢٤٨

• **قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغْشِيُونَ رَبَّكُمْ فَأُسْتَجَابَ لَكُمْ أَنَّى مُمِدُّكُمْ بِالْفِ**  
**مِنَ الْمُلْكِيَّةِ مُرْدِفِينَ ﴾٩﴾ [الأنفال: ٩].**

**ثانيًا : مطالب الدعاء :**

تنوعت مطالب الدعاء في شواهد الدراسة في مقاماتها الثلاثة ما بين مطالب في الدنيا، إلى مطالب في الآخرة، إلى مطالب جامعة لهما معاً. وفيما يأتي تفصيلها :

#### ١. **مطالب في الدنيا :**

اقتصرت على مطالب ذات مقاصد سامية لأداء مهمة الخلق بالاستخلاف في الأرض وعمارتها. ورد منها في مقام الصبر وانتظار الفرج تسعة مواضع؛ هي : طلب الذرية في دعاء إبراهيم، ودعاء زكريا في ثلاثة شواهد، ومن مطالب هذا النوع أيضًا طلب صرف كيد النساء في دعاء يوسف، وكشف الضر في دعاء أيوب في شاهدين، والافتقار إلى الله، وطلب الغنى من فضله في دعاء موسى، وطلب الرحمة وإلهام الرشد في دعاء أهل الكهف.

في مقام الاستئصال بالله : كانت المطالب جميعها في شواهد الشمانية عشر مما يراد تحقيقه في الدنيا لنشر الدعوة إلى الله بتأييد رسالته ونصرتهم بما يعينهم على حمل الرسالة ونشرها، وتشييت المؤمنين المقاتلين في المعارك ضد الكفرة لإعلاء كلمة الله في الأرض.

#### ٢. **مطالب في الآخرة :**

ورد منها ستة مواضع في الاستعطاف : تناولت طلب المغفرة والرحمة كما في دعاء آدم وحواء، ودعاء نوح، ودعاء موسى بالمغفرة والرحمة لنفسه ولأخيه، وحين قتل القبطي، ودعاء المتفكرين في الآفاق، ودعاء النصارى الذين اهتدوا إلى الإسلام.

### ٣. مطالب جامعة:

ورد منها في مقام الاستعطاف موضعان: دعاء يونس، ودعاء سليمان، وفي مقام الصبر وانتظار الفرج ورد منها أربعة مواضع، هي: دعاء امرأة عمران، ودعوات المسلمين لأنفسهم، والدعوات للوالدين والذرية في شاهدين.

#### المبحث الثاني

#### المظاهر الأسلوبية في الدعاء أولاً: استهلال الدعاء بأسلوب النداء:

غلب استهلال الدعاء بالنداء في شواهد المقامات الثلاثة المذكورة؛ فورد في ثلاثين موضعًا بالتركيب الآتي:

١. حذف أداة النداء: وهذه سمة غالبة في القرآن، وتقدّر بـ "يا" فهي أمّ الباب، ويدلّ حذفها على شدة قرب المنادي، فلم يرد ﴿يَتَرَبَ﴾ إلا في موضعين حكاية عن نبّينا محمد ﷺ:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَتَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي أَتَخَذُوا هَذَا الْفُرْقَانَ

مَهْجُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٣٠].

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَهُ يَتَرَبِّ إِنَّ هَلَوَاءَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٨٨].

٢. إثمار النداء بالاسم الدال على صفة الريبوية: فالربّ هو المنعم المتفضل ((المربي) جميع عباده، بالتدبّر، وأصناف النعم. وأخص من هذا،

(١) يعلل أبو السعود ذكر أداة النداء في الموضعين المذكورين مع أن المقام دعاء لمن هو أقرب إليه من حبل الوريد، ليعبّر بـ مدّ الصوت عن شدة أسفه على حالهم! ينظر: إرشاد العقل السليم : ٩٨/٣.

تربيته لأصفيائه، بإصلاح قلوبهم، وأرواحهم وأخلاقهم؛ ولهذا كثرا دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة<sup>(١)</sup>.

٣. تعريف المنادى بالإضافة إلى ضمير المتكلم مفرداً **﴿رَبٌ﴾**، وورد في اثنين وعشرين موضعًا من شواهد الدراسة، أو مثنى **﴿قَالَا رَبَّنَا﴾**، وورد في ثلاثة مواضع، أو جمعاً **﴿رَبَّنَا﴾**، وورد في عشرة مواضع؛ وتأتي قيمة هذا التركيب من دلالته على الاعتراف التام بالربوبية، ورجاء في مقتضها.

واختلفت صورة النداء في دعاء عيسى: **﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا مَأْيَدَةً مِنَ السَّمَاءِ ...﴾** [المائدة: ١١٤]، إذ نادى ربّه مرتين؛ مرةً بوصف الألوهية الجامعة لصفات الكمال المطلق، ومرةً بوصف الربوبية المبنية عن التربية لإظهار غاية الإلحاد، والبالغة في الاستدعاء والضراوة<sup>(٢)</sup>.

كذلك ورد نداء الربّ مضافاً إلى ضمير الداعي مكرّراً في أربعة شواهد؛ فكرّر مرتين في دعاء موسى على فرعون وملئه: **﴿رَبَّنَا إِنَّكَ عَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضْلِلُوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا أَخْلَصْنَا عَلَى أَمْوَالِهِمْ ...﴾** [يوحنا: ٨٨]، وكرّر مرتين في دعاء امرأة عمران: **﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّي إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّكًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ٢٥ **﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّي إِنِّي وَضَعَتْهَا أُنْتَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الدَّرْكُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرِيمَ وَإِنِّي أَعِدُّهَا بِكَ وَدَرِّيَّهَا مِنَ الشَّيْطَنِ الرَّجِيمِ** ٢٦ [آل عمران: ٣٥ - ٣٦]. وكرّر مرتين في دعاء زكريا: **﴿رَبِّي إِنِّي وَهَنِّ الْعَظُمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الْرَّأْسُ شَيْبَا وَلَمْ أَكُنْ يُدْعَأَبِكَ رَبِّي شَقِيقَا وَإِنِّي خَفَّتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَاءِي**

(١) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة : ١٦٤.

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٩٨/٣.

وَكَانَتِ اُمَّتِي عَاقِرًا فَهَبَ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَّا ۝ يَرْثِي وَبِرْثُ مِنْ ءَالِ  
يَعْقُوبَ ۝ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيَّا ۝ [مريم: ۶ - ۷]؛ وأربع مرات في دعاء  
المتكلّمين: ۝ رَبَّنَا مَا حَفَّتَ هَذَا بَطِلًا سُبْحَنَكَ فَقَنَا عَذَابَ الْنَّارِ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ  
مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ ۝ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيَا  
يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَقَامُنَا رَبَّنَا فَأَعْفَرْلَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفَرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا  
وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۝ رَبَّنَا وَأَتَنَا مَا وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِكَ ۝ [آل عمران: ۱۹۱ - ۱۹۳].  
وذلك لبثّ مزيد من الافتقار والتذلل والتضيّع، والتلذذ بالمناجاة،  
والإلحاح في الدعاء مع استشعار مقتضيات صفة الربوبية بما تدلّ عليه من  
العناية والرعاية وال التربية.

### ثانيًا: التفنن في عرض الدعاء:

التفنن مصطلح معروف عند اللغويين والبلاغيين، ذكره العسكري (٣٩٥هـ) في معرض حديثه عن الترافق بقوله: ((المغايرة في اللفظ بين الفقرتين مع اتحاد المعنى تفنن في التعبير، وهو في كلام الفصحاء كثير))<sup>(١)</sup>، وجعل السكاكي (٦٦٦هـ) المغايرة بين الأساليب القرآنية من التفنن<sup>(٢)</sup>، وذكر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) أنّ تكرير الكلام في الغرض الواحد قد يثقل على البليغ، فإذا ورد بتفنن في المعاني باختلاف طرق أدائها، وتفنن في الألفاظ وتراكيبها بما تقتضيه الفصاحة وسعة اللغة باستعمال المترافقات، وتفنن في المحسنات البديعية المعنية واللفظية بلغ الغاية القصوى في البلاغة، فالتفنن وجه من وجوه الإعجاز<sup>(٣)</sup>. وهو كذلك نوع من أنواع التصريف في القول<sup>(٤)</sup>.

(١) الفروق اللغوية : ٣١٧.

(٢) ينظر : مفتاح العلوم : ٥٩١.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٦٨/١.

وفيما يأتي تفصيل هذا النوع من التفنن الذي يتعلّق بعرض الدعاء؛ إذ تغايرت طرق عرضه في شواهد الدراسة ما بين الطلب المباشر، وهو الأكثر، إلى الطلب غير المباشر، إلى الإخبار عنه دون حكاية، وفيما يأتي تفصيلها:

#### ١. الطلب المباشر:

ورد الدعاء في شواهد الدراسة بأسلوبِي الطلب المباشر الأمر والنهي، وصيغة فعل الأمر هي الأغلب، ووردت في ستة وأربعين موضعًا، ووردت صيغة النهي في موضعين اثنين: ﴿وَلَا تَخُزِّنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، ﴿لَا تَذَرْنِي فَرَدًا﴾ [الأنبياء: ٨٩].

#### ٢. الطلب غير المباشر:

ورد الدعاء محكياً بطلب غير مباشر -أي: دون صيغتي الأمر أو النهي المرتبطين به في الأصل - إما بعد النداء أو دون نداء. وذلك في ثانية مواضع:

استهلّ الدعاء في خمسة منها بالنداء، لكن جاء بطلب غير مباشر دون صيغ الأمر أو النهي بطريقين:

الطريق الأولى من الطلب غير المباشر بالنداء: التقييد بالشرط بعد مقدمة تناسب مقامه وورد في ثلاثة مواضع: موضعين منها بعد الاعتراف بالزلل؛ هما: دعاء آدم وحواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمَنَا أَنفُسَنَا وَلَنْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. ودعاء نوح: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنَّ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عَلِيُّّ وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

(١) للاستزادة من أساليب تصريف القول في القرآن. ينظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم لعبد الله النقراط، وإعجاز التصريف في البيان القرآني لزينب كردي.

[٤٧] ، بما يتناسب مع مقام الاستعطاف ، وورد في موضع ثالث من مقام الصبر وانتظار الفرج ، هو : ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كِيدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] . عرض فيه يوسف عليه السلام الطلب غير المباشر بالتقيد بالشرط لصرف كيد النساء ، وقدّم لذلك التقيد بمقديمة في حسن الصبر واحتماله لوجه الله ، وقبح المعصية ، بما يتناسب مع مقام الصبر وانتظار الفرج ، ثم فزع منها إلى ألطاف الله وعصمته ، والدعاء باللطف <sup>(١)</sup> .

الطريق الثانية : الإخبار بجملة اسمية خبرية بضرب إنكاري مؤكّد باسمية الجملة وإنّ : ووردت في موضعين من قصة موسى عليه السلام ؛ هما : ﴿قَالَ رَبِّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَقْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ [طه: ٤٥] ، و ﴿فَقَالَ رَبِّ إِلَيْ لِمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ حَيْرٍ فَقِيرٍ﴾ [القصص: ٩٤] . جاء الموضعان متعلقان بالفعل (قال) ، فهما في محل نصب مقول القول <sup>(٢)</sup> .

واقتصر في ثلاثة مواضع على شكوى الحال دون نداء ، وبطلب غير مباشر ، وذلك بطريقين الأولى بالإخبار بجملة مصدرية خبرية بضرب إنكاري مؤكّد باسمية الجملة وأنّ ، وورد في موضعين من قصة أیوب عليه السلام ؛ هما : قوله تعالى : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَأَتَى مَسَنِيَ الْضُّرُّ وَأَنَّتَ أَرَحَمُ الْأَرْحَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] . وقوله : ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَأَتَى مَسَنِيَ الشَّيْطَانُ يُضْبِي وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] . وجملة الطلب غير المباشر تكون في محل نصب على نزع الخافض ، وتعلق بالفعل ﴿نَادَى﴾ بتقدير : نادى

(١) ينظر : الكشاف : ٤٦٧ / ٢ .

(٢) ينظر : إعراب القرآن وبيانه : ١٩٦ / ٦ .

بائيٍ<sup>(١)</sup>. وكم أظهرت هذه القصة الأدب النبوي الجليل في مناجاة الخالق جلل الله! فآيوب عليه السلام مع عظم البلاء، لم تستول عليه الحيرة، أو يفترسه الجزع، بل ظل صابراً صامداً هادئاً النفس ثابت القلب، رطب اللسان بذكر الله، والثناء عليه، فجاء دعاؤه محكيًّا بطلب غير مباشر بمقدمة تشرح الحال، بالتعبير بمس الضرّ بما يناسب مقام الصبر وانتظار الفرج.

والطريق الثانية من الطلب غير المباشر دون نداء توحيد الله وتنزيهه، وتذلل العبد، وختم الدعاء باعتراف بالزلل بما يناسب مع مقام الاستعطاف، وورد ذلك في دعاء يونس عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ وَذَا التُّوبَ إِذْ ذَهَبَ مُعَاضِبًا فَظَرَبَ أَنَّ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلْمَكَتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَّ سُبْحَلَنَكَ إِلَيْيِ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

### ٣. إخبار عن الدعاء دون حكايته:

ورد الإخبار عن الدعاء بوروده سرداً دون حكاية في أربعة مواضع: اثنان منها في قصة نوح، قال تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَنَا نُوحٌ فَلَيَعْمَرَ الْمُجِيْبُونَ ﴾ [الصافات: ٧٥]، والموضع الثالث في قصة يونس، قال تعالى: ﴿ فَأَصْبِرْ لِهِمْ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبُ الْحُوْنَ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْلُومٌ ﴾ [القلم: ٤٨-٤٩]، والرابع في قصة المجاهدين في غزوة بدر<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغْفِيْنَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩].

(١) ينظر : المحتوى من مشكل إعراب القرآن : ٧٣١/٢، وإعراب القرآن وبيانه :

.٣٥١/٦

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ١٦/٤.

### ثالثاً: التقديم للدعاء:

ورد الدعاء في عشرة مواضع من الطلب المباشر بتقديم يتناسب مع المقام الذي ورد فيه الدعاء. ففي الاستعطاف ورد التقديم للدعاء في أربعة مواضع، قدّم فيها للطلب بالاعتراف بالزلل، أو بالإقرار بالتوحيد، أو بالتوسل بالأعمال الصالحة، فمن التقديم بالاعتراف بالزلل<sup>(١)</sup> دعاء موسى عليه السلام حين قضى على القبطي: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]. ومن التقديم بإقرار بالتوحيد دعاء المتفكرين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقَ هَذَا بَطِلًا سُبْحَنَكَ فَقَنَا عَذَابَ أُنَيَّرٍ﴾ [آل عمران: ١٩١]، ومن التوسل بالإيمان دعاء المتفكرين أيضاً: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيَا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ﴾ [آل عمران: ١٩٣]. ودعاء النصارى الذين اهتدوا إلى الإيمان بالله: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَكَبَّتْنَا﴾ [المائد: ٨٣].

وورد الدعاء في ثلاثة مواضع آخر في مقام الصبر وانتظار الفرج مسبوقاً بعوّدة تشرح الحال يعقبها طلب مباشر؛ كما في دعاء امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ...﴾ [آل عمران: ٣٥]، حيث قدّمت لطلبها بخبر مؤكّد عن نذرها أعقابه بطلب القبول، ودعاء زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَّ أَعْظَمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلُ أَرْرَأْسُ شَيْبَا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيقَا وَإِنِّي حَفَّتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَاءِي وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَكَا﴾ [مريم: ٥]. حيث قدّم لطلبها بإظهار الضعف الذي عمّ جسده، وبثّ خوفه على الدعوة الذي دفعه إلى طلب ذرية تتولّها من بعده.

(١) كما يرد الاعتراف بالزلل في تقييد بالشرط بطلب غير مباشر، ينظر ص ١١٤ من هذا البحث.

وورد التقديم للدعاء بما يتناسب مع مقام الاستئصارات في أربعة مواضع؛ موضعان منها بمقدمة بث تشرح الخوف على الدعوة لطلب التأييد، يعقبها الطلب المباشر ورداً عن موسى عليه السلام حين طلب التأييد للدعوة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [١٦] و﴿يَصِيقُ صَدِّرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ﴾ [١٧] [الشعراء: ١٣ - ١٤]، قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَاتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [١٨] و﴿أَلَّا يَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِي رِدَاءً بِصَدِّقَتِي إِلَيْتُ أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [١٩] [القصص: ٣٤ - ٣٣]، والموضعان الآخرين بعد اليأس من استجابة القوم، وهمما جاء عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ [٢٠] فافتتح بيّني وبيّهم فتحاً ونجني ومن معى من المؤمنين [٢١] [الشعراء: ١١٧ - ١١٨]، وعن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمِلُ إِلَّا نَفْسِي وَأَلَّا فَأُرْقُ بَيْتَنَا وَبَيْتَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [٢٢] [المائدة: ٤٥].

#### رابعاً: تكرار الألفاظ في الطلب:

المتدبر في مواضع الدعاء والاستجابة يلحظ تكرار الطلب بالألفاظ معينة، وفيما يأتي رصد لأبرزها مقدمة - قدر الإمكان - ما ورد في مقام الاستعطاف، ثم الصبر وانتظار الفرج، ثم الاستئصارات بالله وفقاً للترتيب السابق في البحث الأول:

١. طلب المغفرة: ورد في سبعة مواضع، أربعة منها في مقام الاستعطاف بطلب مباشر بصيغة فعل الأمر: ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، و﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ [الأعراف: ١٥١]، و﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، و﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي﴾ [ص: ٣٥]، والخامس في استئصارات المقاتلين في المعارك: ﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]، حيث استهلهوا دعاءهم باستعطاف بإضافة

الذنوب والإسراف إلى أنفسهم، وتقديم الاستغفار على طلب ثبيت الأقدام، ليكون استنصارهم أقرب إلى الاستجابة.

وورد بطريق غير مباشرة بالتنقييد بالشرط<sup>(١)</sup> في موضوعين في مقام الاستعطاف؛ هما: ﴿وَإِن لَّمْ تَعْفُرْ لَنَا وَتَرَحَّمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧]، و﴿فَلَمَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرَحَّمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

٢. طلب الرحمة: جاء في خمسة مواضع منها الموضعان السابقان المرونان بطلب المغفرة، والثالث في طلب موسى المقترب باللغرة كذلك: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَادْخِنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]؛ إذ ورد فيه معنى الرحمة في ثلاثة ألفاظ، وعبر بالإدخال: ﴿وَادْخُلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ على وجه الاستعارة لشمول هذه الصفة - الثابتة لله - له ولأخيه ((في سائر أحوالهما، بحيث يكونان منها، كالمستقر في بيت أو نحوه مما يحوي؛ فالإدخال استعارة أصلية، وحرف ﴿ف﴾ استعارة تبعية، أوقع حرفه الظرفية موقع باء الملاسة)).<sup>(٢)</sup> وتابع التعلق بصفة الرحمة بالتنزيل بالحملة الحالية: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ التي تتضمن أبلغ الثناء على الله بصفة الرحمة، وهذه الموضع الثلاثة في مقام الاستعطاف.

إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَنِيَ الْضُّرُّ وَأَنَّتِي أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وفيه تعریض بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وربه

(١) ورد الحديث عن الطلب غير المباشر ص ٢١ من هذا البحث.

(٢) التحرير والتنوير : ١١٨/٩.

بأبلغ صفاتها، ولم يصرح، فألطف في السؤال، فكان أجدر بالنوال<sup>(١)</sup>، وكذا ورد في دعاء أصحاب الكهف **﴿رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾** [الكهف: ١٠]<sup>(٢)</sup>.

٣. طلب العطاء بـ **(آت)** : ورد في ثلاثة مواضع ؛ اثنان منها في مقام الاستعطاف : **﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الْذِيْنَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾** [البقرة: ٢٠١] ، **﴿رَبَّنَا وَعَاهَدَنَا مَا وَعَدَنَا﴾** [آل عمران: ١٩٤] ، والثالث في مقام الصبر وانتظار الفرج : **﴿رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيَّئْنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾** [الكهف: ١٠].

٤. طلب العطاء بـ **(هَبْ)** : ورد في خمسة مواضع ، أربعة منها في مقام الصبر وانتظار الفرج ؛ هي : **﴿رَبَّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرْيَّةً طَيْبَةً﴾** [آل عمران: ٣٨] ، **﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَّا﴾** [مريم: ٦-٧] ، **﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرْةً أَعِيْنِ﴾** [الفرقان: ٧٤] ، **﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الْصَّالِحِينَ﴾** [الصافات: ١٠٠] ، والخامس وردت فيه مقرونة بالمغفرة في مقام الاستعطاف : **﴿رَبِّ أَعْفُرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾** [ص: ٣٥] . والهبة عطية خالية عن الأعراض والأغراض ، ففي استعمالها إشعار بالفضل والإحسان من غير سبب ، ولا عمل ولا معاوضة<sup>(٣)</sup> .

٥. الدعاء بـ **(أَجْعَلْ)** : ورد في خمسة مواضع ؛ موضعان في الصبر وانتظار الفرج : **﴿وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيَّا﴾** [مريم: ٦] ، **﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾** [الفرقان: ٧٤] ، وفي الاستنصرار ثلاثة مواضع : **﴿رَبِّ أَجْعَلْ لِي إِنَّا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾** [آل عمران: ٤١] ، و[مريم: ١٠] ، **﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾** [طه: ٢٩]

(١) ينظر : نظم الدرر : ٤٦٢/١٢.

(٢) سيرد تحليل هذا الأسلوب بالتقيد بالظرفية ص ٢٧ من هذا البحث.

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٣٢/٣ ، ولسان العرب : وهب.

٦. طلب النصر في أربعة مواضع في مقام الاستنصار: ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]، و[آل عمران: ١٤٧]، و﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٦ و ٣٩].

٧. طلب النجاة في مواضعين في مقام الاستنصار: ﴿فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَيَدِهِمْ فَتَحَا وَتَخْفِي وَمَنْ مَعَ﴾ [الشعراء: ١١٨]، ﴿رَبِّ تَخْفِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩].

٨. طلب ثبيت الأقدام في مواضعين في مقام الاستنصار: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ [البقرة: ٢٥٠]، و[آل عمران: ١٤٧]. والثبيت معناه عدم التزلزل في ساحة القتال وموطن النزال، مما يصور كمال القوة والرسوخ عند المقارعة، وهو معنويّ، يراد منه انتفاء الهرب وقت المعركة<sup>(١)</sup>. وعلى هذا يمكن عده كنایة يشترك في تصویرها المعنی الأصليّ ولازمه، فالاصل ثبات أقدام المقاتلين في الرمل؛ إذ الخائف لا ثبت قدمه في المكان، بل تنتقل، وتهتز من غير اختيار<sup>(٢)</sup>، ولازمه قوّة القلوب والصمود والشجاعة وانتفاء الخوف من الأعداء، من قولهم: رَجُل ثابت القدم، وثبت الجنان، وثبت وثبت من رجال ثبت، أي: متماسكون شجعان<sup>(٣)</sup>.

#### خامساً: التقيد بالجر والظرفية:

ورد التقيد في الدعاء بطرق ثلاثة هي التقيد بالجر أو بالظرفية أو بهما معًا، وفيما يأتي تفصيلها:

(١) ينظر: البحر المحيط: ٤٦٩/٤، وإرشاد العقل السليم: ١/٢٤٤.

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٣/١٩٣.

(٣) ينظر: أساس البلاغة، ولسان العرب: ثبت.

## ١. التقىيد بالجزء:

أدى التقىيد بالجزء معنى التبعيض، ورصدت له الدراسة خمسة شواهد؛ هي: قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَتَرَحَّمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [٢٢] [الأعراف: ٢٣]، قوله: ﴿وَلَا تَغْفِرَ لِي وَتَرَحَّمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [٢٣] [هود: ٤٧]، قوله: ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبَ إِلَيْهِنَّ وَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [٢٤] [يوسف: ٣٣]، قوله: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٢٥] [الأنبياء: ٨٧]، قوله: ﴿إِنِّي ثُبَّتْ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسَلِّمِينَ﴾ [٢٦] [الأحقاف: ١٥].

وما يسترعي النظر في الشواهد السابقة جميعها سواء قيدت بالشرط، أو بإقرار بالذنب وإعلان للتنورة، ورود الصفة فيها معلقة بـ ﴿مِن﴾ لتدلّ على معنى أعمق في سياقها، وفيما يأتي تحليل النظم الوارد في جملة: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [٢٧] [الأعراف: ٢٣]؛ إذ حوت أكثر الظواهر الأسلوبية التي تُطبق على غيرها:

١. التعبير بفعل الكون: فأسند إلىهما فعل الكون الدال على رسوخ الوصف، وجعل الخبر أنهما فردان من فريق الخاسرين، وهو أدل على أرسخيّة الوصف<sup>(١)</sup>.

٢. توكييد الفعل الناسخ في جواب الشرط على تعميق الإحساس بتجدد الاتصال بصفة الخسارة، إن لم تدركهما مغفرة الله ورحمته.

٣. تقوية الدلالة بحرف التبعيض ﴿مِن﴾ لمعنى الدخول في زمرة من يتّصف بالصّفة، وهذا ما أوحى به قولهـما: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾، دون أن يقولـا: لنخسرـنـ، أو لنكونـ خاسـرـينـ، وفيه دلالة أقوى على

(١) التحرير والتنوير: ١٧/١٣٢.

الإحساس بالذنب؛ ويكثر هذا الحذف قبل الألف واللام داخلاً عليه ﴿من﴾ التبعيسيّة، فيتعلق الجار بمحذوف تدلّ عليه صلتها فيه للإشعار بأنّ الممحذوف وتقديره: (خاسرين) هو بعض المذكورين بعد بتقدير: لنكون خاسرين من الخاسرين؛ وبذلك تقوى الدلالة عليه<sup>(١)</sup>، ففي هذا التركيب إثبات الوصف لموصوف ضمن جماعة يثبت لهم ذلك الوصف؛ ليكون أدلة على التمكّن بناء على أنّ الإنسان يزداد تمسّكاً بعمله إذا شاركه فيه جماعة؛ فبمقدار ما يرى منهم تلّيّساً بمثل فعله تبعد نفسه عن التردد في سداد عملها<sup>(٢)</sup>.

## ٢. التقيد بالظرف:

رصدت الدراسة ثلاثة مواضع في تقيد الدعاء بالظرف ﴿مع﴾؛ هي:

﴿وَكَفَرُّ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، و﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَّا فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّهِيدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]، و﴿وَنَظَمَّعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الْأَصْلَحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤].

إثمار التعبير بالظرف الدالّ على المعية يبيّن أنّهم قيدوا أطماعهم بالدخول مع أهل الطاعة؛ لما تدلّ عليه المعية من نعيم مضاعف في جمال المستقرّ والصحبة، فتمكّن الإيمان من قلوبهم يجعلهم يحبّون أهل الصلاح، ويشعرون أنّهم ينتسبون إليهم برابطة الدين التي تمثل آصرة نسب قوميّة بينهم، يودّون أن ينالوا بها شرف معيّتهم واللحاق بمنازلهم ودرجاتهم راجين عفو الله موقنين بوعده جل جلاله في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْ

(١) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك : ٢٣٧ / ١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير : ٤٢٧ / ١.

أَللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا

﴿٦٩﴾ [النساء: ٦٩]

### ٣. التقيد بالجرا و الظرف معاً :

وورد تقيد الدعاء بالجرا مع الظرف ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾ في ثلاثة مواضع؛ هي: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرْيَةً طَيْبَةً﴾ [آل عمران: ٣٩]، و ﴿ءَاتَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ الكهف: ١٠، و ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥].

والتقيد بهما لتعظيم شأن الطلب و تخصيصه وبثّ مزيد توكيده و تضرع؛ لأنّ في ﴿مِن﴾ معنى الابداء، وفي ﴿لَدُنْكَ﴾ معنى العندية والانتساب، فالتقيد بهما أبلغ ما لو قدم الطلب دونهما؛ إذ الخلق كلهم بمحل الرحمة والرعاية من الله، لكن التقيد فيه فضل عناء، وطلب لرحمة خاصة<sup>(١)</sup>.

### سادساً : تناسب الدعاء مع خاتمه :

المتدبر في شواهد الدراسة يلحظ أن بعض الدعوات وردت بخاتمة تناسبت مع الدعاء في اللفظ أو في المعنى، وفيما يأتي تفصيل كل منها:

#### ١. التناسب في اللفظ (رد الكلام على صدره) :

رد الكلام على صدره هو المحسن اللفظي الذي يأتي فيه آخر الكلام موافقاً لأوله، فيجعل أحد اللفظين المتشابهين اللذين يجمعهما الاشتقاء أو شبهه، في أول الفقرة، واللفظ الآخر في ختامها<sup>(٢)</sup>. ولعل إشار هذا المصطلح -كما سماه البغدادي (٥١٧هـ)<sup>(٣)</sup> -أنسب مما عُرف عند البلاغيين

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٦٦/١٥.

(٢) ينظر : الطراز : ١٩٨/٣ ، والقول البديع : ٨١.

(٣) ينظر : قانون البلاغة : ٤٥٠.

بالتصدير، أو رد العجز على الصدر؛ لوضوح دلالته على مسمّاه أكثر من الأول، وخلوّه من الدلالات التي يحملها الثاني، ولا تتناسب مع مقام القرآن الكريم. وورد هذا النوع من التتناسب في أربعة مواضع؛ هي: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتَنَا مَا وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، وقوله: ﴿وَرَزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّي أَغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّي أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

ويلحظ المتذمّر أنّ الموضع الأربعة جميعها ردّ آخر الكلام فيها على صدره، حيث ختمت بتذليل يتضمن ثناء على الله بجملة خبرية مؤكّدة مأخوذة من لفظ صدر الكلام، ففي الموضع الأول جاء الدعاء بطلب تحقيق وعد الله: ﴿رَبَّنَا وَءَاتَنَا مَا وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾، وأثنى عليه بأنه صادق وعده لعباده بقولهم: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾. وتضمن الموضعان الثاني والثالث ثناءً باسم تفضيل مضاف إلى صفة من صفات تناهي الكمال تتناسب لفظ الدعاء ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. في حين تضمن الموضع الأخير ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ثناءً بجملة خبرية مؤكّدة بقصر بتعريف الطرفين، مع ضمير فصل وخبرٍ مؤكّدٍ بصفة من صفات تناهي الكمال.

## ٢. التتناسب في المعنى (التناسب الأطراف) :

قد يأتي التتناسب بصفة من صفات تناهي الكمال تتناسب معنى الدعاء، وهو ما يسمّى تتناسب الأطراف<sup>(١)</sup>، وعرفه ابن معصوم (١١٢٠هـ) بأنه:

(١) ينظر: أنوار الربيع: ٢٥٩.

((أن يتدى المتكلم بمعنى، ثم يتم كلامه بما يناسبه في المعنى دون اللفظ))<sup>(١)</sup>، وذكر أن الخطيب أدخله في مراعاة النظير وسماه تشابه الأطراف<sup>(٢)</sup>، لكن ابن معصوم رأى أن مصطلح تشابه الأطراف أولى لطابقته لطابقته لسماه، وهذا ما يميل إليه البحث لسبب المطابقة الذي ذكره ابن معصوم، ولأنه كذلك يظهر الفرق بينه وبين رد الكلام على صدره باختيار التشابه دون التشابه، وورد في ثلاثة مواضع؛ هي: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقْبَلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ أَسْعَيُ الْعَالِيُّ﴾ [آل عمران: ٣٥]، و﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرْيَةً طَبِيبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، و﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرَدَّا وَأَنْتَ حَيْرُ الْوَرِثَيْنَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وهذه الخواتيم كلّها وردت في مقامي الاستعطاف والصبر وانتظار الفرج، أمّا مقام الاستنصار؛ فجاء دون خاتمة، ربما لضيق المقام؛ لأنّه في مقام الدعوة أو القتال.

### المبحث الثالث

#### المظاهر الأسلوبية في الاستجابة

##### أولاً : استهلال الاستجابة :

جاء استهلال الاستجابة بطريقين: الاقتران بالفاء، والفصل. وفيما يأتي تفصيلهما:

##### ١. استجابة مقترنة بفاء التعميّب:

ورد هذا النوع من الاستجابة بطرق أربع: بالتصريح بلفظه معلقاً بلا مالخصاص، أو بفعل مشتقٍ من لفظ الطلب في الدعاء، أو بالجمع بينهما، أو بأفعال مختلفة غير ما ذكر، وفيما يأتي تفصيلها:

(١) أنوار الريّع : ٢٥٩.

(٢) ينظر : الإيضاح : ٤٩٠.

## ● التصريح بفعل الاستجابة:

ورد في سبعة مواضع بصيغة المضي للدلالة على تحقق الواقع، مع تعليقه بلام الاختصاص مضافاً إلى ضمير المحكي عنه في طلب الدعاء لمزيد عنایة بالداعي وتشريف له<sup>(١)</sup>.

أُسند فعل الاستجابة في ثلاثة منها إلى الله باسمه الدال على الربوبية أو بالضمير العائد إليه، للدلالة على ما تقتضيه الربوبية من التربية والرعاية، كما في الاستجابة ليوسف **﴿فَاسْتَجَابَ لَهُوَ رَبُّهُ﴾** [يوسف: ٣٤]، وللمتفكرین في الآفاق: **﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾** [آل عمران: ١٩٥]، وللمقاتلين في المعارك **﴿إِذْ تَسْتَعِيشُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾** [الأనفال: ٩].

وأُسند الفعل إلى الله باسمه الدال على الإلهية المطلقة أو بضمير العظمة العائد إليه للدلالة على استجابة عظيمة بمعجزة لا يقدر عليها إلا من له الإلهية المطلقة، ووردت في أربعة مواضع بالتركيب نفسه في سورة الأنبياء مرتبة بترتيب الأنبياء نوح وأيوب ويوحنا وذكريا: **﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾** [الأنبياء: ٧٦، ٨٤، ٨٨، ٩٠].

## ● اشتقاء فعل الاستجابة من لفظ الطلب في الدعاء:

ورد الفعل بصيغة المضي مسندًا إلى ضمير العظمة أو إلى الاسم الدال على صفة الربوبية أو إلى الضمير العائد عليه في أربعة مواضع: في دعاء نوح: **﴿وَجَنَحَتِي﴾** كانت الاستجابة: **﴿فَاجْتَبَيْنَاهُ﴾** [الشعراء: ١١٨ - ١١٩]. وفي دعاء لوط: **﴿يَنْجَنِي﴾** كانت الاستجابة: **﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾** [الشعراء: ١٦٩ - ١٧٠]. وفي دعاء موسى: **﴿فَأَغْيَرْلِي فَغَفَرَ لَهُ﴾** [القصص: ١٦]. وفي دعاء امرأة عمران: **﴿فَفَقَبَلَ﴾** كانت الاستجابة: **﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾** [آل عمران: ٣٧، ٣٥].

## ● الجمع بين فعل الاستجابة والفعل المشتق من الطلب:

ورد الفعل بصيغة المضي معطوفاً بالفاء على فعل الاستجابة الصريح في موضعين:

(١) ورد تحليل أسلوب الاستجابة ص ١١١ من هذا البحث.

في دعاء أیوب : ﴿أَنِّي مَسَّنِي الْضُّرُّ وَأَنَّتِ أَرْحَمُ الرَّحْمَيْنَ﴾ كانت الاستجابة : ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَكَشَفْنَا مَا يَهْدِهِ مِنْ ضُرٍّ وَإِنَّهُنَّ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا ...﴾ [الأنبیاء: ٨٣ - ٨٤] ، وفي دعاء یوسف : ﴿وَلَا تَضَرِّفْ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ كانت الاستجابة : ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَضَرَّفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ...﴾ [یوسف: ٣٣ - ٣٤] ، ففي الموضع الأول اشتقت الاستجابة من معنى طلب الرحمة وكشف الضُّرّ ، وفي الثاني من لفظ الطلب نفسه.

#### ١٠ الاستجابة بأفعال مختلفة :

وردت الاستجابة بعد فاء التعقيب بأفعال مختلفة غير ما ذكر من الأنواع الثلاثة المذكورة ، تحقق في الدنيا في ثانية مواضع ، ووردت بوعد مؤكّد التحقق في الآخرة في موضع واحد ، ووردت جامعة بين الدنيا والآخرة في موضعين.

- الاستجابة بفعل تحقق في الدنيا :

وذلك في الاستجابة لكل من نوع : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَصْنَعَ الْفُلَكَ ...﴾ [المؤمنون: ٢٧] ، وإبراهيم : ﴿فَبَشَّرَنَّهُ بِعُلَمِ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] ، ویونس : ﴿فَاجْتَبَهُ رَبُّهُ وَفَجَعَلَهُ مِنَ الْأَصْرَابِ حَبْرٍ﴾ [القلم: ٥٠] ، وموسى : ﴿فَبَلَّهُ إِحْدَاهُمَا تَمَشِّي عَلَى أَسْتِحْيَائِهِ ...﴾ [القصص: ٢٥] ، وذكرها : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَكِيَّةُ وَهُوَ قَالِمٌ يُصْلِي فِي الْمَحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى...﴾ [سورة آل عمران: ٣٩] ، والمقاتلون في المعارك : ﴿فَهَزَّمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ...﴾ [البقرة: ٢٥١] ، وأصحاب الكهف : ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى إِذَا نِهَمُ فِي الْكَهْفِ سِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١ ، ١٠].

بتدبر هذه الاستجابات جميعها تجلّي رحمة الله بأنبيائه وعباده المؤمنين ؛ حيث استجاب لهم بأفضل ما دعوا ، وآتاهم سؤلهم بمعجزات وكرامات إلهية أعقبت أحوالهم قبل الدعاء.

## - الاستجابة بوعد مؤكّد التحقق في الآخرة :

وردت الاستجابة للنصارى الذين اهتدوا للإيمان : ﴿يَقُولُونَ رَبِّنَا إِمَانًا فَأَكَيْتُبُنَا مَعَ الشَّهِيدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنْ أَلْهَىٰ وَنَطَّمْ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبِّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثْبَتَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا...﴾ [المائدة: ٨٣ - ٨٤].

## - الاستجابة الجامعة بين الدنيا والآخرة :

وذلك في الاستجابة لسليمان : ﴿فَسَخَّرَنَا لَهُ الْرِّيحُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ...﴾ ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَرْفَنَ وَحُسْنَ مَقَابِ﴾ [ص: ٣٦، ٤٠]؛ فدللت الاستجابة على رضى من الله عنمن أقبل عليه بقلب سليم ! وإذا صدق التوبة وأناب ؛ فله قربه وكرامة مع هبة الملك العظيم ، ففيه إشارة إلى أنّ ملكه لا يُنْقُص شيئاً من مقامه عند الله ؛ لأنّه اتقى الله فيه ، واستعمله في طاعته ، وأدّى حقّ الله فيه .

وجاءت الاستجابة للربّيّين المقاتلين في المعارك : ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨] مكافأة بثواب الدنيا ، وهو هزيمة الأعداء ، عُطف عليها ثواب الحسن في الآخرة ؛ لأن دعوتهم جمعت بين الدارين ، فكانت الاستجابة لهما معاً بأسلوب اللفّ والنشر غير المرتب<sup>(١)</sup> ، ففي الدعاء قدّم طلب المغفرة وهو الآخرة على الدنيا ، لكنّ الاستجابة قدّمت ثواب الدنيا ؛ لمناسبة مقام القتال الذي تتطلع فيه النفوس إلى النصر ، وخصصت ثواب الآخرة بالحسن إيذاناً بفضله ومزيته ، فهو المعتدّ به عند الله<sup>(٢)</sup> .

(١) اللفّ والنشر : ((هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعين ؛ ثقة بأن السامع يرده إليه)). الإيضاح : ١٨٥/٢ .

(٢) ينظر : علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني : ٨٩ .

## ٤. استجابة بالفصل:

ورد هذا النوع من الاستجابة بطريقين؛ إما بـ ﴿قَالَ﴾ موافقاً الدعاء بـ ﴿قَالَ﴾ بالفصل، أو بجملة اسمية لأمر تحقق في الدنيا، أو بوعد مؤكّد للتحقق في الآخرة، وفيما يأتي تفصيلهما:

### ٤٠ الاستجابة بـ ﴿قَالَ﴾ موافقاً الدعاء بـ ﴿قَالَ﴾ بالفصل:

وردت في اثني عشر موضعاً على طريقة المخاورات بـ ﴿قَالَ﴾: وهذه من عادات القرآن التي ذكرها ابن عاشور (١٣٩٣هـ)؛ فمن أساليبه أنه ((إذا حكى المخاورات والمخاوبات حكاهما بلفظ قال دون حروف عطف، إلا إذا انتقل من محاورة إلى أخرى))<sup>(١)</sup>؛ فجاءت الاستجابة لأدم وحواء بهذه الطريقة في: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظلَمْنَا أَنفُسَنَا...﴾ ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾ [الأعراف: ٢٤، ٢٣]، ولم يود أو صالح في: ﴿قَالَ رَبِّ أَضْرَبَنِي...﴾ ﴿قَالَ عَمَّا فَيْلِ لَيُصِبِّحُنَّ نَدِيمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤١، ٣٩].

وكانت الاستجابة لموسى، في ستة مواضع: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمِلُ إِلَّا نَفَسِي وَإِنِّي فَأَفْرُقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿قَالَ فِإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً...﴾ [المائدة: ٢٥ - ٢٦]. ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ أَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضْلِلُوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا أَطْمِسُ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ...﴾ ﴿قَالَ قَدْ أُحِبَّتْ دَعْوَتُكُمْ...﴾ [يوحنا: ٨٨ - ٩٠]. ﴿قَالَ رَبِّ أُشَحَّ لِي صَدِّرِي...﴾ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُولَكَ يَهُوَسَى...﴾ [طه: ٣٦، ٤٥]. ﴿فَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَقْرِطَ عَلَيْنَا...﴾ ﴿قَالَ لَا تَخَافَا...﴾ [طه: ٤٥ - ٤٦]. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ...﴾ ﴿قَالَ كَلَّا فَذَهَبَا بِعَايَتِنَا...﴾ [الشعراء: ١٦، ١٥]. ﴿قَالَ رَبِّ

(١) التحرير والتنوير : ١٢٥ / ١.

إِنِّي قَاتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَحَدُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٢٣﴾ ﴿قَالَ سَنَسْدُ عَصْدَكَ يَا أَخِيكَ ﴾

[القصص: ٣٣ - ٣٥]

وكان الاستجابة لركريا العلية السلام، في موضعين: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِيْ إِيمَانًا  
قَالَ إِيمَانًا أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ...﴾ [آل عمران: ٤١]. ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ  
لِيْ إِيمَانًا إِيمَانًا أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ ...﴾ [مريم: ١٠]. واستجواب  
لعيسي في قول الله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى أَنْ مَرِيمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً ...﴾  
﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ ...﴾ [المائدة: ١١٤ و ١١٥].

كذا وردت الاستجابة بـ(قيل) بالبناء للمفعول لنوح العلية السلام: ﴿قَالَ رَبِّ  
إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنَّ أَسْكَلَكَ مَا لَيْسَ لِيْ بِهِ عِلْمٌ ...﴾ (قيل يَدْعُوْهُ يَسْلِمُ ...)  
[هود: ٤٧ و ٤٨] للدلالة على ((أن تلك الأمور العظام لا تتأتى إلا من ذي قدرة لا  
يُكتنه، قهار لا يُغالب، فلا مجال لذهاب الوهم على أن يكون غيره جلت  
عظمته)).<sup>(١)</sup>

## ١٠ الاستجابة بالفصل بجملة اسمية لأمر تحقق في الدنيا، أو بوعد مؤكد التحقق في الآخرة:

وورد هاتان الطريقان من الاستجابة بجملة اسمية، إما مبدوءة باسم إشارة  
للشأن على الداعي، أو مبدوءة بـإيّا وهو الموصول للتعريف بفتئي الاستجابة  
العامة، وفيما يأتي تفصيل هاتين الطريقين:

١. استجابة بالفصل لأمر تحقق في الدنيا، وذلك في موضعين: لأيوب،  
قال تعالى: ﴿أَرْكَضْ بِرِجْلَكَ هَذَا مُعْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرِبٌ ...﴾ [ص: ٤٢]، ولزكرياء، قال تعالى: ﴿يَزَّكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِعُلَمَاءِ أَسْمُهُمْ ...﴾ [مريم: ٧].

(١) مفتاح العلوم : ٤١٩

٢. استجابة بالفصل بوعد مؤكّد التحقق في الآخرة بجملة اسمية خبرية للدلالة على الثبوت والدّوام<sup>(١)</sup>، وذلك في أربعة مواضع: جاءت الاستجابة في ثلاثة منها مصدرة باسم الإشارة ﴿أُولَئِكَ﴾ للثناء على الداعي والإخبار بجزائه، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [٢٦] [البقرة: ٤٠٢ - ٤٠٣]. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَدُرِسَّنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَلَقَوْنَ فِيهَا تَحْيَيَةً وَسَلَامًا﴾ [٧٥] [الفرقان: ٧٤ - ٧٥]. قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْرَعَنِي أَنَّ أَشْكُرْ يَعْمَلَكَ الَّتِي أَعْمَتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَلِدَيَ وَأَنَّ أَعْمَلَ صَلِحًا تَرَضِهِ وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبُّتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَنْجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَاحِ الْجَنَّةِ ...﴾ [الأحقاف: ١٥ - ١٦]. وفي تعريفهم بالإشارة تميّز لهم، وإحضار في ذهن السامع حسًّا<sup>(٢)</sup> لبيان أن ما ذكر من النصيب العظيم لهم يجلي علوّ الدرجة، وبُعد المنزلة في الفضل، مع التنبيه على أنهما من أجل تلك الأوصاف والأدعية الصادقة جديرون باكتساب ما ورد بعد الإشارة<sup>(٣)</sup>.

وأدت الاستجابة في الموضع الرابع بالفصل بجملة اسمية مبدوءة بـإِنَّ والوصول بوعد عام مؤكّد التتحقق في الآخرة. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَعْقَرْ لِي وَلَأَخْنَى وَأَدْخِنَتِي فِي رَحْمَتِكَ وَأَنَّتِ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [٥] إِنَّ الَّذِينَ أَخْذُوا الْعِجْلَ سَيِّنَاهُمْ غَصَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ جَزِيَ الْمُفْتَرِينَ﴾ [٥٥] وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَأَمْوَالُهُمْ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٥٦] [الأعراف: ١٥١ - ١٥٣]، وتعريفهم بالوصولية، لإحضارهم إلى الذهن بصفة

(١) ينظر : مفتاح العلوم : ٢٧٤ ، والإيضاح : ١٣٣ / ٢.

(٢) ينظر : مفتاح العلوم : ٢٧٨ - ٢٧٥ ، والطراز : ١٤٦ / ٣.

(٣) ينظر : الإيضاح : ٢٠ / ٢.

عرفوا بها<sup>(١)</sup>؛ ولأنه مؤذن بسببيّة ما نزل من عقاب لتخاذلهم العجل، مع ظهور آثار الغضب من الخذلان ومنع العناية، أمّا الغضب نفسه، فهو حاصل في الحال<sup>(٢)</sup>.

### ثانيًا: تناسب الاستجابة مع خاتمتها:

#### ١. التناسب في اللفظ (رد الكلام على صدره):

تناسب الاستجابة مع خاتمتها في اللفظ في أربعة مواضع: وردت في اثنين منها، بجملة خبرية اسمية لإفادة الثبوت، تتضمن ثناءً مؤكداً على الله ﷺ؛ أولهما: قوله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَلَلَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْوَرَاب﴾ [آل عمران: ١٩٥]، فرد الكلام على صدره بتناسب معجز فذكر الثواب بالنكرة، وكسر بالمعرفة. وكسر قيد العندية مع اسم الله الذي يدل على الإلهية المطلقة، لتعظيم شأن التفكير، وما نتج عنه من دعاء واستجابة عظيمة ناسبت جلال الموقف ومكانة الفئة الداعية. وثانيهما: قوله تعالى: ﴿فَغَفَرَ لَهُ وَإِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]، وجاءت الاستجابة فيه بجملة اسمية خبرية مؤكدة باسمية الجملة، وإنّ القصر بتعريف الطرفين، وبضمير الفصل؛ للدلالة على اختصاص الله وحده بالغفران والرحمة.

وفي الموضع الثالث جاءت الاستجابة بجملة خبرية اسمية تتضمن امتناناً مؤكداً من الله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمَّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنباء: ٨٨]، يدل على أن تلك الاستجابة الإلهية والعناية الربانية كانت بسبب ما وقع في قلبه من الإيمان. ويلفت النظر في رد الكلام على صدره في هذا الشاهد إشار الفعل ﴿نُنجِي﴾ دون تضييف، فهو إخبار عام يدل على السرعة، وليس لطمانة شخص معين<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٧٣ ، والطراز: ١٤٦/٣ - ١٤٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١١٩/٩.

(٣) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٢٢/١.

وردت الاستجابة في الموضع الرابع بجملة فعلية، تفيد الذم، قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣]، سمي ما أصابهم من الحجارة مطراً لنزلوله من الجو، وقيل هو مقدوفات براكن في بلادهم أثارتها زلازل الخسف<sup>(١)</sup>، وأظهر الاسم في موضع الإضمار؛ لقوية استقلال الجملة، والتسجيل عليهم بأنهم أندروا، فلم ينتدروا.

## ٢. التناسب في المعنى (تناسب الأطراف):

تناسبت خواتيم الاستجابات في المعنى مع بداياتها بأربعة طرق؛ هي: الثناء على الله، والثناء على العباد، والجمع بين الثناء على الله وعلى عباده مع التذكير بالعبرة، وذم المهلكين.

### ● الثناء على الله:

ختمت الاستجابة بالثناء على الله في أربعة مواضع؛ هي:

- قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَهُمْ نَصِيبُ مِمَّا كَسَبُوا وَلَلَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]. فختمت الاستجابة بجملة خيرية بدئت باسم الله الدال على الإلّيّة المطلقة لتدل على سعة العلم وشمول القدرة.

- قال تعالى: ﴿فَهَرَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاؤُدُ جَالُوتَ وَءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلَكَ وَالْكَمَةَ وَعَلَمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِعَصِّ لِفَسَادِ الْأَرْضِ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَلَمَيْنَ﴾ [البقرة: ٢٥١]؛ وجاء طرف الآية متناسباً مع مضمونها؛ إذ استؤنفت الاستجابة بتقييد بالشرط بث الثناء على الله بالفضل العظيم على أولئك المؤمنين في مقام الشكر<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩ / ١٨١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢ / ٥٠٣.

- قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُوَ رَبُّهُ فَصَرَقَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِلَيْهِ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤] ، فختمت الاستجابة بجملة خبرية مؤكدة صفتني السمع والعلم بالقصر وبضمير الفصل وبتعريف الطرفين.

- قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَنْجَوْزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الْمُصْدِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦] . ختمت الاستجابة بالذكر بأن الله قد صدقهم وعده ، وجاءت بجملة التذليل المبدوءة بالمفعول المطلق ﴿وَعَدَ﴾<sup>(١)</sup> ، وكرر بصيغة الفعل الماضي المبني لما لم يسمّ فاعله ﴿يُوعَدُونَ﴾ للتعميم والإبهار؛ فالرسل قد وعدوهم به عن الله أصدق القائلين.

#### ● الثناء على العباد:

ختمت الاستجابة في خمسة مواضع بصفات ثناء على العباد ، تناسبت مع مضمون دعواتهم الواردة ، وفيما يأتي تفصيل تلك الصفات ومواضعها :

- صفة الإحسان : وردت في ثلاثة مواضع : ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨] . ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٥] ، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجِزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفات: ٨٠] ، ذيلت الاستجابة فيها بالإشارة بالبعد دلالة على علوّ في المنزلة استحقّه الداعون لاتصافهم بالإحسان ، وفي هذا الأسلوب حضّ على التأسيّ بهم ؛ لذا عبر بالاسم الظاهر ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ بدلاً من أن يقال : ذلك جراؤهم ؛ لتنقية استقلال الجملة ، والثناء عليهم بصفة أثمرت لهم استجابة الدعاء بأن يكونوا مع الشاهدين الصالحين ، فقد أحسنوا الندم

(١) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ١٠٩ .

والاستعطاف ، وما جزاء الإحسان إلّا الإحسان ، وهو ما استجاب لهم به من المحسن بِحَلَّةٍ .

- صفة الإيمان: وردت في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ تُبَرِّجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]. ودللت الإشارة مع التشبيه ﴿وَكَذَلِكَ﴾ على أنه مثل ذلك الإنجاء الذي نجى الله به يومن العذاب ، ينجي به المؤمنين من الكروب والغموم ، إذا صدقوا التوبة ، وتضرعوا بالخلاص . وفي هذا تعريض للمشركين بأنّ الله منجي المؤمنين من الغمّ الذي يلاقونه من سوء معاملتهم <sup>(١)</sup> .

- صفات المسارعة في الخيرات والخشوع والدعاء برغبة ورهبة: وهي صفات متابعة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَرِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا حَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. جاءت بعد ذكر قصص الأنبياء ، التي حفلت بها سورة الأنبياء بدءاً بقصة نوح بَنْوَةَ الْكُلُوبِ التي جاءت في مقام الاستنصار بالله ، حين دعا ربّه أن ينجيه من الكرب العظيم الذي سببه له قومه بالتكذيب ، وتواترت هذه القصص ، وتشابهت في طريق عرضها ؛ إذ كلّ من هؤلاء الأنبياء نادى ربّه بما لا يقدر عليه إلّا هو بِحَلَّةٍ ؛ فتوالت المعجزات بالدعاء الصادق ، ثم أثني عليهم عموماً؛ لتربيّة النفوس على التعلق بالله وحده في الشدائدين ، وعُللّت الاستجابة لتلك الدعوات بمعجزات أكرمهم الله بها ، بأنها كانت برصيد سبق لأولئك الأنبياء في الإخلاص ؛ وتضمنّ هذا التعليل من أحوالهم ما يلتبّذ بذكره ، ويقتدى به مما ينبغي أن يضنه الداعي نُصْبِ عَيْنِيهِ أَسْوَةُ بَهْمٍ ، وقربة إلى الله ، ورغبة في استجابة الدعاء .

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٧ / ١٣٣ .

وأولى تلك الشروط المساعدة في الخيرات بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، والمساعدة في طاعة الله من أكبر ما يمدح به المرء؛ لأنها تدل على حرص عظيم على الطاعة، كما حُكى عن كليم الله العظيم في قوله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّي لِتَرَضَّنِ﴾ [سورة طه]، وهذه المساعدة اتصف بها أنبياء الله، فكانوا مع استقرارهم وثباتهم في أصل الخير، يتوجّهون دوماً إلى الخيرات على مبادرين مسابقين.

ووصلت المساعدة في الخيرات بثناء آخر هو قوله: ﴿وَيَدْعُونَا رَعَبًا وَرَهَبًا﴾ الذي بين استحضارهم جلال الله وعظمته، والإيمان بكماله وصفاته راغبين في رحمته، راهبين خائفين من عقابه على عظيم أفعالهم. ومن الصفات التي تجلّت كذلك في أنبياء الله أنهم محبتون لله وحده، خاضعون بخوف عظيم يبعث على الانكسار والخشوع لجلاله وعظمته، كما قال عنهم ﷺ: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَائِفِينَ﴾، وكرر الفعل كان لتأكيد تحقق هذه الصفات فيهم حيلة وطبعاً<sup>(١)</sup>، وفي تقديم الجار وال مجرور دلالة على التخصيص، فهم يختصون الله وحده بالخوف والخشوع، وهذا لكمال معرفتهم بربهم.

- صفات الصبر والعبودية والتوبة: وردت هذه الصفات في قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا يَقْمَعُ الْعَبْدَ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]. ففيها تشريف لأبيه العظيم، بتذليله وأدائها حق العبودية، وثناء عليه بفعل المدح مسندًا إلى صفة العبودية، معللاً بصيغة المبالغة ﴿أَوَّابٌ﴾ التي أثني الله عليه بها. كما

(١) ينظر: نظم الدرر: ٤٧٠ / ١٢.

وردت هذه الجملة نفسها في مدح سليمان ﷺ في السورة نفسها وكانت مقدمة لقصته ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَهَبَّا لِدَوْدَ سُلَيْمَنَ يَعْمَلُ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّلَ أَبٍ ﴾ [ص: ٣٠].

### ● الجمع بين الثناء على الله وعلى عباده مع التذكير بالعبرة :

تناسبت الاستجابة مع خاتمتها بالجمع بين الثناء على الله وعلى عباده مع التذكير بالعبرة في موضعين في قصة أیوب ، هما : قوله تعالى : ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عَنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٤] ، و قوله : ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُولَئِكَ الْأَلَبِ ﴾ [ص: ٤٣] ، بذكر أن الاستجابة تحققت لأمرتين اثنين ؛ هما : صفة الرحمة التي وردت منكرة لتعظيم شأنها بأن أيسر شيء منها يكفي العبد ، وقيّدت بحرف الابتداء معلقاً بصفة العندية أو ضمير العظمة للدلالة على اختصاص الله بها لعباده الصالحين مع تذكير العابدين وأولي الألباب للتأسي بأیوب عليه السلام ، فما كان الشفاء إلا لأجل أن الله رحمه ، وحقق ما امتلأت به نفسه من اتصف الله بتناهي الكمال من صفة الرحمة.

### ● ذم المُهَلَّكِينَ :

ختمت الاستجابة في ثلاثة مواضع بصفات ذمٍ للمُهَلَّكِينَ الظلمة تناسبت مع مضمون استفتاح الأنبياء عليهم ، واستنصرتهم بالله لتجيئهم من أعمالهم ، وفيما يأتي تفصيل تلك الصفات وشواهدها :

- **قَوْمُ السَّوْءِ** : قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ وَمِنَ الْكَرِبِ الْعَظِيمِ ﴾ [٦٧] وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِيَدَايَتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوْءً فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٧٧] [الأنبياء: ٧٦ - ٧٧].

والسوء بفتح السين مصدر يدل على القبيح المكره الذي يؤذى النفس والطائع السليمة ، والمراد به الكفر وال الكبر والعناد والاستهزاء بنبيهم ؛ أما

السوء بالضم ؛ فاسم مصدر، وهو أعمّ من المفتوح ؛ إذ الوصف بالاسم أضعف من الوصف بالمصدر ؛ وفي إضافة قوم إلى سوء بالتنكير دلالة إلى أنهم اختصوا به ، وعرفوا حتى صار وصفا ثابتا لهم جاماً صنوف الرذائل<sup>(١)</sup> .

- القوم الظالمون : **قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ** ﴿٢﴾ **قَالَ عَمَّا قِيلَ لِيْصِبْحُنَّ تَدِيمِينَ** ﴿٣﴾ **فَأَخَذَنَّهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُثَّاءَ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴿٤﴾ [المؤمنون: ٣٩ - ٤١]. وال القوم الظالمون هو الذين ظلموا أنفسهم بالشرك ، **قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الشَّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴿٥﴾ [لقمان: ١٣] ، واختير لهم هذا الوصف ؛ إذ جمعوا بين ظلم أنفسهم ، وظلم نبيّهم هود ، واتهامه بالكذب<sup>(٢)</sup> . والتعريف في **«الظالِمِينَ»** للاستغراق ؛ فبسبب تلبُّسهم بهذا الوصف شملهم الهلاك **«فَبَعْدًا»** ، وهذا المصدر ومثله سحقاً ونحوهما ، موضوعة مواضع أفعالها التي لا تأتي مظيرة معها<sup>(٣)</sup> .

- القوم الفاسقون : **قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمِلُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَأَفْرُقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ** ﴿٦﴾ **قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَبَاهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسِ عَلَى الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ** ﴿٧﴾ [المائدة: ٢٥ - ٢٦] . وأصل الفسق من خروج الرطبة من قشرها<sup>(٤)</sup> ، وهو خروج مذموم يعدّ من الأدواء ، والفسق في الشريعة خروج عن طاعة الله وعناد لرسله ، ويدلّ الوصف المشتق على وصف ملازم لا يبغون عنه حولاً ، فاقتضت حكمة الله إضلالهم لعدم

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١١٢/١٧ ، ١١٤.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٥٩/١٨.

(٣) ينظر : الكشاف : ١٨٨/٣.

(٤) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، ولسان العرب : فسق.

صلاحيتهم للهداية، كما اقضت حكمته هداية من اتصف بالإيمان وامثل للطاعات واجتنب المنهيات، والفسق نوعان: نوع مخرج من الدين، وهو المقتضي للخروج من الإيمان، كالذكور في هذه الآية ونحوها، ونوع غير مخرج من الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاهَةً كُوْفَّا سِقْيَ بَنَىٰ فَتَبَيَّنُوا أَنَّ نُصُبِيُّوا قَوْمًا بِجَهَنَّمِ فَصُبِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَذِمِيَتِ﴾ [الحجرات: ٦]<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١/٣٦٦ ، وتيسير الكريم الرحمن : ٤٧.

## الخاتمة

في ختام هذه الدراسة التي كان من أعظم ثمارها تدبر المواقف الروحانية في موضوع التناسب المعجز في كتاب الله في مواقف يكون العبد فيها في أوج تذللّه لولاه جل جلاله، أَحَمَّدَ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَأَصْلَى وَأَسْلَمَ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدًا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَأَجْمَلَ أَبْرَزَ النَّتَائِجِ الَّتِي خَرَجَتْ بِهَا:

١. حصر الآيات التي ورد فيها الدعاء متبعاً بالاستجابة في أربعين موضعًا.
٢. تصنيف مقامات الدعاء المتبع بالاستجابة في ثلاثة مقامات: مقام الاستعطاف، ومقام الصبر وانتظار الفرج، ومقام الاستنصرار بالله.
٣. رصد تسعه مواضع لدعوات مقام الاستعطاف تضمنت اعترافاً بالزلل وطلبًا للمغفرة والرحمة، وردت عن الأنبياء في سبعة مواضع، وعن غيرهم من المؤمنين في مواضعين.
٤. رصد ثلاثة عشر موضعًا لدعوات مقام الصبر وانتظار الفرج، اختص ثمانية منها بالأنبياء بعد الابلاء، وجاءت خمسة منها دعوات للنفس والوالدين والأهل، يعلمها الله لعباده.
٥. رصد ثلاثة عشر موضعًا لدعوات مقام الصبر وانتظار الفرج، صدر ثمانية مواضع منها عن الأنبياء والرسل في الابلاء نحو الحرمان من الذرية، وفتنة كيد النساء، والمرض وفقد الأهل والمال، وخمسة لغير الأنبياء، جاءت في دعاء امرأة عمران، وأصحاب الكهف، ودعوات علمها الله عباده لخيري الدنيا والآخرة للنفس والوالدين والأهل.
٦. رصد ثمانية عشر موضعًا لدعوات مقام الاستنصرار بالله صدر خمسة عشر موضعًا منها عن الأنبياء والرسل في طلب التأييد بآية للتصديق، أو التهيئة

للدعوة، أو بثّ مخاوفهم على الرسالة، أو شكواهم من التكذيب أو طلب النصرة، وثلاثة في استغاثة المؤمنين في المعارك باستمداد الصبر وطلب التثبيت والنصرة.

٧. تصنيف مطالب الدعاء ما بين مطالب في الدنيا وردت في سبعة وعشرين موضعًا، إلى مطالب في الآخرة وردت في ستة مواضع، إلى مطالب جامدة وردت في ستة مواضع.

٨. رصد ثلاثة موضعًا غالب فيها استهلال الدعاء بالنداء في شواهد المقامات الثلاثة المذكورة.

٩. توصيف طرق عرض الدعاء ما بين الطلب المباشر بصيغتي الأمر في ستة وأربعين موضعًا، والنهي وورد في موضعين، إلى الطلب غير المباشر الذي ورد في ثانية مواضع، إلى الإخبار عن الدعاء في أربعة مواضع.

١٠. رصد عشرة مواضع قدم فيها للدعاء بما يتناسب مع المقام الذي ورد فيه.

١١. رصد الألفاظ التي تكررت في الطلب، وهي طلب المغفرة، وطلب الرحمة، وطلب العطاء بـ (هـ) وـ (آتـ)، وـ (اجـلـ)، وطلب النصرة، والنجاة وتثبيت الأقدام.

١٢. استنباط بلاغة التقييد بالجر أو بالظرفية أو بهما معاً ورصد الشواهد التي ورد في كل نوع منها.

١٣. رصد أربعة مواضع تناسب فيها الدعاء مع خاتمه في اللفظ، وثلاثة تناسب فيها مع المعنى.

١٤. تصنيف طرق استهلال الاستجابة إلى استجابة مقترنة بفاء التعقيب، أو مفصولة.

١٥. رصد أربعة مواضع تناسب فيها الاستجابة مع خاتمتها في اللفظ.
١٦. رصد أربعة عشر موضعًا تناسب فيها الاستجابة مع خاتمتها في المعنى.
١٧. تصنيف مواضع تناسب الاستجابة مع خاتمتها في المعنى : إلى الثناء على الله ، والثناء على العباد ، والجمع بين الثناء على الله وعلى عباده مع التذكير بالعبرة ، وذم المهلكين .
- والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلوة والسلام على نبيه الكريم .

\* \* \*

## ثبات المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ هـ.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣. أساس البلاغة، جار الله الرمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود: دار المعرفة، بيروت.
٤. إعجاز التصريف في البيان القرآني، زينب كردي: بحث حكم منشور في مجلة جمعية بيان للقرآن وعلومه، العدد السابع عشر، ١٤٣٥ هـ.
٥. إعراب القرآن، أبو جعفر التحاس، علق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
٦. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، دار الإرشاد، حمص، الطبعة الرابعة، ١٤١٥ هـ.
٧. أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم الحنبلي، تحقيق شاكر هادي شكر: مطبعة النعمان، النجف، الطبعة الأولى، ١٣٨٨ هـ.
٨. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي: دار الجليل، بيروت، الطبعة الثالثة.
٩. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق صدقى جميل: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
١٠. بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية: دار الكتاب العربي، بيروت.
١١. البرهان في توجيهه متشابه القرآن "أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيهه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان"، أبو القاسم الكرمانى، تحقيق عبد القادر عطا، مراجعة أحمد عبد التواب عوض: دار الفضيلة.

١٢. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ.
١٣. بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، د. عبد الله النقراط: دار قتبة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.
١٤. بلاغة القرآن في مقامات الاعتراف بالزلل، رغدة كردي: رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، ١٤٣٧/١٤٣٦ هـ.
١٥. التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ.
١٦. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق محمد شمس الدين: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.
١٧. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
١٨. تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الله الدرويش: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ.
١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الننان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللوبيق: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٢٠. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة: دار الفكر العربي.
٢١. شأن الدعاء، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق أحمد الدقادق: دار الثقافة العربية، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ.
٢٢. شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد القحطاني: مطبعة سفير، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

٢٣. شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك الطائي، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد المختون: هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
٢٤. شروح التلخيص (المختصر للتفتازاني، ومواهم الفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروض الأفراح للسيكي، وبالهامش الإيضاح للقزويني، وحاشية الدسوقي): دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٥. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.
٢٦. علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، د. محمد قاسم، ود. محيي الدين ديب: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
٢٧. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
٢٨. القاموس الحيط، مجد الدين الفيروزبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقاوي: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٩ هـ.
٢٩. قصص الأنبياء، الحافظ ابن كثير، تحقيق د. عبد الحي الفرماوي: دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤١٨ هـ.
٣٠. قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، أبو طاهر محمد البغدادي، تحقيق د. محسن عجیل: مؤسسة الرسالة.
٣١. القول البديع في علم البديع، ابن مرعي الحنبلي، تحقيق د. محمد الصامل: كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.
٣٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله محمود الزمخشري: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ، الكتاب مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندرى، وتحريج أحاديث الكشاف للزيلعى.

٣٣. الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية، أبوبقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٤. لسان العرب، ابن منظور: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.
٣٥. المحتوى من مشكل إعراب القرآن، د.أحمد بن محمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤٢٦ هـ.
٣٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٣٧. معجم مقاييس اللغة، أبوالحسين أحمد بن فارس، عني به د.محمد مرعوب، وفاطمة أصلان: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٣٨. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وزملاؤه، دار الدعوة.
٣٩. مفتاح العلوم، يوسف السكاكبي، ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ.
٤٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٤١. النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد النجدي: مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٣ هـ.

\*       \*       \*

- 'Ibn Manzhūr, (1997). *Lisāb Al-'Arab* (1st ed.). Beirut: Dār Sādir.
- Al-KharāT, A.M. (1426AH). *Al-Mujtaba min Mushkil 'Trāb Al-Qurān*. Medina Al-Nabawiyah: Mujama` Al-Malik Fahad LiTibā`t Al-MiSHaf Al-Sharīf.
- Al-'Andalusī, 'I.A. (1422AH). *Al-MuHarir Al-Wajīz fī Tafsīr Al-Kitāb Al-'Azīz* (1st ed.) (A. Abd Al-Shāfi, Ed.). Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmīah.
- Bin Fāris, A. A. (1422AH). *Mu`jam Maqāyis Al-lughah* (1st ed.) (D.M. Mur'ib & F. ASalān, Ed.). Beirut: Dār 'IHyā' Al-Turāth Al-'Arabī.
- Mujama` Al-lughah Al-'Arabiyyah in Cairo, MuSTafa, 'I & et al. (n.d.). *Al-Mu`jam Al-WaSīT*. Dār Al-Da`wa.
- Al-Sakākī, Y. (1407AH). *MiftāH Al-'Ulum* (2nd ed.) (N. Zarzūr, Ed.). Beirut: Dār Al-Kutub Al-'Ilmīah.
- Al-Bqā`ī, 'I.'U. (n.d.). *Nuzhm Al-Durar fī Tanāsub Al-'Ayāt wa Al-Suwar*. Cairo: Dār Al-Kitāb Al-'Islāmī.
- Al-Najdī, M. (1423AH). *Al-Nahj Al-'Asma fī SharH 'Asmā' Allah Al-Husna* (5th ed.). Kuwait: Maktabat Al-'Imam Al-DHahabī.

\* \* \*

M. Al-Makhtón Dr, Eds.). Hajar Press.

24-Shoróh Al-Talkhís 'Al-Mukhtasar Lelteftazani , Mawaheb Al-Fattah Ibn Yaqób Al-Maghribí , Orós Al-Afrah Lelsabki , Belhamesh Al-Eddah Lelqazweeni ' . (n.d.). Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah Press.

25-Al-Alawi, Y. H. (1423). Al-Teraz letatwír al-Balagha wa Olóm Haqqa'eq al-E'ejaz (1st ed.). Beirut: Al-Maktaba Al-Asriyya Press.

26-Qássem, M., Dr, & Najíb, M., Dr. (2003). Olóm Al-Balághah ' Al-Badí'a' Wa Al-Bayán Wa Al-Ma'aní ' (1st ed.). Tarablos: The Modern Institution For Book.

27- Al-Askari, A. (n.d.). Al-Foróq Al-Lughawiyyah (M. I. Salím, Ed.). Cairo: House of Science and Culture for publication and distribution.

28- Al-Fairozabádi, M. (1419). Al-Qamós Al-Muheet (6th ed.). Beirut: Al-Resalah Establishment Press.

Achieving the Heritage Office of the Mission Foundation under the supervision of Muhammad Naeím Al-Erqaṣòsi

29- Ibn-Kathír, A. (1418). Qessás Al-Anbiya'a (5th ed.) (A. Al-Farmawi Dr, Ed.). Cairo: : Islamic Printing and Publishing House.

30- Al-Baghdadi, M. (n.d.). Qanòn Al-Balaghah Fi Naqd Al-She'er Wa Al-Nather (M. Ojail, Ed.). Al-Resalah Foundation.

Al-Hanbalí, 'I.M. (1425 AH). Al-Qawul Al-Badí' fi 'Ilm Al-Badí' (1st ed.) (M. Al-Sámyil, Ed.). Riyadh: Kunúz 'Ashbiylá Lilnashir wa Al-Tawzí'.

Al-Zamakhsharí, J.M. (1407AH). Al-Kasháf 'an Haqá'iq GhwámiDH Al-Tanzíl (3rd ed.) .Beirut: Dā Al-Kitāb Al-'Arabī. (Al-Kitāb Mudhyal bi Hāshiyat Al-'Intisáf li 'Ibn Munír Al-'Iskandarí wa takhríj aHādīth Al-Kasháf li Al-Zay' Alí)

Al-Kafawí, A. B. (n.d.). Al-Kuliyát Ma'jam fi Al-MuSTalaHát wa Al-Furúq Al-Laghawiyyah (A. Driwísh & M. Al-MaSrí, Ed.). Beirut: Mwuasat Al-risālah.

- 12- Al-Zarkashī, B. (1376). *Al-Burhān Fi Olòm Al-Qurā'an* (1st ed.) (M. A. Ibrāhīm, Ed.). Dar Ehyā'a Al-Kutob Al-Arabiyyā Press , Eissā Al- Bābī Al-Halabī And his associates.
- 13- Al-Nuqrat, A., Dr. (1423). *Balāghāt Tasrīf Al-Qawl Fī Al-Qurā'an Al-Karīm* (1st ed.). Damascus: Dar Qutaibah Press
- 14- Kurdī, R. (1436-1437). *Balāghāt Al-Qurā'an Fī Maqāmāt Al-E'eterāf Be Al-Zalal*. Master Thesis , Imam Mohammad Ben Saud Islamic University , Department of rhetoric and criticism and the methodology of Islamic literature
- 15- Al-Tūnisī, M. I. (1984). *Al-Tahrīr Wa Al-Tanwīr ' Tahrīr Al-Ma'ana Al-Sadīd Wa Tanwīr Al-Aqel Al-Jadīd Men Ketab Al-Majīd*. Tunisia: Al-Dar Al-Tunisiyyah Press
- 16- Al-Qurashī, I. I. (1419). *Tafsīr Al-Qurā'an Al-Adhīm* (1st ed.) (M. Shams Al-Dīn, Ed.). Beirut: Mohammad Ali Baydhōn Publications, Dar Al-Kotob Al-Elmiyah
- 17- Al-Razī, F. (1420). *Al-Tafsīr Al-Kabīr or Mafatīh Al-Ghayb* (3rd ed.). Beirut: Dar Ehyā'a Al-Turāth Al-Arabi.
- 18- Al-Soyūtī, J. (1408). *Tanāsuq Al-Dorrar Fi Tanāsub Al-Sowar* (2nd ed.) (A. Darwīsh, Ed.). Beirut: Alam Al-Kutob Press.
- 19- Al-Še'īdi, A. (1420). *Taysīr Al-Karīm Al-Rahmān Fi Tafsīr Kalām Al-Mannān* (1st ed.) (A. M. Al-Mulayheq, Ed.). Al-Resālah Establishment Press.
- 20- Mustafa, M. A. (n.d.). *Zahrat Al-Tafasīr*. Dar Al-Feker Al-Arabi
- 21- Al-Khatābī, H. M. (1412). *Sha'an Al-Du'a* (3rd ed.) (A. Al-Daggāg, Ed.). Dar Al-Thaqafah Al-Arabiyyah Press.
- 22- Al-Qahtāni, S., Dr. (n.d.). *Sharh Asmā'a Allah Al-Husnā Fi Dhaw'a Al-Ketāb wa Al-Sunnah*. Riyadh: Al-Safīr Press , Al Jeraisy Distribution and Advertising
- 23- Al-Tāee, I. (1410). *Sharh Tafsīr Al-Fawā'ed* (1st ed.) (A. Al-Sayyed Dr &

## **List of References:**

### **Works cited**

- Al-Soyóṭī, J. (1394). *Al-Itqān Fi Olōm Al-Qurā'an* (M. A. Ibrāhīm, Ed.). General Egyptian Book Organization
- Al-Emadī, A. (n.d.). *Irshād Al-Aqel Al-Salīm Elā Mazāyā Al-Kitāb Al-Karīm*. Beirut: Dar Ehyā'a Al-Turāth Al-Arābī.
- Al-Zamakhsharī, J. (n.d.). *Asās Al-Balāghah* (A. Mahmūd, Ed.). Beirut: Dar Al-Ma'arefah.
- Kurdi, Z. (1435). *E'ejāz Al-Tasrīf Fī Al-Bayān Al-Qurā'ani* (17th ed.). An Arbitrated Academic Research Published in the Journal of the Tebyan Association for teaching the Quran and its Sciences
- Al-Nahhās, A. (1421). *E'erāb Al-Qurā'an* (1st ed.) (A. K. Ibrāhīm, Ed.). Beirut: Mohammad Ali Baydhōn Publications, Dar Al-Kotob Al-Elmiyāh.
- Darwīsh, M. (1415). *E'erāb Al-Qurān Wa Bayānōh* (4th ed.). Hems: Dar Al-Ershād.
- Al-Hanbalī, I. (1388). *Anwār Al-Rabī'e Fī Anwā'a Al-Badī'a* (1st ed.) (S. H. Shokor, Ed.). Al-Najaf: Al-Nomā'an Publication.
- Al-Qazwīnī, J. (n.d.). *Al-Eīdhāh Fī Olōm Al-Balāghah* (3rd ed.) (M. A. Khafṣūjī, Ed.). Beirut: Dar Al-Jīl Press.
- Al-Andalūsī, A. (1420). *Al-Bahr Al-Muhīt Fī Al-Tafsīr* (S. Jamīl, Ed.). Beirut: Dar Al-Feker Press.
- 10-Al-Jawziyyah, I. (n.d.). *Badī'e Al-Fawā'ed*. Beirut: Dar Al-Ketāb Al-Arābī Press.
- 11-Al-Karmānī, A. (n.d.). *Al-Burhān Fī Tawjīh Mutashābeh Al-Qurān 'Asrār Al-Tekrār Fī Al-Qurān Al-Musammā Al-Burhān Fī Tawjīh Mutashābeh Al-Qurān Lema Fīh Men Al-Hujja Wa Al-Bayān* (A. Ata & A. A. Awadh, Eds.). Dar Al-Fadhūlāh Press

**Dr.Zainab Abdullatif Kurdi**

Department of Rhetoric, Criticism and Islamic Approach to Literature

College of Arabic Language

Al-Imam Muhammad Ibn Saud University

**Abstract:**

The current research paper tackles ‘ijaz (miraculous) proportionality in supplication (invocation) and response, showing the coherence of its parts and demonstrating the structural proportionality in the Quranic nazm (co-occurrence of words). The study opens with an introduction, which explains the descriptors in the title, and moves to discuss three main topics, and then ends with a conclusion that reports the main findings.

The first topic, entitled ranks of supplication, consists of two sections, the first included the categories of supplication in which examples are classified in three supplication categories: begging, patience and waiting for response, and evoking Allah's support. The second section refers to content of supplication requests in which the requests target matters of everyday life, matters of life hereafter, or general well-being.

The second topic deduces the stylistic features of supplication seen in commencing supplication by invocation, innovation of new presentations, preparation for the supplication, repetition of certain utterances in the request, adherence to prepositional and adverbial forms, and the proportionality between the supplication and the conclusion in words and meaning.

The third topic deduces the stylistic features of the response as realized in the manner of the commencement of the response, and the proportionality between the response and the conclusion in words and meaning.

Finally, I ask Allah to grant us support and righteousness, and to bestow upon us the ability to contemplate the perfect meanings of the Holy Quran, for all the blessing are His.

Keywords: supplication, response, proportionality of words and meaning, Quranic nazm.



# **مشكلة الفصاحة في اللغة العربية بين ثوابت النظام اللغوي ومتغيراته**

د. كمال قادری

كلية الآداب واللغات - جامعة محمد الأمين وباغين

سطيف ٢ - الجزائر





## مشكلة الفصاحة في اللغة العربية بين ثوابت النظام اللغوي ومتغيراته

د. كمال قادری

كلية الآداب واللغات - جامعة محمد الأمين دباغین

سطيف ٢ - الجزائر

تاریخ قبول البحث: ١٤٣٩/٨/١٦

تاریخ تقديم البحث: ١٤٣٩/٥/١٨

### ملخص الدراسة:

إن العلاقة الجوهرية بين البعد الاجتماعي للغة غوذجيا ، والبعد الفردي للكلام أدائيا تعكس من الناحية الموضوعية مظهرین متداخلین لسانیا. هما الثبات والتغير. فالثبات يعكس المرجعية الاجتماعية لقرارات النظام اللغوي ، بينما يعكس التغير المرجعية الفردية لمقتضيات الكلام. وفي هذین المستويین تکن معالجة مشكلة الفصاحة ، بين کونها حالة لسانیة مستقرة نسیباً ، وبين کونها حالة متغیرة أو قابلة للتغیر نسیباً أيضاً. كما يتم في ضوء هذه الجدلیة تحديد طبیعتها مفهوماً وإجراءً. وسيكون الدرس اللغوي العربي هنا السياق المعرفي الأنسب لهذه المعالجة موضوعياً ومنهجياً.

الكلمات المفاتیح: الفصاحة - البلاغة - اللسان - اللغة - الكلام.



## المقدمة:

وتكمّن المشكلة في عدم جواز زحاف كلا السببين الخفيفين المتجاورين معاً خلافاً للأصل كالجمع بين:

إن الواقع المتغير في حياة الأفراد والمجتمعات يجعل من اللغة، باعتبارها وسيلة اتصال، تعكس حقيقة هذا التغيير عبر النشاط التواصلي الذي يجسد بدوره حصيلة التعاقد القائم بين الأصوات والأفكار، أو الألفاظ والمعاني وفقاً لمبدأ التواضع العرفي الملحق الذي يسلكه المجتمع تسهيلاً لعملية اكتساب اللغة لدى الأفراد، ومارستها في الوقت نفسه.

وموضوع الفصاحة (Eloquence) يأخذ أهميته في الدرس اللسانوي العربي قد يه وحديثه انطلاقاً من مظاهري الثبات والتغيير اللذين تتسم بهما اللغة. حيث تتأسس على هذين المصطلحين مراهنة دلالية تتعلق بمشكلة الفصاحة ذاتها مفهوماً وإجراءً، موضوعاً ومنهجاً. وذلك بما تطرحه من أسئلة جوهرية يصعب الاطمئنان إلى أي إجابة عنها، إلى الحد الذي تكاد تتحول فيه هذه المشكلة إلى إشكالية لولا وجود مرجعيات ومصادر لغوية مستقرة كلياً كالقرآن الكريم أو نسبياً كباقي مدونة كلام العرب. ولعل المسألة تكون أهون في العربية مما هي عليه في غيرها من اللغات. ذلك بأن مجمل التغيرات التي تحصل في أي لغة من اللغات هي نتاج ما يطرأ على حياة الأفراد والمجتمعات من مستجدات، وما يصبح ذلك من استجابة لها لسانياً. وهو ما يفسر في المحصلة ظاهرة نشوء اللغات وتكاثرها، بميالد بعضها من بعض أو انشقاقيها، وضمور بعضها أو انفراطها وزوالها. ومع كل ذلك فإنه لم يصل بالعربية رغم تطاول الزمن وامتداد القرون إلى ما وصل إليه باللغات الأخرى من انشقاق أو اندثار وزوال.

## تهييد:

### اللغة بين الثبات والتغيير:

إن الثبات والتغيير مظهران لسانيان يصدران في الأساس عن تصوّر لساني يستند إلى حكم قيمي مسبق تجاه نظام اللغة، الذي يُعد بدوره نتيجة رصد طبيعة استخدامها في حيز زماني ومكاني يفترض فيه - من الناحية المنطقية - أن يجسّد حالة استقرار وثبات *Etat statique* للظاهرة اللغوية، لتصبح قابلة للوصف، كما ذكر دو سوسيير *De saussure*. غير أن حالة الاستقرار هذه - في تقدير مارتينيه - لا وجود لها في الواقع، بحكم التغيير النسبي المستمر الذي يطرأ على اللغة من قبل مستخدميها في التعبير عن حاجاتهم؛ بما يجعل هذا النظام منفتحاً كما يقول أوتووان كوليولي *A Culoli*<sup>(١)</sup>، ويتسم بالليونة إلى حد يصعب معه ضبط مستويات التوافق بين مقرراته من جهة، وبين مقتضيات استعماله تداولياً من جهة ثانية.

فـ"اللغة" - كما يقول د. تمام حسان - نظام. ولكل نظام ثوابته ومتغيراته. والثوابت أطر دائمة لا غنى للنظام عنها؛ لأنّه لا يقوم بدونها. والمتغيرات لا تتصف بالدّوام، وإنما تخضع لظروف تدعى إلى تحولها في حدود أطر الثوابت وبشروطها... وثوابت النحو العربي أمور ثلاثة: ١ - أمن اللبس في المعنى، ٢ - طلب الخفة في المبني، ٣ - الاطراد".<sup>(٢)</sup> ومن هنا تكون الموازنة بين

(١) - مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة (ك. فوك وب. لوغوفيك) المنصف عاشر ١٤٤.

(٢) - الخلاصة النحوية (د. تمام حسان) ص ١٥ وأصول النحو العربي (د. محمد عيد) ص ٦٧.

الثابت والمتغير موضوعياً ومنهجياً نسبية تماماً، في الحكم على مدى توافق الاستخدام مع النظام، من منظور معيار الصواب والخطأ. وينتج عن ذلك حكم معياري لا يستند إلى أساس ثابتة، في النظام الذي يشكل مجموع القوانين والضوابط اللغوية الثابتة منها، والمتغيرة أو القابلة للتغيير بشكل مستمر؛ مما يدعوه إلى دراسته آنياً *Etude synchronique* ثم *تَعَاقِيَّة* *Etude diachronique* أي تاريخياً استناداً إلى تراكم الآيات، لعرفة مظاهر الاستقرار ومظاهر التغير فيه. وهذا ما يعرف بتبني سمات التطور اللغوي الذي يشكل أساساً للدرس العلمي.

وفي ضوء هذا التصور اللساني يمكن استعراض مسألة العربية الفصحى من زاويتي نظر علمائها القدامى ودارسيها الحديثين. إذ تواجهنا مجموعة من الأسئلة تتعلق في جوهرها بطبيعة المشكلة موضوعياً ومنهجياً. وهي :

- هل الفصاحة حالة لغوية أم حالة كلامية؟ أي: هل هي صفة للغة أو للكلام؟

- هل هي حالة لسانية مميزة في العربية من بين كل حالات استعمالها، بما فيها العاميات؟

- هل هي مرحلة تاريخية في حياة العربية؟

- هل هي حالة مغلقة لنظام لغوي مستقر، أو هي حالة مفتوحة لنظام لغوي متغير؟

- لماذا حصرها علماء العربية في فئة معينة من العرب، وضمن حقبة تاريخية معينة، سميت بعصر الاحتجاج؟

- هل يمكن وصف الناطق بالعربية خارج عصر الاحتجاج بالفصاحة؟

أسئلة ينبغي معالجتها في إطار واقع الدرس اللسانى للعربية منذ بدايته ، ووصولاً به إلى الدرس الحديث.

تعلم العربية منذ نشأته ارتبط بشكل أساسى بظاهرتى (الفصاحة واللحن). وقد سار هذان المصطلحان -على تضادهما - جنباً إلى جنب في تاريخ الدرس اللغوي العربى. حيث شكّلت الفصاحة مرجعية للصواب في إطاره النظري والنمطى ، بما جعلها تعكس -نسبياً - قدرًا كبيرًا من مظاهر الاستقرار والثبات في مجاري الاستعمال اللغوي لكلام العرب الذي دونه علماء العربية ، واتّخذوه مصدر احتجاج في استنطاط مقاييسها. بينما شكّل اللحن مرجعية للخطأ في إطاره العملي وواقعه الاستعمالي ، باعتباره انحرافاً عن هذه المقاييس ، وأخذ صداره الاهتمام في التاريخ لنشأة النحو العربى. وهو لا يخرج في حقيقة الأمر عن كونه مظهراً من مظاهر التغيير التي تلحق صور الاستعمال ، وقد تطال أنماطه معيارياً أيضاً.

وفي ظل استخدام هذين المصطلحين وجد علماء العربية أنفسهم أمام حالة معيارية (Normative) متفرّدة أدخلتهم في جدلية الأولوية بين الموضوع والمنهج. وجعلت من تحديد مفهوم الفصاحة ، وتعيين حدود اللحن فيها عملاً محفوفاً بمخاطر النأى عن الروح العلمي ، والانحراف وراء تقديرات استباقية ، قد تقضي إلى تنتائج تفتقد إلى الأمانة والصدق العلميين.

ولما كانت اللغة حدثاً اجتماعياً وفردياً في آن معاً ، ونظاماً مستقراً ومتطولاً في آن معاً رفض دو سوسيـاتـخذ معايـرـ من خارـجـها ، مـعـتـبرـاـ إـيـاهـاـ نـظـامـاـ مستـقـلاـ بـتـرتـيـبـهـ الخـاصـ وـقـوـانـيـنـ الدـاخـلـيةـ. فـهـيـ تـعـتمـدـ عـلـىـ عـدـدـ كـبـيرـ مـنـ الضـوابـطـ وـالـسـمـاتـ وـالـخـصـائـصـ الـتـيـ يـتـضـافـرـ فـيـهـاـ الـعـنـىـ وـالـمـبـنىـ لـتـشـكـيلـ

أنساقها ونسيجها على اختلاف أنماط الأبنية فيها إفراداً وتركيبة، وتبالين غاذج العبارات والأساليب، وتنوع الدلالات والأغراض والمقاصد.<sup>(١)</sup> فاللغة تتجاذبها نزعاتان متضادتان؛ تحرص إحداهما على الإبقاء عليها كما عرفها الناطقون بها في مختلف أنظمتها الصوتية والتصريفية والتركيبية ومكوناتها الدلالية. والأخرى تسعى إلى التغيير بأي شكل من أشكال الاستجابة لمطالب حاجاتهم التواصلية المستجدة. وهو ما يجعل اللغة في حالة صراع مستمر و دائم. فإذا غلت نزعة المحافظة جمدت اللغة على القديم وتخلفت، وإذا غلت نزعة التطور من دون حدود ضاعت خصوصية أنظمتها وتعرضت للزوال والاندثار.<sup>(٢)</sup> وفي هذا يقول د. قباوة "إننا لا ننفي عن لغتنا تلك المظاهر. فالعربية في تطور ونماء، ولكن وفق طبيعتها المحافظة وصبغتها التقليدية. والتطور الذي تعرفه لغة العرب هو نمو داخلي واضح الاتجاهات، يتولد ضمن حدود القياس في التعبير، والاشتقاق والتصريف والنحو والتراكيب، والاشتراك والتضاد، والمجاز والترجمة والتعريب".<sup>(٣)</sup>

#### **الفصاحة والاحتجاج :**

الفصاحة في اللغة معناها الوضوح والبيان، وطلاقه اللسان، وخلوه من العجمة، وبعده عن اللكنة. وقد يلتبس مفهومها بذلك النمط من الأساليب

(١) محاضرات في اللسانيات العامة، ص٤٢١ و٣٧ ومبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ص١٨

(٢) دراسات في علم اللغة (د.كمال بشر) ٢٠١٢/٢ وتصنيفات اللحن والتثقيف اللغوي، ص٢٩

(٣) تطور مشكلة الفصاحة، ص٤١

البلغية الذي يعلو ما سواه، ويتمثل قيمة أسلوبية عليا بين مستويات الكلام. وأما الاحتجاج فهو لزوم **الحجّة**. ومنه احتاج على خصمها بحجّة شهباء؛ أي واضحة. ومنه حجّة بالغة وحجّة دامغة. وفي الاصطلاح يراد بالاحتجاج إثبات صحة قاعدة، أو استعمال الكلمة أو تركيب، بدليل نقلٍيٍّ صحيٍّ سنه إلى "عربيٍّ" فصيحٍ سليمٍ سليقة. قال ابن خلدون "السمع أبو الملّكات اللسانية"<sup>(١)</sup> ولأجل ذلك عُدّ السمع عمدة الاحتجاج، ويلحق به القياس والإجماع واستصحاب الحال. فكان القرآن الحجّة الأولى؛ لأنّه أفصح الكلام ويليه كلام العرب شعره ونثره. وقد أجمع علماء العربية على الاحتجاج بقول من يوثق بفصاحته وسلامة عربته، من عرب الجاهلية وفصحاء الإسلام من البدو والحضر.

وتتفّرع دواعي الاحتجاج في العربية إلى غرضين: أحدهما لفظي. ويتعلّق بصحة الاستعمال. والآخر معنوي. ويتعلّق بدلالات الاستعمال. وهذه نقطة جوهرية تجلّى الفرق فيها بين مسار اللغويين والنحاة الذين وقفوا على الاحتجاج لديهم في اللغة والصرف والنحو على شواهد كلام العرب، ومسار البلاغيين والنقاد الذين امتدّوا على الاحتجاج لديهم في المعاني والبيان والبديع ليشمل كلام المؤلّفين؛ لأنّها راجعة إلى المعاني. فالقدماء يُحتاج بكلامهم لفظاً ومعنى في اللغة والنحو والصرف. ولم يتجاوز العلماء فيه حدود منتصف القرن الثاني للهجرة. أما المؤلّفون فلا يُحتاج بكلامهم إلا معنى؛ لأنّ المعاني يتناهّبها

---

(١) -أساس البلاغة، ص ٢٧٤ و ٣٤٢ و مقدمة ابن خلدون، ص ٦٤٣ و علم الدلالة العربي ١١٥ - ١٢٠

المولدون كما يتناهبها المتقدمون.<sup>(١)</sup> ويقع ضمن دائرة الاحتجاج كل ما وسم بالفصاحة. فلا يُحتاج إلا بما هو فصيح، ولا يحتاج إلا لما هو فصيح أيضاً. وأما ما هو دون ذلك فلم يلتفتوا إليه.

ويتداخل هذان المصطلحان في استعمالات العلماء والدارسين، لما بينهما من تقارب دلالي يجعل من اقتران أحدهما بالأخر في الذكر، واستخدام أحدهما مكان الآخر -من باب الترخيص في القول - أمراً مقبولاً ومعتمداً. ومع ذلك يبقى لكل منهما مفهومه الاصطلاحي التميز. فالفصاحة عبارة عن ظاهرة لسانية مرتبطة بالكلام والمتكلم. أما الاحتجاج فهو من ناحية المبدأ ظاهرة استدلالية معرفية مرتبطة بالدارس. والفرق بينهما يشبه -إلى حد ما - الفرق بين ما هو من مباحث الموضوع (موضوع الظاهرة اللغوية محل الدراسة) وما هو من مباحث المنهج. ذلك بأن مفهوم الفصاحة لدى علماء العربية قد جرى تحديده لسانياً ضمن إطار موضوعي امتد ليشمل كل جوانب العربية باعتبارها ظاهرة لغوية، وفي جميع الأحكام النحوية الموزعة على مختلف أبوابه ومسائله. مما يعني أنه تم ضمن مباحث النحو. والنحو، كما قال ابن السراج "هو العلم الذي استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب". أما الاحتجاج فهو إجراء منهجي يتعلق بأصول النحو والاستدلال لهذه الأحكام بداعي اللفظ أو المعنى. وتم ذلك ضمن إطار زمانى ومكاني ضمن مباحث أصول النحو. وأصول النحو، كما قال السيوطي "هو العلم الذي يبحث فيه

---

(١) -خزانة الأدب ١/٥ والاقتراح، ١٢٤ و ١٣٦ وفي أصول النحو، ٧ وعلم الدلالة العربي، ١٢٠

عن أدلة النحو الإجمالية، وكيفية الاستدلال، وحال المستدل. <sup>(١)</sup> فالتدخل الحاصل بين المصطلحين، وتواردهما في استعمالات النحو إذاً مرجعه إلى الارتباط العضوي القائم بين النحو وأصول النحو. ومن هنا حصل ما يشبه التمازج بين الفصاحة والاحتجاج موضوعياً ومنهجياً. فارتبط مفهوم الفصاحة بعصر الاحتجاج اللغوي، كما ارتبط الاحتجاج بعصر الفصاحة. فهما بثابة وجهين لعملة واحدة. ذلك بأن المادة اللغوية التي استقيت منها أدلة الاحتجاج هي ذاتها المادة التي استقرت واستنبطت منها أحكام النحو، وتحدد بها مفهوم الفصاحة أيضاً. وسيتضح من خلال عرضنا لمشكلة الفصاحة وطبيعتها وحدودها مدى هذا التداخل.

#### مفهوم الفصاحة في التراث العربي :

ليس من قبيل الصدفة أن ينشأ الدرس اللغوي العربي ضمن سياق تاريخي معياري بامتياز. فقد كان لنزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين أثره البالغ في تاريخ العرب بما أحده من تغيير جذري في نمط حياتهم فكريًا ولسانياً، واجتماعياً وسياسياً. واستعراض مصطلح الفصاحة عند علماء العربية كفيل بإبراز الجوانب الدلالية التي تنطوي عليها وجوه استخدامه، ومن ثم ضبط حدودها اللسانية وتعيين أبعادها الزمانية والمكانية.

فالقرنان الأول والثاني الهجريان شهدا حركة تدوين نشطة وواسعة لوروث العرب اللغوي، بعد أن كان مجرد كلام فعلي يجري التواصل به، وروايات شفهية تُتناقل متواترة بالسماع على ألسنة الرواية، ولا مجال للعقل في ذلك، لأنها أمور وضعيّة لا يستقل العقل بإدراكتها؛ فلا تكون الطريق

---

(١) الأصول في النحو ٣٥ / والاقتراح ١٢٤ و ١٢٨.

إليها إلا نقلية. وقد عرفت البصرة والكوفة وبغداد حركة تصنيف وتأليف غزيرة وغنية في هذا الشأن، خلصت بفعل عملية التصفية والتدقيق إلى تعيين لغة نموذجية مشتركة، تجمع لغة القرآن الكريم، واللغة الأدبية، ولغة التعامل الراقي التي نمت في عموم المجتمع العربي لا في قبيلة بعينها. وخرجت العربية من كل ذلك في صورة من صور التعبير عالية السوية.<sup>(١)</sup>

ومع أن كتاب سيبويه (١٨٠هـ) كما يقول ديتريش فيشر، لم يحو جمعاً شبه كامل للمادة اللغوية، فإنه يتتوفر على مجموعة ضخمة من الظواهر اللغوية المتعلقة بكل العناصر الأساسية والمهمة للنظرية النحوية في العربية الفصيحة، باعتباره أول عرض نحوي متكامل يعالج في خمسة وأربعين وسبعين فصلاً هذه اللغة ذات التاريخ العريق. ويرجع أول عمل تنظيمي لعرض الشروة اللغوية وبداية التأليف المعجمي إلى الخليل (١٧٥هـ). كما جمع حماد الرويـة (١٥٥هـ) والمفضل الضـبي (١٧٥هـ) وخلف الأـحمر (١٨٠هـ) والأـصـمـعـي (٢١٦هـ) هذه الشروة، ورتـبـوها بحسبـ المـوـضـوـعـاتـ، وـدوـنـواـ إـلـىـ جـانـبـ الـفـهـمـ الـنـحـوـيـ وـالـمـعـجـمـيـ لـالـعـرـبـيـ مـادـةـ الـثـقـافـةـ الـلـغـوـيـةـ لـقـبـائـلـ الـبـدـوـ،ـ مـنـ الـأـشـعـارـ وـالـأـمـثـالـ وـالـنـوـادـرـ وـالـخـطـبـ وـالـحـكـاـيـاتـ الـمـرـوـيـةـ.ـ وـقـدـمـتـ فـيـ هـذـهـ مـادـةـ بـحـوـثـ مـتـكـالـمـةـ فـيـ الـقـوـاعـدـ الـصـرـفـيـةـ وـالـنـحـوـيـةـ،ـ كـمـاـ وـصـفـتـ الـأـصـوـاتـ وـصـفـاـ فـذـاـ مـعـ قـلـةـ الـوـسـائـلـ الـعـيـنـةـ،ـ وـحدـاثـةـ هـذـهـ الـبـحـوـثـ لـدـىـ أـوـلـئـكـ أـصـلـاـ.ـ أـمـاـ الـجـانـبـ الـدـلـالـيـ فـقـدـ تـوـزـعـتـ جـهـوـهـمـ فـيـ عـلـىـ مـجـالـاتـ

---

(١) إرشاد الفحول (محمد بن علي الشوكاني) ص ١٥ وعلم الدلالة العربي، ص ١١٧ - ١٢٢.

دينية ولغوية، وأخرى فلسفية ومنطقية، وما يتصل بها.<sup>(١)</sup> وفي خضم هذا النشاط، ظهرت مصنفات اللحن والتصويب اللغوي التي يعد من أبرز نماذجها كتاب "الفصيح" لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) وقد سلك فيه مسلك التثقيف والتنقیح الذي ساد بين علماء العربية موضوعاً ومنهجاً، من قبله ومن بعده. إذ إن قوله في مقدمته "هذا كتاب اختيار فصيح الكلام مما يجري في كلام الناس وكتبهم. فمنه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها، فأخبرنا بصواب ذلك. ومنه ما فيه لغتان وأكثر من ذلك، فاخترنا أفصحهن. ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا، فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى، فأخبرنا بهما."<sup>(٢)</sup>

وهذه عبارة مفعمة بالروح المعياري المتأصل في فكر اللغويين والناحية، وتنم عن نزعة اختيارية أساسها الانتقاء اللغوي القائم على معيار الصواب والخطأ. وهو ما يتعارض ومبدأ وصف واقع اللغة من خلال مظاهر استعمالها. ومن هنا يأتي تقديرهم لمفهوم الفصاحة على أنها "البيان". ففصيح الكلام، كما ذكر أبو سهل الهروي (٤٣٣ هـ) في شرحه المسمى (إسفار الفصيح) هو البين منه مع صحة وسلامة من الخطأ. كما أن لفظ "الناس" هنا قصد به العامة من البدو والحضر، من يتكلم العربية دون غيرهم من الأعاجم.<sup>(٣)</sup>

(١) دراسات في العربية ، ص ١٠٧ و ١٠٨ ومصنفات اللحن والتنقیف اللغوي ، المقدمة: ص ٥.

(٢) الفصيح ، ترجمة د. صبيح التميمي ، ص ٤٥ ومصادر اللغة في المكتبة العربية ، ص ٥٥-٥٨.

(٣) إسفار الفصيح ١/٣١٢ و ١/٣١٥.

فعرب الbadia - كما يقول يوهان فك كانوا يُعدّون حجة لا يعتريها الشك في جميع مسائل اللغة؛ وليس أدل على ذلك من اتخاذ الأعراب شهودا على صحة التعبير وصوابه. وكانوا هم المرجع في كل ما يتعلق بفصاحة الكلمة العربية. وقد كان من دلائل الفصاحة أن يوسم أحد المثقفين بأنه ينطق كما ينطق البدوي. ومن كلام هؤلاء استخلاص علماء البصرة والكوفة قواعدهم ومذاهبهم اللغوية من كانوا يأتون إلى المدن للتجارة، أو الذين يلتقيون بهم في الbadia حين يخرجون هم إليها ليأخذوا اللغة عن أهلها.<sup>(١)</sup>

كما أن معيارية الانتقاء تصطدم لا محالة بواقع لغوي غني بتنوع المادة اللغوية من قرآن كريم وقراءات قرآنية، ومن شعر وخطابة، ومن حكم وأمثال، فضلا عن التنوع اللهجي المسمى (لغات) في عرفهم. وهو ما يجعل مهمة عالم اللغة تتسم بقدر من الاضطراب والتعسف أحيانا، ومن التذبذب والاختلاف أحيانا أخرى.

#### **الفصاحة ومبدأ الكثرة والقلة:**

ارتبطت قياسية الظاهرة اللغوية ببدأ الاطراد في الاستعمال؛ والاتصاف بالكثرة. وهو مبدأ قديم وأصيل عند اللغويين والنحاة، منذ أبي عمرو بن العلاء وعيسيى بن عمر. فقد روي أن أبي عمرو سئل عما وضعه مما سماه عربية أيدخل فيه كلام العرب كلها؟ فقال: لا! فقيل له: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب، وهم حجة؟ قال: أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفني لغات. وهو ما كرّسته عبارات النحاة من بعده، كقول سيبويه "لأن هذا أكثر

---

(١) العربية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، ص ٦١ و ٦٢ و تاريخ اللغات السامية، ص ٢٦.

كلامهم، وهو القياس والوجه الآخر قال به بعض العرب. <sup>(١)</sup> وآل بهم الأمر إلى أن وسموا الكثرة بالقوة والحسن، ونعتوا القلة بالضعف والقبح، في عملية امترج فيها الذوق بالمنطق. وصار (النادر) في تقدير علماء القرن الرابع وما بعده أضعف من (المطرد) في البيان، كما قال الرمانى (٣٨٤هـ). وترك الأكثر ضرب من الاستيحاش، كما قال الفارسي (٣٧٧هـ). والكلام العربي الفصيح معلق على النقل الصحيح، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة، كما قال الأنباري (٥٧٧هـ). <sup>(٢)</sup>

وقد أثارت هذه المسألة قضية هامة متفرعة عن قضية مرجعية الكلام المسموع أو المنقول؛ لأن كلام العرب يحتاج منه بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعريتهم. ونسبة الكلام للقائل ينبغي أن تكون معلومة في أقل تقدير؛ لأن مبدأ الاحتجاج بكلام العرب موقوف على معرفة قائله، لضمان الوثوق منه. ونصوص العصر الجاهلي إنما نقلت عن الرواية من أعراب القرون الإسلامية الأولى المعاصرة للنهاة وتلك كانت الحجة في صحتها، وسلامة لغتها وفصاحتها. فلم يكونوا يجيزون الاحتجاج بشعر ولا نثر لا يعرف قائله إلا إذا رواه عربي من يُحتاج بكلامه، مخافة أن يكون لولد، أو لمن لا يوثق بفصاحتها. ومن أجل ذلك اهتم نحاة العربية بفصاحة الأعرابي الذي يُنقل عنه الكلام. ويتبين ذلك من عبارات سيبويه في المسموع "وسمعننا الثقة من العرب" وفي المنقول "حدّثنا من ثق به" و"حدّثنا أنه سمع من العرب الموثوق بهم" و"زعم من ثق به". وبلغ الحرص بأبي عمرو حد امتحان بعض

(١) الكتاب ٢٥٨ / وطبقات النحوين واللغويين، ص ٣٤ والخاصيص ٣ / ٢١٢.

(٢) لمع الأدلة، ص ٨١ والاقتراح، ص ١٦٢ وأصول النحو العربي، ص ٧١ و ٧٠.

الأعراب حين يرتاب بفصاحتهم. وكان يقول "لا أقول: قالت العرب... إلا ما سمعت من عالية السافلة وسافلة العالية" يريد ما بين نجد وجبال الحجاز؛ حيث قبائل أسد وتميم وبعض قبائل قيس. <sup>(١)</sup>

ولكن النحاة درجوا أحياناً على ذكر الشواهد اللغوية أو النحوية من دون نسبتها إلى قائلها تحديداً. فتجد في الكتاب لسيبوه عدداً غير قليل من الأبيات الشعرية مقتنة بـ"قال الراجز" وـ"قال الشاعر" وكذا عند غيره من النحاة. وبعضهم كان لا يتردد في دفع الاحتجاج ببعض الشواهد التي لا يُعرف قائلها، كالمازني والمبرد والزجاج والمخشري والأبّاري وابن هشام. ويداً الأبّاري في الإنصاف أكثر ترددًا في اعتماد هذا المبدأ حين رد بعض استدلالات الكوفيين، ولكنه مع ذلك سعى إلى تأويل أوجه القياس فيها. وكان السيوطي أكثر وضوحاً بهذا الشأن حين استنكر أن يُرفض البيت المجهول القائل في الاحتجاج معللاً ذلك بأنه لو صَحَّ هذا الرفض لسقط الاحتجاج بخمسين بيتاً من كتاب سيبويه. <sup>(٢)</sup>

وفضلاً عن كل ذلك فإنه كما قال د. محمد خير الحلواني كان التقسيم المكاني طاغياً على التقسيم الزماني في أصول النحوين، ويسطيراً على عقولهم؛ لأنّ الأعرابي الفصيح عندهم هو الذي عاش في الbadia، وقلّ اختلافه إلى المدينة. وقد اضطربوا في تحديد مرحلة الحداثة التي لا يجوز الاحتجاج بلغة شعرائها ومتكلميها فعمر بن أبي ربيعة حجة في العربية عند أبي عمرو بن العلاء، وجرير والفرزدق والأخطل محدثون. وعند الأصمّي

(١) في أصول النحو، ص ٦٥ و ٦٤، وأصول النحو العربي، ص ٦٣

(٢) الاقتراح، ص ٢٨

تلמידه الطرّام والكميت غير فصيحين ، وهما معاصران لعمر بن أبي ربيعة . وابن هرمة وابن ميادة وطفيل الكناني فصحاء يصح الاحتجاج بهم . ووقف سيبويه (١٨٠هـ) عند ابن هرمة (١٧٦هـ) . ولا نجد للنحاة ميزاناً دقيناً وموحداً في المسألة ؛ حيث وقفوا بعد سيبويه مواقف متباعدة من الاحتجاج بكلام الشعراء المولدين أمثال بشار وأبي نواس ثم أبي قحافة والبحترى .<sup>(١)</sup>

وعوداً إلى مبدأ القلة المقابل للكثرة فقد انبثق عنـه عدد من المصطلحات أبرزها الشاذ والنادر اللذين تنطوي دلالـات استخدامـها عند علمـاءـ العربية على قدرـ كبيرـ منـ الاختلافـ والـتبـاـينـ فيـ عـلـاقـتـهـماـ بـالـقـيـاسـ الـذـيـ هوـ عـبـارـةـ عنـ ردـ الشـيءـ إـلـىـ نـظـيرـهـ ،ـ كـمـاـ قـالـ الشـرـيفـ الـجـرجـانـيـ .ـ فـلـبـ عـلـىـ مـصـطـلـحـ الشـذـوذـ مـعـنـىـ مـخـالـفـةـ الـقـيـاسـ وـالـخـرـوجـ عـنـ الـقـاعـدـةـ .ـ وـفـسـرـ مـحـمـدـ الـخـضـرـ حـسـينـ ذـلـكـ بـأـنـ النـحـاةـ لـمـ اـسـتـقـرـأـواـ كـلـامـ الـعـرـبـ وـجـدـوـهـ قـسـمـيـنـ :ـ قـسـمـ اـشـتـهـرـ استـعـمالـهـ ،ـ وـكـثـرـ نـظـائـرـهـ ،ـ فـجـعـلـوـهـ قـيـاسـاـ مـطـرـداـ .ـ وـقـسـمـ لـمـ يـظـهـرـ لـهـمـ فـيـهـ وـجـهـ الـقـيـاسـ لـقـلـتـهـ ،ـ وـكـثـرـ مـاـ يـخـالـفـهـ ،ـ فـوـصـفـوـهـ بـالـشـذـوذـ ،ـ وـأـوـقـفـوـهـ عـلـىـ السـمـاعـ ؛ـ لـأـنـهـ غـيرـ فـصـيـحـ ،ـ بـلـ لـأـنـهـ عـلـمـوـاـ أـنـ الـعـرـبـ لـمـ تـقـصـدـ بـذـلـكـ الـقـلـيلـ أـنـ يـقـاسـ عـلـيـهـ .ـ وـمـعـ كـلـ ذـلـكـ لـمـ يـكـنـ فـيـ الـحـقـيـقـةـ مـكـنـاـ دـفـعـ هـذـهـ الـقـلـةـ أـوـ مـعـنـهـ باـعـتـبـارـهـ وـاقـعـاـ لـغـوـيـاـ .ـ وـذـلـكـ مـاـ عـبـرـ عـنـ اـبـنـ جـنـيـ -ـ وـهـوـ مـنـ أـشـدـ الـمـسـمـكـيـنـ بـالـقـيـاسـ -ـ بـقـولـهـ "ـفـلـاـ تـمـنـعـكـ قـوـةـ الـقـوـيـ مـنـ إـجـازـةـ الـضـعـيفـ"ـ<sup>(٢)</sup> .ـ وـقـدـ كـانـ لـرـبـطـ مـفـهـومـ الـفـصـاحـةـ بـمـقـدـارـ الـاستـعـمالـ أـثـرـهـ السـلـبـيـ عـلـىـ عـمـلـيـةـ

(١) أصول النحو العربي ، ص ٦٦-٦٩ .

(٢) انظر : الخصائص ٦٠ والتعريفات ، ص ١٥٩ ودراسات في العربية ، ص ٣٣ وظاهرة الشذوذ في النحو العربي (د.فتحي الدجني) ص ٣١ .

رصد اللغة واستقرائها. يقول أبو العباس ثعلب إن "الذى عليه أكثرهم فى استعمال حركة أو سكون أو حرف دون حرف هو أفصح من غيره وأبين. وهو الذى اختربناه وأثبتناه في هذا الكتاب. والذى ألغيناه ولم نذكره هو ما يتكلم به قليل من العرب ، ولم يتتفق عليه جمهورهم."<sup>(١)</sup>

فالالجوء إلى مبدأ الكثرة في الحكم على الفصيح من الكلام و اختيار الأفصح ، هو أمر نسبي قاماً . وصيغة التفضيل (الأفصح) هنا لا تعنى الأكثر بياناً بالمعنى الدلالي ، أو الأصح والأسلم بناءً بالمعنى النحوي. ولكنها تعنى الأكثر وروداً في الاستعمال. وعلّتهم في ذلك هي إقرار مبدأ القياس ، في تعين حدود الفصاحة. وعلى أساس من هذا تم تصنيف لهجات العرب في ثلاثة مستويات: الصحيح والفصيح والأفصح. وما دون ذلك فهو ضعيف ، أو رديء أو عامي سقيم.

ويضاف إلى كل ذلك أن حركة جمع اللغة العربية وتدوينها كانت في بداية عهدها حركة عفوية تفتقر إلى قدر كبير من التنظيم والشمول. وهو أمر طبيعي ؛ إذ لم تكن تتوفر على كل الوسائل التي تحفظ كلام المتكلمين وتحصيه. وكذلك عامل الضبط والانتقاء الذي تم في مستويين لدى العلماء: أحدهما في مستوى الكلمة كثرةً وقلةً ، وثانيهما في مستوى النوع. إذ انصبت جهودهم في الغالب على الشعر باعتباره ديوان العرب ؛ لأن كلام العرب كان قد ضاع كثيره ، ووصلنا قليلاً ، كما قال أبو عمرو بن العلاء "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله. ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر

---

(١) إسفار الفصيح ٣١٩/١ وتطور مشكلة الفصاحة ، ص ٤٠

كثير."<sup>(١)</sup> وهو ما يكشف عن حجم الإجحاف الذي وقع على المدونة اللغوية بفعل الفحص والانتقاء المسبق حين أُسقطت منها مادة لغوية غير هينة من عصر الفصاحة، بإغفالها وعدم ذكرها بسبب قلتها. وهو ما تدل عليه عبارة أبي العباس ثعلب بصراحة لا تتحمل أي تأويل.

والفصاحة عنده - كما هي عند غيره - لا تعني التفاوت بين القبائل، بل تعني مقدار الاستعمال كثرة وقلة. ولذلك فضل المطرد على القليل. واعتبره أفصح، لا على أنه أقوى بياناً أو أحسن تعبيراً، بل لأنّه أكثر استعمالاً. فلا مفاضلة لديه إلا بكمية الاستخدام. وهو ما يفسر قوله (ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك فاخترنا أفصحهن)؛ أي أكثرهن استعمالاً. وهو يقصد هنا أنّ العرب قد تتطق في كلامها بأشياء على وجهين وثلاثة أوّجه أو أكثر من ذلك مختلفة في اللفظ متفقة في المعنى لاختلاف لغاتها، كاختلافهم في الحركات والسكون في حرف أو حرفين من الكلمة واحدة؛ نحو نهر ونهر وشَعْرٌ وشَعْرٌ.<sup>(٢)</sup>

وتجدر بالذكر هنا أنّ نشير نقطة أساسية من الناحية المنهجية تدعو في الحقيقة للتساؤل والتعجب، مما شاع في تاريخ الخلاف النحوي من أنّ البصريين يأخذون بالكثرة، وأنّ الكوفيين يقبلون بالقلة، على نحو ما ذكره السيوطي بأنّ النادر عند البصريين لا يقاس عليه، وأنّ عادة الكوفيين إذا سمعوا لفظاً في شعر أو نادر كلام جعلوه باباً أو فصلاً. ومقولات أخرى كثيرة على هذا المنوال. فتشغل ينتمي لنهج الكوفة الذي يحتمل لواقع اللغة، ولا

(١) الاقتراح، ص ١٧٠ ومصادر اللغة في المكتبة العربية (د. عبد اللطيف الصوفي) ص ٣٤.

(٢) ينظر: الفصيح، ص ٤٥ وإسفار الفصيح ٣١٩/٣٢٠ والمزهر ١/١٨٧.

يستثنى القلة من القياس فضلاً عن إنكارها أو إغفالها، فمن أين له أن يقف منها هذا الموقف غير المنسجم مع ما اشتهر عن منهج الكوفيين خاصة؟ وقد صرح د. مهدي المخزومي في بحثه (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو) كثيراً من هذه المزاعم. وخلص إلى جملة من الخصائص التي يتصف بها منهج الكوفة. وهي أن الأمثلة هي مناط القياس عندهم، وأنهم كانوا يعتدّون بالمثال الواحد، وأنهم يأخذون بالسموعات والروايات، وأنهم أوسع روایة من البصريين، ونفی أن يكون البصريون أكثر تصلباً في أمر الروایة من الكوفيين. ولعل في هذه الميزة الأخيرة ما يدحض القول بأن الكوفيين كانوا يتسلّلون في النقل والروایة. وكما قال أيضاً "وينبغي للدارس أن يرتاب في صحة التهم التي كان البصريون يوجهونها إلى الكوفيين."<sup>(١)</sup> وهو ما يعني بأن مقولات القدماء المتعلقة بمسألة المنهج والمذهب عند النحاة تحتاج إلى قدر كبير من الحيطة والحذر في مرجعيتها العلمية.

#### الفصاحة والبلاغة :

إن المتبع لمصطلح الفصاحة في استعمال علماء العربية يلحظ مسألة تركيز المتقدمين من اللغويين والنحاة على المفردات واستخداماتها، من ناحية النطق الذي كان يشكل علاماً فارقاً وميزة للعربي من الأعجمي. ولعل مرجع ذلك إلى أن اللحن كان ما يزال في بداياته من جهة أشكال الكلمات، ثم من جهة تركيبها إعرابياً. بينما وقع التركيز من بعدهم عند البلاغيين على التراكيب ونظمها وبيانها، بفعل امتداد اللحن ليشمل مختلف جوانب اللغة في ألفاظها ومعانيها إفراداً وتركيبياً. ولذلك اقتربوا من استخدامهم له بمصطلح البلاغة.

(١) انظر: مدرسة الكوفة (المخزومي) ص ٣٣٢ و ٣٦٨ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٨٩ والهمع ١٤٥.

فالفصاحة لغةً من قول العرب : أفصح فلان عما في نفسه ، إذا أظهره . وأفصح الصبح ، إذا أضاء . وأفصح الأعجمي إذا أبان . وفصح اللحان ، إذا عبر عما في نفسه وأظهره على جهة الصواب دون الخطأ . وفي اصطلاح بعض علماء العربية ، كما ذكر أبو هلال العسكري : الفصاحة قام آلة البيان . فلهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فصيحا ؛ إذ كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة . ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة . ويوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان . فالأشغ والتمام لا يوسمان بالفصاحة لنقصان آلهما عن إقامة الحروف على ما اعتادته العرب في نطقها . ولذلك قيل : زياد الأعجم ؛ لأنه كان ينطق الحاء هاء في الحمار . فهو أعجم وشعره فصيح لتمام بيانه . وفي هذا تمييز بين الكلام والمتكلم ؛ مما يعني أن الحكم هنا على الشخص بالفصاحة أو عدمها يأخذ في الاعتبار مقدراته اللغوية .

وذكر أن البلاغة هي كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن . وهي من قولهم : بلغت الغاية إذا انتهيت إليها . وبلغتها غيري . وبلغ الشيء متهما . وسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه . و شأنها شأن الفصاحة إلا أن موضوعها الكلام . فلهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى بلاغا . وتسمية المتكلم بأنه بلاغ توسيع . وحقيقة أنه كلامه بلاغ . فكثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بأنه بلاغ كالحقيقة كما جعلت تسمية المزادة راوية كالحقيقة . وكان الراوية حامل المزادة . وهو البعير ، وما يجري مجراه . ولهذا سمي حامل الشعر راوية . <sup>(١)</sup>

(١) الصناعتين ، ص ١٥-١٩ .

فالفصاحة والبلاغة تلتقيان دلالياً في أن كل واحدة منهما إنما هي الإبادة عن المعنى والإظهار له، إلا أن بينهما فرقاً نسبياً في الموضوع. وذلك أن الفصاحة تُعَدَّ آلة البيان، لتعلقها بالآلية الطبيعية الجسمانية، وبكيفية أداء الكلام نطقاً. فهي مقصورة على اللفظ؛ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى. والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب. فكأنها مقصورة على المعنى. ويحوز أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره فج. وقد استقر هذان المصطلحان (الفصاحة والبلاغة) تعليمياً في الغالب على أن الفصاحة يوصف بها المتكلم والكلام والكلمة، وتكون بدون البلاغة. ووقفت دلالتها هذه عند هذا الحد، بوصفها مجرد سمة لسانية - إلا إذا أردنا تسمية علم العربية بعلم الفصاحة - بينما اتجهت البلاغة التي يوصف بها المتكلم والكلام، دون الكلمة والتي لا تكون بدون الفصاحة لتصبح علماً قائماً بفروعه، من المعاني والبيان والبديع. <sup>(١)</sup>

#### مفهوم اللغة العامة:

يقصد بلفظ العامة في استخدامات العلماء المتقدمين - كما قال الهروي - عموم العرب من بدو وحضر من يتكلم العربية دون غيرهم من الأعاجم. ومنه أخذ لفظ العامة منسوباً إلى العامة خلافاً لما ذهب إليه بعض المتشددين كالفارابي والرياشي من القول بأنه لم يؤخذ عن حضري ولا من الذين يسكنون أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم. <sup>(٢)</sup> وهو أمر

(١) سر الفصاحة، ص ٨١ والدلائل، ص ٣٦ والمفتاح، ص ٤٦ واللغة العربية وعلومها،

ص ١٥٥

(٢) إسفار الفصيح ١٢٢١٥ و ٢١٢٢١٥ والاقتراح، ص ١٦٢.

كما قال د. المخزومي لا ينطبق على واقع العربية

لغة حواضر الحجاز من مكة والمدينة وما حولهما، هي الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم (وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوِيمٍ لَّيْسَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمٌ) <sup>٤</sup>. وقد كان أهلها يتعهّدونها بما كانوا يستحسنون من لغات الأمم المجاورة، ولغات القبائل التي كانت تفدي إلى مكة. فكانت العرب كما قال الفراء، فيما نقله السيوطي، تحضر الموسم في كل عام، وتحجج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه تكلموا به، فصاروا أوضح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ. وفسّر ابن فارس بأن قريشاً كانت مع فصاحتها وحسن لغاتها، ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلامتهم التي طُبعوا عليها فصاروا بذلك أوضح العرب. ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنعنة قيم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس مثل: تعلّمون ويعلم. وقال أبو حيّان "وهم الذين نزل القرآن بلغتهم إلا يسيراً فيه لغة غيرهم". ومن أجل هذا كانت لهجة قريش هي المختارة لتكون اللغة النموذجية عند العرب في كلامهم وشعرهم وخطابهم وخطابهم. <sup>(١)</sup>

ويذكر إسرائيل ولفنسون أن ما يقال عن نزول القرآن بلغة قريش: "إن كان المقصود منه أن الرسول كان ينطق الكلمات بلهجة قريش التي هي لهجة

---

(١) الصاحبي، ص ٢٣ والمزهري ٢١١ والاقتراح، ص ١٦٢ والبحر ٣٣٨ وقضايا نحوية،

جميع أهل مكة فصحيح. وأما إن كان المراد منه أن قريشاً كانت لها لغة علمية خاصة ب أصحاب الخطابة والكهانة والشعر دون سواهم من القبائل الأخرى فليس بصحيح؛ لأنه يضيق من دائرته، ويقلل عدد الذين كانوا يفهمونه من العرب. الواقع يخالف ذلك. وقد قال العالم نولدكه: إن هذه الفكرة نشأت في العصر الأموي ل لإظهار تفوق قريش على بقية البطون العربية في كل شيء، لعلاقتهم بالنبوة؛ لذلك يُحتمل أن المقصود بهذه الفكرة أن الرسول كان يقرأ القرآن باللهجة الشائعة في مكة.<sup>(١)</sup> الواقع أن الاعتداد بلغة قريش كان سائداً قبل العصر الأموي، يدل على ذلك ما نقل عن عثمان بن عفان من قوله "لا يُمليئن في مصاحفنا إلا غلامان قريش وثقيف".<sup>(٢)</sup>

ويرى د. كمال بشر بأن ظهور ما يعرف بالعربية الفصحى إنما يعود إلى علماء العربية. فعندما عكفوا على النظر في هذه اللغة بتعقيدها وضبط أحکامها انصرفوا إلى مستوى لغوي معين له وضعه المميز ثقافياً واجتماعياً وسياسياً. وهو لغة قريش؛ لما تسم به من الشيوع الواسع، والتكمال النسبي بين عناصرها. فضمنوا بهذا الاختيار العلمي وحدة المادة اللغوية، لتصبح النواة الخصبة لنموّ لغة عامة زمانها ومكانها. وقد كان هذا الاختيار يهدف إلى غرضين أساسين. أحدهما ديني. وهو الحفاظة على كتاب الله تعالى وصيانته عن التغيير. وذلك بوضع إطار عام ومحكم للغة التي شرُفت بنزوله بها. وثانيهما قومي، يتمثل في وحدة لغة الأمة المعبرة عن هويتها وشخصيتها في بناء ثقافي واجتماعي متكامل، وحال من تناقض العناصر وشذوذ المكونات.

(١) تاريخ اللغات السامية، ص ٢٠٧.

(٢) الاقتراح، ص ٢٤ وفي أصول النحو، ص ٢٤.

وهو ما أدى في النهاية إلى تثبيت قواعد العربية وتأكيد خواصها المميزة، ومنحها قدرًا موفورًا من العمومية وسعة الانتشار حتى أصبحت اللغة القومية النموذجية، وعلامة حضارة أهلها ووعيهم.<sup>(١)</sup>

اللغة العامة واللهجات :

ذكر ديتريش فيشر W. D. Fischer بهذا الشأن أن الشعراء ورواة الأدب كانوا قد اشترکوا في تحقيق الوحدة اللغوية متجاوزين في ذلك خصوصيات التنوع اللهجي وهو ما اعتبره شيتالر A. Spitaler (بها مش تعليقه على كتاب : العربية ليوهان فك J. Fuck) ظاهرة متأصلة في العربية من خلال تشكيكه في أن تكون اللغة الحكية عند البدو تساوي لغة الشعر العربي القديم الذي بقي محفوظاً لديهم بالرواية. والذي ظل اللغويون العرب يخرجون إلى البادية ليتناقلوه ويدرسوه، ولم يكتروا للغة التخاطب اليومي؛ لأن أكثر شيء كان يستأثر بهم هو الفصحي. كما أن لغة الشعراء والخطباء والكهان لم تُصنف بل هي لغة الخطاب العامة. وكذلك لغة القرآن أيضا.<sup>(٢)</sup>

ومن هنا تبرز - في تقديره - خصوصية اللغة الفصحي باعتبارها مستوى لغويًا متميزًا لا يضاهيه بالضرورة مستوى لغة الخطاب اليومي. فقد كانت أغلب مظاهر الاهتمام عند علماء العربية المتقدمين من مدوني كلام العرب تدور حول لغة الشعر والخطب والنواذر والحكم والأمثال، ولم يحفلوا كثيراً بالكلام المحكي الذي كان يجري بين العرب في تواصلهم اليومي إلا ما تعلق

(١) اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، ص ٥٢ و ٥٣ و مشكلات اللغة العربية ( محمود

تيمور ٤-١٠ )

(٢) دراسات في العربية (فيشر)، ص ١١٣ والعرب (يوهان فك) ص ١٠ و ١٢

منه بمعاني الكلمات وأبنيتها. وفي هذا يقول سعيد الأفغاني " ومن ينعم النظر في معاجم اللغة وكتب قواعدها يجد كتب اللغويين أوفر حظا في الاستشهاد بالشعر والنشر على السواء في إثبات معنى أو استعمال كلمة ، ويجد النحاة يكادون يقتصرن على الشعر. وزادت عنایتهم بالشواهد الشعرية مع الزمن .. . ونحن إذا قابلنا الشواهد النثرية عند هؤلاء وأولئك بالشواهد الشعرية وجدناها ضئيلة جدا. <sup>(١)</sup>

وذلك ما حمل بعض المستشرقين كفولرز Vollers وكوهين Cohen وشبيتالر Spitaler على استبعاد أن تكون لغة الحياة اليومية هي نفسها لغة الشعر وغيره من أنماط الكلام الخاصة المذكورة. ولكارل فولرز بهذا الشأن كتاب بعنوان "العربية العامية عند قدماء العرب". وقد زادت لغة القرآن الكريم بطابعها المميز هذا الاعتقاد رسوحا في أذهانهم.

ومع أن هذا التصور ينطوي من الناحية التصنيفية للمدونة اللغوية على قدر لا يستهان به من النظر الموضوعي لسانيا إلا أنه يبقى تصورا افتراضيا فضلا عن خطورته الكبيرة على رصد واقع العربية في تاريخها العريق ؛ إذ يأتي في مقدمة محاذيره مسألة التشكيك في الإعراب وهو أهم ظاهرة من ظواهرها. وقد بلغ الأمر بكارل فولرز . Vollers حد القول بأن القرآن الكريم نزل أول الأمر بلهجة مكة المجردة من الإعراب ثم قام العلماء بتنقيحه وضبطه على ما ارتضوه من قواعد ومقاييس العربية حتى غدا في الفصاحة مضرب الأمثال. وهو ما فنّده مستشرق آخر هو نولدكه Th. Noldeke موضحا بأن أغلب ما توهّمه فولرز مما سماه بالتجرد من الإعراب إنما كان صورا من تساهل الناس

---

(١) في أصول النحو، ص ٥٩ و ٦٠.

في القراءة بعد اختلاطهم بالأعاجم، وشيوخ اللحن والتحريف اللذين ليس  
للقرآن أي صلة بشيء منهم. وهو ما تدحضه كذلك كل مصنفات التراث  
العربي الحافلة بشواهد الاستخدام اللغوي للفصحى لدى عامة الناطقين بها،  
في شكلها الإعرا比 التام. كما تدحضه فكرة -أستاذ شبيتالر -يوهان فك  
المنطقية في قوله "إن مسألة التحرر من الإعراب في اللغات العامية العربية هو  
مجرد قرينة على كونها لغات مولدة وليس العكس<sup>(1)</sup>؛ أي إن العامية هي نتاج  
الانحراف عن الفصحى، وليس الفصحى نتاجاً لتطور العامية.

فالجاحظ مثلاً ينقل لنا صورة واضحة عن بلوغ الفصاحة لديهم مبلغ التفنن في الإعراب من أجل المتعة؛ وذلك أن يستمع المرء إلى حديث الأعراب الفصحاء العقلاة أو إلى محاضرة العلماء البلغاء، ويبحث على روایة نوادر الأعراب مع إعرابها ومخارج ألفاظها. وعلى النقيض من ذلك ينعت بمخالفته الأسلوب ومسخ الصورة حكاية نوادر العوام ومُلح الحشوة والطغام؛ إذ إن هؤلاء من التجار وسoward الشعب ينطقون عربية حافلة باللحن. وهذا يدل - كما يقول يوهان فك - على أن الإعراب في عصره كان لا يزال حيا على ألسنة البدو الخلص إلى غاية القرن الرابع الهجري. وعلى النقيض من ذلك كانت اللغة الدارجة التي يتواصل بها أهل الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المدن منذ نشوئها في عصر الفتوحات الإسلامية الأولى تعد عربية مولدة في نظر التاريخ اللغوي. وقد أخذت في الاتساع بفعل التغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. والأعرابي القح كما يضيف الجاحظ لا يفهم هذه الرطانة. ومتى ما وجد النحاة أعرابياً يفهم ذلك تجاوزوه ولم يأخذوا عنه ؟

(١) انظر: دراسات في فقه اللغة (د. صبحي الصالح) ص ١٠٩ و ١١٧ - ١٢٢.

لأن ذلك يدل على طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة، وتنقص البيان. ولذلك ذكر أن أسوأ اللحن هو لحن الأعاريض النازلين على طرق السابلة وبقرب مجتمع الأسواق.<sup>(١)</sup>

وعلى أثر شيوع اللحن وانتشاره في كلام العامة سيطر مبدأ تنقية العربية على التربية اللغوية للمجتمع العربي، وصارت عربية البدو القدوة والمثل الأعلى من جميع الوجوه. فاحتذأها المثقفون مشافهة وكتابة. وقد أثر اختلاف الأحوال ولا سيما الانتقال إلى حضارة المدن أثراً غير يسير في اللغة، كما يبدو في لغة الأدب، من نشر ابن المفعع، وشعر المحدثين في بداية العصر العباسي، ك بشار وأبي العتاهية وابن الأحنف، من اختلاف واضح عن لغة شعراء الbadia، في صوغ القوالب، وتركيب الجمل، والثروة اللغوية، وطرق التعبير. كل ذلك مع الاحتفاظ بالتصريف الإعرابي، وبقواعد الإعراب، والتصريف احتفاظاً تماماً. فعلى الرغم من بعض السمات المولدة فهي تعد من اللغة الفصحى. ذلك بأن العرب أشد استنكاراً لزيغ الإعراب منهم لخلاف اللغة. فقد ينطق بعضهم بالدخل والمولد، ولكنه لا ينطق باللحن.<sup>(٢)</sup>

وقد تنبه علماء العربية منذ البداية لمسألة الدخيل اللغوي، خلال مرحلة تنقية اللغة، فورد في اصطلاحاتهم مقرضاً بالأعجمي والمعرّب والمولد. وكان النظر إليه بمقاييس العربي الأصيل؛ فقابلوا حروف الكلمة الأعجمية بما

---

(١) البيان والتبين ١٢٥ و ١٠٩ والعربيّة (يوهان فك) تر: رمضان عبد التواب، المقدمة ٦

(٢) العربيّة (يوهان فك)، ص ١١٤ وتاريخ اللغات السامية، ص ٢١٦ وفي أصول النحو، ص ١٥

يناسبها من حروف العربية. وُعرفَ المَعْرِبُ بِأَنَّهُ مَا كَانَ مِنْ حِرَفٍ أَصْوَلُهَا أَعْجَمِيَّةٌ وَقَعَتْ لِلْعَرَبِ فَعَرَبَتْهَا بِالسِّنْتَهَا وَحَوَّلَتْهَا عَنِ الْفَاظِ الْعَجَمِ إِلَى الْفَاظِهَا. وَهُوَ مَا سَمِّاهُ سَيِّبُوِيَّهُ بِالْإِعْرَابِ وَالْتَّعْرِيبِ. وَمَا كَانَ ظَاهِرَةً لِلْفَصَاحَةِ لِدِيْهِمْ مَرْتَبَطَةً بِشَكْلِ أَسَاسِيٍّ بِالْبُنْيَةِ الصَّوْتِيَّةِ وَالْتَّصْرِيفِيَّةِ ثُمَّ التَّرْكِيَّيَّةِ لِلْكَلْمَةِ، فَقَدْ كَانَ مَوْقِفُهُمْ مِنَ الْأَعْجَمِيِّ مَتَصِفًا بِالْحَذَرِ وَالْنَّفُورِ، وَالْتَّنْبِيهِ إِلَى خَطْرِهِ وَالْخُوفِ مِنْ نَتَائِجِهِ وَآثَارِهِ وَالْحَرْصِ عَلَى تَفَادِيهِ لَمَّا يَتَرَبَّعَ عَنْهُ مِنْ أَضْرَارِ لِغُوَيَّةِ قَدْ تَعَصَّبَ بِفَصَاحَةِ الْكَلْمَةِ وَالْعَبَارَةِ أَيْضًا. فَعَلَى النَّقِيضِ مَا عُرِفُوا بِهِ مِنَ التَّقْصِيِّ وَالتَّفْصِيلِ وَالتَّمْحِيقِ فِي تَحْقِيقِ الْمَسَائِلِ الْلِّغُوَيَّةِ بِدَأْبٍ وَحَرْصٍ شَدِيدَيْنِ فَإِنْ تَوْجِسُهُمْ خِفَةً مِنَ الْمَسَأَلَةِ بَدَا وَاضْحَا فِي تِرَاثِ الْعَرَبِيَّةِ. فَسَنَّوْا فِي ذَلِكَ قَوَاعِدَ وَأَحْكَامَ نَجْمٍ عَنْهَا اضْطِرَابٌ وَخَلْلٌ. <sup>(١)</sup>

#### العامية :

إِنْ تَرْكَ التَّصْرِيفَ الْإِعْرَابِيِّ هُوَ أَحَدُ أَهْمَمِ مَظَاهِرِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُولَّدَةِ. وَقَدْ سَلَكَتْ فِيهِ النَّهَجُ الَّذِي اجْتَازَتْهُ جَمِيعُ الْلِّغَاتِ السَّامِيَّةِ الْأُخْرَى قَبْلَهَا بِكَثِيرٍ. وَبِيَدِهِمْ مِنْ خَلَالِ مَا ظَهَرَ مِنْ مَصْنَفَاتٍ عَنِّيَّتْ بِاللَّهُنَّ أَنَّ الْلِّغَوَيْنِ الْقَدِيمَاءِ لَمْ يَتَصَوَّرُوَا إِمْكَانَ حَدُوثِ أَيِّ شَكْلٍ مِنْ أَشْكَالِ الْعَامِيَّةِ؛ وَلِذَلِكَ شَدَّدُوا عَلَيْهَا النَّكِيرِ؛ فَنَظَرُوا إِلَى الْلِّغَةِ عَلَى سُوَيْةِ وَاحِدَةٍ، مَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَخْتَلِفَ مِهْمَا تَنَوَّعَتْ مَسْتَوَيَّاتُ النَّاسِ أَوْ تَابَعَتْ الْعَصُورَ وَتَعَدَّدَتِ الْبَيْئَاتُ. وَالْحَقُّ أَنَّ هَذَا الْمَوْقِفَ يَتَفَقَّدُ الْحَالَةَ الَّتِي أَصْبَحَتِ الْعَرَبِيَّةَ تَنَازِلُ بَهَا مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْلِّغَاتِ. وَفِي ذَلِكَ مَرَاهَةً عَلَى مَفْهُومِ الْفَصَاحَةِ بِحَدِّ ذَاتِهِ؛ لِأَنَّ الْعَامِيَّةَ الَّتِي آلَ إِلَيْهَا التَّنَوُّعُ

(١) المقايس، والمزهر ٢٦٨ / ٩ وتأثُّر الدُّخُولِ عَلَى الْعَرَبِيَّةِ الْفَصَحِيِّ، ص ٥ -

اللهجي ارتبطت آلياً بالخروج عن حدود الفصاحة والارتباط باللحن، في منظور هؤلاء العلماء.

ومن هنا اتسع الفرق بين لغة أدبية فصيحة ميدانها الفكر للخاصة، ولغة عامية ميدانها الحياة للعامة. وبرز اللحن كواقع مضاد للفصاحة. وبقدر ما بدت مسألة اللحن بسيطة في عيون دارسي اللغة من المستشرقين باعتباره مجرد تطور لغوي، بقدر ما بدت معضلة في عيون دارسي العربية من أهلها. وقد بلغ الأمر بمحمد الخضر حسين - وهو عضو مجمع اللغة العربية وشيخ الأزهر - حد القول بأنه لا يصح أن ينسب دخول اللحن في العربية إلى تطور الحياة الذي تحب مسairته. وإنما نشأ من دخول أمم غير عربية بين العرب واستيلائهم على مجريات الحياة. فكان مظهراً من مظاهر الالخطاط في حياة الأمة ثقافياً واجتماعياً. وهو كلام انطباعي لا يخلو من رد الفعل، لمخالفته الواقع التاريخي في الفكر والثقافة والمجتمع، وإن بدا صوابه في الواقع اللساني. بل إن بعض الدارسين يذهب إلى القول بأنه لما أصابت العربية حظاً من التطور أضحت الإعراب أقوى عناصرها، وأبرز خصائصها، وسر جمالها. وأمست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الزلل<sup>(1)</sup>

فالعامة تعد مظهراً من مظاهر التغير الذي يصفه المستشرقون بالتطور من المنظور اللساني. وكلام العامة الذي شاع فيه (اللحن) في الأصوات، والصرف، والنحو، والأسلوب، والدلالة، حكم عليه القدماء بأنه خطأ يجب نبذه، والاعتصام بالفصحي، ولا شيء سواها. وهو ما يبدو متعارضاً مع منطق البحوث اللسانية الأجنبية التي لا تقف عادة عند حدود يفترض أن

(1) دراسات في اللغة، ص ١١١-١٠٨ ودراسات في فقه اللغة (د. صبحي الصالح) ص ١١٨.

اللغة لا تتجاوزها، بل تضيي مع اللغة قُدماً إلى آفاق بعيدة قد تقطع عن منطلقاتها الأصلية. ومن هنا كانت تلك البحوث تُعنى بالعامية؛ لأنها ميدان ذلك التغير السريع من غير تقييد بمعايير ثابت يحكم على صحته أو خطئه. ولقد كان من نتيجة ذلك توجيه عدد من الدارسين المستشرقين والعرب اهتمامهم إلى اللهجات العامية لتعييدها وحفظها والدعوة إلى تعليمها. والحق أن هذا الاتجاه الذي تزيّأ بزيّ العلم كانت وراءه مقاصد أخرى لا صلة لها بالعلم.<sup>(١)</sup> وفي هذا يذكر د. أبو القاسم سعد الله عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة في بحث بعنوان (المستشرقون الفرنسيون وتعليم اللغة العربية للأوربيين في الجزائر ١٨٣٠ - ١٩١٤) أن الاستعمار الفرنسي لم يكتف في موقفه المشهور من العربية بمحاربتها من خارجها عن طريق منعها، وفرض لغته، بل راح يحاربها من الداخل أيضاً. وذلك بتوظيفها لصالحه الاستعماري عن طريق الاهتمام بالعامية من خلال المترجمين الذين رافقوا حملة الغزو، كما قاموا إلى جانب مهمتهم تلك بمهمة أخرى لا تقل عنها خطورة. وهي تعلم العربية العامية سعياً منهم لربط الصلات بينهم وبين الأهالي والتقارب منهم بلغتهم اليومية، وكذا تعلم الأوربيين هذه العامية.<sup>(٢)</sup>

لقد كان لنزول القرآن الأثر البالغ في حياة العرب والعربية. فقد نزل كما قال أبو حيان بأفضل اللغات وأصحها بلا خلاف؛ فأصبح نموذجها المتميز

(١) مصنفات اللحن والتثقيف اللغوي حتى القرن العاشر الهجري ، ص ٦ و ٧.

٢) مجلة مجمع اللغة العربية-الجزء ٦٧ / مايو-القاهرة ١٩٨٩.

ومعْلَمَهَا الْخَاصُّ إِعْجَازًا وَبَيَانًاً. وَإِعْجَازُهُ مُرْتَبَطٌ فِي الْجَانِبِ الْلُّسُانِيِّ مِنْهُ بِفَصَاحَتِهِ وَبِلَاغَتِهِ الَّتِينَ فَسَرَ حَازِمُ الْقَرْطاجِنِيُّ خَصْوَصِيَّتِهِ بِاسْتِمْرَارِهِمَا فِيهِ مِنْ جَمِيعِ أَخَائِهَا فِي جَمِيعِهِ اسْتِمْرَارًا لَا يُوجَدُ لَهُ فَتْرَةٌ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِّ. وَكَلَامُ الْعَرَبِ وَمَنْ تَكَلَّمُ بِلِغَتِهِمْ لَا تَسْتَمِرُ الْفَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ فِي جَمِيعِ أَخَائِهَا فِي الْعَالِيِّ مِنْهُ إِلَّا فِي الشَّيْءِ الْيَسِيرِ الْمَعْدُودِ، ثُمَّ تَعْرُضُ الْفَتَرَاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ فَيَنْقُطُ طَيْبُ الْكَلَامِ وَرُونَقُهُ لَا تَسْتَمِرُ الْفَصَاحَةُ لِذَلِكَ فِي جَمِيعِهِ بَلْ تَوْجُدُ فِي تَفَارِيقٍ وَأَجْزَاءٍ مِنْهُ.<sup>(١)</sup>

وَمِنْ هَنَا كَانَ لِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كُلُّ هَذَا التَّأْثِيرِ الْعَمِيقِ فِي الْخَرُوجِ بِاسْتِخْدَامَاتِ الْعَرَبِيَّةِ عَنْ حَدُودِ الْقَدْرَةِ التَّعْبِيرِيَّةِ لِلْفَرَدِ الْمُتَكَلِّمِ بِهَا إِلَى مَسَاحَاتٍ وَاسِعَةٍ وَمُمْتَدَّةٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهَا. وَهُوَ مَا يَفْسُرُ عَمَلِيَّةَ التَّحْدِيِّ الْلُّسُانِيِّ الَّتِي دَعَا الْعَرَبَ إِلَيْهَا فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْآيَاتِ. وَيَجْمَعُ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمُسْتَشْرِقُونَ عَلَى تَأْثِيرِهِ الْقَوِيِّ فِي حَيَاةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَتَكَادُ مَقْوِلَاتِهِمْ تَنْتَابِقُ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ ذَلِكَ لَفْظًا وَدَلَالَةً: يَقُولُ يُوهَانُ فَكُ فِي كِتَابِهِ (الْعَرَبِيَّةُ): لَمْ يَحْدُثْ فِي تَارِيخِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَبْعَدُ أَثْرًا فِي تَقْرِيرِ مَصِيرِهَا مِنْ ظَهُورِ الإِسْلَامِ. فَفِي ذَلِكَ الْعَهْدِ تَأَكَّدَتْ رَابِطَةُ وَثِيقَةٍ بَيْنَ لُغَتِهِ وَالْدِينِ الْجَدِيدِ كَانَتْ ذَاتُ دَلَالَةٍ عَظِيمَةُ النَّتَائِجِ عَلَى مُسْتَقْبَلِ هَذِهِ الْلُّغَةِ. وَيَقُولُ كَارْلُ بِرُوكِلِمَانُ Brockelmann: بِفَضْلِ الْقُرْآنِ بَلَغَتِ الْعَرَبِيَّةُ مِنَ الْاِتْسَاعِ مَدِيًّا لَا تَكَادُ تَعْرَفُهُ أَيُّ لُغَةٍ مِنْ لُغَاتِ الدُّنْيَا. وَاَكَتَسَبَتْ مَكَانَةً رَفِيعَةً فَاقَتْ جَمِيعَ الْلُّغَاتِ. وَيَقُولُ جُورَجُ سَارْتُونُ George Sarton: وَهَكَذَا ارْتَقَى الْقُرْآنُ بِالْعَرَبِيَّةِ إِلَى الْمَثْلِ الْأَعْلَى فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَقَاصِدِ

(١) - انظر: البحـر ٦/٣٩ والإعجاز في دراسات السابقين (عبدالكريم الخطيب) ص ٣٥٤ - ٣٦٣.

وجعل منها وسيلة للتعبير عن أسمى مقتضيات الحياة. ويقول فيليب دوترازي Philippe de Trasy القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي احتفظ بلغته الأصلية على قيد الحياة، وسيحفظها على مر الدهور. وستموت اللغات الحية المنتشرة اليوم في العالم، كما ماتت لغات حية كثيرة، في سالف العصور إلا العربية مخالفةً نواميس الطبيعة التي تسرى على سائر لغات البشر. فهي متصلة بالمعجزة القرآنية الأبدية، الحصن الذي تحتمي به وتقاوم أعاصر الزمان، وعواصف السياسة المعادية ودسائسها المدama. <sup>(١)</sup>

### الفصحى والحديث الشريف :

إن أكثر شيء يشير السؤال بشأن مدونة اللغة العربية هو عزوف النحاة المتقدمين وإعراضهم عن الاحتجاج بالحديث النبوى. حتى إن أبي عبد الله الدينوري (من علماء القرن الخامس الهجرى) أخرجه من المدونة، في حد النحو. قال "إنه علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله عز وجل" وكلام فصحاء العرب <sup>(٢)</sup> وتناول أبو حيان المسألة بشيء من التفصيل، قال "إنما أمعنت الكلام في هذه المسألة لثلا يقول مبتدئ : ما بال نحوين يستدللون بقول العرب، وفيهم المسلم والكافر، ولا يستدللون بما روي في الحديث بنقل العدول. وأجاب عن ذلك بقول أحد المتأخرین إنما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول (صلى الله عليه وسلم) ؛ إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن في إثبات القواعد الكلية. ثم علل ذلك بأمرین

(١) العربية (يوهان فلک) ص ١١٣ والفصحي لغة القرآن، ص ٣٣ و ٣٠٦ و ٣٠٥.

(٢)-ثار الصناعة (لأبي عبد الله الدينوري) ترجمة: د. محمد الفاضل، ص ١٣٤ والاقتراح، ص ١٦٠

أحدهما: أن الرواية جوّزوا النقل بالمعنى... إذ المعنى هو المطلوب، ولاسيما مع تقادم السمع، وعدم ضبطه بالكتابة والاتكال على الحفظ. والضابط منهم من ضبط المعنى. وأما ضبط اللفظ بعيد جداً، لاسيما في الأحاديث الطوال وقد قال سفيان الثوري (أحد كبار المحدثين) إن قلت لكم: إنني أحذّكم كما سمعت فلا تصدقونني إنما هو المعنى ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين أنهم إنما يروون بالمعنى. والأمر الثاني: أنه وقع اللحن كثيراً فيما روی من الحديث؛ لأن كثيراً من الرواية كانوا غير عرب بالطبع، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو؛ فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون. وقد وقع في كلامهم وروايتهما غير الفصيح من لسان العرب.<sup>(١)</sup>

وتناول السيوطي المسألة بحشد من المصطلحات المنهجية المتعلقة بالاستدلال، قال "وأما كلامه (صلى الله عليه وسلم) فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي وذلك نادر جداً، إنما يوجد في الأحاديث القصار، على قلة أيضاً، فإن غالب الأحاديث مروي بالمعنى. وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها؛ فرووها بما أدلت إليه عبارتهم، فزادوا ونقصوا وقدموا وأخرروا، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ. ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة مروياً على أوجه شتى، بعبارات مختلفة."<sup>(٢)</sup> وقد كان بعضهم ضعيفاً في عريته، حتى لا يكاد يقيم إعراب ما يرويه؛ لأنهم جمیعاً من أبناء المدن الذين

(١) الاقتراح، ص ١٥٨-١٦٠ وفي أصول النحو، ص ٤٧ ودراسات في فقه اللغة، ١٢٢ -

. ١٣١

(٢) الاقتراح (السيوطى) ص ١٥٧ والاعتصام (للشاطبى) ١/ ٢٣ .

لا يُحتاج بلغاتهم، وبعضهم من الأعاجم، خلافاً لرواية الشعر الفصحاء فخرجت بذلك لغة الحديث عن حدود الفصاحة واتسمت بالبراءة والضعف. ولعل هذا ما يفسّر، كما قال د. محمد خير الحلواني، انصراف النحاة عما دون من أحاديث الرسول (ص) لأن السبيل إلى قراءاته على أصحابه لم تكن ميسّرة ما عدا أحاديث قليلة صحت عندهم أوردوا بعضها شواهد على ظواهر نحوية. وهذا يدل على أن استقراءهم للغة إنما انصب على اللغة المحكية المسموعة - خلافاً لما ذهب إليه بعض المستشرقين - فالقرآن ذو أسانيد صحيحة، والشعر يسمع من أفواه الفصحاء أو الرواة الثقات، والأمثال يتداولها الناس كما رويت عن أعراب البادية الموثوق بهم. ولكل ذلك لا ترى في كتاب سيبويه كله غير ثانية أحاديث لم ينسبها إلى الرسول (ص)، ولم يصرّح بأنها أحاديث نبوية، كما أنه لا يُحتاج بها جميّعاً، بل يستأنس ببعضها، ويُخرج بعضها الآخر. وكذلك أورد الفراء ثلاثة عشر حديثاً احتاج بأربعة منها، أما الأحاديث الأخرى فقد كانت شواهد لظواهر لغوية لا نحوية خاصة وعلى هذا يكون الحديث النبوي قد تعرض في القرنين الأول والثاني للإهمال في الاستقراء اللغوي للعربية. وما أورده سيبويه والفراء لا يُذكر بجانب المتابع اللغوية المعروفة، من القرآن الكريم وكلام العرب شعره ونثره.

وقد ظل هذا النهج سائداً لدى النحاة حتى أواخر القرن الرابع، ثم أخذ الاعتماد على الحديث في الإزدياد مع نحاة الأندلس. وكان ابن مالك أكثر المتمحمسين له حين جعله مصدراً من مصادر اللغة، وموارداً جديداً للاحتجاج، بل جعل ظواهره اللغوية مادة يتعقب بها القدماء متّهماً إياهم بقلة الاستقراء. ولم يسلك المتأخرون سبيلاً المتقدمين من النحاة في الاحتجاج

بالرواية والمشاهدة، كما كان يفعل القدماء، بل أصبحوا يلجأون إلى الكتب ومجامع الصحاح دون أن يأبهوا لما ذكر عن الخلل الذي اعتبرى لغة الحديث.<sup>(١)</sup> ورغم سعيهم الحثيث لتدارك ما فات المقدمين، إلا أن نظرية النحو العربي كانت قد بلغت مداها في معالجة المدونة اللغوية المعتمدة منذ قرون، ولم يعد ممكنا تحقيق ذلك، فتم إدراج الحديث إدراجا في ثنايا المسائل النحوية تمثيلاً لا تأسيساً، بعد أن سادت لغة القرآن الكريم وكلام العرب في الاحتجاج اللغوي.

الفصحي ولهجات العرب :

حدد علماء العربية زمان ومكان مصدر الاحتجاج اللغوي وقيده بالقبائل التي يحتاج بكلامها وضمن الفترة المتقدمة التي وقع فيها تدوين كلام العرب، في ظل وجود النص القرآني الذي كان له الأثر الكبير في تيسير مهمة تعين المساحة الجغرافية للغات العرب التي يحتاج بها. وهي في الواقع مجموع القبائل العربية التي كانت تنتشر في الحجاز ونجد، مما يحيط بمكة والمدينة باعتبارهما موئلا للعرب في حلهم وترحالهم. وإنك تجد في الكثير من أقiseة النهاة في مسائل اللغة ما يشبه الموازنة بين لهجتي قريش الحجازية وقديم النجدية، والترجيح بينهما. ومع ذلك فإنهم حين يخبرون بوجود هذه اللهجات لا يحددون نسبتها إلى قبيلة ما في الكثير من الأحيان. وفي هذا يقول سعيد الأفغاني "فلو سئلنا: على أية قبيلة ينطبق نحوكم الذي تدرسوه اليوم؟ ما استطعنا تسمية القبيلة باطمئنان، بل نكون أقرب إلى الدقة إذا أجبنا أنه

---

(١) أصول النحو العربي ، ص ٣٣ و ٣٤ و ٤٩ .

أسس على خليط لا نظام له مما روي على أنه تكلمت به العرب.<sup>(١)</sup> وهو ما فسّرته الدكتورة صالحة راشد غنيم في بحثها عن اللهجات في الكتاب لسيويه بأن القبائل لم يكن بينها حدود فاصلة؛ فاللهجة الواحدة قد تُعزى إلى أكثر من قبيلة يربط بينها الجوار أو الطابع الاجتماعي، من بداوة أو حضارة؛ مما يصعب معه القول بإمكان فصل لهجة كل قبيلة على حدة، ووسمها بخصائص خاصة بها.<sup>(٢)</sup>

وقد انصبت دراسة العلماء على المدونة التي رواها المتقدمون من اللغويين والرواة: كابن أبي إسحاق الحضرمي وعيسى بن عمر الثقفي وأبي عمرو بن العلاء وحماد الراوية والمفضل الضبي وخلف الأحمر والأصممي وأبي زيد وأبي عبيد وابن الأعرابي وأبي عبيدة. ومن النحاة: الخليل ويونس وسيويه والكسائي والفراء والأخفش ولم تخرج مدونتهم عما وصل إليهم من مرويات العصر الجاهلي والقرآن الكريم وقراءاته، وما كان سائدا في لغة العرب خلال القرنين الأول والثاني للهجرة. وقد انطلقت جهودهم من ضبط القرآن الكريم بلاحظة الظواهر الكلامية في العربية، فجمعوا إليه ما نقل عن البيئة الفصيحة مما يُسمع من الفصحاء، من أشعار وحكم وأمثال وخطب. وفي خضم هذه العملية امتزجت القواعد المحصلة بالقراءة القرآنية، فكان معظم قراء القرآن الكريم نحاة، كابن أبي إسحاق الحضرمي وأبي عمرو بن

---

(١) -في أصول النحو، ص ٧١ ودراسات في العربية (فيشر) ١١٤ والعربية معناها ومبناها: ١٤.

(٢) اللهجات في الكتاب لسيويه أصواتاً وبنية، ص ١١ ودراسات في فقه اللغة، ١١٠ و ٧٢.

العلاء وعيسى بن عمر والكسائي.<sup>(١)</sup>

وفي هذا الصدد يتناول برجشتراسر Bergstrasser مسألة الفصاحة بما لها من علاقة بظاهرة التطور اللغوي ؛ حيث أرجع عزوف علماء العربية - مع بذل الجهد العجيب في درس هذه اللغة من جهة الصرف والنحو، ومن جهة المفردات - عن العناية بالكشف عن تطور اللغة بعد الإسلام إلى عاملين : أحدهما تعليمي يتعلق بمداومتهم على السؤال عن الجائز في اللغة وضده، وعلى المنع عن كثير من العبارات. مع أن الفحص العلمي يجب أن يتوجه إلى ما يكون في اللغة حقيقة لا ما ينبغي أن يكون فيها. فإذا ما اجتهد المعلم ليقهر حياتها ويعوقها جازته وغفلت عن تعليمه ؛ فيتسع إذاً الشق الحاجز بين اللغة الحقيقة الحية وبين ما يعلمه النحاة كما يشهد بذلك تاريخ اللغة العربية التي آلت إلى العاميات على ألسنة الناطقين بها رغم كل ما بذل بشأنها. قال يوهان فوك "ولقد تكفلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل، وتضحية جديرة بالإعجاب بعرض اللغة الفصحي وتصويرها في جميع مظاهرها، من ناحية الأصوات، والصيغ، وتركيب الجمل، ومعاني المفردات، على صورة محطة شاملة ؛ بحيث بلغت القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد".<sup>(٢)</sup>

والعامل الآخر هو اعتقاد علماء العربية أن أكمل ما كانت عليه العربية وأتقنه وأحسنه ما يوجد في الشعر القديم. وهذا حكم صحيح من جهة ،

---

(١) مدرسة الكوفة، ص ٢٠ والتراكيب النحوية (لاشين) ص ١٣ وأصول النحو العربي، ص ٣٥

(٢) العربية ، ص ١٤

وباطل من جهة أخرى. والقول بأن لغة البدو قبل الإسلام وفي أوائله كانت أكمل وأحسن من العربية المستعملة في المدن في الزمن المتأخر هو حكم انطباعي، لا يخرج عن دائرة الذوق الشخصي،<sup>(١)</sup> مع أنه قد يصدر عن قناعة راسخة لدى مستشرق كبير كأرنست رينان Ernest Renan الذي يقول: من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية(العربية) وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحراء وعند أمة من الرُّحَّل. تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها. ولا نكاد نعلم من شأنها شبهها لها. فقد ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج وبقيت حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة.<sup>(٢)</sup> ويدرك كثير من الباحثين المستشرقين أن أهم مزية حفظت للعربية شخصيتها بين أخواتها الساميات إنما هي عزلتها عن الشعوب الأعجمية، واكتفاءها بقدرتها الذاتية على التعبير وعلى التمثل والتوليد وعلى التخير والانتقاء في موطنها عينه وببيتها نفسها.

غير أن برجشتراسر لا يقف عند حد هذه المفارقة، بل يقدم تفسيرا للظاهرة، وينحو باللائمة على علماء العربية، لما للمسألة من خطر كبير على هذه اللغة؛ حيث يقول: إذا قيدت الإطلاق بذكر الأغراض المقصودة بالكلام على اختلافها وجدت أن لغة البدو القديمة كانت أدنى بكثير من لغة المتأخرین من جهة بعض تلك الأغراض فهي وإن كانت حسنة بارعة الحسن في وصف حياة البدو وكل ما يهمهم، غنيةً غنى باهرا في جميع ذلك، عجيبة الإيجاز والقوية في تمثيل المراد أمام السامعين كأنه حي حاضر؛ فهي في كل

(١) التطور النحوي ، ص ٢٠٤ و ٢٠٥.

(٢) الفصحى لغة القرآن ، ص ٢٧ والقياس في اللغة العربية (محمد الخضر حسين) ص ١٩.

ذلك لا تكفي في تأدية أحوال الأقوام المتمدنين وحاجاتهم وخصوصاً أفكارهم الدينية والفلسفية والعلمية وغير ذلك.<sup>(١)</sup>

ويخلص بعد هذا إلى أن التقسي والتبع الدقيق عند علماء العربية لما قاله بعض الشعراء المجهولين والمغمورين من الكلمات النادرة أو الغريبة يعد عبشاً بالمقارنة مع ما أهمله هؤلاء العلماء إهالاً تماماً من لغة كتب الأئمة كالشافعى مثلاً. ففضلاً عن الآثار العلمية والأحكام الفقهية فقد فتح للعربية أرضاً واسعة من وسائل التأدية وأغنها أكثر بكثير مما أغنها الشعراء. فهو فوق كثير منهم.<sup>(٢)</sup>

وهذه ملاحظة تنطبق على كل مجالات الحياة، وتعبر بصدق عن جهود كل علماء الحضارة العربية، من لغوين ونحاة وبلاغيين ومفسرين وقراء وفقهاء ومحدثين وكلاميين وأصوليين، ومن علماء الطب والحساب والهندسة والفلك والتاريخ والجغرافيا والعمران، في إثراء العربية باعتبارها لغة الدين والعلم والثقافة.

فقد استطاعت هذه الطوائف الكبيرة من العلماء منذ بداية العصر الإسلامي الأول نقل كم كبير من مفردات اللغة متجاوزة دلالاتها اللغوية في حيز الاستخدام الاجتماعي عرفياً إلى الدلالات العلمية في حيز الاستخدام الحضاري معرفياً، وتحول هذه المفردات إلى مصطلحات ذات مفاهيم ودلالات معرفية مخصوصة. وبالإضافة إلى ما استحدث فيها من ألفاظ معبرة عن هذه المستجدات، وما دخل إليها من غيرها من اللغات. ومثال ذلك ما

---

(١) التطور النحوي ، ص ٢٠٤ و ٢٠٥ و دراسات في فقه اللغة ، ص ١١٥ .

(٢) التطور النحوي ، ص ٢٠٦ .

ذكره الجاحظ عن علماء الكلام، قال "وهم تخّيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقو لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم؛ فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف وقدوة لكل تابع."<sup>(١)</sup> فقد سلکوا في ذلك إذاً، كما قال برجشتراسر، طرقاً شتى. فإذاً أن يستعينوا على ذلك بكلمة موجودة قدية، معناها قريب من المطلوب، أو أن يخترعوا كلمة جديدة، أو أن يستعيروا كلمة أجنبية. وأكثر ذلك إذاً كان الشيء أجنياً يأتيهم من خارج بلادهم واسمها معه.<sup>(٢)</sup> كل هذا أدى في المصلحة إلى ظهور شكل آخر جديد من أشكال التعبير اللغوي المتعلق بالاستخدام العلمي للعربية في الحقول المعرفية المختلفة. وهو ما يُعرف اليوم باللغات العلمية المتخصصة أو المختصة.

#### **الفصحي ومصطلح الكلاسيكية:**

يقول ديتريش فيشر بأن اللغويين والنحاة استخدمو المادّة اللغوية التي جمعوها هم أنفسهم، وتعود إلى الفترة المتداة بين القرنين ٦م و٨م؛ أي قرناً قبل المّحرة، وقرنين بعدها. وهو ما يطرح مشكلة أساسية بالنسبة لمفهوم الفصاحة، ولحدود مدونتها، بين كونها ظاهرة لسانية اجتماعية، وبين كونها ظاهرة من ظواهر تاريخ اللغة. فإذا كانت الفصاحة في العربية تعني البيان لغةً pureté de la élocution éloquence، فإن مُقابِلها في الفرنسية مثلاً هو: langue، أو كذا: العربية الفصحي./ Arabe standard littérale/classique، وسيكون من المجازفة مقابلة مصطلح (فصحي) بمصطلح (كلاسيكية) بشكل

---

(١) البيان والتبيين ١٣٩/١.

(٢) التطور النحوي ، ص ٢٠٧.

(٣) معجم السبيل (لاروس) دانييل رينغ-مادة: ف ص ح- رقم ٤٠٠٥.

مطلق ، دون إدراك السياق الموضوعي الذي وضعها فيه فيشر حين قسم تاريخ العربية إلى ثلاث مراحل :

١ - ما قبل الكلاسيكية : ويقصد بها العربية قبل التدوين والتقييد (من بداية القرن ٦م إلى منتصف القرن ٨م).

٢ - الكلاسيكية : وهي العربية المدونة والمقدّمة لتلك الفترة ذاتها ؛ لأن النهاة استخدمو المادة اللغوية التي جمعوها هم أنفسهم - كما سبق الذكر - وهي مادة يعود تكوينها إلى هذه الفترة التي لم تكن نصوصها قد وقعت بعد تحت أي تأثير معياري للنحو المدرسي . ومن ثم تقدم لغتها تنوعا أكبر . سواء في بناء الصيغ ، أو النحو ، أو في المجال الصوتي أيضا . ولذا تبرز بوضوح من خلال النصوص العربية الكلاسيكية فترة ما قبل الكلاسيكية التي تنتد حتى منتصف القرن ٨م تقريبا .

٣ - وما بعد الكلاسيكية : وهي العربية التي جاءت بعد التقييد (بعد القرن ٨م). <sup>(١)</sup>

فالكلاسيكية عنده إذاً عبارة عن مرحلة تاريخية مرتبطة بالفصاحة في حدودها العملية والعلمية في آن معاً ؛ أي أداء ودراسة ، كما رسم معالها الدرس اللغوي العربي . وهي بهذا تشكل من الناحية التاريخية مرحلة واحدة هي نفسها فترة ما قبل الكلاسيكية والكلاسيكية ؛ بحيث يتداخل فيها الأداء اللغوي مع التدوين والتقييد ، في مقابل مرحلة ما بعد الكلاسيكية .

وهذا ما يجعلنا نخلص إلى القول بأن هذه المراحل الثلاث في حياة العربية كما عرضها فيشر هي في الواقع الأمر مرحلتان : كلاسيكية وما بعد الكلاسيكية .

---

(١) دراسات في العربية ، ص ١٠٩-١١٢ .

أما ما قبل الكلاسيكية فأحرى بنا أن نطلقها أو نخصصها لما قبل القرن السادس؛ أي المرحلة السحرية أو المجهولة من تاريخ العربية.  
الفصحي والتغيير:

إن موقف النحاة من المدونة التي جمعوها والتي تمت لثلاثة قرون على أنها وحدة إلى حد بعيد، حال دون دراسة مكوناتها بشكل مفرد، أو في فترات محددة. ولذلك عوّلت كيان واحد متكامل لسانياً، من القرآن الكريم وقراءاته، وكلام العرب شعره ونشره، ونواورهم وحكمهم وخطبهم وقصصهم. وتحديد مفهوم الفصاحة، وتكريس اللغة الفصحي عبر العناية بها، وجعلها النموذج المفروض في العربية، مع مقاومة سواها بذرية اللحن، هو الذي يقف دون إمكانية الحصول على صورة واضحة للنمو والتطور الذي أصاب العربية ككل لغة حية إلى اليوم، في مدة تربو على ستة عشر قرناً.<sup>(١)</sup> بل إن ذلك ما يجعل مسألة الفصاحة في حد ذاتها محل التباس في فهم طبيعتها اللسانية، وتحديد ملامحها بشكل مقنع.

فالدكتور قباوة في كتابه (تطور مشكلة الفصاحة) -ورغم ما يبدو على العنوان من ربط المشكلة بالفصاحة -يعتبر الفصاحة معياراً لنموذج لغوي ثابت؛ بينما تقع المشكلة في تطور الدرس اللساني العربي نحوً وبلغةً منذ نشوئه في البصرة والكوفة ثم بغداد، في حركة دائبة في الزمان، ولكنها مستقرة في المنهج على التحقيق الذي يلتقي فيه المبدأ والهدف معاً، في تحديد هذه الفصاحة والحفاظ عليها أيضاً.<sup>(٢)</sup> وقد حصل كل ذلك بسلاط الضبط

(١) العربية (يوهان فل) ص ١٤ و(وقد ذكر ثلاثة عشر قرناً)

(٢) تطور مشكلة الفصاحة ، ص ٤٣-٣٧ ودراسات في فقه اللغة ، ص ١٣١-١٣٤ .

والتصويب اللغوي الذي كان علماء العربية يشهرون في وجه الكثير من مظاهر التغيير التي يمارسها المتكلمون - خاصة منهم الشعراء - وأشهر مثال على ذلك ما يُروى عن اعتراضات عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي على الفرزدق، ورده عليه بقولته المشهورة: علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا. ولم تقف سلطة النحاة عند الشعراء، بل جاوزتهم إلى القراء أيضاً. وقد كانت غايتها في كل ذلك إقرار قواعدها، وتبني مقاييسها التي يشكل مجموعها منظومة الفصحي في العربية المنتقة بعناية فائقة الدقة.

وبالنظر إلى امتداد هذه المدونة على رقعة جغرافية واسعة، وعلى فتره زمنية طويلة إلى حدود لا يُعقل معها أن تكون اللغة ثابتة أو مستقرة كل الاستقرار؛ بحيث أصبحت هذه المدونة نموذج العربية الذي يُحتذى، فإن من المنطق أن يتصور حدوث تغيرات مع مرور الزمن، بدءاً من العصر الجاهلي ووصولاً إلى أواخر القرن الثاني فإذا سلمنا جدلاً بأن العربية لم تشهد هذه التغيرات بشكل كبير وظاهر في العصر الجاهلي بحكم استقرار نمط الحياة نسبياً، ورتابة العيش، وتشابه أعراضه على امتداد كل تلك الفترة من حياة عرب الbadية، وعدم حدوث أي مستجد ذي أثر يُذكر في نمط الحياة لدיהם، فإن التغير الحقيقي كان قد حصل - بدون شك - مع نزول القرآن الكريم، وانتشار الدين الإسلامي في بلاد العرب فضلاً عن حملهم لرسالته، ونقلها إلى غيرهم من الشعوب خارج بلادهم، وما تبع ذلك من مستجدات في شتى جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وكذلك بفعل اختلاطهم بشعوب البلاد التي امتدت إليها الفتوحات الإسلامية على اختلاف بيئاتها الطبيعية وتنوع أعراقها، وتبالين أسلتها وثقافاتها.

فقد كان لنزول القرآن الكريم أثره الكبير والعميق في حياة العرب والعربية. وهو ما عبر عنه ابن فارس بقوله: "كان العرب في جاهليتهم على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابنهم. فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونُقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع آخر بزيادات زيدت، وشرائع شُرعت، وشرائع شُرطت، فعفى الآخر الأول."<sup>(١)</sup> وذكر د. أحمد علم الدين الجندي أنه "ليس معنى صفة البداءة الثبات وعدم التطور. فقد أثبت علم الاجتماع أن الجماعة البشرية لا يمكن أن تثبت على حال واحدة، وأن أكثر الجماعات جمودا ينالها التطور والتغيير باستمرار"<sup>(٢)</sup> ونخلص هنا -من باب الأمانة والصدق العلميين -إلى القول بأن الجمع بين الحقبتين الجاهلية والإسلامية في مدونة واحدة يعرضه عملا يعترضه بالضرورة كثير من النقد الموضوعي والمنهجي ويعتريه بعض الخلل العلمي تخليلا واستنطاجا.

وهذا ما يستوجب في واقع الأمر إعادة النظر في المدونة اللغوية تصنيفا وتبنيها وتحليلها أيضا. وهي مهمة ليست باليسيرة في ضل ما هو متاح اليوم من وسائل تقنية كبيرة ودقيقة تجعل العمل في متناول مؤسسات البحث الأكاديمية المتخصصة. ويمكن التنويه هنا تعليمياً ببحث د. أحمد محمد المعتوق بعنوان الحصيلة اللغوية -أهميةها -مصادرها -وسائل تنموتها، وعلمياً بمشروع الذخيرة اللغوية التي دعا إليها د. عبد الرحمن حاج صالح في الجزائر بحيث يمكن الاستفادة منها في إعادة تكيف المادة اللغوية، وفرزها، ثم تصنيفها

(١) الصاحبي في فقه اللغة، ص ٤٤.

(٢) اللهجات العربية في التراث ، ص ٨٩.

وتبويبها وفقاً للمراحل التاريخية، وبشكل تفصيلي. وكذلك معالجة الشواهد اللغوية في مختلف مستويات الدرس اللساني للعربية: من أصوات، وتصريف، ونحو، وبلاغة، ومعجم ودلالة. وما يتعلّق بها من نقد، وشرح، وتفسير، وأصول. كل ذلك وفقاً لمراحل حياة اللغة العربية من خلال رصد التغييرات الحاصلة فيها بفعل التحولات الاجتماعية متسلسلة تاريخياً. ومن ثم الحكم عليها بالمعايير المناسبة لفهمه الفصاحة الذي شغل علماء العربية، ولم يتضح لديهم بالقدر الكافي الذي يجعل القارئ يطمئن - في ظل الخلاف النحوي الواسع - إلى استخدامه معياراً للحكم على ما تلا عصر الاحتجاج من الكلام.

إن السؤال المطروح بإلحاح، والمشوب بشيء من التعجب، في تقديرنا هو الآتي: كيف يمكن حصر صفة الفصاحة في العربي الذي عاش في عصر الاحتجاج؟ بينما يُحرّم من هذه الصفة كل من جاء بعد تلك الفترة من التاريخ؛ لأنّه خارج عنها! بل حرم منها كثير من كان ضمن فترة الاحتجاج، كالذى وقع من إسقاط العلماء الاحتجاج بـشعر أمية بن أبي الصلت وعدى بن زيد العبادي، وحتى الأعشى عند بعضهم، لـخالطتهم الأجانب، وتأثر لغتهم بهذه المخالطة.

وهذا معيار في الواقع يستند إلى عوامل الزمان والمكان أكثر مما يستند إلى عنصر اللغة بحد ذاتها أو إلى المتكلم باعتباره مستخدماً لهذه اللغة. وليس أدل على ذلك من محاولة علماء العربية منذ القرن الثالث مع المازني، ثم الرابع مع الفارسي وابن جنبي تصحيح هذا المسار من خلال الربط بين النموذج والأداء في عملية قياسية مفادها أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامها.

ولذلك كان أليق حد للنحو عند ابن جني ، كما قال السيوطي ، أنه انتفاء سمت كلام العرب ، في تصرفه من إعراب وغيره . . . ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة .<sup>(١)</sup> مما يعني أن من يحتذى نموذج الفصاحة يمكن أن يوصف بالفصاحة أيضاً بناء على جملة الخصائص التي وُسم بها العربي قديماً. مع أن المسألة هنا تبقى في حدود الأداء الفردي للكلام ، ولا شأن لها بالظاهرة الاجتماعية ؛ بحيث تصبح الفصاحة ظاهرة فردية تنحصر في الشخص الذي يتقن العربية حق الإتقان ، من الأديب والمفكر والمتقف ؛ بينما تشمل العامة المجتمع كافة باعتبارها ظاهرة اجتماعية يشترك فيها جميع الناطقين بها.

فلم تعد الفصحى اليوم ظاهرة اجتماعية إذاً ، بالمنظور اللساني الذي ذكره دو سوسيير ، حين جعل "الكلام نشاطاً تستحيل ممارسته إلا من خلال إطار اللغة".<sup>(٢)</sup>

والمتكلم رغم خصوصه لنظام اللغة الفصحى فإنه يبقى في هذه الحالة فرداً ، ولا يشكل حالة اجتماعية ، ويصدق عليه وصف الظاهرة الكلامية لتعلقها بالأفراد ، حتى لو بلغوا حداً كبيراً من الكثرة ومع ذلك فهم لا يشكلون مجتمعاً ، بل يعتبرون أفراداً أو فئة - في أقصى الأحوال - داخل مجتمع يستخدم العامة للفصحى في تواصله اليومي. وفضلاً عن كل ذلك فإن ثراء مدونة العربية وتنوع مادتها اللغوية - رغم ما قيل عن ضياع أكثرها - وإغفال بعضها من قبل علمائها ، لقلته أو ندرته أو شذوذه - أدى

(١) الخصائص ١/٣٤ والاقتراح ، ص ١٢٧ وفي أصول النحو ، ص ٢٥.

(٢) انظر : سوسيولوجيا اللغة (بيان أشار) ترجمة د. عبد الوهاب ترو ، ص ١٣.

إلى تراكم الكثير من أحكام الجواز والمنع المتعارضة أو المضادة نتيجة الخلاف النحوي. وهو ما حمل أحد أئمة العربية المتقدمين على القول : من عرف لغة العرب لم يكدر يخطئ أحدا. وهي مقوله تنس صميم مسألة الفصاحة مفهوماً وإجراءً.

### التغيير وظاهرة العدول في اللغة :

مع أن التغيير كما سبق القول هو سمة الحياة الإنسانية لا يمكن صده أو الوقوف دونه في كل الأحوال فإن انعكاسه على اللغة سيكون ظاهرا في أي مستوى من مستوياتها : الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي والأسلوبي. وهو ما تشهد به كل اللغات البشرية عبر التاريخ ، من خلال التحولات الكبرى التي تتحكم في مصائرها ميلادا أو اضمحلالا أو زوالا. غير أن العربية - وإن لم تكن بداعا من اللغات - قد تسنى لها من خصائص المناعة ما يجعلها في منأى عن هذه التحولات الخطيرة بفعل وجود القرآن الكريم فيها ، لما له من أثر قوي وعميق لسانيا في تحديد إطارها النموذجي الموسوم بالفصاحة في بعديها الزمانى والمكاني. ولكن دون الادعاء بتوقف حركة التغيير فيها ، بما يؤدي إليه ذلك من الجمود والاندثار. وهو ما عبر عنه محمد فريد أبو حديد (عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة) بقوله " وكانت القدسية التي خلعتها عليها القرآن الكريم من أقوى أسباب قلة قبولها للتطور الذي يبعدها عن صورتها الأولى ".<sup>(١)</sup>

ومن هنا يأتي اختيارنا لمصطلح العدول باعتباره ظاهرة لسانية تنطوي على قدر كبير من التحكم في عملية التغيير وفقا لضوابط مأمونة تستبعد أي

(١) دراسات في اللغة (محمد الخضر حسين) ص ١٠٨ .

شكل من أشكال الارتجال المتعسف ، والاعتباطية غير المبررة. وهو ما ينسجم أكثر مع مفهوم الفصاحة ، خلافاً لمصطلح التغيير ذاته الذي لا يعبر بالضرورة عن أي ارتباط بالضوابط التي تحفظ اللغة علاقتها بالأصل لسانياً ، فضلاً عن إمكانية تعرضها للمسخ الذي حول نسختها العامة إلى عامية ، بل عاميات يمرور الزمن.

فالعدول - باعتباره ظاهرة لسانية مميزة - يعني التغيير من الناحية الإجرائية ، وينبئ دوراً مهماً جداً في إحداث التوازن بين مقررات النظام في بعده الاجتماعي ، ومقتضيات الكلام ومطالبه في بعده الفردي من خلال عملية شبيهة بحالة المد والجزر بين الطرفين ؛ بحيث يصبح الإطار الحيوي الذي يتحقق فيه التغيير النسبي المستمر في أي لغة من اللغات. وقد آثرنا الحديث هنا عنه باعتباره شكلاً من أشكال التغيير المنتظم الذي لا يطرأ على اللغة عشوائياً ، ولكنه سلوك يحصل في أداء المتكلم مع الخضوع لجملة من الضوابط اللسانية التي يقع فيها تطوير اللغة بقدر من المعيارية الاجتماعية النابعة من مكونات اللغة وخصوصياتها. كل ذلك يقع فيها مع قدر من التحكم والتوجيه لسانياً ، خلافاً للتغيير في معناه العام ، والذي يمكن أن يقع دون ضوابط أو مسوّغات - على الأقل - تبرره أو تفسر أسباب وقوعه ، كالذي حدث من تخلّي العامية في العربية عن الإعراب بشكل كامل ، مع أنه يقع في الفصحي أيضاً ، ولكن بأشكال نسبية مسوّغة وجائزة باعتبارها عدولاً ، لا تغييراً كلياً. وهو ما نسعى لإبرازه هنا.

وهو في اللغة مأخوذه من الميل ، يقال عَدَل عن الطريق : حاد عنه ، وإليه رجع. وعَدَل الشيء : أقامه وسوأه ، وعَدَل الحكم : غيره بما هو أولى منه. ومنه تغيير البناء ، أو إزالة معنى إلى معنى ؛ كمئتي وثلاث ورباع ، أو الانتقال

عن صيغة إلى صيغة أخرى أشد منها قوّة في المعنى كراحم ورحمن.<sup>(١)</sup> وفي الاصطلاح هو الخروج عن أصل الوضع في اللغة معنى ومبني. فالعدول عن سنن اللغة وضوابطها وأنماطها المعيارية تتدخل في حصوله الوسائل والغايات اللسانية والتداولية المتنوعة، من: بنوية، دلالية، وسيميائية، وجمالية. ذكر محمد إبراهيم عبد السلام في بحثه (ظاهرة العدول في اللغة العربية) أنه عبارة عن: صرف الكلام عن وجهه الذي كان عليه. سواءً أكان ذلك الصرف في الحركات إعراباً أم في غيره من الأصوات والمباني والترakinب. ولا بد فيه من نكتة لا تكون في الكلام بدونه. ولا بد من الترخيص لدى الفصحاء لغرض التوسيع في اللغة. ولذا قيده النهاة بشرط أمن اللبس في التعبير عن أغراض المتكلمين، وبيان مقاصدهم. قال ابن مالك: "إن بشكل خيف لبس يُجتنب."<sup>(٢)</sup>

وقد علق د. تمام حسان المسألة على تضافر القراءن. فبعض القراءن قد يُغّني عن بعض عند أمن اللبس باعتباره غاية. إذ شأن كل لغة الإفهام والفهم. فإذا كان من الممكن الوصول إلى المعنى بلا لبس مع عدم توفر إحدى القراءن اللفظية الدالة على هذا المعنى فإن العرب كانت ترخيص في هذه القرينة اللفظية الإضافية لأن أمن اللبس يتحقق بوجودها وبعدمه. فالترخيص في اللغة إذاً يقع عند تضافر القراءن في إيضاح المعنى الوظيفي النحوي، فيبيح نظامها إسقاط القرينة عند إغناط غيرها عنها. وفي إدراك هذه الحقيقة تفسير لكثير ما عده النهاة مسماً يُحفظ ولا يقاس عليه، أو عدوه شاذًا أو قليلاً أو نادراً أو خطأ.<sup>(٣)</sup>

(١) المعجم الوسيط ٢ / ٥٨٨ والكتاب ٢٧٠/٣ والمقتضب ٣ / ٣٨٠ وإعجاز القرآن

(للباقلاني) ١٩٠

(٢) رسالة ماجستير-المقدمة-ص: أ، والعربية معناها وبناؤها، ص ٢٣٣-٢٤٠.

(٣) الأصول (د. تمام) ص ١٤٤-١٥٦ والأسلوب دراسة لغوية إحصائية (د. سعد مصلوح) ٤٣

## مظاهر العدول:

تتجلى مظاهر العدول عند نحاة العربية في سيل من المسميات المتنوعة التي تجسّد صوره العملية، كالمخالفه والخلاف، والانتقال والنقل، والقلب، والنقض، والتضمين، والصرف، والمحذف، والتخفيف، والاستغناء، والقطع، والإعلال، والإبدال، والتقدير، والإضمار، والإدغام، والإنابة، والتعويض، والإلغاء، والتعليق، والتوهّم، والالتفات، والتقديم، والتأخير، وغيرها كثير في العربية. وهي تشكّل في مجملها حصيلة ملاحظتهم للتغيير الذي يقع في اللغة انطلاقاً من مسألة الذوق، أو من تصورات ذهنية معيارية ترتكز على مبدأ الأصل، وما ينبع عن تجاوزه من تفريعات. وقد عبرت عنه مقولاتهم المشيرة أساساً بما يمكن وصفه باقتحام صرامة النظام، في إجراء سماه ابن جني بشجاعة العربية، من باب التوسيع في اللغة معنى ومبني، ولتمكين المتكلمين من التعبير عن أغراضهم بأقل كلفة. وسيأتي ذكر بعضها لاحقاً.

## العدول ومشكلة الفصاحة:

فاللنزاع بين مقررات النظام ومقتضيات الكلام لدى الفرد يجعل من مظاهر العدول في اللغة - بشكل عام - تنطلق لديه من عنصري الذوق والابتكار، لتصل بانتشارها في الاستعمال إلى العرف لدى المجتمع، بفعل الحس اللغوي المشترك؛ ولذلك لا ينبغي لنا الحكم عليها من منظور معياري خالصٍ ومبغيٍ يستند إلى مستوى الصواب والخطأ طبقاً للنسخة الاجتماعية للغة. ذلك بأن كثيراً من مظاهر العدول غالباً ما تأخذ مكانها في الاستخدام حين تلتقي النسخ المعدّلة لدى الأفراد مع الصيغ التعبيرية المعتادة (الأصلية) دون أن تدفعها بالضرورة إلى الزوال حملاً على التوسيع في اللغة؛ أو ما يسميه كثير من الدارسين المحدثين بالتطور اللغوي. سواء منها ما

تعلق بالذوق وخفة النطق، وما تعلق بالمعنى، مما يتيح للمتكلم مساحة أرحب في التعبير عن الفروق الدقيقة بين المعاني.

وهذا يعني في المحصلة أن العدول يبدأ سلوكاً فردياً في الكلام، ثم يتحول إلى ظاهرة اجتماعية حين يستقر في الاستعمال، بل يصبح جزءاً من نظام اللغة. والنظام في الحقيقة ما هو إلا تراكم لمظاهر الاستعمال اللغوي بحيث تبدو اللغة مستقرةً نسبياً بفعل العرف الاجتماعي. ويدل على ذلك مجموع الشواهد النحوية -الشعرية منها خاصة - التي سوّغ بها اللغويون والناحية وأجازوا كثيراً من الاستعمالات اللغوية في الكلام العربي، مع أنها نتاج أفراد، وجعلوا منها أساساً للاحتجاج اللغوي صحة وفصاحة وبلاغة وبياناً. ولعل ذلك ما يفسر، في المشهور من أقوال علماء العربية، اشتراط البصريين خاصة عنصر الكثرة (الاطراد) في القياس، لتغليبهم، من ناحية المبدأ النظري الجمعي للغة على الأداء الفردي في الكلام، وحفظهم للمثال الواحد والشاذ والنادر دون الطعن في فصاحته. أما الكوفيون ومن نهجهم فقد أباحوا القياس عليه باعتباره كلاماً صادراً عن عربيٍ صحيح. وهذه المسألة تطرح مشكلة لسانية جوهرية فيما يتعلق بمفهوم الفصاحة، بين كونها ظاهرة لغوية، وبين كونها ظاهرة كلامية. كما تطرح مشكلة حدود الفصحي في الزمان والمكان - خاصة - بالنسبة للغة العربية.

وقد عقد ابن جنني للعدول أبواباً عديدة في الخصائص، كباب نقض المراتب، وباب الاستغناء بالشيء عن الشيء، وباب إقرار الألفاظ على أوضاعها الأولى ما لم يدع داع إلى الترك والتحول، وباب نقض العادة، وباب شجاعة العربية، وباب مراعاتهم الأصول تارة وإهمالهم إياها أخرى، وباب

الحقيقة والمحاجز. وهو ما عَبَرَ عنه الجرجاني بـتغيير حال الأوضاع من استعمال اللفظ على غير ما وُضع له في الأصل اتساعاً وعدولاً به عن الظاهر، مما يوجب له الفضل والمزية في التعبير. وفي عبارة سيبويه "باب ما جاء معدولاً عن حده" دلالة الخروج عن الأصل من مقاييس اللغة وضوابطها؛ فمن "المعدول ما يجيء على غير قياس، ومنه ما يُعدل وهو القياس الجاري في كلامهم" وفي مقوله أبي حيان "العدول عن الظاهر" <sup>(١)</sup>

أما لدى دارسي العربية المحدثين فقد ضيق د. تمام واسعاً - كما يقول القدماء - حين علّق الظاهرة بالتغيير الذي يلحق المستوى الصوabi للغة بمرور الوقت تبعاً للتطور الصوتي، والصرفي، والنحوi، والمعجمي، والدلالي والأسلوبi الذي يحصل فيها استعمالاً بحكم عملية التأثر والتأثير في منظومة العرف اللغوي. <sup>(٢)</sup> ذلك بأن العدول لا يتعلّق بالمستوى الصوabi للغة فحسب بل يتعلق بعموم نظمها وأدائها، فيما يعرف بمحاري العرب في كلامها. إذ العدول عن لفظ: قول إلى لفظ: قال، لا يرتبط بالمستوى الصوabi للغة، بقدر ما يرتبط بمسألة الذوق وذلك بالعدول عن الثقل إلى الخفة في النطق. وفي هذا يقول د. تمام بشأن الإعلال والإبدال "قد يbedo للقارئ من أول وهلة أن هذا العنوان يحمل في طيه زعماً بأن العرب كانوا ينطقون شيئاً ثم أبدلوا به شيئاً آخر أو أعلّوه. وهذا الظن أبعد ما يكون عن الصواب. فالتقابل هنا ليس بين مستعمل قديم متrox، ومستعمل جديد منطوق. وإنما التقابل - كما ذكرنا

(١) الكتاب ٣ / ٢٧٠ والخصائص (الابن جني) والدلائل (تح: محمود شاكر) . ٤٢٨ والبحر ٥ / ٤٢٤

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ٦٤ و ٦٥.

من قبل - بين ما يقرره النظام، وما يتطلبه السياق؛ أي بين القواعد الصوتية، وبين الظواهر الموقعة. <sup>(١)</sup> وقد عبر ابن جنی من قبل عن بعض مظاهره بما يحكم به القياس مما لا يسوغ به النطق.

والأمثلة في اللغة أكثر من أن تحصى بهذا الشأن. وأبسط مثال على ذلك ما جرى في صيغة النسبة إلى فعيلة - فَعَلِيٌّ : حَنِيفَةٌ - حَنِيفَيْ، ومدينة - مَدْنَىٰ ، وقريش قُرَيْشِيٌّ . فمع أن فعيلي من الناحية الصناعية هي القياس، إلا أن مجرب الكلام العربي على حذف الاء. قال ابن جنی "والوجه قُرَيْشِيٌّ" . وقال أيضاً "وربما شدَّ من ذلك الشيء القليل، فلم تُحذف ياءه. قالوا في السَّلِيقَيْ، وفي الْخُرَيْبَيْ : خُرَيْبِيٌّ" . <sup>(٢)</sup> وبحكم إجراء العرب هذه الأمثلة على فعيلي سمعاً أصبحت هذه الصيغة المعدلة في الاستخدام هي القياس وآلَت الصيغة القياسية الأصلية إلى الشذوذ؛ فحصل هنا شيء من التداخل بين مفهوم القياس ومفهوم السمع بفعل ظاهرة العدول. وقد اعتمدت مجتمع اللغة العربية هذا المبدأ في قياس محدثات الألفاظ على ما سُمع من كلام العرب. قال الأمير مصطفى الشهابي "يرى المجمع أن الكلمات التي يستعملها قدامي النحويين والصرفين، وهي : القياس، والأصل، والمطرد، والغالب، والأكثر، والكثير والباب، والقاعدة، ألفاظ متساوية في الدلالة على ما يقياس، وأن استعمال كلمة منها في كتبهم يسوغ للمحدثين من المؤلفين وغيرهم قياس ما لم يسمع على ما سمع، وأن المقياس على كلام العرب هو من كلام العرب". <sup>(٣)</sup>

(١) اللغة العربية معناها وبناؤها، ص ٢٧٥.

(٢) اللّمع، ص ٢٦٥-٢٧٤ وشرح اللّمع للأصفهاني ٧٧٦/٢-٧٧١.

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٤، ص ٧٦-١٩٦٢.

وتناول د. المسدي مسألة العدول من الوجهة اللسانية مبرزا دور المتكلم في إنتاج النسخة اللغوية المعدلة، انطلاقا من ازدواج الطاقة التعبيرية التلقائية وطاقة الخلق والابتكار لدى الفرد؛ بحيث يخرج باللغة عن وظيفتها المرجعية الاجتماعية إلى الوظيفة الإنسانية الفردية؛ لأنه لا يكتفي بمقوم "النسج على المنوال" كما سماه ابن خلدون، استنادا إلى مرجعية السمع والمحاكاة، بل يتجاوز ذلك إلى مقوم آخر هو الابتكار والإبداع، مسجلا بصيغته في الكلام. كما بين أن للعدول أشكالا ومظاهر متعددة ودلالات متقاربة، يعبر عنها بصطلاحات متعددة في العربية وفي اللغات الأجنبية؛ فهو: التغيير *la modulation* - *le remaniement* - *la modification* *changement* والآخراف *l'écart* والتحريف *la déviation* والانزياح *l'Alteration* والتجاوز *abus* والانتهاك *viol* والمخالفة *infraction* والتمرد *l'abus* والعصيان *la transgression*<sup>(1)</sup> والقاسم المشترك بين دلالات هذه المصطلحات هو الخروج عن حدود اللغة وعرفيتها؛ أي: اجتماعية، بحسب متفاوتة في القوة والأداء. كما أنها تتسمi في محملها إلى المستوى التداولي الإجرائي للغة. فإذا تحقق في الكلام مبدأً أمن اللبس وتمت الفائدة أصبح مجموعها أو أغلبها مجرد تنوع في مظاهر العدول.

ولعل اللحن هو المصطلح الوحيد بين هذه المصطلحات الذي يحمل دلالة الخطأ، في تقدير علماء العربية الذين يربطون به نشأة النحو. أما باقي

---

(1) التفكير اللسانى في الحضارة العربية، ٢٢٥ والأسلوبية والأسلوب ٩٤ والملكة اللسانية ١٠.

المصطلحات فتنطوي على دلالة القصدية الإرادية أو الاضطرارية لدى المتكلم للإحداث التغيير في اللغة لأغراض تواصلية أدبية كانت أو اعتيادية. ولذلك أوجب العلماء تصويب الخطأ المسمى لحنا عندهم، وتصحيح الكلام دون تردد، لما يؤدي إليه من فساد المعنى؛ بينما سعوا في غيره من مظاهر التغيير، بشتى الوسائل من: قرائن اللغة وسياقاتها، ومن دلائل العقل ونوازع الوجдан، إلى تبريره بما يتناسب وأداء المعنى والوفاء بالغرض الإبلاغي مع أمن اللبس، فضلاً عن تحقيق القيمة الجمالية المنشودة. وهو ما يميز محاولة النحاة إيجاد مسوّغات لبعض الكلام الذي تبدو مخالفته جلية لعموم مجري كلام العرب، بما يحفظ له كيانه في اللغة -دون القياس عليه -كالذى وقع في قولهم: **مُكْرَهُ أَخَاكُ لَا بَطْلٌ**. فقد فسر النحاة العدول عن الرفع إلى النصب في لفظ (**أَخَاكُ**) على اعتبار العجلة وخروج الكلام على جهة السهو، فجرى مجرى المثل من جهة السماع -والأمثال لا تغير؛ لأن العرب تجربها على ما جاءت، ولا تستعمل فيها الإعراب.<sup>(١)</sup> وهو ما يعني أن خرق السنن، وانتهاك العرف اللغوي، والخروج عن الجادة، يصبح مقبولاً إذا أمن اللبس لدى **الْمُخَاطَبِ**، وكان له ما يبرره لدى المتكلم، وما يفسره أو يعلّمه لدى النحوي.

#### العدول ومنهج النحاة:

إن الصبغة المعيارية التي وُسِّم بها النحو العربي في كثير من جوانبه أنتجت عدداً من المصطلحات الأحكام القيمية المتعلقة بتداوile الكلام كمّاً وكيفاً؛ كالحسن والقبيح، والقوى والضعف، والمحال، والمطرد والمشهور،

(١) انظر: *شرح اللمع للأصفهاني* ٥٤٩/٢ والمغني، ص ٤٣٨ والمزهري ٤٨٧/١.

والقليل، والنادر والشاذ، وكذلك الأصل والفرع، والوجوب والجواز والامتناع، التي تختزل، في الواقع، تصور نحاة العربية النابع من الشعور بالخوف من عملية التغيير التي تشهدها اللغة فردياً واجتماعياً بصورة طبيعية، وبشكل خاص بعد دخول العنصر الأعجمي بكثافة إلى البيئة العربية. فراحوا بحرصهم على حفظ المدونة اللغوية المترامنة مع النص القرآني المقدّس، يبحثون عن آلية ناجعة لتفسير ظواهر اللغة اعتماداً على نصوص مرجعية تشكل ما يمكن اعتباره من الناحية اللسانية نسخة لغوية موذجية أرادوا لها أن تكون ثابتة إلى أقصى حد ممكن، من مدونة كلام العرب شرعاً ونشرأً مما يقع ضمن دائرة الاحتجاج زماناً ومكاناً.<sup>(١)</sup> فوسّعوا بذلك من مساحة الثبات في العربية وضيّقوا من مساحة التغيير، وكرّسوا مبدأ ما هو كائن في كلام العرب على حساب ما يمكن أن يكون التزاماً بمرجعية الفصاحة مفهوماً وإجراءً. وهو ما عبر عنه (يوهان فل) بقوله وككل علم قياسي لم يسلم النحو العربي دائماً من خطر الاستبداد بالحياة الواقعية وإكراهها في وضع قواعده مع أن علماء اللغة لم يتفقوا دائماً في وجهة نظرهم نحو الاستعمال اللغوي الصحيح. وهو ما فتح باب الخلاف النحوي واسعاً بين البصريين والковفيين، ومن تلاهم أيضاً. وقد ميّز السيوطي هنا بين مهمة اللغويين ومهمة النحاة "فاللغوي شأنه

(١)- رغم طول الفترة المعتمدة نسبياً، والممتدة لأكثر من ثلاثة قرون بالقياس إلى ما يقتضيه المنهج العلمي وصفياً في اللسانيات الحديثة، وفي مقدمتها اللسانيات البنوية الأوروبية، والذي لا تتجاوز فيه المدونة اللغوية القابلة للوصف عقداً من الزمان في أقصى الحالات.

أن ينقل ما نطق به العرب، ولا يتعداه. وأما النحو فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه.<sup>(١)</sup>

وقد كان للنص القرآني المقدس، والذي نزل بلسان عربي مبين الموفق لفهم الفصاحة الذي نص عليه علماء العربية جميعاً الأثر الكبير في ترسیخ هذا التصور اللساني في مجريات الدرس اللغوي العربي فكراً وتحليلاً. بل إن كلام العرب ناله قدر كبير من القداسة اللغوية المرتبطة بالقداسة الدينية، في مرجمية مفهوم الفصاحة في إطارها الزماني والمكاني. وذلك باعتباره الأداة الفاعلة والضرورية التي لا محيد عنها في فهم كلام الله تعالى.

فالتصور المعياري لدى النحاة يعود موضوعياً، إلى تغليبهم مسألة اجتماعية اللغة على فردية الكلام - عند البصريين خاصة باعتبارهم رواد الدرس النحوي العربي - ولكن دون الانتهاص من قيمة الفرد عموماً؛ مما جعل هذا التوجه ينعكس منهجاً على مسار الدرس، و يؤثر فيه تأثيراً عميقاً، فضلاً عن تداخل النزعتين العلمية والتعليمية لديهم، وهيمنة الثانية على كثير من مجرياته. فقد كان من المنطقي أن ترتكز جهودهم على محاولة تكريس النموذج الاجتماعي في أنماط التعبير لأغراض تعليمية؛ مما جعل أحکامهم تتسم بدرجة عالية من الصرامة، بل التعسّف أحياناً، في معالجة بعض المظاهر اللغوية المتعلقة بالأداء الفردي للكلام، والتي تنتهي أساساً إلى حقل الإبداع والابتكار أكثر من انتماها إلى حقل السمع والمحاكاة، كالذى جرى في لغة الشعر خاصة والأدب عامة. إذ عبرت إبداعات الشعراء عن قدر كبير من التمرّد على قيود وضوابط اللغة الاعتيادية فحمل نحاة العربية كثيراً منها على

---

(١) المزهر ٥٩ / والعرب (يوهان فاك) ص ٦٩.

الضرورة، وصنفوا في ذلك كتابا، أجازوا للشعراء فيها ورخصوا لهم الخروج عن مقاييس اللغة الاعتيادية بمعيار الصواب والخطأ.<sup>(١)</sup>

وقد نتج عن ذلك عند النحاة نوعان من الأحكام في مواجهة ظاهرة العدول. منها أحكام تتعلق بتصنيف بعض مظاهره ضمن الانحراف عن الجادة. وهي المخالفات التي اعتبرت لحنا؛ أي: خطأ غير مقبول. ومنها ما صنف على أنه من سعة العربية وشجاعتها في قبول بعض مظاهر المخالفة التي لا تخلّ بعموم النظام اللغوي، بل تكسب الكلام دلالات جديدة وتضفي عليه مسحة جمالية لا تتأتى له بدونها، وهي النابعة أساساً من تصرف وإبداع الأدباء - والشعراء منهم بصفة خاصة في آليات تطبيق النظام اللغوي. ومن ثم أصبح من العسير في الكثير من الأحيان تعين حدود الخطأ والصواب في كلام العرب لسعته التي لا يكاد يضبطها حد.

وكذلك جعل الخلط بين مستويات الكلام من الصعوبة بمكان الوصول في دراسة العربية إلى ضبط منظومة قواعديّة يمكن من خلالها الحكم على مظاهر التوافق بين ما تقتضيه وجوه الاستعمال - على اتساع العرب في كلامها - وبين ما يتطلبه نظام لغتهم التي انطوت مدوّنّتها على كل هذا التنوّع، بدءاً من نص القرآن الكريم وقراءاته، وكلام العرب المحكي، والأدبي: شعره ونشره، وانتهاء بتنوع لهجاتهم، أو ما كان يسمى: لغات العرب. وذلك ضمن حدود القبائل التي ذكرها علماء العربية والتي كانت كلها حجة على اختلافها؛ بحيث

---

(١) دراسات في اللغة، ص ١٠٧ واللغة بين المعيارية والوصفية، ص ٢٠ واللغة معناها ومبناها، ص ١١-١٥ ودراسات في فقه اللغة، ص ١٣١.

لا تُرَدّ لغة بصاحبتها لاشتراكها في الفصاحة. وهو ما يفسّر المقوله التي سبق ذكرها لأحد القدماء: من عرف لغة العرب لم يكُن ينطّئ أحداً.

ومع أن كلامهم المنظوم منه والمشور جرى تصنيفه - كما قال ابن رشيق - إلى ثلات طبقات: جيدة ومتوسطة وردية، إلا أن ذلك لم يمس حجّيته في شيء. فابن فارس يرى بأن نسبية هذا التصنيف تتضاءل تماماً في الشعر؛ لأن الشعراء أمراء الكلام. فقد يكون شاعر أشعر، وشعر أحلى وأظرف، فاما تفاوت الأشعار القديمه في الجودة فلا. وبكل يُحتج، وإلى كل يُحتاج. ولأن الشعر أكثر حفظاً من التّشّر، كان هو ديوان العرب الذي حفظ أنسابهم وعرف مآثرهم، ومنه تعلّمت اللغة، وصار حجة فيما أشكّل من غريبها.<sup>(١)</sup>

فحيوية اللغة عموماً، إضافة إلى ما تتسم به من حرکية وانسياب زائدين لدى فئة الشعراء بشكل خاص، جعلت علماء العربية يضطرون غالباً إلى استثنائهم من صرامة النظام اللغوي؛ فكانت مقولتهم المشهورة بهذا الشأن: "يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام"<sup>(٢)</sup> أصدق تعبير عن هذا الواقع اللغوي المتغيّر، والذي يستعصي على الثبات ويأبه. مما يجعل من مظاهر العدول بجميع أشكاله في اللغة تنتشر في كل مستوياتها، خاصة لدى فئة المتكلمين الموصوفين بالتميّز اللساني الذي عبر عنه القدماء بأمراء الكلام؛ فأتاحوا لهم بذلك مساحة أرحب من القبول بكل ما يصدر عنهم من العدول

(١) الخصائص ١٢-١٠ والاقتراح، ص ٧٧ و ٧٨ والمزهر ٤٧١/٢ والعلامة الإعرابية بين القديم والحديث، ص ٣٤٦.

(٢) الكتاب ١/٢٦.

عن مألف مقررات النظام اللغوي لحساب أغراضهم الدلالية ومقاصد هم الإبداعية. قال ابن عصفور "أعلم أن الشعر لما كان كلاماً موزوناً يخرجه الزيادة فيه والنقص منه عن صحة الوزن، ويحيله عن طريق الشعر، أجازت العرب فيه ما لا يجوز في الكلام، اضطروا إلى ذلك أو لم يضطروا إليه؛ لأنه موضع أفت فيه الضرائر".<sup>(١)</sup>

وهذا ما يجعل من مفهوم الفصاحة يزداد غموضاً والتباساً بشأن حدودها ومعاييرها التي ينبغي لها في كل الأحوال أن تكون ذات بعد اجتماعي؛ أي أن تحوز صفة العرف الاجتماعي، وإلا تحولت المسألة إلى صفة الفردية بحكم التفرد في العملية الإبداعية فتتقلب الفصاحة إلى فصاحات بعده المبدعين. وهو ما يجعل مفهومها يأخذ أبعاداً انسانية يصعب توصيفها أو تحديد معاييرها بشكل دقيق. ومن هنا تبرز مشكلة الفصاحة في العربية كما في غيرها من اللغات - وإن كانت في العربية بشكل أشد تعقيداً - لما تنتوي عليه هذه اللغة من مرجعية متميزة بالتنوع فضلاً عن امتداد مساحة مدوّتها مkanan وزماناً؛ أي جغرافياً وتاريخياً.

\* \* \*

(١) ضرائر الشعر (ابن عصفور) ص ١٣.

## خاتمة:

يجتمع في موضوع الفصاحة جملة من العوامل والسمات والخصائص التي تتضاد في تحديد طبيعتها اللسانية، وتشكيل مفهومها في العربية. كما تستند إلى عدد من المركبات الأساسية يأتي في مقدمتها ظاهرتا الثبات والتغير اللتان ترتبط بهما ارتباطاً عضوياً. حيث إن لكل منها علاقتها الموضوعية إن لم نقل الجوهرية في تعين ملامحها الاجتماعية نموذجياً والفردية إجرائياً، وضوابط أنساقها نظامياً. وقد كان لذلك تأثيراته الموضوعية والمنهجية في الدراسة أيضاً. كما كان لمفهوم الفصاحة صلة وثيقة بمسألة تمييزها من العامية المنسوبة إلى العامة. وقد كانت هي ذاتها لغة عامة في فترة من فترات تاريخها العريق. مما يضع الدارس أمام عدد من الأسئلة التي تتمثل في مجموعها مشكلة موضوعية ومنهجية في آن معاً.

وقد عالج البحث جملة من العناصر التي سعى من خلالها توضيح الجوانب المتصلة بتاريخ العربية، وبخصائصها اللغوية العامة منها والمتميزة. كل ذلك في سياق الجهود اللسانية التي عرفتها هذه اللغة، عند علمائها القدامى، وعند الدارسين المحدثين من عرب ومن مستشرقين بدءاً بذوونتها المترفة بموروثها العريق، والاستثنائية في بعض مكوناتها كالقرآن الكريم. ويضاف إلى كل ذلك خصوصية الدراسة التي حظيت بها العربية في ظل العناية بهذا النص المقدس، والذي أسبغ على باقي المدونة اللغوية قدرًا من القدسية أيضاً. وهو ما ينعكس بالضرورة على طبيعة هذه الفصاحة بحد ذاتها، وما يتربّ على ذلك من تداخل بين حدود مظاهر الثبات ومظاهر التغيير فيها.

كما تناول البحث عملية التغيير في العربية عبر ظاهرة العدول التي تحكم إلى جملة من الضوابط اللسانية التي تحفظ لها انسيابيتها ومرونتها الالزامية

لواكبة كل المستجدات التي تطراً في حياة الناطقين بها، في مقابل الاحتفاظ لها بخصوصيتها اللسانية في الثبات على أنساقها المميزة، وغير القابلة للتغيير، بما يجعلها تبدو ثابتة مستقرة لا تتبدل، من جهة، ومتغيرة متتجددة مع كل مستجد، من جهة ثانية.

\* \* \*

## مصادر البحث ومراجعة :

- ١ - أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج (د. مسعود بوبو) دمشق ١٩٨٢.
- ٢ - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (محمد بن علي الشوكاني) دار الفكر.
- ٣ - الأسلوب دراسة لغوية إحصائية (د. سعد مصلوح) عالم الكتب، القاهرة، ط٣ ، ١٩٩٢.
- ٤ - الأسلوبية والأسلوب (د. عبد السلام المسدي) الدار العربية، تونس ١٩٧٧.
- ٥ - الأصول (د. تمام حسان) دار الثقافة/الدار البيضاء - المغرب ١٩٨١.
- ٦ - أصول النحو العربي (د. محمد خير الحلواني) إفريقيا الشرق/الدار البيضاء - المغرب ٢٠١١.
- ٧ - إعجاز القرآن (الأبي بكر الباقلاني) بهامش (الإتقان) للسيوطى ، المكتبة الثقافية - بيروت ١٩٧٣.
- ٨ - البحر المحيط (الأب حيان الأندلسى) مكتبة ومطباع النصر الحديثة/الرياض.
- ٩ - البيان والتبيين (الجاحظ) تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٦٨.
- ١٠ - تاريخ اللغات السامية (إسرائيل ولفسون) دار القلم - بيروت - ط١٩٨٠.
- ١١ - تطور مشكلة الفصاحة (د. فخر الدين قباوة) دار الفكر - دمشق ١٩٩٨.
- ١٢ - التطور النحوي (برجشتراسر) تقديم : د. رمضان عبد التواب /مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٨٢.
- ١٣ - التفكير اللساني في الحضارة العربية (د. عبد السلام المسدي) الدار العربية للكتاب.
- ١٤ - ثمار الصناعة (الأبي عبد الله الدينوري) تج : د. محمد الفاضل ، جامعة الإمام -

## الرياض

- ١٥ - **المحصيلة اللغوية**(د. أحمد محمد المعتوق) - عالم المعرفة - الكويت ١٩٩٦.
- ١٦ - **الخصائص**(ابن جني)تحقيق: محمد علي النجار)دار المهدى للطباعة والنشر / ط ٢ - بيروت.
- ١٧ - **دراسات في العربية**(غولف ديتريش فيشر) : د. سعيد بحيري - مكتبة الآداب ، القاهرة ٢٠٠٥
- ١٨ - **دراسات في فقه اللغة**(د. صبحي الصالح)دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٦ .
- ١٩ - **دراسات في اللغة**(محمد الخضر حسين)المطبعة التعاونية بدمشق ١٩٧٥
- ٢٠ - **دراسات لغوية**(د. حسين نصار)دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٨١ .
- ٢١ - **دلائل الإعجاز**(عبد القاهر الجرجاني) تحقيق محمود شاكر - مكتبة الخانجي - القاهرة
- ٢٢ - **دور الكلمة في اللغة**(ستيفن أولمان)ترجمة: د. كمال بشر - دار غريب - القاهرة.
- ٢٣ - **سر الفصاحة**(حازم القرطاجي)دار الكتب العلمية - ط ١/ بيروت ١٩٨٢
- ٢٤ - **سوسيولوجيا اللغة**(بيار أشار)ترجمة د. عبد الوهاب ترّو - منشورات عويدات ، بيروت ١٩٩٦ .
- ٢٥ - **الصحابي في فقه اللغة**(ابن فارس)تحقيق: السيد أحمد صقر/ القاهرة ١٩٧٧ .
- ٢٦ - **ضرائر الشعر**(ابن عصفور)تح: السيد إبراهيم محمد. دار الأندلس - بيروت / ط ٢/ ١٩٨٢
- ٢٧ - **ظاهرة الشذوذ في النحو العربي**(د. عبد الفتاح الدجني)وكالة المطبوعات / ط ١/ الكويت ١٩٧٤ .
- ٢٨ - **ظاهرة العدول في اللغة العربية**(محمد إبراهيم عبد السلام)ماجستير جامعة أم

القرى ١٩٨٩

- العربية (يوهان فك) ترجمة د. رمضان عبد التواب / مكتبة الخانجي ٢٩
- القاهرة ١٩٨٠ .
- العالمة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث (د. حماسة عبد اللطيف) دار غريب ، القاهرة ٣٠
- علم الدلالة العربي - النظرية والتطبيق - د. فايز الديمة ، دار الفكر ، ط ١٩٨٥ دمشق ٣١
- الفصحى لغة القرآن (أنور وجدي) دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ٣٢
- بيروت ١٩٨٢ .
- الفصيح (أحمد بن يحيى ثعلب) تحقيق د. صبيح التميمي ، دار الشهاب ، الجزائر ١٩٨٥ ٣٣
- في أصول النحو (سعيد الأفغاني) دار الفكر - بيروت ١٩٦٣ ٣٤
- الاقتراح في أصول النحو وجدله (السيوطى) تحقيق: محمود فجال - مطبعة الثغر - ط ١٩٨٩ / ١ ٣٥
- قضايا خوبية (د. مهدي المخزومي) منشورات المجمع الثقافي - أبو ظبي - الإمارات ٢٠٠٣ ٣٦
- القياس في اللغة العربية (محمد الخضر حسين) المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر ١٩٨٦ .
- الكتاب (سيبوه) تحقيق: عبد السلام هارون - عالم الكتب ، بيروت ٣٧
- كتاب إسفار الفصيح (أبو سهل الهروي) تحقيق: أحمد قشاش ، الجامعة الإسلامية ، المدينة ١٤٢٠ هـ ٣٩

- 40 - كتاب الصناعين (الأبي هلال العسكري) دار الكتب العلمية - بيروت
- 41 - اللغة بين المعيارية والوصفيّة (د. تمام حسان) دار الثقافة، الدار البضاء - المغرب.
- 42 - اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم (د. كمال بشر) دار غريب، القاهرة ١٩٩٩.
- 43 - اللغة العربية معناها ومبناها (د. تمام حسان) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٩.
- 44 - اللغة العربية وعلومها (عمر رضا كحال) مكتبة النسر - دمشق ١٩٧١.
- 45 - اللهجات العربية في التراث (د. أحمد علم الدين الجندي) الدار العربية للكتاب ١٩٨٣.
- 46 - اللهجات في الكتاب لسيبوه أصواتاً وبنية (د. صالح راشد غنيم) دار المدنى - جدة ١٩٨٥.
- 47 - مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة - تر: د. المنصف عاشور، د. م. ج/الجزائر ١٩٨٤.
- 48 - مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٤ / ١٩٦٢ ، و ج ٦٧ / ١٩٨٩ - القاهرة.
- 49 - محاضرات في الألسنية العامة. دو سوسير. تر: يوسف غازي ومجيد النصر. لبنان ١٩٨٤
- 50 - مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو (د. مهدي المخزومي) دار الرائد ١٩٨٦
- 51 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها (السيوطى) دار الجيل ودار الفكر - بيروت
- 52 - مشكلات اللغة العربية (محمود تيمور) منشورات المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
- 53 - مصنفات اللحن والتشقيق اللغوي حتى ق ١٠ (د. أحمد قدور) وزارة الثقافة / مشكلة الفصاحة في اللغة العربية بين ثوابت النظام اللغوي ومتغيراته

دمشق ١٩٩٦.

- 54 - معجم السبيل (لاروس) دانييل ريف - مكتبة لاروس، باريس ١٩٨٣.
- 55 - مغني الليب عن كتب الأغاريب (ابن هشام) تحقيق: د. مازن المبارك، ط٢ دار الفكر - بيروت
- 56 - الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون (د. محمد عيد) عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٩.
- 57 - الهمع (للسيبوطي) صحيحه محمد بدر الدين النعسانى / دار المعرفة - بيروت.

\* \* \*

Al-`Arabyyah Li-Al-Kitāb.

Ghunaym, S. (1985). Al-Lahajāt Fi Al-Kitāb Li-Sībawayh ASwātan Wa Bunyah. Jeddah: Dār Al-Madani.

‘Āshūr. A. (1984). Mabādī’ Fi Qadāyā Al-Lisānyyāt Al-Mu`āSirah. Algeria: D.M.G.

Cairo's Majma` Al-Lughah Al-`Arabyyah. (1962). Majallat Majma` Al-Lughah Al-`Arabyyah, 14.

Cairo's Majma` Al-Lughah Al-`Arabyyah. (1989). Majallat Majma` Al-Lughah Al-`Arabyyah, 67.

De Saussure, F. (1984) MuHādarāt Fi Al-Alsunyyah Al-`Āammah (Y. Ghāzi & M. Al-Nasr, Trans.). Lebanon: Dār Nu`mān Li-Al-Thaqāfah.

Al-Makhzūmi, M. (1986). Madrasat Al-Kūfah Wa Manāhijuhā Fi Dirāsat Al-Lughah Wa Al-NaHw. N.p.: Dār Al-Rā'īd.

Al-Suyūti, J. (n.d.). Al-Muzhir Fi ‘Ulūm Al-Lughah Wa Anwā`ihā. Beirut: Dār Al-Fikr.

Taymūr, M. (n.d.). Mushkilāt Al-Lughah Al-`Arabyyah. Beirut: Manshūrāt Al-Maktabah Al-`Asryyah.

Qaddūr, A. (1996). MuSannafāt Al-LaHn Wa Al-Tathqīf Al-Lughawi Hatta Qarn 10. Damascus: Ministry of Culture.

Reig, D. (1983). Al-Sabīl Dictionary .Paris: Éditions Larousse.

Ibn Hishām Al-Ansāri, A. (1985). Mughni Al-Labīb `An Kutub Al-A`ārīb (2nd ed.) (M. Al-Mubārak, Ed.). Beirut: Dār Al-Fikir.

‘Īd, M. (1979). Al-Malakah Al-Lisānyyah Fi Nazhar Ibn Khaldūn. Cairo: `Ālam Al-Kutub.

Al-Suyūti, J. (n.d.). Al-Hama` (M. B. Al-Na`sāni, Ed.). Beirut: Dār Al-ma`rifah.

\*

\*

\*

- 30- `abd-ullaTeef, H. Al-`lamah Al-`e`rabīh fi Aljumlah bin Al-Qadeem wa Al-Hadeeth. Cairo: Dar Ghareeb.
- 31- Al-Daeih, F. (1985). `alm Al-dlalah Al-`arabi – Al-nazhriah wa Al-taTbiq.(1st ed.) Damascus: Dar Al-fikr.
- 32- Wajdi, A. (1982). Al-fuSaHa Lughat Al-Qur'an. Beirut: Dar Al-kitab Al-Lubnani wa Maktabat Al-Madrasah.
- 33- Tha`leb, A. Y. (1985). Al-faSeeh. (Al-tamimi S. Ed.) Algeria: Dar Al-Shahab.
- 34- Al-Afghani, S. (1963). Fi AuSwl Al-naHw. Beirut: Dar Alfikr.
- 35 – Al-siuTi. (1989). Al-IqtiraH fi AuSwl Al-naHw wa Jadalih. (1st ed.) (Fajaal, M. Ed.) MaTb`t Althghir.
- 36- Al-Makhzwmi, M. (2003). QaDHaia NaHwīh. Abu-Dhabi: Manshwrat Al-mujam` Al-thaqafi.
- 37- Hussain, M. A. (1986). Alqias fi Al-Lughah Al-`arabīh. Algeria: Al-Mu'sasah Al-WaTanih Llkitab.
- 38- Sibawīh. Al-Kitab. (Haroon, A. Ed) Beirut: `alam Al-Kutub.
- 39- AlHarwi, A. (1420AH). Kitab Isfar Al-faSiH. (Qashash, A. Ed.) Al-Madinah, Islamic University.
- Abi Hilāl Al-`Askari, A. (n.d.). Kitāb Al-Sinā`atayn. Beirut: Dār Al-Kutub Al-`Ilmyyah.
- Hassān, T. (n.d.) Al-Lughah Bayna Al-Mi`yāryyah Wa Al-WaSfyyah. Casablanca, Morocco: Dār Al-Thaqāfah.
- Bishir, K. (1999). Al-Lughah Al-`Arabyyah Bayna Al-Wahm Wa Sū' Al-Fahm. Cairo: Dār Gharīb.
- Hassān, T. (1979). Al-Lughah Al- `Arabyyah Ma`nāhā Wa Mabnāhā. Cairo: Al-Hay'ah Al- `Āmmah Li-Al-Kitāb.
- KaHālah, U. (1971). Al-Lughah Al-`Arabyyah Wa `Ulūmuha. Damascus: Maktabat Al-Nisir.
- Al-Jundi, A. (1983). Al-Lahajāt Al-`Arabyyah Fi Al-Turāth. N.p.: Al-Dār

- Al-Ma`tuq, A. M. (1996). Al-HaSīlah Al-Lughawiyah . Kuwait: 'Aālm Al-Ma`rifah.
- 'Ibn Jinī, (n.d.). Al-KhaSā'iS (2nd ed.) (M. A. Al-Najār, Ed.). Beirut: Dār Al-Huda lilTibā`ah wa Al-Nashr.
- Fishir, G. D. (2005). Dirasāt fi Al-`Arabiyyah (S. BaHīrī, Ed.). Cairo: Maktabat Al-'Adāb.
- Al-SāliH, S. (1986). Dirasāt fi Fiqh Al-Lughah. Beirut: Dār Al-`Ilm Lilmalāyīn.
- 19- Hussin, M. A. (1975). Derasat fi Al-Lughah. Damascus: Al-Matb`eh Al-ta`awnīh.
- 20- Nassar, H. (1981). Dersat Laghaweeh. Beirut: Dar Al-Ra'ed Al-`arabi.
- 21- Al-jarjani, A. Dal'al Al-e`jaz. (Shaker, M. Ed.) Cairo: Maktabet Al-khanji.
- 22- Olman, S. Door Al-kalemah fi Al-Lughah. (Bsher, K. Trans).Cairo: Dar Ghreeb.
- 23- Al- QarTajni, H. (1982). Ser Al-FaSaHah. (1st ed.) Beirut:Dar Al-Kutub Al-`almiyyah.
- 24- Ashar, B. (1996). Socuilwjia Al-Lughah. (Troo, A. Trans). Beirut: Manshwrat `uwaidat.
- 25- Ibn Faris. (1977). Al-SaHabi fi Fiqh Al-Lughah. (Saqr, A. A. Ed.) Cairo.
- 26- Ibn `uSfwer.(1982). Dhar'er Al-sha`er. (2nd ed.) ( Mohammed, A. I. Ed.) Beirut: Dar Al-andalus.
- 27 – Al-dejina, A. (1974). Dhahirat Al-shudhwdh fi Al-naHu Al-`arabi. (1st ed.) Al-Kuwait: Wakalet Al-MaTbw`at.
28. Abd-alsalam, M. I. (1989). DhaHrat Al-`wdool fi Al-Lughah Al-`rabīh. (Unpublished Master Dissertation). Umm Al-Qura University, Makkah.
- 29- Fak, Y. (1980). Al-`arbīh. (Abd-altwab, R. Trans.) Cairo: Maktabat Alkhanji.

## **List of References:**

### **Works cited**

Research sources and references:

- Bubu, M. (1982). 'Athr Al-Dakhyih `Ala Al-`Arabiah Al-FuSHah fi `ASir Al-'Ihtijāj. Damascus.
- Al-Shawakānī, M, A. (n.d.). 'Ishād Al-FuHul 'Ila TaHqiyiq Al-Haq min 'Ilm Al-'USul. Dār Al-Fikr.
- MaSluH, S. (1992). Al-'Islub Dirāsah Lighawyiah 'IHSā'iah (3rd ed.) .Cairo: 'Ālm Al-Kutub.
- Al-Musdī, A. (1977). Al-'Ulubyiah wa Al-'Uslub .Tubisia: Al-Dār Al-'Arabiyah.
- Hasān, T. (1981). Al-'USul. Casablanca, Morocco: Dār Al-Thaqāfah.
- Al-Halawānī, M. KH. (2011). 'USu Al-NaHu Al-'Arabī. Casablanca, Morocco: Afriqiya Al-Sharq.
- Al-Baqalānī, A. B. (1973). T'jāz Al-Qurān bi Hāmish (Al-'Itqān). Beirut: Al-Maktabah Al-Thaqafiyah.
- Al-'Andalusī, A. (n.d.). Al-BaHr Al-MuHī. Ryiad: Maktabah wa MaTābiy' Al-NaSr Al-Hadiyah.
- Al-JāHiDH, (1968). Al-Bayān wa Al-Tabyin (A. Hārūn, Ed.). Cairo: Maktabat Al-Khānjī.
- Wilfinisūn, 'I. (1980). Tāriikh Al-Lughāt Al-Sāmiyah (1st ed.). Beirut: Dār Al-Qalam.
- Qabāwah, F. (1998). TaTawur Mushkilat Al-FaSāHah. Damascus: Dār Al-Fikr.
- 'Asir, B. (1982). Al-TaTawur Al-NuHawī (R. Abd Al-Tawāb, Ed.). Cairo: Maktabat Al-Khānjī.
- Al-Musdī, A. (n.d.). Al-Tafkīr Al-Lisānī fi Al-HaDHārah Al-'Arabiyah. Al-Dār Al-'Arabiuh LilKitāb.
- Al-Daynūrī, A. (n.d.). Thimār Al-Sinā`ah (M. Al-FāDHil, Ed.). Riyadh: Jami`at Al-'Imam.



# The problem of Fasih in Arabic Between Consistency and Change In the Linguistic System

**Dr. Kamal Qadri**

College of Arts and Languages  
University of Muhammad Al-Amin Dabbghim  
Stef 2, Algeria

## **Abstract:**

The essential relationship between the ideal social dimension of language and the individual dimension of performance reflects two linguistically interrelated manifestations, namely consistency and change. Linguistic consistency reflects the social reference to the determinants of the linguistic system, while change reflects the individual reference to the requirements of language use.

Addressing the problem of fasih lies in these two aspects of language: a relatively consistent state of affairs on the one hand, and a relatively dynamic changeable state on the other hand. In light of this controversial relationship, one can, cognitively and procedurally, determine the nature of fasih. Arabic linguistics research would be the most appropriate epistemological context for addressing this issue, objectively and methodologically.

Keywords: fasih, rhetoric, langue, parole, utterance.

القصص الديني في أدب الأطفال  
دراسة مقارنة بين الأدبين العربي والأمريكي -

د. وفاء بنت إبراهيم السبيل  
قسم الأدب - كلية اللغة العربية  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



د. وفاء بنت إبراهيم السبيل

قسم الأدب - كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاریخ قبول البحث: ٢٩/٣/١٤٣٩

تاریخ تقديم البحث: ١١/١/١٤٣٩

### ملخص الدراسة:

القصص الديني موجود في كل الثقافات والأداب، ولا يقتصر وجوده على الثقافة العربية الإسلامية وأدب الطفل العربي. ومن هنا جاء موضوع الدراسة الذي يعتمد المنهج المقارن ليكشف عن الفروق الفنية في معالجة هذا النوع الأدبي. ويقوم البحث على محورين هما: عرض نماذج قصصية دينية من الأدب العربي والأدب الأمريكي الموجه للأطفال، والدراسة المقارنة التي تتناول الخصائص الفنية للقصص الدينية. وقد ظهر من الدراسة ضخامة الإنتاج الموجه للطفل الأمريكي في كل مراحله العمرية، يقابلها قلة الإنتاج العربي لمرحلة الطفولة المتوسطة (٦-٩ سنوات)، وشبهه انعدامه لمرحلة الطفولة الأولى (١-٥ سنوات). وكما ظهر أن الكاتب الأمريكي لا يجد حرجاً في توظيف خياله في القصص الديني، بينما يتوقف الكاتب العربي كثيراً قبل أن يكتب قصته، ويلتزم التزاماً كاملاً بالنص الديني، وقليل من الكتاب من نجح في تجاوز هذه الإشكالية. وقد ظهر أيضاً البون الشاسع بين مستوى القصة الدينية العربية والقصة الدينية الأمريكية في الشكل والإخراج.



## المقدمة :

لأشك في أهمية القصص الدينية الموجه للأطفال؛ فهو يسهم في غرس القيم والمفاهيم الدينية في نفس الطفل بطريقة جاذبة تجذبه وتسليه. والقصص الدينية موجود في كل الثقافات والآداب، ولا يقتصر وجوده على الثقافة العربية الإسلامية وأدب الطفل العربي. ومن هنا جاء موضوع الدراسة الذي يعتمد المنهج المقارن – ولكن بالمنظور الأنجلو- ساكسوني لا بالمنظور الفرنسي – الذي يركز على أوجه التشابه والاختلاف لا علاقات التأثر والتأثير، ليكشف عن الفروق الأدبية والفنية في معالجة هذا النوع الأدبي المهم. ولا شك أن الناظر في أدب الطفل الأمريكي والأول وهلة يدرك أنه متقدم كثيراً على أدبنا العربي في شكله ومضمونه وغزارة إنتاجه. لذا سينظر في هذا النوع القصصي من وجهة نظر مقارنة يمكن أن تفيد لتطويره في أدب الطفل العربي. ويقوم البحث على محورين هما :

انتقاء نماذج قصصية دينية من الأدب العربي والأدب الأمريكي الموجه للأطفال في مراحلهم العمرية المختلفة حسب التقسيم المعروف لمراحل الطفولة (الطفولة الأولى- الطفولة المتوسطة- الطفولة المتأخرة) .

٢- الدراسة المقارنة التي تتناول الخصائص الفنية للقصص الدينية انطلاقاً من أدبية هذا النوع القصصي، وستكون النصوص القصصية هي الموجه في تحديد جوانب الدراسة المقارنة.

وقد قُصرت الدراسة على نوع واحد من القصص الدينية، وهو قصص الشخصيات الدينية المستمدة من القرآن الكريم وسيرة الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم- في الأدب العربي، وقصص الشخصيات الدينية المستمدة من الإنجيل في الأدب الأمريكي، والتي ألفت بعد عام ٢٠٠٠م، وتكون من

القصص المصورة أو غير المصورة. ولغزارة القصص الدينية في الأدب الأمريكي فسيتم انتقاء عينات منها حسب المراحل العمرية.

### نماذج قصصية دينية من الأدبين العربي والأمريكي

تعتمد الدراسة على التقسيم المعروف لمراحل الطفولة عند تصنيف

#### نماذج القصص الدينية

في الأدبين العربي والأمريكي حسب المرحلة العمرية الموجهة لها، وهي: الطفولة الأولى حتى سن ست سنوات.

الطفولة المتوسطة من سن ست سنوات حتى ثمانية سنوات.

الطفولة المتأخرة وتنقسم إلى قسمين: من تسع حتى اثنتي عشرة سنة ومن ثلاثة عشرة سنة حتى خمس عشرة وهو سن المراهقة.

وهذا التقسيم بعرض تسهيل الدراسة وإن المراحل تتداخل زمنياً، وتحتفل بين الذكور والإناث، كما تختلف باختلاف الشعوب والأفراد<sup>(١)</sup>.

#### ١- الطفولة الأولى حتى سن ست سنوات:

تسمى هذه المرحلة أيضاً بالطفولة المبكرة أو مرحلة الخيال الإيهامي، لأن خيال الطفل فيها يكون حاداً ولكنه محدود في بيئته المحيطة به. ويقبل الأطفال فيها بشغف على القصص التي تتكلم فيها الحيوانات والطيور والجمادات. ويغلب على تفكيره التفكير الحسي أو الذي يستعين بالصور الحسية ولا يرتقي بعد إلى التفكير المجرد<sup>(٢)</sup>.

(١) أدب الأطفال علم وفن: أحمد نجيب، القاهرة، دار الفكر العربي ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ص ٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨ - ٤٠، والنص الأدبي للأطفال، أهدافه ومصادره وسماته رؤية إسلامية: سعد أبوالرضا، عمان، دارالبشير ١٩٩٣ م، ص ٣١ - ٣٥.

ويقل القصصي الديني الموجه لهذه المرحلة في الأدب العربي؛ فلم أقف إلا على سلسلة واحدة من القصص المصورة<sup>(١)</sup> تصلح لأواخر هذه المرحلة وهي سلسلة "أحسن القصص" لأحمد بهجت. وتشمل السلسلة قصة "فيل أبرهة" و"غраб هايل وقابيل" وهي من القصص القرآنية. وثلاث قصص من قصص الأنبياء "حوت يونس" و"هدهد سليمان" وناقة صالح". أما في الأدب الأمريكي فإن القصص المصورة الدينية كثيرة جداً، ويصعب حصرها، منها على سبيل المثال: حقيقة قصص الإنجيل للرضع "Baby's First Bible Slipcase" تأليف Roger Priddy وتضم أربع قصص: قصة آدم وحواء، سفينة نوح، قصة عيسى، وقصة موسى. و مجموعة قصص الإنجيل "Bible Stories Collection" وتضم ست قصص: قصة الخلق، قصة موسى، سفينة نوح، الشاة الضائعة، إطعام خمسة آلاف، وقصة الإيستر. وقصة "My Own Little Christmas Story" تأليف كريستينا قودينغ Christina Goodings وهي تحكي قصة مريم-عليها السلام-وولادة عيسى-عليه السلام-. وقصة الإنجيل للأطفال الصغار "The Bible for Young Children" تأليف ماري هيلين ديلفا Marie Helen Delval وهي قصة واحدة تبدأ من الخلق حتى زمن النبي عيسى - عليه السلام - ويتخللها قصص كل من نوح وإبراهيم ويعقوب وموسى ويوف ويونس - عليهم السلام - ولكنها موجزة جداً، حيث تذكر أهم حادث يرتبط بالنبي في صفحة واحدة إلى أكثر حسب عدد الأحداث

(١) القصة المصورة هي التي يتساوى فيها النص مع الرسوم في الأهمية، وتشغل الرسوم حيزاً كبيراً من كل صفحة. انظر: معجم مصطلحات أدب الأطفال: وفاء السبيل، جدة، كادي ورمادي، ٢٠٠٩ هـ - ٩٦ ص.

للنبي الواحد. ولا تهدف الكاتبة إلى التفاصيل وإنما النظرة الكلية للقصص كله من حيث ارتباطه ببعض. وقصة الكرسماس : الإنجيل للأطفال "The Christmas Story : The Brick Bible for Kids" تأليف براندن باول سميث Brandan Powell Smith ، وهي أيضاً تحكي قصة ولادة عيسى - عليه السلام -.

٢- الطفولة المتوسطة من سن ست سنوات حتى ثمانى سنوات : وتسمى أحياناً مرحلة الخيال الحر ، لأن خيال الطفل فيها ينطلق إلى عوالم غير محدودة. كما تتميز هذه المرحلة بقدرة الطفل على القراءة ويطول مدى الانتباه لديه ، وتزداد حصيلته اللغوية<sup>(١)</sup> . وقليلة هي القصص الدينية المناسبة لهذه المرحلة في الأدب العربي ، منها سلسلة "أنا مسلم : قصص الأنبياء" لسنا شهاب المعبي وتشمل : "النبي نوح" و "النبي إبراهيم" و "النبي إسماعيل" و "النبي يوسف" و "النبي يونس" و "النبي موسى" و "النبي سليمان". وسلسلة "حكايات من السماء" لأحمد نجيب ، وهي من القصص المصورة وتشمل : "الدخان العجيب ولماذا يكرهنا إبليس" و "السؤال العجيب وكيف يحيي الله الموتى؟" ، و "مؤامرات الشيطان" ، و "مفتاح الكنز وأين ضاعت الجواهر" و ، "مؤامرة عند الفجر وسر المصباح الصغير" ، و "سر الطيور العجيبة" ، و "سفينة نوح" ، و " أصحاب الكهف وسر الكنز المدفون" ، و "الملك والنبي والطيور الأربع". ويتتنوع فيها القصص ما بين القصص القرآني وقصص الأنبياء.

---

(١) انظر أحمد نجيب ، مرجع سابق ، ص ٤٠ - ٤١ ، وسعد أبو الرضا ، مرجع سابق ، ص ٣٦ - ٣٧

وتكثر أيضاً القصص لهذه المرحلة في الأدب الأمريكي منها:

قصة "اثنان اثنان" Two By Two للكاتب جون وينش John Winch وهي تحكي قصة نوح-عليه السلام- وكذا قصة "سفينة نوح" Noah's Ark كتبها ورسمها جيري بيتتنى Jerry Pintney ، وقصة "على سفينة نوح" On Noa's Ark لجان برت Jan Brett . وقصة "الجنة حقيقة" Heaven is for real لتود وسونجا بوربو Tod & Sonja Burpo عن عيسى -عليه السلام-، وقصة "سلة موسى" The Moses Basket كتبها ورسمها جيني كورالك Jenny Koralek عن ولادة موسى -عليه السلام- ونشاته في بيت فرعون. وقصة "لا يا يونس" Oh No, Jonah لتilda بالسلي Tilda Balsle ، وقصة "يونس والحوت والدودة" Jonah and the Whale and the worm لجيم Marzollo ومازولو Jeam Marzollo وهما عن قصة يونس -عليه السلام- والحوت. وقصة "يوسف وقميصه المدهش" Joseph and his Amazing Coat التي تحكي قصة يوسف - عليه السلام- ، وقصة "إنجيلي الأول" My very first Bible لدورلنج كندرسلي Dorling Kindersley وهي قصص من الإنجيل مقسمة حسب العهد القديم وتضم قصص الأنبياء ، والعهد الجديد وتضم قصة عيسى -عليه السلام-. ومراعاة للمرحلة العمرية تحدّف بعض التفاصيل من القصة الأصلية في الإنجيل في بعض القصص إما لعدم الإطاله ، أو لعدم قدرة الطفل على استيعابها كموقف زوجة الوزير التي حاولت إغواء يوسف ، وخلق حواء من ضلع آدم ، وتسمية شجرة المعرفة... وغيرها.

٣. الطفولة المتأخرة : من سن تسع سنوات حتى خمس عشرة سنة :

يبدأ الطفل في هذه المرحلة استيعاب مفهوم الزمن استيعاباً كاملاً لذا فإنه يميل إلى القصص التاريخي ، و تستهويه البطولات ، ويستوعب المعاني المجردة.

وتتميز أواخر هذه المرحلة بغلبة العاطفة والمتالية<sup>(١)</sup>. وتكثر القصص الموجهة لهذه المرحلة في الأدب العربي مقارنة بالمرحلتين السابقتين، وهي تأتي على شكل مجموعات قصصية، تقلل الصور فيها حتى تخفي أحياناً، منها: "قصص القرآن" لأحمد بهجت وتشمل: "الملك طالوت والنهر"، وأصحاب السبت، وأصحاب الأخدود، و"سيل العرم"، و"قارون"، و"سفينة نوح"، وأصحاب الفيل". و"قصص القرآن" لمحمد موفق سليمية وتشمل ثلاثين قصة مجموعة في كتاب. و"قصص السيرة النبوية" لمحمد موفق سليمية، وتشمل ستين قصة قصيرة مجموعة في كتاب، وكلها تخلو من الرسوم والصور. و"قصص الأنبياء" (جزءان) لهند فتحي سليم. و"قصص الأصحاب في القرآن" لإبراهيم البحيري وتشمل: أصحاب السفينة، وأصحاب الحجر، وأصحاب الأيكة، وأصحاب السبت، وأصحاب القرية، وأصحاب الجنة، وأصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل، وكلها من القصص القرآني. و"سيد الخلق- صلى الله عليه وسلم- لشهاب سلطان وهي سيرة نبوية . و"قصص الأنبياء سيرة سيد المرسلين" وهي دون مؤلف وتشمل قصص الأنبياء بالإضافة إلى قصة النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- و"قصة حجر" لأمين عبدالحميد وتضم قصصاً للأنبياء وقصصاً من القرآن والسيرة النبوية. وقصة "أحسن القصص" لنبيهة محيدلي التي تضم قصصاً من السيرة النبوية، جعلتها مسلسلة في حكاية واحدة تبدأ من ولادة الرسول- صلى الله عليه وسلم- في عام الفيل. و"حياة محمد في عشرين قصة" لعبدالتواب يوسف.

---

(١) انظر أحمد نجيب، مرجع سابق، ص٤١ - ٤٣، سعد أبو الرضا، مرجع سابق، ص ٣٧ - ٣٨.

وقصة "حكايات من القرآن: الملك والبقرات السبع وقصص أخرى" لسمير جلبي، و"حكايات من القرآن: الفتىان والكهف وقصص أخرى" لسلامة محمد سلامة. وقد تأتي على شكل روايات كمجموعة "رواية للشباب" لعبدالله العريني، والتي تضم عشر قصص للأنبياء: أجمل رجل، وصلاة في بطنه الحوت، ولا تنسوها بسوء، وإنهم سكارى، النار الباردة، والملك النبي، وشاطئ الواد الأيمن، ولست إلهاً، واسكن الجنة، وحدائق الصبر.

وفي الأدب الأمريكي تأتي قصص هذه المرحلة إما بشكل مجموعة قصصية أو رواية، منها: قصة "ليست نهاية العالم" Not the End of the World وهي رواية من تأليف جيرالد ماكورن Geraldine McCaughearn وتحكي قصة نوح -عليه السلام- وكذا قصة "سفينة نوح" Noah and the Ark للكاتب لو بابين Law Payn وهي أيضاً عن قصة نوح -عليه السلام- ولكنها تأخذ المتلقي في رحلة للقصة في كل الديانات السماوية، في التوراة والإنجيل والقرآن، لتأكد على فكرة رغم الاختلاف إلا أن هناك مواطن مشتركة بينها. وقصة "قصص منذ آدم وحواء حتى حزقيال" Stories From Adam and Eve وهي مجموعة قصصية تضم اثنين وثلاثين قصة قصيرة غير مصورة للأنبياء من تأليف سيليا باركر لو تريلدج Celia Barker Lottridge وقد اعتمدت على روايات الإنجيل وسفر حزقيال<sup>(١)</sup>. وقصة "إنجيل الأطفال المصور" The Children's Illustrated Bible للكاتبة سيلينا هستنغ Selina Hastings وتشمل قصص العهد القديم والجديد. وقصة "الإنجيل الحركي"

---

(١) هو أحد أسفار العهد القديم (التوراة) وهو السفر الرابع من القسم الرابع المسمى الأنبياء، الإنجيل [www.enjeel.com](http://www.enjeel.com)

وهي قصة مسلسلة<sup>(١)</sup> للأنبياء رسمها سيرجيو كاريولو The Action Bible . وقصة "القصة: الإنجيل وقصته المستمرة عن الله والناس" Sergio Cariello The Story: The Bible as his Continuing Story of God and his People وهي قصة طويلة تضم إحدى وثلاثين فصلاً من قصص العهد القديم والجديد تأليف ماكس ليوكادو وراندي فرازي Max Lucado and Randy Frazee . وقصة "المسيح" The Story of Jesus وهي قصة عيسى - عليه السلام - يرويها آندرن سكيفينغتون Andren Skevington كما وردت في الإنجيل<sup>(٢)</sup> . وقصة "يوسف" Joseph وهي رواية عن يوسف - عليه السلام - للكاتبة تيري فيفاش Terri L. Fivash . ولم أقف على قصة لوط - عليه السلام - في كل المجموعات السابقة، أو في قصة مستقلة رغم أنها وردت في الإنجيل العهد القديم<sup>(٣)</sup> ، بينما ترد قصة لوط وغيره من الأنبياء في الأدب العربي كما في قصص القرآن، قصة لوط - عليه السلام - والتي ذكر الكاتب فيها صراحة فعل قوم لوط القبيح: "لقد تركوا ما أحل الله لهم من النساء، فلم يتزوجوهن. تركوا نسائهم، وفعلوا الفاحشة مع الذكور الذين حرمهم الله على الرجال".<sup>(٤)</sup>

---

(١) القصة المسلسلة : قصة قصيرة على شكل سلسلة من الرسوم داخل إطار، وغالباً ما تنشر في الصحف والمجلات: معجم مصطلحات أدب الأطفال: وفاء السبيل، ص ١١٩.

(٢) في الأسفار: Mathew , Mark , and John

(٣) انظر 19 سفر التكوين اصلاح [www.Biblesudytools.com](http://www.Biblesudytools.com) : Genesis

[www.enjeel.com](http://www.enjeel.com) ١٩

(٤) محمد موفق سليمة، ص ٤.

## الدراسة المقارنة

يلتزم الكاتب في قصص الأطفال الدينية العربية التزاماً كاملاً بالقصة كما وردت في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، وغالباً ما يفعل الأمر نفسه كاتب القصة الدينية الأمريكية وإن كان يركز على بعض تفاصيل نص الإنجيل ويهمل بعضها حسب اختياره. ويعود الأمر إلى هدف القصة الدينية بالأصل؛ حيث إن هدف الكاتب في الغالب هو تقرير الأطفال للنص الديني وتحبيب الشخصيات الدينية لهم، وغرس قيم الإيمان في نفوسهم. وبعضهم ينطلق من النص الديني ليقدم رؤية جديدة عن الكون والحياة. ويستخدم الكتاب طرقاً فنية شتى يحافظون فيها على البناء الأصلي للقصة، وفي الوقت نفسه توسيع تلك الطرق النص وتضييف إليه الجاذبية والتشويق، وتجعله مناسباً للأطفال، وهي ذات علاقة بالعناصر التالية:

أساليب القص، وتشمل السرد وال الحوار والوصف.

لغة الخطاب.

وجهة النظر.

الرسوم والإخراج.

أساليب القص:

أ) السرد: ومن أهم عناصره الحدث والشخصيات. ويستخدم كل الكتاب في الأدبين البنية البسيطة للحدث، التي تتكون من بداية ووسط ونهاية (توازن-اضطراب-توازن) لقصص مرحلة الطفولة الأولى والمتوسطة. و غالباً ما يسرد الحدث كما ورد في النص الديني دون تغيير أو تبديل، وإن كان لدى الكتاب الأمريكيين انتقائية في إبراز بعض التفاصيل أو إغفالها حسب أفكارهم وتوجهاتهم أو لمراعاة المرحلة العمرية التي يخاطبونها. ومن ذلك

سلسلة "أحسن القصص"<sup>(١)</sup> حيث بني الحدث في قصة "فيل أبرهة" بناءً بسيطاً، ركز فيه الكاتب على جوهر القصة، وذلك عندما هاجم أبرهة مع جيشه على الكعبة المشرفة، وأطلق الفيلة لهدمها، ولكن الله بعث الطير الأبابيل التي أقتلت عليهم حجارة من نار فأهلكتهم. وبينى الحدث بالطريقة نفسها في قصة "غраб هابيل وقايل" و"حوت يونس" و"هدهد سليمان" وناقة صالح" من السلسلة نفسها. ومن القصص الديني في الأدب الأمريكي، قصة نوح<sup>(٢)</sup> التي تكررت في أكثر من مجموعة قصصية أو تفردت بكتاب واحد-سواء للطفولة الأولى أو المتوسطة- ويظهر اعتماد الكتاب فيها على البناء البسيط للحدث، فتبدأ بصنع السفينة دون خوض لحدث قبل ذلك، وركوب نوح-عليه السلام- مع الحيوانات، ثم الطوفان، وتنتهي عندما ترسو السفينة على اليابسة بعد توقف المطر وجفاف الأرض.

ويختلف الأمر بالنسبة لقصص مرحلة الطفولة المتأخرة، حيث يبدو الحدث أكثر تعقيداً، ويجرب الكتاب طرقاً مختلفة لبنائه في القصص الأمريكي. وظللت القصة العربية لهذه المرحلة تعتمد على البناء البسيط خاصة في المجموعات القصصية التي تضم قصصاً قصيرة بنيت على حدث واحد. أما في الروايات- وهي قليلة جداً في الأدب العربي- إذ لم أقف إلا على مجموعة عبد الله العريني التي قدم فيها قصص الأنبياء بطريقة مختلفة عن ما هو سائد في

(١) أحمد بهجت، دار الشروق - القاهرة - ط٤، ٢٠١١ م.

(٢) المجموعات القصصية للمرحلة العمرية الأولى والمتوسطة، انظر الجدول ص ٤٠،

القصص الديني. وهي تعتمد البناء المركب للحدث، ويضيف الكاتب تفاصيل كثيرة تشي بالحدث معتمداً في ذلك على خياله ومطوراً فيه القصة الأصلية، ففي قصة "صلاة في بطن الحوت" بدأ الحدث بفعل الرجل الذي ذبح قرياناً للآلية: "أقبل يجر خروفأً سميأناً، سحبه في عناء ومشقة حتى إذا وصل إلى الصنم الأكبر في الميدان، نحى الخروف جانباً ثم وقع ساجداً تحت أقدام التمثال! وراح يتمتم بكلمات غير مفهومة. كان نبي الله يونس-عليه السلام- واقفاً مع الواقفين في الميدان الكبير في وسط مدينة نينوى من أرض الموصل في العراق...<sup>(١)</sup>". ويتصاعد الحدث بعد رفض يونس-عليه السلام- لهذا الفعل ودعوه قومه لصرف هذه العبادات لله وحده، ثم عدم استجابتهم له وتوجهه للخروج من المدينة، وهكذا تستمر الرواية في تفصيل الأحداث وتصوير المواقف المختلفة التي مرت بالنبي الكريم في السفينة وفي بطن الحوت وبعد عودته للمدينة من جديد. وفي قصة "إنهم سكارى قصة لوط عليه السلام" يبدأ الحدث أيضاً بداية مختلفة، وذلك بحوار بين النبى الكريمين لوط وإبراهيم- عليهما السلام- يبشر فيها النبي إبراهيم لوطاً عليه السلام بالرسالة إلى قرى سدوم، ثم ينطلق لوط-عليه السلام-من حران إلى تلك القرى ليدعوه إلى ترك ما هم فيه من غي وضلال، وتتوالى الأحداث في حركة تصاعدية إلى أن يحل بهم العذاب. ويسبّب الكاتب في وصف عذابهم: "نزل جبريل-عليه السلام- إلى الأرض فحمل قرى سدوم كلها.. على طرف جناح من أجنبته، فاقتلعتها من الأرض اقلاعاً! حمل تلك القرى بأهلها، ومواشيهم،

(١) صلاة في بطن الحوت: عبدالله العريني، ص٣.

وبيوتهم، ودورهم، وقصورهم، وأسوقفهم، ثم ظل يرفعها في أجواء السماء!! ويرفعها!! والناس يبكون ويصرخون ويستغيثون ولا من مغيث...<sup>(١)</sup>.

أما في الأدب الأمريكي الذي يكثر فيه فن الرواية، فنجد تنوعاً في بناء الحدث، ففي رواية "يوسف" Joseph<sup>(٢)</sup> بنى الحدث بطريقة الارتجاع الزمني الذي تتسع مده؛ حيث بدأت القصة من النهاية، وهي تروى على لسان الشخصية البطل يوسف:

"I am old now, having fulfilled the perfect Egyptian life span of 110 years and feel I am soon to die..."<sup>(٤)</sup>

وهذا كالتقديم للقصة، وفي الفصل الأول يتحدث يوسف داخل البئر واصفاً حاله:

"You can't you can't do this to me! Come back! You can't leave me hear...the dark and damp stone curving above me threw my screams back into my face..."<sup>(٥)</sup>.

---

(١) إنهم سكارى: عبدالله العرينى، ص ٤٥

(٢) Terri L. Fivash. Revie and Heraid Publishing, 2002

(٣) أو flash back وهو سرد لاحق لحدث سابق وهو نوع من المفارقة الزمنية، انظر ارتداد: ، معجم السرديةات: محمد القاضي، تونس، دار محمد علي للنشر، ط ١، ٢٠١٠، ص ١٧.

(٤) ص: ٧ وترجمتها: "كترت الآن، عشت أفضل حياة مصرية وأنا الآن أبلغ ١١٠ سنة وأحس بدنو الموت"

(٥) ترجمتها: لا تستطيعون.. لا تستطيعون أن تفعلوا بي ذلك. ارجعوا لا تستطيعون تركي هنا.. الصخرة المظلمة الرطبة تتحنى فوقى وتعيد صرخاتي وتلقىها في وجهي".

وهكذا يستمر يوسف في سرد الأحداث الماضية في طفولته وشبابه إلى أن عاش حياة كريمة وزيراً مقرباً من الملك، ومن ثم ماته. وهي أحداث كثيرة وعاصفة، مابين عبودية وسجن ثم وزارة وعز ومن خلالها استطاعت الكاتبة أن تقدم صورة مفصلة للحياة اليومية للمصريين القدماء بواسطة الشخصية الرئيسة والشخصيات الأخرى التي يصل عددها إلى ثمانين شخصية.

وفي رواية أخرى يستعين الكتاب<sup>(٢)</sup> بخط الزمن<sup>(٣)</sup> في سرد روايته عن قصص العهد القديم والجديد، كي يجعل المتلقي (الطفل) ينظر إلى تلك القصص بوصفها وحدة واحدة مرتبطة بعضها البعض. وقد أسمهم ذلك في إبراز حب الله لعباده ورحمته بهم، والتركيز على فكرة النجاة والاستجابة للحاجات، وهذا كله أعطى بعدها آخر لقصص الإنجيل يساعد الطفل المتلقي على فهم الحياة.

والشخصيات في النص القصصي الديني غالباً ما تتوافق نظيرتها في النص الديني (القرآن أو الإنجيل)، ولكن قد يتذكرها الكاتب أحياناً من نسج خياله، حيث لا وجود لها في النص الأصلي، وغالباً ما يجد ذلك في القصص الأمريكية. فقصة نوح مثلاً أضيف إليها شخصيات كثيرة من وحي الخيال.

---

(١) ترجمتها: لا تستطيعون.. لا تستطيعون أن تفعلوا بي ذلك. ارجعوا لا تستطيعون تركي هنا.. الصخرة المظلمة الرطبة تتحبني فوقى وتعيد صرخاتي وتلقىها في وجهي".

(٢) في "The Story" التي تقع في ٥١٢ صفحة وتضم ٣١ فصلاً كل فصل عن قصة من قصص الإنجيل.

(٣) رسمه في مقدمة الرواية ثم كرره في كل فصل حسب الفترة الزمنية التي حدثت فيها القصة.

كابينة نوح تيمنا Timna التي كانت الرواية الرئيس لقصة "ليست نهاية العالم" (١) Not the End of the World، وهي شخصية قلقة لا ترضى بالواقع بل تُسائله، وتحاوره، وأحياناً تمرد عليه. فلم تكن راضية عما فعله أبوها نوح، وكانت تشعر بالأسى والغضب من أجل الناس الذين غرقوا. ولم تصغ لوالدها عندما نهى أن يركب في السفينة إلا من ركب، حيث عصت أمره وأنقذت بنتاً رضيَاً اسمها أداليا Adalya وصبياً اسمه كتن Kittin، وهما أيضاً شخصيتان مبتكرتان، وحملتهما معها في السفينة. وتظهر في القصة نفسها شخصيات أخرى كثيرة هم من أفراد عائلة نوح-عليه السلام- والحيوانات: زوجة نوح واسمها آما Ama، وابنه الأكبر سام Shem وزوجته باشمات Bashemath، وابنه الثاني حام Ham وزوجته سارايا Sarai، وابنه الأصغر يافيث Japheth وزوجته زيلا Zillah. وكل هذه الشخصيات لاذكر لها في النص الأصلي (الإنجيل) وهي من ابتكار المؤلف إلا أبناءه الثلاثة (٢). ولم يأتِ اخلاق هذه الشخصيات اعتباطاً أو من أجل التشويق فقط، بل لأن الكاتب يقدم رؤية جديدة حول قصة قديمة توارثتها الأجيال، تُظهر سلوك الإنسان وكوامن النفس البشرية في أوقات الأزمات والكوارث، وقوه وثبات المؤمن برسالته مهما تعرّض إليه من نقد.

وفي قصة "سفينة نوح" On Noa's Ark (٣) يتذكر الكاتب شخصية من خياله وهي حفيدة نوح - عليه السلام- لتروي القصة من وجهة نظرها. لقد

---

Geraldine McCaughern, Harper Tempest 2005 (١)

(٢) انظر Genesis 6: [www.Biblesudytools.com](http://www.Biblesudytools.com)

Jan Brett, Putnam Juvenile, 2003 (٣)

شهدت هذه الحفيدة بناء السفينة، وإركاب الحيوانات، وهي في السفينة تساعد الحيوانات ليتعايشوا، وعندما يتوقف المطر وتجف الأرض يرسل جدها حمامتها لتفقد الوضع، ثم هي تساعد في زراعة الأرض من جديد مع جدها. التفاصيل نفسها موجودة في النص الأصلي (الإنجيل) ولكنها نسبت هنا لتلك الصغيرة.

وجريدة بعض الكتاب في الأدب العربي اخلاق شخصيات من خيالهم، فابتكرت شخصيات مبهمة غير معروفة إلا بجنسها (ذكر أو أنثى) عاشت زمن الحدث، وغالباً ما يتخذها الكاتب وسيلة لرواية القصة، كما في "حكايات من القرآن"<sup>(١)</sup> : قصة "رياح الأيام السبعة" عن هود-عليه السلام- وقصة "الاختيار الصعب" عن طالوت وجندوه وغيرها. وابتكرت هذه الشخصيات جاء هنا للضرورة التي تفرضها نوع القصة، فهي قصة مسلسلة كارتونية مصورة<sup>(٢)</sup> التي يحتم استخدامها حوارات بين الشخصيات. ونجد الأمر نفسه في قصة "الإنجيل الحركي" The Action Bible التي رسمها سيرجيو كارييلو Sergio Cariello موظفاً الجنس الأدبي نفسه.

وقد حاول أيضاً الكاتب العربي في مجموعته رواية للشباب إبراز شخصيات أخرى من نسج الخيال، ولكنها أيضاً مبهمة دون اسم أو وصف، وذلك لإظهار الفكرة أو لتحريك الحدث، ومن خلال الحوارات المختلفة التي تطغى على بناء الرواية، كما فعل في "صلاة في بطن الحوت" حيث ابتكر شخصية الرجل الذي نحر القربان وكان يخاطب الصنم "أيها الصنم الأكبر هذا

(١) دار سفير، ٢٠٠١ م

(٢) سبق تعريفها

قربان لك لكي تعيد ولدي الذي غاب عن عيني منذ عشر سنين .. أعده لي أعده لي أعده لي بحق هذا القربان<sup>(١)</sup> ، وشخصية ريان السفينة والركاب<sup>(٢)</sup>. وكذلك في "لامسوها بسوء" حيث يدور حوار بين صالح-عليه السلام- ورجال من قومه مع زعيم مدين دون أن تضاف إليهم أسماء أو أوصاف : "قال أحد الناس مؤيداً : نعم .. أئت بآية نحن نقترحها لا أنت. لا يمكن هذا. ولماذا؟ في ذلك خطورة عظيمة عليكم. أين الخطورة؟.. قال زعيم مدين : لقد طال الجدل بيننا وبينك فاخترت بين أمرين..."<sup>(٣)</sup>. ويظهر ذلك في الروايات العشر كلها.

ب) الوصف<sup>(٤)</sup> : يضيف الكاتب أحيانا تفاصيل وصفية كثيرة لا تتعارض مع مرجعية النص ولكنها تخلق صورة حسية في ذهن الطفل فتشير خياله وهي ماتسمى الوظيفة التمثيلية للوصف. من ذلك وصف خلق الدنيا في قصة "آدم مع إيليس" : "دنيا جميلة واسعة ، فيها البحار والأنهار ، والجبال والأشجار ، والطيور والأزهار ، والنباتات والثمار ، وفيها من الحيوانات العجيبة الغريبة أشكال وألوان"<sup>(٥)</sup>. ووصف خلق الإنسان : "خلقه من تراب الأرض ، ومن الماء ، وسواء حتى صار صلصالاً كالفخار ، ونفخ فيه الروح فتحول إلى إنسان

(١) صلاة في بطن الحوت : عبدالله العريني ، ص ٤

(٢) المرجع السابق ص ٢١ - ٢٥

(٣) لا تمسوها بسوء : عبدالله العريني ، ص ٤ - ٦

(٤) الوصف نشاط فني يمثل باللغة الأشياء والأشخاص والأمكنة وغيرها ، وله عدة وظائف أهمها الوظيفة التعليمية والتمثيلية والتعبيرية والسردية والإبداعية والقيمية... معجم السرديةات : محمد القاضي ، ص ٤٧٢.

(٥) الدخان العجيب : أحمد نجيب ، ص ١

حي، بديع التكوين. الإنسان مخلوق من طين ولكن الروح من روح الله...<sup>(١)</sup>. وفي وصف أئوب-عليه السلام- " كان غنياً واسع الغنى ، ثرياً شديد الشراء ، عنده الأراضي والمزارع الواسعة والحدائق الغناء ، والماشية والأغنام ، والعبيد والغلمان... وكان أئوب مشرق الوجه ، قوي الجسم ، ممثلاً بالصحة والعافية... كريماً واسع الكرم ، يعطي الفقراء والمحاجين من أمواله بلا حدود...<sup>(٢)</sup> . وقد كثر هذا الأسلوب عند أحمد نجيب في سلسلة "حكايات من السماء"<sup>(٣)</sup> ، حيث اعتمد على الوصف في سرده لقصص القرآن. وكذا في "قصص القرآن" لأحمد بهجت حيث أورد وصفاً للطير الأبايل: "امتلأت السماء بطير غامضة سوداء تطير في أسراب متلاحقة. كانت الطيور من الكثرة بحيث صنعت ما يشبه السحابة السوداء التي حجبت وجه الشمس"<sup>(٤)</sup> . ووصف قصر قارون وغناه: "قصر رجل آخر من قوم موسى ، رجل يلبس في كل نعل من نعاله ثلاث ياقوتات حمراء تكفي كل ياقوته منها لشراء قصر عظيم.. رجل يتکيء على كرسي صنعت مسانده على شكل أسدين من الذهب الخالص...<sup>(٥)</sup> ويستمر في تخيله ووصفه. ويطول المقطع الوصفي ويقصر حسب المرحلة العمرية التي تناط بها القصة ، فالأمثلة السابقة لمرحلة الطفولة المتوسطة ، ويسهل استخدامه كل من الكتاب العربي والأمريكيين.

(١) المرجع السابق : ص ٧

(٢) مؤامرات الشيطان : أحمد نجيب ، ص ١-٢

(٣) انظر المجموعة كاملة ١٢ قصة

(٤) أصحاب الفيل : ص ١١

(٥) قارون : ص ١-٢

و في مرحلة الطفولة المتأخرة تطول المقاطع الوصفية وتكثر التفاصيل التي يتذكرها الكاتب للشخصيات وللمكان والزمان أو للحدث نفسه. ومن أجداد الوصف في القصص العربية عبدالتواب يوسف في "حياة محمد في عشرين قصة" حيث تطول المقاطع الوصفية بكل تفاصيلها التي تجعل الطفل يعيش القصة كما وقعت: "رأيت طيراً تغطي السماء كلها، فلا تظهر منها شيئاً.. حتى إن الدنيا أظلمت، ولم أعد أستطيع أن أعرف هل أنا في حلم، أم أنا صاح أرى ما حولي! وسمعت الجنود يصرخون: هذه طير أبابيل ترمي بحجارة من سجيل. وتساقطت علينا حجارة صغيرة، ربما لا تزيد عن حبة الفول، أو القمح.. ينزل الحجر الواحد منها على أضخم فيل من زملائي فإذا به يرقد على الأرض، يسقط على أكبر جمل فإذا به يبرك على الرمل، يهبط على أضخم رجل فإذا به ينتهي ويموت...<sup>(١)</sup>". ويصف الرسول-صلى الله عليه وسلم- على لسان الشاة: "ولم نكن نسبع أبداً من الحديث عن محمد وعن طبيته وإنسانيته وأمانته. وكنا نحبه كثيراً لأنه كان يحب الغنم عندما كان يرعاها. كان يحنو عليها ويتعجب نفسه من أجلها، ويفتش لها عن الطعام الذي يكفيها، ولا ينسى أن يمر بها على البئر ليسقيها. لم يكن يلعب ويلهوا مثل باقي الرعاة بل كانت عيناه دائماً أبداً على الغنم، فلا يجرؤ ذئب أو ثعلب على الاقتراب منها. وعندما يتعب واحد منها كان يعتني به، ويساعده على السير...<sup>(٢)</sup>". وهذا التوسع في وصف الرسول-صلى الله عليه وسلم- جاء في محله؛ فالقصة عن حياة محمد-عليه الصلاة والسلام- وهو الشخصية الرئيسة

(١) ص ١٠

(٢) ص ١٢٦

فيها، والإطالة في وصفه وإعطاء تفاصيل عن شخصيته يعين الطفل على رسم صورة ذهنية له ، ومن ثم يحدث الأثر الذي يسعى إليه الأديب ، وهو هنا تحبيب الصغار بشخصية النبي الكريم.

وفي قصة "ليست نهاية العالم" Not the End of the World<sup>(1)</sup> وظف الكاتب الوصف لينقل لنا الكارثة التي حلت بالكون في الطوفان ، ويعطي وصفاً حياً ودقيقاً لما تم فيجعل المتلقي(الطفل) يعيش داخل الحدث وكأنه يسمع صرخات الغرقى ويحس برهاب الاحتجاز في مكان ضيق داخل السفينة ، ويتحقق هذا الوصف وظائف عدّة(تعليمية- تثيلية- سردية- قيمية وغيرها) فيكون أبلغ بالتأثير:

"The water boiled with people. They were swimming, or clutching hold of logs, doors, cartwheels. Animals, too, were swimming among them--dogs and horses, cattle, goats. The sky was full of displaced birds, circling, circling, with nowhere to land"<sup>(2)</sup>

وفي الوقت الذي يطول فيه نفس الكاتب الأمريكي في الوصف ، نجد أنه يقصر عند معظم الكتاب العرب ، حيث ينصب اهتمام كثير منهم على نقل الحدث ، ولم تسلم من ذلك أيضا الرواية. ففي روايات العريني يظهر الوصف

---

(١) Geraldine McCaughrean

(٢) ص: ١١ وترجمته: الماء يغلي بالناس. إنهم يسبحون ويتعلقون بجذوع الأشجار، والأبواب ، والعربات. الحيوانات أيضا كانت تسبح معهم، كلاب وخيول وبقر وغنم. السماء ملأى بطیور حاثرة تدور وتدور لا تدری أین تهبط"

ولكنه قصير إلى حد كبير بالرغم من أن بعض القصص تحتمل وصفاً أطول وبامكان الكاتب الإطالة فيه، كقصة يوسف -عليه السلام- "أجمل رجل". ففي وصف يوسف لم أجد إلى مقاطع قصيرة رغم أهمية هذا الوصف في إجلاء الحدث ودفع حركته. ففي أول وصف لشخصية يوسف يقول: "... كرر النظر إلى الغلام، فرأى فيه مخايل البراءة والطهر والنقاء، كانت قسمات وجهه آية من آيات الله في الوسامنة واللطف"<sup>(١)</sup>. وفي موضع القصة التي يكون الوصف ضرورياً جداً، وذلك عندما رأت النساء يوسف -عليه السلام- في مجلس امرأة العزيز نجد هذا المقطع القصير الذي كان بإمكان الكاتب أن يتسع فيه ويملأه بالتفاصيل الكثيرة: "خرج يوسف عليهن، خرج فأشرقت الصالة لنوره، وأضاءت الجدران لجماله، واهتزت الأشياء لحسنه الأخاذ!... لم يدر بخلد الواحدة منهن أن يبلغ جماله هذا القدر المذهل.. شيء فوق التوقعات: أين البدر من نوره؟ وأين الشمس في ضيائهما؟ ما هو إلا آية من آيات الله الباهرة! أخذ يوسف وحده نصف الجمال، وكل الرجال والنساء في هذه الدنيا اقتسموا النصف الآخر!؟"<sup>(٢)</sup>.

ج) الحوار: يذكر الكاتب في الأدبين العربي والأمريكي حوارات بين الشخصيات تدفع الحركة القصصية وتسهم في بناء الحكاية، أو تكشف جوانب غامضة عن الشخصيات وترسم ملامحها، أو تكسر الملل الذي يحدثه السرد المستمر عن طريق قطعه بمشاهد حوارية متخللة بين الشخصيات. مثال

(١) أجمل رجل: عبدالله العريني، ص ٣٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٨، ٦٩.

ذلك: الحوار بين أبرهة وعبدالمطلب في قصة "أحسن القصص"<sup>(١)</sup>، وال الحوار بين آدم - عليه السلام - وابنيه<sup>(٢)</sup>، وال الحوار بين صالح - عليه السلام - وقومه<sup>(٣)</sup>، وال الحوار بين إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهم السلام -<sup>(٤)</sup> في مجموعة "قصة حجر". وال الحوار في "قصص القرآن" لأحمد بهجت كحوار أبرهة مع مستشاريه، وحواره مع عبدالمطلب في قصة "أصحاب الفيل"<sup>(٥)</sup>. وال الحوار بين نوح وقومه في "سفينة نوح".

وفي "قصة عيسى" The Story of Jesus ابتكر الكاتب حوارات غير موجودة في الإنجيل<sup>(٦)</sup>، كالحوار بين عيسى وسایمون:

"My mother in law is unwell" said Simon. When they got there, they found her drifting in and out of wakefulness, burnt up with fever...Can you help her, please? Is there anything you can do? Simon asked Jesus. Jesus bent over her and spoke out:" Fever, leave this woman alone! Be gone"<sup>(٧)</sup>.

(١) نبيهة مجيدلي ص ١٤

(٢) قصة حجر: أيمن عبدالحميد، ص ٦-٧.

(٣) المرجع السابق: ص ١٠-١١.

(٤) المرجع السابق: ص ١٦. وقد ابتكر حوارات كثيرة في كل قصص الكتاب.

(٥) ص ١-٣

(٦) انظر www.Biblesudytools.com : Luke 4

(٧) ص ٢٤ وترجمتها: أم زوجتي متعبة قال سایمون. عندما وصلا هناك وجدتها تصحو وتغفو وحراراتها مرتفعة... هل تستطيع مساعدتها؟ هل هناك ما يمكنك فعله من أجلها يا عيسى؟ انحني عيسى عليها وقال: أيتها الحمى اتركي هذه المرأة .. هي انصرفي".

وفي إحدى المجموعات القصصية، "حكايات من القرآن"<sup>(١)</sup>، يقوم بناء النص السردي كاملاً على الحوار بين الشخصيات، وذلك لأن الكاتب قدم القصة كلها بأسلوب "الصور الكارتونية المسلسة"<sup>(٢)</sup> وهو نوع أدبي له خصائصه التي تميزه عن باقي أنواع القصة، والتي منها قيام القصة كلها على الحوار. وهي طريقة جديدة على القصص الدينية وتصالح لعمر ١٢-١٥، ويمكن أن تكون طريقة جيدة لجذبهم. وأحياناً تكون الحوارات فيها بين شخصيات القصة نفسها كما في "الصندوق العائم": (أم موسى - أخيه - فرعون - زوجة فرعون)، أو شخصيات أخرى متخيلة تتحاور حول الحدث نفسه كما في قصة "رياح الأيام السبعة" حيث يتخيّل ثلات شخصيات من قوم هود - عليه السلام - تتحاور:  
"ألم تسمع بما يقوله هود؟  
وماذا يقول؟

إنه يزعم أنه رسول من عند إله لهداية البشر.  
إنه يدعو إلى عبادة الله الواحد  
وترك عبادة الأوثان".

ويوجد في الأدب الأمريكي قصص كتبت على هذا النحو منها قصة "الإنجيل الحركي" Action Bible التي رسمها سيرجيو كارييلو Sergio Cariello، حيث رسم قصص الإنجيل بهذا الأسلوب. ويلتزم كثير من الكتاب العربي بالحوار الأصلي للقصة التي يرويها، فلا

(١) دار سفير، ٢٠٠١ م

(٢) Comics سبق الحديث عنه في ص ٦

يكتب حواراً إلا وله أصل خاصة عند رواية سيرة الرسول الكريم محمد- صلى الله عليه وسلم- ، كما في قصة "سيد الخلق"<sup>(١)</sup> وقصة "السيرة النبوية"<sup>(٢)</sup>. وذلك تحرجاً من التقول على الأنبياء ، وعلى النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- خاصة ، والذي ورد الوعيد الشديد لمن تقول عليه.

## ٢- لغة الخطاب :

أ) : معجم الألفاظ: معجم ألفاظ القصة الدينية العربية مستمد من لغة النص الديني القرآني أو النبوي ، ويعتمد اعتماداً كلياً عليه مثل : يعبدون - يعکفون- القرابين- معجزة-نبي-أنذر- العذاب الأليم- الصيحة-الكافر- المؤمن- سخر- عرش- يسجدون- هداية- يستغفر- يطلب العفو- توبه- الخلق- عباد الله الصالحين- وسوس- الثواب- العقاب- الآخرة - الدنيا- دار الخلود- الأجر- البلاء- البيت العتيق... فلا تخلو قصة دينية من هذا المعجم اللغطي. وهذا أمر متوقع ومطلوب فنياً و تربوياً. ولكن معجم الألفاظ يأتي أحياناً فوق مستوى إدراك الفئة العمرية المعنية ؛ ففي سلسلة "أحسن القصص" التي تصنف قصة مصورة<sup>(٣)</sup> وتناسب المرحلة العمرية الأولى أو الثانية نجد أن لغتها بعيدة كل البعد عن الحسية التي هي سمة لهذه الفئة. تقوم لغة القصة على مفردات ذات معانٍ مجردة لا يستطيع الطفل فهمها مثل : (الوثنية- التوحيد-

---

(١) شهاب سلطان

(٢) السيرة النبوية: مجدي بن واصف العطار، عمان، الفرسان للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠١٦-١٤٣٧م، ج ١- ج ٢.

(٣) القصة المصورة التي تعتمد على الرسوم لنقل أحداث القصة ويكون النص قصيراً يقل ويكثر حسب العمر.

القرايين- معجزة- الصراع)<sup>(١)</sup> أو ألفاظ ليست قريبة من معجم الطفل اللغوي مثل: (أخضع- سخر- خشيت- يهزمها)<sup>(٢)</sup> (يصرف- ملته- جاؤا- يصد- انقضت- انكفت)<sup>(٣)</sup> (السباع- أهال- أواري- سوأة- تنعب)<sup>(٤)</sup> (تركمهم لمصيرهم- يشق طريقه)<sup>(٥)</sup> دون أي محاولة لتقريب المعنى بتفسيره أو بالصورة. ويسعى بعض الكتاب إلى تجاوز هذه الصعوبة بمحاولة تقريب المعنى باستخدام الصورة أو بتفسير المعنى بعبارات تشرح المعنى كما في قصة فرعون عندما طلب من هامان أن يبني له صرحاً ليطلع إلى إله موسى ، حيث فسر الكاتب معنى الصرح بعبارة حوارية على لسان فرعون : "أريده بناء عالياً جداً على شكل هرمي يخترق السحاب..."<sup>(٦)</sup> كما أن الرسوم أسهمت بتوضيح المعنى. أو باستخدام مرا侈 عصري يفهمه الطفل ، مثال ذلك استخدام لفظة هدية بدلاً من قربان في قصة هابيل وقابيل<sup>(٧)</sup> .

وفي القصص الأمريكية تسود اللغة السهلة ، لغة الحياة اليومية المعاصرة ، ويعتمد الوضوح والبعد عن المعجم الديني مع عبارات قصيرة غالباً ما تكون خبرية خاصة في مرحلة الطفولة الأولى وبدايات المتوسطة ، تقطعها عبارات

(١) ناقة صالح: أحمد بهجت

(٢) هدهد سليمان: أحمد بهجت

(٣) فيل أبرهة: أحمد بهجت

(٤) غراب قابيل وهابيل: أحمد بهجت

(٥) حوت يونس: أحمد بهجت

(٦) قصة حجر: أيمان عبدالحميد ص ٣٨.

(٧) قصة حجر: أيمان عبدالحميد ص ٦.

حوارية قصيرة هدفها إحياء النص ودفع الملل عن المتألق الصغير. ففي قصة "My Own Little Christmas Story" (١) بسطت قصة ولادة عيسى - عليه السلام - في اقتصارها على حدث واحد وهو الولادة، مع لغة سهلة وجمل قصيرة تتآزر مع الصورة، يستطيع الطفل الصغير (مرحلة الطفولة الأولى) فهمها واستيعابها فبدأت القصة بجمل ممهدة للحدث ومحدة للمكان والزمان :

"It was a spring day in Nazareth. Mary smiled as she waved at Joseph." (٢).

تبعتها جمل حوارية قصيرة :

"Everything is so lovely" she said. "And soon it will be our lovely wedding day" (٣).

وهكذا تستمر القصة باللغة نفسها إلى أن تختتم بجمل قصيرة تقول الحدث :

"Joseph says we must travel on, so we can keep Jesus safe. For when he grows up he will bring God's blessing to everyone" (٤).

---

(١) Christina Goodings

(٢) ص ٦-٧ ، وترجمتها : في يوم من أيام الربيع في الناصرة ابتسمت مريم وهي تلوح ليوسف.

(٣) كل شيء يبدو جميلاً "قالت مريم " وقربيا سياتي يوم زواجنا الجميل"

(٤) ص ٢٨ وترجمتها : قال يوسف يجب أن نسافر حتى نحمي عيسى ، ليكبر ويجلب البركات لكل أحد"

وفي قصص بدايات الطفولة الأولى (٥-١١ سنوات) تكون الجمل أقصر، كلماتان إلى ثلاثة لا تزيد: هذا نوح. ركب نوح السفينه. أخذ معه الحيوانات ثم يستعرض الحيوانات. وأحياناً تقتصر القصة على الصورة فقط مع كلمات تشير إلى محتوى الصورة. وهذا هو المناسب لهذه المرحلة: تقديم الألفاظ التي تهدى للقصة التي سيتعلمها الطفل في نهاية المرحلة<sup>(١)</sup>. وتستمر هذه اللغة لبقية المراحل، فلم أقف على قصة دينية أمريكية كتبت بلغة الإنجيل القديمة. هذه مقدمة قصة "My Very First Bible, Diana Mayo" للطفولة المتوسطة وقد كتبت بلغة مفهومة:

"The first man and first woman were called Adam and Eve and God loved them. God put them in a beautiful garden called Eden to enjoy everything he had made. Eat whatever you want except the fruit from the tree, said God."<sup>(٢)</sup>

وكذا الأمر بالنسبة للطفولة المتأخرة، وإن كان الكاتب أكثر حرية في استخدام الألفاظ المجردة. فلغة الخطاب مثلاً في المقطع الآتي من قصة نوح عليه السلام "Noah and the Ark" جاءت بلغة معاصرة تخاطب الطفل بلغة اليوم التي يفهمها، بل تستخدم منطق الكلام الملائم للعصر، فلا تظن وأنت تقرأها أنك تقرأ قصة دينية:

---

(1) Baby's First Bible Slipcase, Bible Stories Collection

(2) وترجمتها: أول رجل وامرأة كانوا آدم وحواء وأحباهم الله. وضعهم الله في جنة جميلة اسمها عدن ليستمتعوا بكل ما خلقه الله. كلا ما تشاءان إلا فاكهة تلك الشجرة قال لهاما الله.

“He spent seventy to eighty years building a 450 foot long boat in his backyard. He collected enough food for thousands of animals for years and then the animals showed up. What would you think if your neighbor did that? And if your neighbor said God was going to destroy the earth with a flood, how would you react? Would you believe him?...”<sup>(1)</sup>

ب) التكرار: التكرار من الظواهر الأسلوبية التي تستخدم لفهم النص الأدبي، وهو مظاهر بلاغي ومن البيان القرآني، كما أنه مصطلح له حضوره عند البلاغيين القدامى. ويسمى عند البلاغيين التكرير ويعنى: ”كرر الشيء: أعاده مرة بعد أخرى“<sup>(2)</sup> ويقسمه ابن الأثير إلى قسمين: الأول يوجد في اللفظ والمعنى، والثاني يوجد في المعنى دون اللفظ<sup>(3)</sup>. ويتحقق التكرار وظيفة معينه يقصدها الكاتب، فهو إما لتأكيد المعنى وترسيخه في ذهن المتلقى، أو لبناء إيقاع داخلي يتحقق انسجاماً موسيقياً داخل النص، أو للتزيين والتلوين

---

(١) Law Payn: p. 5 وترجمتها: لقد أمضى سبعين إلى ثمانين عاماً وهو يبني سفينته ارتفاعها ٤٥٠ قدم في فنائه الخلفي. وجمع طعاماً يكفيآلاف الحيوانات لسنوات ثم جاءت الحيوانات. ماذا ستقول لو أن جارك فعل ذلك؟ لو قال لك جارك أن الله سيهلك الأرض بفيضان؟ كيف ستكون ردة فعلك؟ هل ستصدقه؟“

(٢) المعجم المفصل في علوم البلاغة: ص ٤١٧.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طباعة، ج ٣، ص ٩، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.

الجمالي. والتكرار يكثير في بعض النصوص القصصية الدينية، وغالباً ما تكون له وظيفة عدا الزينة والخلية اللفظية.

ويعد الكاتب أحمد نجيب من أكثر الكتاب العرب استخداماً له في مواضع مختلفة من النص القصصي. فقد يبدأ النص به: "من زمان زمان بعيد، بعيد، بعيد. من ملايين و ملايين السنين"<sup>(١)</sup>، حيث كرر زمان و بعيد و ملايين لتأكيد للمتلقي الطفل بعد الزمني لأحداث القصة فقد حدثت من ملايين السنين. و تبدأ قصة مفتاح الكنز بـ "من زمان.. زمان بعيد.. أيام سيدنا موسى"<sup>(٢)</sup> وهكذا يستخدم هذا التكرار الزمني في أربع قصص<sup>(٣)</sup> من السلسلة القصصية التي تضم اثنين عشرة قصة.

ويكثر منه في مواضع داخل النص القصصي: فعندما يتحدث عن الله: "يعرف كل شيء .. يعرف أشياء كثيرة ، كثيرة ، كثيرة"<sup>(٤)</sup> ليستوعب عقل الصغير سعة علم الله- سبحانه و تعالى- . ويكرر صفة الظالم والجبار للملك في قصة "أصحاب الكهف"<sup>(٥)</sup> في ستة مواضع ليثبت هذه الصفة في ذهن الطفل المتلقي ، وفي قصة "سر الطيور العجيبة" وصف بها أبرهة في أربعة مواضع<sup>(٦)</sup> . وفي القصة نفسها حين الحديث عن نوم الفتية الذي هو صلب الحدث يوظف

---

(١) الدخان العجيب: أحمد نجيب ص: ١.

(٢) ص: ٢.

(٣) الدخان العجيب و مغامرة في البحر- مفتاح الكنز- مؤامرة عند الفجر.

(٤) المرجع السابق: ص ٦.

(٥) ص: ٢-٤-٣-١١-٦-١٤.

(٦) ص: ٤-٥-١٧.

التكرا: "جعلهم الله ينامون نوما طويلا طويلا.." <sup>(١)</sup>. وفي قصة سفينة نوح يكرر سنة: "استمر يدعوا قومه ليلا ونهارا...سنة بعد سنة..بعد سنة..بعد سنة. وعشرات من السنين بعد عشرات السنين ثم مئات من السنين بعد مئات من السنين" <sup>(٢)</sup>.

وفي مواضع أخرى يكون التكرار بالمعنى ، فعند حديثه عن كره إبليس للأدم: "إبليس ينظر إلى آدم بغيظ..إبليس يكره آدم ...إبليس ينظر إلى آدم ويفكر كيف ينتقم منه.. إبليس عدو الإنسان" <sup>(٣)</sup> يكرر ألفاظا تدل على الكره: غيظ- يكره- ينتقم- عدو. وليستو عب الطفل الزمن الذي مر على عزير بعد ما أماته الله وحماره كرر معنى الزمن بألفاظ مختلفة: "الله أماته وأمات حماره معه. ومرت الأيام.. مرت الأيام .. والأسابيع .. والشهور .. والسنوات.. فاتت مئة سنة .. وعزير ميت وحماره إلى جواره ميت..." <sup>(٤)</sup> وفي الوقت نفسه كرر جملة "عزيز ميت وحماره إلى جواره ميت" ثلاث مرات لتأكيد المعنى وتبسيط الحجة. وفي قصة أصحاب الكهف: "مرت الأيام والأسابيع والشهور والسنوات وهم نائمون. ناموا ثلاثة وتسع سنين" <sup>(٥)</sup>.

ج) : الإيقاع : يظهر السجع بوصفه وسيلة جذابة للكتابة للطفل في القصص الأمريكية ، وغالباً ما يقسم النص المصور إلى مقاطع قصيرة ، كل

(١) أصحاب الكهف: ص ٩.

(٢) سفينة نوح: ص ٢.

(٣) الدخان العجيب: ص ١٠.

(٤) السؤال العجيب وكيف يحيي الله الموتى: ص ١٠-٩.

(٥) أصحاب الكهف: ص ٩.

مقطع بروي واحد. وحتى لو تخللت عبارات حوارية فإنها أيضاً تستمر على إيقاع بقية النص القصصي ، كما في قصة "Oh No, Jonah!"<sup>(١)</sup> :

"As the ship sailed off shore,  
The wind whipped up a fearful roar.  
And drenching rain began to pour.  
There'd never been such waves before.  
Sailors sprawled across the floor.  
They begged their gods: "No more! No more!"

ولم أقف على نصوص قصصية عربية وظفت السجع أو أي لون من ألوان التلوين الصوتي ، إما لعدم وعي الكتاب بأهميته بالنسبة للأطفال ، أو لعجز بعضهم عن ذلك حيث يتطلب مهارة فنية وقدرة إبداعية تقارب كتابة الشعر. وقد يكون بسبب انتصارف من لديه الملكة الأدبية والمقدرة اللغوية عن الكتابة للطفل عامة وللقصص الدينية خاصة.

### ٣- وجهة النظر<sup>(٢)</sup> :

يسود نمط الرواية المجهول (المؤلف) أو العليم في القصص الدينية في الأدب العربي ، وذلك لأنّه هو "الذّي يعهد إلّيه المؤلّف الواقعى بسرد الحكاية"<sup>(٣)</sup> "ويتنقل بحرية مطلقة بين الأمكنة والأزمنة وينفذ إلى الدوّايل ، وقد يعلم عن الشخصيات مالاً تعلم عن نفسها ، وبإمكانه أن ينقل الأحداث من وجهات

---

Tilda Balsley p. 6 (١)

(٢) تسمى أحياناً الرؤية أو التبيير: انظر معجم السرديةات ، ص ٤٦٩.

(٣) معجم السرديةات: ص ١٩٥.

نظر متعددة<sup>(١)</sup>. ولعلهم يختارون هذا النمط لأن فيه نجاة للكاتب، حيث يكتب بحيادية دون تدخل في مشاعر وأفكار الشخصيات، كما أنه من الصعب تقمص الشخصيات والحديث بلسانها إذا كانت من الأنبياء.

وقد يروي الكاتب قصة الشخصية الدينية أحياناً من وجهة نظر شخصية أخرى مشاركة بالحدث (الراوي الشخصي) "يتمتع بهوية مرجعية تمكنه من أن يكون ذات ملفوظ<sup>(٢)</sup>" وغالباً ما تكون الحيوانات أو الجمادات، ويكون ذلك بهدف تشويق الطفل وإمتعاه. فالطفل تستهويه الحيوانات والجمادات التي تتحدث كأنها إنسان. ويسمى الراوي في هذا النوع من السرد الراوي العلني أو الصريح، ويتكلم بضمير المتكلم فيصف نفسه ويصف الشخصيات الأخرى حسب رؤيته، ويروي الحدث. وفي أدبنا العربي جرب بعض الكتاب السرد بهذا الراوي ولكن قليلاً-للسبب الذي ذكرته سابقاً- من ذلك "قصة حجر"<sup>(٣)</sup> حيث جمع الكاتب كل القصص التي كان للحجر فيها موقف مع نبي من الأنبياء، وجعلها تروي القصة من وجهة نظرها، فهناك حجر قابيل، وناقة صالح، وحجر من الجنة، وحجر الطفل المبارك إسماعيل، وحجر يعقوب، وحجر بئر مدين، وحجر لبناء فرعون، وحجر الحوت المفقود، وحجر الخضر، وحجر الأمير المغرور، وحجر القرية المهجورة، وحجر أصحاب الكهف... وغيرها. ويستخدم الأسلوب نفسه عبد التواب يوسف في "حياة محمد- صلى الله عليه وسلم- في عشرين قصة"، حيث جعل الجمادات تروي قصة

(١) معجم السرديةات: ص ١٩٦.

(٢) معجم السرديةات: ص ١٩٦.

(٣) أمين عبدالحميد

الرسول-عليه الصلاة والسلام-. فهاهي الحمارة مثلا تحكى رضاعة الرسول ونشأته عند حليمة بصوتها هي : "ذات يوم أخذتني حليمة أمّام الخيمة. ففرحت لأنّي حسبت أنّي ذاهبة إلى المرعى والغنم أكل بعض العشب الأخضر. لكن حليمة ركبتني ومعها طفلها الصغير الذي لا يسكت عن البكاء، وركب زوجها ناقة عجوزاً وسرنا في الصحراء..."<sup>(١)</sup>. وهكذا في كل قصص الكتاب ، وهي عشرون قصة تروى بأصوات مختلفة : الكتاب- الفيل- الحجر- الليلة- عنقود العنب- الجمل- البراق- الثعبان- الحمامـة- الحصان- العنزة- الناقة- البئر- الجبل- الصخرة- الشاة- الجذع- الشجرة- الدينار- الراية. وهي محاولة جيدة ، وإن كانت لا تختلف كثيراً عن الراوي المجهول ، وذلك لأن الشخصيات التي تسرد ليست فاعلة في القصة وغالباً غير مشاركة في الحدث ، ولا تدخل في حوارات مع الشخصيات الأخرى ، كل ما هنالك أنها حلت محل الراوي المجهول(المؤلف).

وفي الأدب الأميركي يكثر توظيف الراوي الشخصية ، والكاتب لديه الحرية الكاملة ليوظف خياله دون قيد أو شرط ، فنجد في قصة "Heaven is Real"<sup>(٢)</sup> حيث يلتقي طفل اسمه كولتن بعيسي-عليه السلام- في الجنة ، فيأخذه المسيح في جولة في الجنة ويعلمه عن حياته وتعاليمه ثم يودعه ليعود مرة أخرى إلى الأرض ! فالطفل هو الراوي الصريح ويتكلم بضمير المتكلم ، فيقول عن عيسى-عليه السلام- :

---

(١) ص ١٤

(٢) Tod & Sonja Burpo

"Jesus is so happy when people get to heaven. His smile is really bright, and his eyes sparkle. When I looked at Jesus, I could tell how much he loved me."<sup>(1)</sup>"

ويقدم الكاتب قصة "Two By Two"<sup>(2)</sup> وهي قصة نوح -عليه السلام- من وجهة نظر الحيوانات كلها وليس حيواناً بعينه. فالأحداث تروى بواسطة راوي مجهول ولكنه يروي من وجهة نظر الحيوانات التي تجهل أبعاد تلك الأحداث أو دلالاتها. إنها تصحو على عالم رعوي تقضي وقتها في البحث عن الطعام والمأوى وتتنزوج.. وتتعجب من تلك الفجوة الهائلة في المكان حيث قطعت الأشجار من أجل بناء سفينة عظيمة (لم يذكر من الذي بناها ولم يرسم أيضاً) ثم أظلمت السماء وبدأ المطر يعم الدنيا حتى فاض الماء وعم الطوفان العظيم الأرض، فركبت الحيوانات السفينة (ظهر في الصورة رجل وامرأة داخل السفينة دون إشارة إلى هويتهما) وبعد أن توقف المطر وزال الطوفان نزلت الحيوانات من السفينة. وليس هناك إشارة في النص إلى نوح ولا إلى العصيان ولا إلى أمر الحيوانات بالركوب في السفينة كما في الأصل الديني (الإنجيل) للقصة. الكاتب لم يركز على البعد الديني للقصة، وإنما على فكرة الكوارث العظيمة التي قد تقع وتغير حال الدنيا، ويظهر بوضوح أنها موجهة للطفل المعاصر دون ربطها بأي دين أو معتقد. كما أنها أهملت

---

(١) ص ٣ وترجمة النص: عيسى سعيد جداً عندما يصل الناس إلى الجنة، ابتسامته مضيئة وعيناه تلمعان. عندما نظرت إلى عيسى عرفت كم هو يحبني.

John Winch (٢)

تفاصيل القصة الدينية في الإنجيل<sup>(١)</sup>، فلم تشر إلى ذنوب الناس وخطاياهم التي أغضبت الله الخالق وقراره بإغراقهم إلا أسرة نوح وأبنائه، ولم تشر إلى الجبل الذي رست عنده السفينة ولا إلى الحمامات التي أرسلها نوح بعد أن رست السفينة. وتظل قصة نوح ملهمة لكثير من الكتاب؛ فيختلق الكاتب في قصة "On Noa's Ark"<sup>(٢)</sup> شخصية من خياله وهي حفيدة نوح لتروي القصة من وجهة نظرها :

are coming. Soon the land "Grandpa Noah say that the rains will be covered with water. Grandpa Noah is building an ark for our family and the animals to live on until it stops raining"<sup>(٣)</sup>.

ولم يكتف الكتاب بابتكار شخصية حفيدة نوح-عليه السلام- بل نجد في قصة "Not The End of the World"<sup>(٤)</sup> وهي قصة طويلة تناسب أواخر مرحلة الطفولة، تصور ما الذي حدث خلال الأربعين يوما التي بقي فيها نوح - عليه السلام - وعائلته في السفينة وتخيل العلاقات بين تلك الشخصيات وما الذي حدث قبل وبعد الطوفان. لقد حولها الكاتب إلى قصة جديدة تقال من خلال أصوات عائلة نوح والحيوانات ولكن الرواية الأساسية هو "ابنة نوح. والأصوات الأخرى هي : زوجة نوح "Ama" ، وابنه Timna"

---

(١) انظر Genesis 6: [www.Biblesudytools.com](http://www.Biblesudytools.com)

Jan Brett (٢)

(٣) ترجمتها: جدي نوح قال إن المطر قادم. قريبا ستغطي المياه الأرض. جدي نوح يبني سفينة للأسرتي والحيوانات لتعيش عليها إلى أن يقف المطر "

(٤) Geraldine McCaughrean

الأكبر "Shem" وزوجته "Bashemath" ، وابنه الثاني "Ham" ، وزوجته "Sarai" ، وابنه الأصغر "Japheth" ، وزوجته "Zillah" ، والصبي "Kittin" ، والرضيع البت "Adalya" اللذين انقذتهما ابنة نوح. وكل صوت مختلف عن الآخر له رؤيته الخاصة في كارثة الطوفان، ومن خلالهم تشارأسئلة كثيرة تستكشف القصة الأصلية بالإنجيل: أسئلة حول الطاعة والمسؤولية والشرف. كما أنها تبرز مشاعر الشخصيات التي قد تتصادم: الرضا والقبول- الغضب والثورة... وغيرها.

ومثلها قصة "Joseph" التي كتبت على لسان يوسف - عليه السلام-الذي يتحدث بضمير المتكلم ويحادث نفسه ويفصح عن آرائه عن الأحداث والشخصيات التي تمر به<sup>(١)</sup>.

وهذا الرواذي مختلف عن النمط السائد في قصص الأطفال الدينية العربية والأمريكية التي غالباً ما يرويها راوٍ مجهول، وهو راوٍ عليم ينتقل بحرية مطلقة بين الأمكنة والأزمنة وينفذ إلى داخل الشخصيات، ويستخدم ضمير الغائب. ومن أمثلة ذلك في القصة العربية: "أحسن القصص" لأحمد بهجت و"حكايات من السماء" لأحمد نجيب و"قصص القرآن" لأحمد بهجت وغيرها: "تباعد اليهود عن تعاليم التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، حين هجروا كثيراً من تعاليمه وأوامره، عندئذ وقع لهم مايقع لكل أمة تهجر كتابها أو تضيع أوامر نبيها المرسل..."<sup>(٢)</sup> ويقول عن طالوت: "كان

---

(١) انظر حديثها مع نفسها فيما سبق.

(٢) الملك طالوت والنهر: أحمد بهجت، ص ١.

طالوت يعرف أن الحرب تعني توظيف كل قوة الشعب وقيادته لهدف واحد...  
وبدأ في توجيه كل قوة قومه لصناعة الأسلحة...<sup>(١)</sup>.

ومثاله في القصص الأمريكي قصة "The Bible for Young Children"<sup>(٢)</sup> وهي قصة مصورة تسرد الأحداث منذ بدء الخلق ثم عهد الأنبياء نوح وإبراهيم ويعقوب وموسى ويوسف. قصة واحدة متراقبة تروى بضمير الغائب. وكذا قصة "Jonah and the Whale" يوئس والحوت :

"One day God told Jonah to leave Israel and go to Nineveh, the city of the rich and powerful Assyrians, The Ninevites had captured the land of many people. God told Jonah to warn the Ninevites that if they don't stop their wicked ways, their city would be destroyed"<sup>(٣)</sup>.

فقد رواها راوٍ عليم يعلم ما في نفس يوئس وما يحس به. وللكاتبة قصص أخرى كتبت بالأسلوب نفسه كقصة دانيال وعرين الأسد – موسى وأخوه ميريان – وداود وجالوت "Daniel in the Lion's Den – Mirian and Her brother Moses- David and Goliath"

---

. ١٢-١١ (١)

(2)Marie Helen Delval

(٣) ص ٤ وترجمتها: في يوم من الأيام طلب الله من يوئس أن يترك إسرائيل وينذهب إلى نينوى مدينة الآشوريين الأغنياء والأقوياء ، فقد أخذوا أراضي الناس. طلب الله من يوئس أن يحذر الآشوريين إن لم يتوقفوا عن طردهم الشهيرة فإن الله سيدمّر مدينتهم".

ويكمن أن يوظف الكاتب القصة الدينية للتركيز على فكرة معينة ويستعين بالقصة الدينية لتشييئها، كما في قصص الإنجيل الخضراء للأطفال "Green Bible Stories for Children <sup>(١)</sup>"، وهي مجموعة قصصية تضم عشر قصص، حيث كان منطلق الكاتب الحفاظ على البيئة وتشجيع الطفل على تبني الفكرة من خلال قصص الإنجيل. وعنوان كل قصة مستمد من فكرة من أفكار الحفاظ على البيئة في الزراعة والحفاظ على المياه وتربية الحيوانات وغيرها: Greener Pastures: Ibrahim and Sustainable Herding- Preventing Famine: Joseph plans Ahead- Sweet Water From a Tree: Moses in the Desert- Reduce, Reuse, Recycle: Building The Tabernacle- Every Seven Years: A Sabbath for the Land- With A Mighty Sound: . Solar Power: Joshua Harnesses the Sun <sup>(٢)</sup>-Joshua Destroys Jorcho

واستخدم الكاتب الراوي العلیم في سرد تلك القصص.

وأحياناً يكون الراوي هو المؤلف، فيخاطب الأطفال (المتلقين) بصفته الحقيقة. وأكثر من استخدم ذلك محمد موفق سليمان في "قصص القرآن" فيبدأ السرد بقوله: "إنك تعلم يا أخي الصغير وإنك تعلمين يا أختي الصغيرة أن الله ...". ثم يبدأ سرد الحدث باستخدام راوٍ آخر مجهول يتكلم بضمير الغائب: "

---

(١) (١) Tami Lehman-Wilzig, 2001 الإنجيل الأخضر قصص للأطفال.

(٢) ترجمتها: المراعي الخضراء إبراهيم والرعي المستدام-ماء حلو من الشجرة موسى في الصحراء- منع المجاعة يوسف يخطط مسبقاً- التدوير بناء المعبد في الصحراء- الصوت العظيم يوشع يدمر أريحا- السنوات السبع السابعة من أجل الأرض- الطاقة الشمسية يوشع يسخر الشمس.

بعد أن خلق الله تعالى الملائكة شاء سبحانه أن يخلق آدم ويخلق ذريته ليسكناها الأرض" ثم يعود للخطاب المباشر: "والآن يا أحبائي الصغار: هل تعرفون من أي شيء خلق الله آدم عليه السلام؟..."<sup>(١)</sup> وهكذا في كل قصص الكتاب. واستخدم الأسلوب نفسه في "قصص السيرة": "لا تعجبوا إذا قلت لكم إن والد محمد قد تعرض للموت...وسأحكي لكم قصة والد رسولنا...والآن تعالوا لنعرف أسرة عبدالله..."<sup>(٢)</sup> وهكذا بداية أو نهاية كل قصة، وأحياناً حتى في وسط القصة. وتفعل الأمر نفسه هند سليم في "قصص الأنبياء" حيث تخاطب المتلقي مباشرة بضمير المخاطب في المجموعة كلها: "تسمعون بالتأكيد عبارة الإنسان الأول أي أول إنسان عاش على الأرض بعد أن انقرضت الديناصورات...دعوني أخبركم بأن كثيراً من خيالاتكم هذه لس صححة"<sup>(٣)</sup>، وتنهي كل قصة بسؤال لتكون القصة التالية في المجموعة إجابة عليه: "ترى كيف كانت هذه الحياة الجديدة؟" "ترى ماذا فعل الأخ الطيب حينئذ؟" "هل تعرفون أول نبي مشهور أتى بعد آدم ويبدأ بحرف الألف"<sup>(٤)</sup>. وقد تحمل هذه الطريقة نظرة فوقية للطفل، وتشعر الطفل بالقليل من شأنه والاستخفاف به، خاصة أن هذه النصوص موجهة للفئة العمرية الأخيرة من الطفولة (١٢ - ١٥ سنة). والأطفال في هذا العمر لا يحبون أن ينظرون إليهم بصفتهم أطفالاً، أو يعاملهم الكبار معاملة الأووصياء عليهم، فلا ينبغي لكاتب الأطفال أن يتبنى

(١) قصص القرآن: ص ٤-٣

(٢) قصص السيرة النبوية: ص ١٤

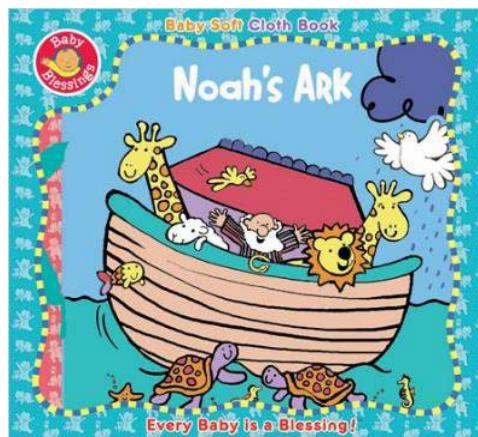
(٣) ص ٤-٥.

(٤) ص ١٤-٢٣.

هذه الطريقة أبداً، بل عليه أن يروي القصة كما هي براوِ علیم دون وسيط، أو يجعل إحدى الشخصيات ترويها.

#### ٤. الرسوم والإخراج:

هناك عنابة كبيرة جداً في القصص الديني الأمريكي بالشكل عامه وإخراج الكتاب وبالرسوم والصور على وجه الخصوص، ويراعى فيها مناسبتها للمرحلة العمرية الموجهة لها. فنجد بساطة رسوم المراحل الأولى من الطفولة، واقتصارها على رسم الشخصيات دون تفاصيل كثيرة كما في مجموعة قصص الإنجيل وحقيقة الإنجيل الأولى للرضيع، و "Baby's First Bible Slipcase" و "Bible Stories Collection" ، الصورة رقم (١). كما يستخدم الورق السميك وبحجم صغير ليسهل حمله وتقليل صفحاته للطفل الصغير، ويتحمل صلف الصغير ولعبه.



الصورة رقم (١)

كما تظهر وجوه الشخصيات بصورة قريبة للحاضر، وإن كانت تلبس ملابس مختلفة وفي أماكن وبيئات بعيدة، وهذا يقرب الشخصيات أكثر للطفل

الصغير ويحبها إليه. كما في قصة سلة موسى "Moses basket". وجموعة قصص الكريسماس "My Own Little Christmas story".

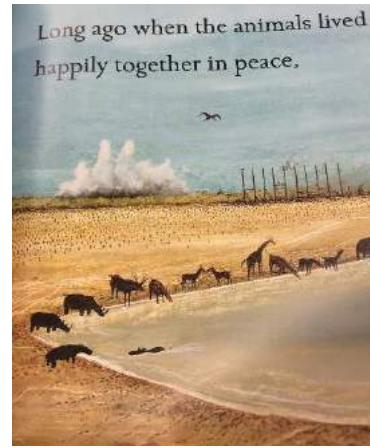
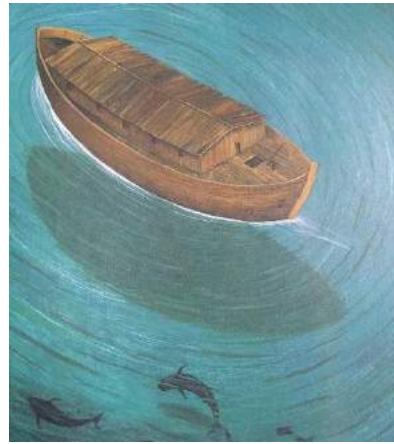
كما تتفنن دور النشر والرسامون في إحياء قصة الطفولة المبكرة ليتفاعل معها الطفل، كأن تختفي الشخصيات خلف نوافذ يفتحها الصغير، أو تتحرك بعض أجزاء الصورة أو تكون القصة نفسها مصورة من لعبة يلعب بها الطفل، كلعبة التركيب المعروفة "الليغو"<sup>(١)</sup>، فقصة مكعبات الإنجيل "The Chrismas Story : The Brick Bible" مصورة من لعبة "الليغو".

ونجد في قصص الطفولة المتوسطة عناية شديدة بالتفاصيل، وتنوعاً وثراء في استخدام أساليب الرسم الفنية من ألوان ومدارس فنية. بل إن بعض القصص يؤلفها ويرسمها الفنان نفسه، فتكون كل صفحة لوحة فنية بدعة. وفي القصة المصورة<sup>(٢)</sup> يتآزر النص مع الصورة في نقل أحداث القصة في بيئتها التي وقعت فيها، ففي قصة نوح نجد تفاصيل كثيرة للحيوانات والبيئة الطبيعية من أشجار ومياه وسماء تشعر الناظر وكأنه وسط الحدث، خاصة عندما تهطل الأمطار ويعم الطوفان ويسود الرعب والخوف كل المخلوقات فتبدو الألوان رمادية قائمة، ثم بعد أن يتوقف كل ذلك يعم المهدوء وتشرق الشمس من جديد وتعود الحياة إلى طبيعتها وتعود الحياة بألوانها وتفاصيلها الساطعة كما في قصة اثنان اثنان "Two By Two" ، انظر الصورة رقم (٢) و(٣).

---

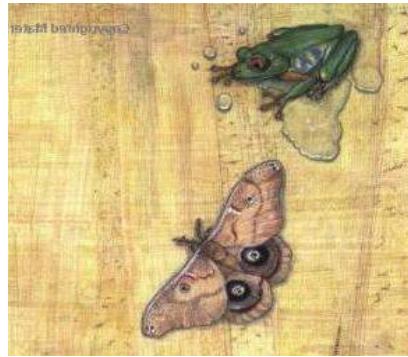
(١) مكعبات التركيب البلاستيكية الملونة.

(٢) Picture Book: هي القصة التي يتساوى فيها النص مع الصورة وتناسب الطفولة الأولى والطفولة المتوسطة، سبق تعريفها.



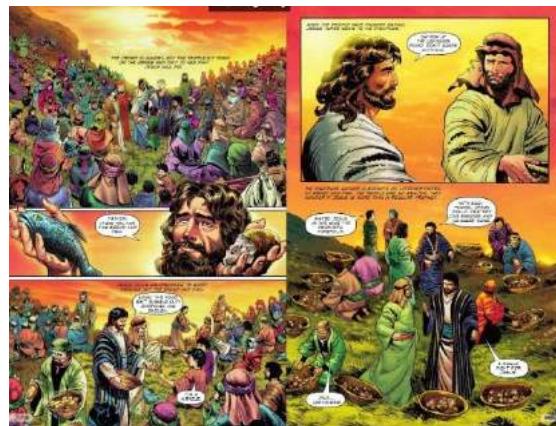
### الصورة رقم (٢) و(٣)

وفي قصة على سفينة نوح "On Noah's Ark" نجد عناء فائقة بتفاصيل رسم الحيوانات ، والقصة كلها مرسومة داخل إطارات من ورق البردي مما يلفت الانتباه ويوحي بالقديم. كما أن استخدام الألوان المائية وبدرجات متفاوتة بألوان حيوية ينقل الإحساس بملمس الحيوان كالريش والفرو وغيرها. كما أنها تضيف تفاصيل في كل صفحة كرسوم لحشرات متنوعة تجعل النص يغري فئات عمرية أكبر من الأطفال لتأمل تلك التفاصيل وتتعرف على أسمائها ، الصورة رقم (٤).



الصورة رقم (٤)

ومن الطرق التي قدمت بها قصة الطفل الأمريكية القصة المسلسة ، التي تعتمد حوارات بين الأشخاص في صور متسلسة مثل قصة الإنجيل الحركي "The Action Bible" ، انظر الصورة رقم (٥).

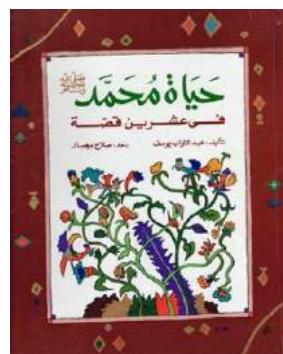


الصورة رقم (٥)

وتشبهها في القصص العربية قصة "حكايات من القرآن" :

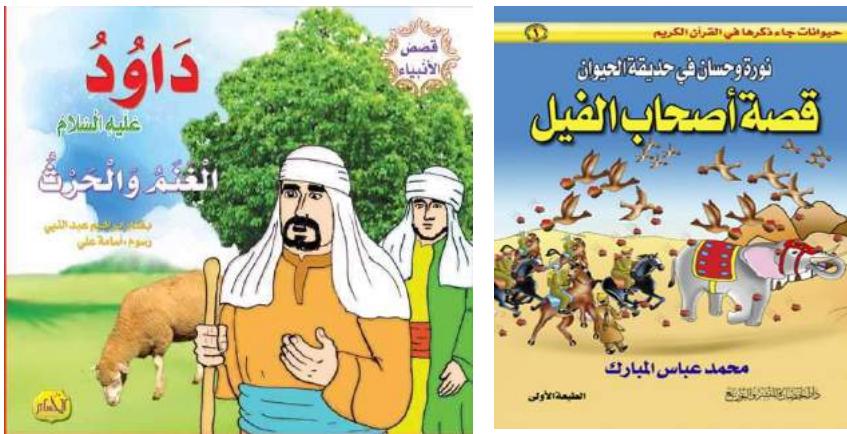


بل إن المانجا وهي القصص المسلسلة بالرسم الياباني للشخصيات أيضا دخل في رسوم القصص الدينية كما في قصة المسيح "Manga Messiah".  
أما القصص العربية فليست بمستوى واحد؛ فبعضها بإخراج ورسوم جيدة ويراعي مناسبة الرسوم لعمر الأطفال؛ وهو قليل مثل "حياة محمد في عشرين قصة" انظر الصورة رقم (٦).



الصورة رقم (٦)

وآخر وهو الأكثر بإخراج ورسوم رديئة كما في الصورة رقم (٧) و(٨).



الصورة رقم (٧) و(٨)

وأحياناً تخفي الرسوم نهائياً كما في مجموعة قصص الأنبياء، الصورة رقم (٩).



الصورة رقم (٩)

\*\*\*

\*\*\*

\*\*\*

## الخاتمة:

إن أول نتيجة يمكن أن يتوصل إليها الدارس للقصص الدينية العربي والأمريكي الموجه للأطفال هي ضخامة الإنتاج الموجه للطفل الأمريكي في كل مراحله العمرية، يقابلها قلة الإنتاج العربي، وشبهه انعدامه لمرحلة الطفولة الأولى (١-٥ سنوات) والمتوسطة (٦-٩ سنوات).

ورغم غزارة الإنتاج القصصي الموجه للأطفال في مراحلهم العمرية المختلفة في الأدب الأمريكي مقارنة بالأدب العربي، إلا أنه لوحظ غياب قصة لوط خاصة في المجموعات القصصية التي تسرد قصص الإنجيل حتى للمرحلة العمرية المتأخرة، وقد يكون سبب ذلك تجنب الكتاب هذا الموضوع الحساس الذي يرتبط بالشذوذ الجنسي الذي أصبح مباحاً وقانونياً في عدد من الولايات<sup>(١)</sup>، كما قد يتحرز الكاتب في المجتمع الأمريكي من ذلك خوفاً من الأحكام التي قد تطلق عليهم<sup>(٢)</sup>. وفي المقابل يتناول الكاتب العربي كل قصص القرآن بما فيها قصة لوط-عليه السلام- دون حرج، وذلك لأن القضية محسومة في المجتمع الإسلامي، فلا قبول للشذوذ أو للمثليين في المجتمع العربي الإسلامي، ومن المناسب تقديمها في هذه المرحلة العمرية المتأخرة من الطفولة لقدرة أطفال اليوم على فهمها واستيعابها. ففي "قصص القرآن" يصف الكاتب قوم لوط: "أوجدوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد. ماهي؟ لقد تركوا

---

(١) قرار المحكمة العليا الأمريكية في ٢٠١٥ ، بأن ينح دستور الولايات المتحدة الزوجين من الجنس نفسه الحق في الزواج الزوج: Human rights watch : www.hrw.org ١٤٣٨/٢٢ هـ .

(٢) كوسهم بالتحيزين والمعصبين .

ما أحل الله لهم من النساء فلم يتزوجوهن ، تركوا نسائهم ، و فعلوا الفاحشة مع الذكور الذين حرمهم الله على الرجال<sup>(١)</sup> . وفي "قصص الأنبياء" وصفوا بأنهم : " كانوا أسوأ من كل الأقوام التي سبقتهم ، وقد اشتهروا بقطع الطريق على المسافرين ، وبأن رجالهم شديدو الانحراف إذ لم يكونوا يحبون التزوج من النساء ، بل يفضلون الرجال عليهن ، وهذه الفاحشة شنيعة يأبها الدين والفطرة"<sup>(٢)</sup> . وفي "إنهم سكارى" وصفهم بأنهم : " تركوا إتيان زوجاتهم ، وصاروا يأتون الذكران من العالمين..."<sup>(٣)</sup>

والكاتب الأمريكي لا يجد حرجاً في توظيف خياله في القصص الديني ، حيث يمكن أن يتذكر أحداً وشخصيات يضيفها للقصة ، ويتنفسن في طرق السرد وفي توظيف الرسوم لخدمة النص . بينما يتوقف الكاتب العربي كثيراً قبل أن يكتب قصته ، حتى لا يقع في محضور ديني ، ويلتزم التزاماً كاملاً بالنص الديني ، أو بما جاء في أخباربني إسرائيل مما لا يتعارض مع النصوص من القرآن والسنة ولا يقدح بعصمة الأنبياء<sup>(٤)</sup> . والمساحة التي أمامه للخيال ضيقة جداً ، وقليل من الكتاب من نجح في تجاوز هذه الإشكالية . كما فعل عبدالتواب يوسف وأحمد نجيب في نصوصهما أو في بعض روايات عبدالله العريني .

---

(١) قصة لوط : محمد موفق سليمة ، ٦ ، ص ٤.

(٢) هند فتحي سليم ص ٨٠.

(٣) قصة لوط عليه السلام : عبدالله العريني ، ص ٩.

(٤) صرّح بذلك د. عبدالله العريني في رواياته العشر في المراجع نهاية كل رواية.

وفي الوقت الذي تعنتي فيه دور النشر الأمريكية، والرسامون في إظهار قصة الطفل الدينية في أبهى حلة، وتطويرها بكل ما هو جديد في عالم النشر للأطفال كي تكون أكثر جاذبية للطفل، وأكثر مناسبة للمرحلة العمرية التي يمر بها، نجد بعض دور النشر العربية ما زالت ترذح بالطرق التقليدية للرسم والإخراج، والتي لم تعد تجذب الطفل الصغير. فهناك بون شاسع بين مستوى القصة الدينية العربية والقصة الدينية الأمريكية في الشكل والإخراج.

وللخروج من هذا المأزق لابد من التنبه للأتي :

التدرج في تقديم القصص الديني حسب مراحل الطفولة، فيمكن أن يكتفى بمعلومات قليلة في المراحل الأولى (٦-١١ سنوات) كالتركيز على الأسماء، أو حدث واحد، أو فكرة واحدة... وهكذا، ثم تضاف تفاصيل أكثر كلما تقدم العمر وارتفعت المرحلة.

الاستفادة من القصص الديني في تعليم الطفل اللغة الأولى، كما في قصة نوح-عليه السلام- حيث وظفها الكتاب لتعليم الطفل أسماء الحيوانات وألوانها وأحجامها وبيئاتها.

يكون الراوي في بعض القصص الديني العربي هو المؤلف، فيخاطب الأطفال (المتلقين) بصفته الحقيقة وبأسلوب مباشر كقوله يا أخي الصغير أو يابني أو يا ابنتي وغيرها، ثم يبدأ سرد الحدث باستخدام راوي آخر مجهول يتكلم بضمير الغائب. وهذه الطريقة قد تتحمل نظرة فوقية للطفل، وتشعره بالتكليل من شأنه والاستخفاف به، خاصة إذا كانت النصوص موجهة للفئة العمرية الأخيرة من الطفولة (١٢-١٥ سنة). والأطفال في هذا العمر لا يحبون أن

يُنظر إليهم بصفتهم أطفالاً، أو يعاملهم الكبار معاملة الأوصياء عليهم، فلابينغي لكاتب الأطفال أن يتبنى هذه الطريقة أبداً، بل عليه أن يروي القصة كما هي براوِ علیم دون وسيط، أو يجعل إحدى الشخصيات ترويها.

تنوع تقنيات الرسم وأساليبه الفنية المختلفة وتوظيفها لجذب الطفل ولفت انتباهه، خاصة في المرحلة العمرية الأولى والمتوسطة والتي يتازر فيها الصورة مع النص لنقل القصة.

ضرورة العناية برسوم القصة الدينية العربية وإخراجها، وهي مسؤولية تقع على عاتق الجميع خاصة دور النشر والرسامين.

مرحلة الطفولة الأولى والمتوسطة تعاني من فقر شديد في القصص الدينية، ولابد من الالتفات إليها والعناية بها، فهي المرحلة التأسيسية للقيم الدينية.

وفي نهاية المطاف من المهم جداً الإشارة إلى أن القصص الديني في الأدب العربي مجال خصب للدراسات والبحوث الأدبية التي تتناول الموضوع من زوايا مختلفة، كما أنها يمكن أن تدخل في المجال التربوي كمعرفة أثر القصة الدينية على الطفل وعلى التأسيس القيمي له، وكذلك في مجال الدراسات الإسلامية ومدى التزام الأديب بالتوثيق عند كتابة النص القصصي الديني.

والحمد لله أولاً وآخرأً.

\* \* \*

المصادر:

القرآن الكريم.

الإنجيل: [www.Biblesudytools.com](http://www.Biblesudytools.com)

الكتاب المقدس [www.enjeel.com](http://www.enjeel.com)

مصادر القصص العربية<sup>(١)</sup>:

المرحلة العمرية	موضوعها	معلومات النشر	المؤلف	عنوان القصة
٦ سنوات	قصص الأنبياء	دار الشروق - القاهرة- ط ٤ ، ٢٠١١ م	أحمد بهجت	أحسن القصص (سلسلة قصصية)
٦-٩ سنوات	قصص الأنبياء	دار أصالة - بيروت - ٢٠١٤ م ، ١	سنا شهاب المعبي	أنا مسلم : قصص الأنبياء (سلسلة قصصية)
٦-٩ سنوات	قصص الأنبياء - قصص القرآن	دار الحدائق - بيروت - ط ١ - ٢٠٠٥ م	أحمد نجيب	حكايات من السماء (سلسلة قصصية)
٦-٩ سنوات	سيرة الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم -	مؤسسة الفرسان- عمان - ١ ط ١٤٣٧ / ٢٠١٦ م	مجدي واصف العطار	السيرة النبوية ١- ٢

(١) لا توجد قصص للطفولة الأولى ٣-٥ سنوات

المرحلة العمرية	موضوعها	معلومات النشر	المؤلف	عنوان القصة
١٥-١٢	سيرة الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-	القاهرة- الناشرون المتحدون-ط- ٢٠١٢	شهاب سلطان	سيد الخلق-صلى الله عليه وسلم-
١٥-١٢	قصص الأنبياء	القاهرة-العربية الحديثة	عبدالحميد عبدالمقصود	قصص الأنبياء (٣-١)
١٥-٩ سنة	قصص الأنبياء قصص القرآن	دار الشروق- القاهرة-ط- ٢٠٠٨	أحمد بهجت	قصص القرآن (سلسلة قصصية)
١٥-١٢ سنة	سيرة الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-	الرياض- دار الهذا- ط٦ ، ٢٠٠٠	محمد موفق سليمة	قصص السيرة النبوية : ٦٠ قصة قصيرة
١٥-١٢ سنة	قصص القرآن قصص الأنبياء	الرياض- دار الهذا- ٢٠٠٣-١٤	محمد موفق سليمة	قصص القرآن : ٣٠ قصة
١٢-٩ سنة	قصص الأنبياء	القاهرة- الناشرون المتحدون-ط- ٢٠١٠	هند فتحي سليم	قصص الأنبياء (جزئين)
١٥-١٢	قصص	القاهرة-	إبراهيم	قصص الأصحاب في

المرحلة العمرية	موضوعها	معلومات النشر	المؤلف	عنوان القصة
	الأنبياء قصص القرآن	الناشرون المتحدون-ط ١- ٢٠١٢م	البحيري	القرآن
١٢-٩ سنة	قصص الأنبياء	الرياض- بيروت-المستقبل الرقمي	لا يوجد مؤلف	قصص الأنبياء سيرة سيد المرسلين
١٥-٩	قصص الأنبياء- قصص القرآن- السيرة النبوية	نهضة مصر : القاهرة ٢٠٠٧م	أمين عبدالحميد	قصة حجر: مجموعة قصصية
١٥-٩	السيرة النبوية	دار الحدائق : بيروت ٢٠١٣م	نبيلة محيدلي	أحسن القصص : مجموعة قصصية
١٥-١٢	قصص الأنبياء قصص القرآن	سفير، القاهرة، ٢٠٠١م	سمير جلبي	حكايات من القرآن : الملك والبقرات السبع وقصص أخرى
١٥-١٢	قصص الأنبياء قصص القرآن	سفير، القاهرة، ٢٠٠١م	سلامة محمد سلامة	حكايات من القرآن : الفتیان والکهف وقصص أخرى
١٥-١٢	قصص الأنبياء	سفير، القاهرة، ٢٠٠١م	أحمد تمان	حكايات من القرآن : الرياح السوداء

المرحلة العمرية	موضوعها	معلومات النشر	المؤلف	عنوان القصة
	قصص القرآن			قصص أخرى
١٥-١٢	قصص الأنبياء	رواية، لندن	عبدالله العربي	رواية للشباب (١٠ قصص من قصص الأنبياء)

مصادر القصص الأمريكية<sup>(١)</sup> :

المرحلة العمرية	موضوعها	معلومات النشر	المؤلف	عنوان القصة
١-٥ سنوات	قصص الأنبياء	Priddy Books, 2012	Roger Priddy	Baby's First Bible Slipcase
١-٥ سنوات	قصص الأنبياء	Make Believe Ideas; Box Brdbk edition, (2012)	دون مؤلف	Bible Stories Collection
٤-٦ سنوات	قصة عيسى (عليه) (السلام)	The Lion Children's book, 2012	Christina Goodings	My Own Little Christmas Story
٤-٦ سنوات	قصة عيسى (عليه)	Sky Pony press, NY, 2012	Brandan Powell Smith	The Chrsismas Story : The Brick Bible for Kids

(١) عدد القصص كثير جداً يصعب الإحاطة به، لذلك اختارت هذه المجموعة لتمثل  
الفئات العمرية المختلفة

المرحلة العمرية	موضوعها	معلومات النشر	المؤلف	عنوان القصة
	السلام)			
٧-٦	قصص الأنبياء	Erdmans books for young reader,2002	Marie Helen Delval	The Bible for Young Children
٦-٩ سنوات	قصص الأنبياء	Dorling Kindersley,NY,2005	Diana Mayo	My very First Bible
٦-٩ سنوات	قصة يونس(عليه السلام)	Kar Ben, Minneapolis,2012	Tilda Balsley	Oh No, Jonah!
٦-٩ سنوات	قصبة يونس(عليه السلام)	Little Brown and company, Ny. 2004	Jean Marzollo	Jonah and the Whale and the worm
٦-٩ سنوات	قصص الأنبياء	Eerdmans Books,2003	Jenny Koralek	و
		Usborn		Joseph and his Amazing Coat
٦-٩ سنوات	قصبة نوح(عليه السلام)	Holiday House, 2004	John Winch	Two By Two
٦-٩ سنوات	قصبة نوح(عليه السلام)	Chronicle Books, 2002	Jerry Pintney	Noah's Ark

المرحلة العمرية	موضوعها	معلومات النشر	المؤلف	عنوان القصة
٩-٦ سنوات	قصة عيسى (ع) يه السلام) (	Tommy Nelson 2011	Tood & Sonja Burpo	Heaven is for Real
٦-٩ سنوات	قصة نوح (عليه السلام) (	Putnam Juvenile, 2003	Jan Brett	On Noa's Ark
١٥-١٢ سنة	قصة نوح (عليه السلام) (	Harper Tempest 2005	Geraldine McCaughern	Not the End of the World
١٠-١٢ سنة	قصص الأنبياء	Groundwood Books, Toronto,2004	Celia Barker Lottridge	Stories From Adam and Eve to Ezekiel
١٠-١٢ سنة	قصة عيسى (عليه السلام) (	The Lion Children Book, 2007	Andren Skevington	The Story of Jesus
١٠-١٢ سنة	قصة نوح (عليه السلام) (	Hardbody Booking,2014	Law Payn	Noah and the Ark
١٥-١٢ سنة	قصص الأنبياء	DK Children,2005	Selina Hastings	The Children's Illustrated Bible
١٥-١٢ سنة	قصص الأنبياء	David C. Cook,2012	Sergio Cariello	The Action Bible

المرحلة العمرية	موضوعها	معلومات النشر	المؤلف	عنوان القصة
١٥ - ١٢ سنة	قصص الأنبياء	Zondervan ,2011	Max Lucado and Randy Frazee	The Story: The Bible as his Continuing Story of God and his People
١٥ سنة	قصة يوسف (عليه) (السلام)	Revie and Heraid Publishing,2002	Terri L. Fivash	Joseph
١٥ سنة	قصة عيسى (عليه) (السلام)	Tyndale House 2007	-	Manga Messiah

\* \* \*

## المراجع:

أدب الأطفال علم وفن: أحمد نجيب (القاهرة: دار الفكر العربي ١٤١١هـ - ١٩٩١م).

علم النفس التطوري: صالح محمد علي أبو جادو (عمان، دار المسيرة، ط١، ٢٠٠٤م).

المثل السائِر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.

معجم السردِيات: محمد القاضي وآخرون: (تونس: دار محمد علي للنشر، ط١، ٢٠١٠م).

معجم مصطلحات أدب الأطفال: وفاء السبيل (جدة: كادي ورمادي، ط١، ٢٠٠٩م).

\* \* \*

## **List of References:**

### **Works cited**

- Najīb, A. (1991). *Adab al-aTfāl*, , Cairo: Dār al-fikr al-arabi.
- Abu Jado, S.M.A. (2004.). *Ilm al-nafs al-taTawuri*, , Amman, Dār al-masīrah.
- Al-mathal al-sā'ir Fi Adab Al-kātib wa Al-shā'ir: DHiyā' al-dīn bin al-athīr.
- (n.d.). (A, Al-Hufī & B.Tabanah, Ed.).Cairo: Dār NahDHat MaSr.
- Al-QaDHi, M & others. (2010.). *Mu`jam al-sardiyāt*, Tunis, Dār Mohammad Ali lil nashr.
- Al-sabeel, W. (2009.). *Mu`jam MuSTalaHāt Adab Al-aTfāl*. Jeddah : Kādi wa Ramādi.
- Akāwi, I.F. (1996). *Al-mu`jam Al-mufaSal fi `ulūm Al-balaghah*, Dār al-kutub al-`ilmīyah.
- [www.hrw.org](http://www.hrw.org)
- Abu Al-riDHa, S.(1993.). *Al-naS Al-adabi Lil aTfāl*, ahdāfuh wa maSādiruh wa simātuh ru'yah islāmiyah. Amman: Dār Al-bashīr.
- Al-Hadīdi,A. (1996.). *Fi Adab al-aTfāl*, Maktabat al-anglo al-maSriyah.

\* \* \*

## Religious Stories in Children Literature: Comparative Study of Arabic and American Literature

**Dr. Wafa I. Al-Subayl**

Department of Literature

College of Arabic Language

Imam Muhammad Ibn Saud University

### **Abstract:**

Religious stories exist in all cultures and literatures, and its presence is not confined to Arabic Islamic culture or to Arab children literature. This is the motivation behind the current study which adopts a comparative approach, which would reveal the technical differences in addressing this genre. This current paper tackles two themes: 1) presenting examples of religious stories addressed to children from Arabic and American literature, 2) undertaking a comparative study that addresses the technical characteristics of religious literary genre.

The study has shown the huge amount of stories addressed to American children of different child age groups. In contrast, the study reveals limited corresponding Arabic literary production addressed to the intermediate age group (6-9), and near absence of works for early childhood (1-5). It was also revealed that the American writer has no constraints in employing his/her imagination in the religious stories, while the Arab writer is fully committed to the religious text, with few exceptions who have overcome this problem. The study has also shown the huge gap between the level of Arabic and American religious stories in respect to form and technique.

**Keywords:** children literature, Arabic children stories, American children stories, form and technique in children stories.

**المتحدث الأصلي (native speaker) في الدراسات اللغوية الحديثة،  
والمتحدث الأصلي في اللغة العربية**

د. صالح بن فهد العصيمي

قسم الإعداد اللغوي - معهد تعليم اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## المتحدث الأصلي (native speaker) في الدراسات اللغوية الحديثة، والمتحدث الأصلي في اللغة العربية

د. صالح بن فهد العصيمي

قسم الإعداد اللغوي - معهد تعليم اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٤٣٩/٧/٢ هـ

تاريخ قبول البحث: ١٤٣٩/٨/١٤ هـ

### ملخص الدراسة:

يعرض هذا البحثُ الجدل الدائر حول مفهوم المتحدث الأصلي (native speaker) في الدرس اللغوي الحديث ، والإشكالات حول التعريفات المتداولة في الأديبيات اللغوية ، وكذلك يسلط الضوء على المصطلحات ذات العلاقة والتي يزغت في خضم هذا الجدل العلمي العميق والتي يُعد فهمها ضرورة. ويربط الجدل اللساني الغربي بالحديث عن العربي الفصيح في التراث العربي ، ويناقش ذلك كله بمدى انطباق مفهوم المتحدث الأصلي على متحدث اللغة العربية بمستواها العالي في العصر الحاضر الفصيح أو وبمستواها الأدنى (العامي). ويخلاص إلى عدم وجود متحدث أصلي للغة العربية المعيار في تاريخ العربية بعد عصر الاستشهاد والاحتجاج اللغوي. ويطرح في نهاية البحث مقاربة تتعلق باكتساب العامي والفصيح في العصر الحاضر للنموذج الذي عرضته وايت (White, 2007:37-41) في حديثها عن اكتساب اللغتين الأم والثانية.



## المقدمة:

هناك جدل دائر حول مفهوم المتحدث الأصلي للغة ما وكذلك حول أهمية طرح المفهوم؛ في مقابل من يرى أن السؤال غير مطروح من أساسه؛ بل هو نوع من أنواع الأساطير. وقد كتب في ذلك عدد من الباحثين في المقدمات للغويات التطبيقية (انظر مثلا Davies, 2007) وفي الاتساب اللغوي واكتساب اللغة الثانية (انظر مثلا Doughty and Long (eds), 2003)، وكذلك الترجمات إلى العربية (انظر مثلا الحمد وعيادات، ١٤٣٧هـ) أو كتابات باللغة العربية تابعت وشرحت أدبيات اللغويات التطبيقية في مفهوم الناطق الأصلي (انظر مثلا الشويرخ، ١٤٣٨هـ).

والذي يهمنا من عرض وجهات النظر ليس مجرد الاستعراض العلمي - إن كان الاستعراض للأدبيات عملاً جيداً - لكن حاولنا في هذه الورقة مناقشة ما يتم نقاشه في الأدبيات اللسانية الغربية الحديثة بسبأ أغوار الجدل في حالة اللغة العربية بين الماضي (بمستواها الفصيح المعياري) والحاضر (بمستوياتها اللهجية العامية). كما حاولنا مقاربة الجدل الذي يُطرح بالتمثيل للغة الإنجليزية بحالة اللغة العربية، وهذا ما يجعل هذا البحث مختلفاً عن البحوث الأخرى.

ولنا أن نطرح التساؤلات التالية حول اللغة العربية آملين أن يخرج القارئ بعض الإجابات في ضوء ما سيتم تناوله:

- هل يوجد متحدث أصلي في العربية الفصحي؟
- ومتى توقف هذا الوصف في العربية الفصحي؟ خاصة في ضوء تشدد بعض اللغويين فيمن تؤخذ منهم اللغة وشروطهم في المتحدث الأصلي.
- وهل من المستحيل أن يكون للفصحي متحدث أصلي؟

- وهل يمكن أن يكون الشخص متتحدثاً أصلياً لأكثر من لغة؟
- وهل متعلم العربية الذي يتحدث الفصحي في المواقف التي تتطلب العامية يطلق عليه متتحدث أصلياً للعربية؟
- وهل اللغة الأم عبء على المتتحدث الأصلية أم أن من شروطها أن تكون آلية أوتوماتيكية سيناله متذبذبة إلى حد كبير؟ قارن بين الارتياح في التحدث بالعامية والمعاناة في التحدث بالفصحي.
- هل نحن متحدثون أصليون بالفصحي أم بالعامية أم بكلتيمما؟ وقد ناقشت الأديبات الغربية بعض هذه التساؤلات على حالات لغات غير العربية، ولا أزعم أنني سأوفر الإجابة للقارئ؛ بل سأعرض النقاش وللقارئ أن يوازن بين الآراء ويقبل بوجهة نظري أو يرفضها. ثم سأقترح الإجابة في نهاية البحث.

وفي البداية سأعرض في البحث التالي لبعض التعريفات المختلفة باختلاف مشارب الدارسين، ثم سأعرض المصطلحات التي تثار مع مصطلح المتتحدث الأصلية لأنها مهمة لتجليء بعض الغموض في التعريفات.

**مفهوم المتحدث الأصلي والمصطلحات البديلة (الردية):**

يرى ديفز (Davies, 2004:431) أن مصطلح المتحدث الأصلي (وتتجدر الإشارة إلى أن هناك من يترجم المصطلح إلى متتحدث أصلي أو متكلم أصلي أو ناطق أصلي أو ابن اللغة وسيُستخدم هنا المتتحدث الأصلي) (native speaker) مصطلح غامض بسبب ما يكتنفه من اختلاط الأوهام بالأمور العلمية في التعريف والتحديد. وهذا في رأيي يعود إلى أن المصطلح ينطوي على معنى إضافي وهو الانتفاء للغة التي قد تكون أحياناً عصية على التحديد، بالإضافة إلى اختلاف توجهات الباحثين الذين نقشوا المصطلح

وتحصصاتهم البحثية. وكما يرى ديفز (Davies, 2007:149) أنه على الرغم من محورية المصطلح لاكتساب اللغة الثانية وللغويات التطبيقية عموماً إلا أنه من الصعب الحصول على تعريف متفق عليه. كما أنه مهم في القياس (الاختبارات) وفي محاكاة ابن اللغة في تعلم اللغة الثانية (Davies, 2004:441).

علاوة على ذلك يرى بعض الدارسين أن السؤال غير مطروح للنقاش أصلاً، فيتساءل فيرجسون (Ferguson, 1983) مقتبس من Davies, 2004:432 هل المتحدث الأصلي للغة الأم سؤال مطروح على اللغوي أم هو أسطورة أو خرافة (myth)؟ أي لا يوجد ما يمكن أن نصفه بال المتحدث الأصلي لأي لغة. كما يرى راجاقوبalan (Rajagopalan, 1997:229) مقتبس من Davies, 2004:440 أن أسطورة التحدث الأصلي (myth of nativity) ليست بعيدتين عن العرق ومثلها التحدث الأصلي الخالص (pure native) ليستا بعيدتين عن العرق الخالص (pure race)؛ بل هما جزء من هذه الخرافة.

على أية حال ستجازى هذا الموقف المتطرف إلى الموقف الأخرى التي حاولت تحرير المصطلح في ضوء نسبية المفاهيم وعدم الاتفاق على أي مفهوم علمي آخر. فيمكن لنا أن نخرج على التدرج في قبول المصطلح من قبوله وتحديده (كما هو عند اللسانين كتشومسكي واللسانين الاجتماعيين) على ما في التعريفات من تأرجح ما بين القبائل (اجتماعي) والأشخاص (نفسي)، إلى وضع محدّدات ومواصفات للمفهوم (كما حاول Davies, 2004)، إلى استخدام مصطلحات رديفة أخرى (كما هو لدى Singh, 1998). فهذه ثلاثة مواقف بشكل تقريري حاولت استقراءها من الأدبيات لتوضيحة للقارئ العربي.

ولتصور حجم الإشكال في التعريف يمكن لنا أن نتصور المفاهيم التالية على طرق طيف متواصل :

متحدث أصلي ----- غير المتحدث الأصلي

ويقع بين هذين الطرفين المتقابلين المصطلحات التالية :

المكتسب ثانوي اللغة، المتعلم بعد البلوغ ثانوي اللغة، شبيه المتحدث الأصلي ... وسنعود إلى هذا الطيف المتواصل في نهاية البحث.

الموقف المتشدد الذي يقابل الموقف الرافض لمصطلح المتحدث الأصلي هو موقف بريستون (Preston, 1989:78) مقتبس من Davies, 2007:149 الذي يرى أن التحدث الأصلي (nativness) هو تقريراً السؤال المركزي الذي يبني عليه اكتساب اللغة الثانية. وبالتالي فهو سؤال يجب عدم تجاوزه أو التغافل عنه. وربما يكون مردّ من أثبت وجود الناطق أو المتحدث الأصلي أنه من حيث المبدأ لا يوجد إنسان بدون أن يكون متحدثاً أصلياً للغة ما، فلا يمكن تصور شخص سليم دون أن يتقن لغة أما ويكون له سليقته السليمة التي يحتمل إليها في الصحة والخطأ وكشف الغموض.

ومن ضمن المحاولات التي ترى تحديد المصطلح تطالعنا محاولة اللسانيين ويتلهم شومسكي وهو اللساني الإدراكي الذي يرى أن المتحدث الأصلي في اللغة التي في عقله بغض النظر عن اللهجة dialect التي يتحدث بها... وأن اللغة عالمية يفرقها ويزيل بينها المتغيرات (parameters). فهو ينظر إلى الكفاية الخاصة باللغة وتوفّرها بغض النظر عن الجوانب الاجتماعية أو السياقية (Davies, 2004:432). وتأكيداً لهذا التوجه يرى ديفز (Davies, 2007:149) أن الإدراكيين لا يزالون يدورون حول رؤية شومسكي المتمثلة في المتحدث

الأصلي النموذجي (idealized native speaker) متجاهلين أية تنويعات لهجية أو إنتاجية. وبهذا فتشوسمski في نظري يرى وجود مثل هذا المتحدث تجريدا وإن لم يدل عليه أداؤه اللغوي. ولنا أن نطرح التساؤل فيما يتعلق بالعربية: هل يوجد متحدث أصلي بالعربية الفصحى بناء على افتراض وجود الكفاية وبغضّ النظر عن الأداء بالعامية؟ يبدو أنه في ضوء هذه الرؤية يوجد كمون واحتمالية لتحدث أصلي بالفصحي حتى وإن كان أداؤنا نحن أبناء العربية بغيرها من اللهجات والعاميات، طبعاً بشرط تلقيننا للفصحى في أثناء الفترة الحرجة من أعمارنا.

وقد أسهب أورتيقا (Ortega, 2009:111) في توضيح المقاربة الشكلية (formalist approach) في اكتساب اللغة الثانية التي تبني على رأي تشوسمski في اللغة الأم بأنها مكومة بمبدأين رئيسيين هما: مبدأ أصالة التحدث (nativism) الذي يشير إلى أن البشر لديهم هبة بايولوجية حول المعرفة النحوية سابقة لأي تعرض لغوي (وقد ذكر ريتشاردز وشميدت Richards and Schmidt, 1985:387 أن مبدأ الأصالة يشمل معرفة مفاهيم الفعل والاسم في أي لغة)، ومبدأ النمذجة أو المحاكاة (modularity) القائل بأن العقل البشري مزود بجهاز مخصص للغة ومنفصل عن أي وظيفة دماغية أخرى، وبهما يتم إتقان استخدام اللغة وتعلمها. وهذه المقاربة تقدم الكفاية على النمو، وتستشير المتحدث الأصلي حول الصحة النحوية؛ لأن الباحثين هنا يرون قيمة للسلبية لدى المتحدث الأصلي، خاصة في مجال النحو الكلبي. هذه المعرفة النحوية ليست خاضعة أو مبنية على التعرض للتدخل اللغوي من اللغة الثانية ولا من معرفة اللغة الأولى ولا التعلم الصريح.

ويصف ديفز (Davies, 2007:155) هذه النظرة اللغوية (التي تشمل رأي تشومسكي والمقاربة الشكلية) في تحديد المصطلح التي ترى المتحدث الأصلي مستوًع اللغة الصحيحة وحاميها وحافظها، بأنها من المنهج الرئيسة. وهذه رأيا تكون نظرة مقاربة للنظرية التراثية التي تهدف إلى حفظ اللغة بصورة معينة هي الصورة الفصيحة.

ولو انتقلنا إلى اللسانيات الاجتماعية لوجدنا تعليق في جرسون اللغوي الاجتماعي (Ferguson, 1983:vii) مقتبس من Davies, 2004:432) بأن المتحدث الأصلي هو المصدر الوحيد الصحيح والموثوق للبيانات اللغوية. ووفقاً لهذا الشرط لسنا نحن العرب متحدثين أصليين للغة الفصحي ولا كذلك العرب الذين عاشوا بعد عصر الاستشهاد (القرن الثاني للأمسار والقرن الرابع للبوادي). ويعلّق ديفز (Davies, 2007:149) بأن اللسانيات الاجتماعية تقع في مقابل نظرة تشومسكي حيث تجعل اهتمامها المركزي حول المستويات (variations) مع التأكيد على أنها تصف المتحدثين (بصيغة الجمع) لا المتحدث (بصيغة المفرد) لأن بحثها حول المفرد تجريدي للغاية. ويؤكد على هذه النظرة في موضع آخر (Davies, 2007:153) حيث يرى أن اهتمام اللسانيات الاجتماعية المركّز على المستويات يطغى على اهتمامها بالمفرد؛ إذ لا فائدة من تقصي تعريف المتحدث الأصلي لأن هذا التقصي سيدفعنا إلى دراسة كل متحدث على حدة، وهذا وبالتالي لا فائدة منه لأن كل متحدث يتحدث بأسلوبه وتنوعه ومستواه الخاص به وهو ما ترجمه الفهري (الفهري، ٢٠٠٧ : ١٦) بمصطلح السمات الفُرادية (idiosyncratic). فمحور البحث في رأيي إذن هو اللغة الأصلية الحية في جماعة لغوية معينة لا المتحدث الأصلي الفردي. كما قابل ديفز (Davies, 2007:153) النظرة الاجتماعية

اللغوية لأنها (الاجتماعية) تنظر إلى المتحدث الأصلي بوصفه معيرا (the standard setter) للغة.

كما يرى ماكويلي (McCawley, 1986) مقتبس من Davies, 2004:433 أن المتحدث الأصلي يشكل سلطة ومرجعا لغويًا للآخرين. وهناك فرق بين المتحدث الأصلي وغير المتحدث الأصلي كالمتعلم، فالمتعلم مهما أتقن اللغة فلا يصلح مرجعا للغة يحتمكم إليه.

وحاول ديفز (Davies, 2007:149) التفريق بين مذهب تشومسكي الإدراكي ومذهب اللغويات الاجتماعية بأن تشومسكي يعرف المتحدث الأصلي النموذج المتخيل دون الاعتداد بالتنوعات بين المتحدثين أنفسهم؛ بينما يتمحور اهتمام الفريق الآخر حول التنوعات؛ ولهذا يرى ديفز أن كلتا النظريتين نموذجية متخيلة لكن يمكن ملاحظتها إجرائيا عن طريق اللغة المعيار التي تشكل نموذجا لما ينبغي أن يكون عليه المتحدث الأصلي.

وقد عرف كريستال (Crystal, 1980:308) المتحدث الأصلي بناء على تعريف اللسانيات له بأنه من تكون له لغة ما (أي لغة) اللغة الأم أو الأولى، ونلاحظ أنه عرفه بانتساب إلى لغة، ثم استطرد واصفا إياه بأنه من يكتسب اللغة في سن الطفولة ويتوفر لديه سلية موثوقة و يمكن الاطمئنان إلى حكمه اللغوي صحة أو خطأ والاعتماد عليه في ذلك.

وتخالصا من الجدل التجريدي أبدى بعض الباحثين (مثلا Singh, 1998) انظر Davies, 2004:445 عدم ارتياحهم للمصطلح (native speaker) فاستبدلوا به المستخدم الأصلي (native user). فقضية الاستخدام حاسمة في هذا الجدل، وبناء عليه يمكن لنا أن نقول إن من يستخدم الفصحي هو المستخدم الأصلي. وفي هذا الرأي ترکيز على الأداء الذي لا يراه تشومسكي

شيئاً مهماً في البحث اللساني.

كما ذهب آخرون إلى استخدام مصطلح رديف وهو شبيه المتحدث الأصلي (Near-Nativeness) خاصة حين يتعلق الحديث باكتساب اللغة الثانية، والنقاش حوله قد يفيدنا في حالة اللغة العربية الفصحى، فما ذكر من جدل ينطبق إلى حد كبير على حالتنا مع المستوى الفصيح للعربية؛ إذ يرى سوريس (Sorace, 2003:130) أن واحداً من الأسئلة المركزية لاكتساب البالغ للغة ثانية هو ما مدى تحكم القواعد الكلية في عملية الاتساب هذه؟ والسؤال يأتي من كون البالغ يعتمد على قدراته الإدراكية العامة وليس شرطاً على القدرات الخاصة باللغة. فالطفل والبالغ مختلفان في أمرين من حيث اكتساب اللغة:

الأول: البالغ لديه على الأقل لغة واحدة؛ بينما الطفل لا يوجد لديه لغة سابقة. فهما مختلفان في المرحلة الأولية أو مرحلة الاستهلال والبداية (initial state). الثاني: مرحلة النضج اللغوي (final state) أو مستوى الغاية أو التمكّن أو بلوغ الغاية أو الإتقان (ultimate attainment)؛ حيث الطفل يتقن اللغة التي يكتسبها بينما البالغ لا يصل لمرحلة الإتقان إنما يصل إلى مرحلة الاستقرار (steady state)، فمهما تعلم البالغ لغة ثانية يبقى لديه بعض الإشكالات اللغوية ولا يصل إلى مستوى الطفل الذي يتقنها بعد مدة من الاتساب.

وخرجاً من الجدل حول وصف شخص عينه بأنه متحدث أصلي أو مستخدم أصلي أو شبيه المتحدث الأصلي وحول قضية وجود المفهوم أو عدم وجوده يرى بعض الباحثين اللجوء إلى المحددات والمواصفات التي ينبغي توافرها في المتحدث الأصلي، إذ يرى إسكونيدرو وشارود سمت (Escudero

أن Davies, 2007:151 and Sharwood Smith, 2001:275 نظرية المركز أو الأساس (prototype theory) التي طورتها العالمة النفسية إيلينور روش Eleanor Rosch صالحة في تحديد المتحدث الأصلي لأنها تنطوي على الدقة التي تحتاجها هنا، فمصطلح التحدث الأصلي يصبح عبارة عن مكونات أساسية أو مركبة بالإضافة إلى خصائص هامشية أو ثانوية أو محيطة. فهي تتيح للباحثين الدقة بحسب أهدافهم في وضع الخصائص المخورية والخصائص غير الضرورية.

فهما (إسكودريو وشارود سميث) يريان الصعوبة القصوى في تحديد المصطلح على الرغم من أهميته في اكتساب اللغة الثانية أو في أي ميدان يتعامل مع القدرة اللغوية؛ إلا أن الباحثين يعتمدون على أن هناك معرفة مشتركة بين الباحثين وفهمها مشتركة للمصطلح (Escudero and Sharwood Smith, 2001:275 Davies, 2007:151).

وبناء على الرؤية السابقة في التركيز على الموصفات سنسرد هذه الموصفات مع التعقيب على مدى انطباقها على المتحدثين بالعربية مع المستوى الفصيح من عدمه، ومع بعض التصرف فيها بما يناسب القارئ العربي.

فنظراً لصعوبة التحديد على شكل تعريف محدد ونظراً كذلك لكثرة المصطلحات المتعلقة بمفهوم المتحدث الأصلي فقد وضع بعض الباحثين موصفات للمتحدث الأصلي، ويتوفّرها يمكن أن نطلق على شخص ما إنه متحدث أصلي للغة أمّ وقد اكتسبها في فترة الاكتساب الطبيعي، وهذه الموصفات أو المحددات حاول بعض الباحثين ربطها بعامل محسوس يمكن الركون إليه. فقد أكدّ ديفز (Davies, 2004:438) أنه لا يمكننا التفريق الحاسم بين المتحدث الأصلي وغيره إلا بالولادة والنشأة، ولذلك يرى أن كوك

(Cook, 1999) كان محقا حين وضع خاصية السيرة (biography) فوق جميع المحددات. فالولادة في بيئة اللغة الأصل واكتسابها في الفترة الحرجة تعد حاسمة في هذه القضية. كما اعترف ديفز (Davies, 2007:154) بصعوبة التفريق بين المتحدث الأصلي وغيره لأن الجدل المطروح للنقاش هنا بطبيعته غير محكم، مشيرا في الوقت ذاته إلى ما طرحة هيلتنستام وأبراهامسون Hyltenstam and Abrahamsson, 2000) من وجهات النظر المتعددة التي ترى أن تحديد المتحدث الأصلي قد يتم بإحدى الطرق التالية :

- ١ - المتحدث الأصلي بالولادة في بيئة اللغة الهدف والمعرض لها. ولا شك أن هذا العامل غير ممكن على المستوى الفصيح للغة العربية ؛ فكل العرب يولدون في بيئات تتحدث الدارجة لا الفصحي المعياري.
- ٢ - المتحدث الأصلي هو المستخدم الأصلي (native user). وهنا نرى التخفف إلى حد ما من اشتراط التمكّن الفطري ؛ إذ هذا ممكن لمتحدث الفصحي أن يكون على هذا المعيار متحدثاً أصلياً لها.
- ٣ - المتحدث الأصلي أو المتحدث شبيه الأصلي (native speaker-like) يتحدد بكون الشخص متعملاً استثنائياً فذا. وهذا أيضاً يمكن أن يتحقق لنا مع المستوى الفصيح للغة العربية.
- ٤ - المتحدث الأصلي عبر التعليم بالوسيلة (اللغة) للغة الهدف. وهنا أيضاً إذا تحقق التعليم بالمستوى الفصيح وحدث تمكّن يمكن أن نتسامح لنقول إننا متحدثون أصليون بالفصحي.
- ٥ - المتحدث الأصلي من خلال الإقامة الطويلة في بلد اللغة الهدف. ولا بد أن ننطّن إلى أن اللغة العربية تُتحدث بالعامية في البلاد العربية كلها، وربما يكون هذا الشرط متوافقاً مع العرب السابقين في إرسال أولادهم لتعلم اللغة في البوادي.

ويكمن بسهولة ملاحظة التخفف من القيود الشديدة في هذه الآراء التي طرحتها هيلتنستام وأبراهامسون (Hyltenstam and Abrahamsson, 2000). كما يرى ديفز (Davies, 2007) أنه يمكن أن يحدد المتحدث الأصلي بأحد الطرق الستة التالية، وسأعرضها محاولاً ربطها باللغة العربية:

١. المتحدث الأصلي يكتسب لغته الأم في سن الطفولة الأولى (مرحلة الفترة الحرجة التي سيأتي الحديث عنها). وحالنا في العربية الفصحى مختلف؛ فنحن نكتسب العامية أو اللهجة أو الدارجة في بيئتنا العربية على اختلافها.
٢. للمتحدث الأصلي حدس وسليقة لغوية إنتاجاً واستيعاباً للغته الأم. وهذه الخاصية أيضاً غير متحققة في أي شخص بعد عصور الاحتجاج؛ فالعرب لديهم سلائق خاصة بلهجاتهم؛ ولا يوجد عربي حجة في سلبيته حول الفصحى؛ بل يعوّل على ما تعلمه من معارف وعلوم لغوية.
٣. للمتحدث الأصلي حدس وسليقة لغوية حول خصائص المستوى المعياري للغته الأم والتي تختلف عن لهجته الفردية. أي أن لكل شخص لهجة فردية أو شفرة فردية فيها صفات وخصائص له. وهذا الوصف غير متحقق لأنباء العربية مع الفصحى إلا في المستويات العامية. كما أشار ديفز إلى أن المتحدث الأصلي مختلف عن غير الأصلي بأن الأصلي يستخدم مستويات اللغة من مستويات عليا وغیرها في موقعها الصحيح (Davies, 2004:433). نحن العرب كلنا نمتلك ناصية العامية بكل اقتدار لكن لا يتحقق لنا هذا المستوى المتقن في الفصحى بشكل تلقائي آلي.
٤. للمتحدث الأصلي قدرة على إنتاج خطاب (discourse) متزامن (تلقائي مرتجل) طلق. ولديه القدرة المعجمية وامتلاك خصائص الخطاب التي تمكنه من إنتاج واستيعاب ما يكتفيه في الكفاية التواصلية. بمعنى أن المتحدث قد

تجاوز مرحلة الجملة إلى مرحلة الخطاب والتواصل، وكما هو معلوم فنحن في الفصحي أسرى الغربال أو الفلتر النحوي (المراقب والمصحح والمدقق) الذي تعلمناه لا اكتسبناه.

٥. للمتحدث الأصلي قدرة (أو يمكن القول قابلية) على الكتابة الإبداعية الأدبية مثل النكت والمجاز. طبعاً الخاص بلغته الأم مثل العامة في العربية يستخدمون التورية والمجاز والنكت واللطائف في اللهجة لكنهم غير قادرين لا هم ولا المتعلمون على الإبداع في ذلك على المستوى الفصيح. ويمكن تصور ذلك فيما قوله الجاحظ حين قال: "ومتى سمعت -حفظك الله- بنادرة من كلام العرب فإياك أن تحكىها إلا مع إعرابها وخارج حروفها؛ فإنك إن غيرتها وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير، وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطغام فإياك أن تستعمل فيها الإعراب أو أن تخير لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سرياً فإن ذلك يفسد الإمتاع بها وينحرجها من صورتها ومن الذي أريده له وينذهب استطابتهم إليها واستملاحهم لها" (الجاحظ، ١٩٦٨ : ٩١/١).

٦. للمتحدث الأصلي القدرة على الترجمة والتفسير إلى لغته الأم، وقد ينشأ عن ذلك اختلاف في حدود المعياري من الأم. طبعاً الترجمة والتفسير في حدود استخدامات هذه اللغة؛ فالفصحي مثلاً نستخدمها على المستوى العلمي والتقني والطبي؛ لكن يصعب علينا استخدام العامية في هذه المستويات لأن عamiاتنا لم تألفها؛ في المقابل يمكن لنا التفسير والترجمة للمسلسلات والأفلام الشعبية بلهجاتنا ويصعب علينا ذلك بالفصحي لأن

الفصحي لدينا مقتربة بالمستوى التعليمي والديني وال رسمي. فنظرا إلى كون المستوى اللهجي لدينا مرتبط بسياقات فإننا نجد صعوبة في الانتقال إلى سياقات أخرى مثل التعليم والتقنية؛ في المقابل ترتبط الفصحي لدينا بالسياقات الرسمية ومن الصعب علينا أن نقلها إلى المواقف غير الرسمية كاللعبة مع الأطفال أو المواقف الحميمية.

ونظرا للجدل السابق يرى ديفز (Davies, 2004:434,5) أنه يمكن أن نذكر بعض الأمور المتفق عليها من مختلف الأطياف العلمية، منها:

١. كل شخص يعد متحدثاً أصلياً لشفرته الخاصة به (*his own code*)، أي التي نشأ عليها سواء نشأ على المستوى العامي أو الفصيح. وهذه النظرة تتوافق مع نظرية اللسانين الاجتماعيين (انظر ص ٣ هنا). وبهذا نستبعد أن يوجد ما يمكن أن نسميه متحدثاً أصلياً بالفصحي العربية؛ بينما نجد أن كل طفل عربي هو متحدث أصلياً للهجهة في القطر الذي نشأ فيه. وقد أشار الفهرى (٢٠٠٧ : ١٦) إلى مصطلح *idiosyncratic* المشابه للشفرة الخاصة وترجمه بالسمات الفُرادية التي يتلقاها الطفل في محيطه العامي.

٢. كل شخص يتلزم بالقواعد والتقاليد والأحكام اللغوية للغته الأم التي يعد متحدثاً أصلياً بها (سواء كانت المواقف رسمية أو ودية، وسواء كانت فصحي أو عامية...). فالعربي يتلزم بتقاليد اللغة التي نشأ عليها، فيتحدث مع أمه بمستوى مختلف عن حديثه مع مديره في العمل، وليس شرطاً أن يكون متحدثاً بالفصحي بل بالمستوى العامي على سجيته وطبيعته. ففي كل مستوى من المستويات اللغويات تقاليد لا يجوز انتهاكها ويكتسبها الطفل من محيطه ويطبقها في إنتاجه اللغوي.

٣. المتحدث الأصلي للمعيارية أو للمقارب للمعيارية لا يعاني كثيراً من التصحيح ولا يحس بعدم الأمان اللغوي وضعف الانتماء للجماعة الوطنية، ويحصل على فرص أكثر في الحياة العامة وفي التعليم؛ أما غيره ومن هو أقل منه لغويًا فيحس بخلاف ذلك؛ بل يوصم بالنقص الفكري أحياناً إذا كان معلمه قريباً من الصحيح ويحسون بالفجوة بينه أي بين ما اكتسبه في بيته وبين أقرانه، وفرصه في النجاح العام أقل. وهذا واضح من الطلاب الذين يخفقون في مواد اللغة العربية وربما يكون هذا الإخفاق عائلاً بينهم وبين إكمال تعليمهم النظامي. على أية حال لا بد من التنبية إلى قضية المعاناة عند التصحيح وتحري الدقة؛ فالعربي بعد عصور الاحتجاج يرافق حديثه ويصححه لغويًا ويهذبه نحوياً، وهذا ينطبق على المتعلمين الذين يُعملون القواعد النحوية التي تعلموها وليس الفطرة التي اكتسبوها، ولهذا فلا ننس دور التعرض والدربة والمران في صقل المهارة الخاصة بالمستوى المرغوب فيه (سيأتي الحديث عن فرضيات كراشن).

٤. لكل متحدث أصلي سليقة وحدس يحكم به على الصحيح من الخطأ؛ لكن هذا لا يعني عدم حصول اختلاف المحدثين حول حكم نحوياً؛ إذ القواعد المعيارية متعلمة وليس فطرية؛ إنما الفطري هو النسخة أو المستوى اللهجي الذي تعلمه أو بعبارة أدق اكتسبه كل متعلم في بيته، وليس شرطاً اتفاق المحدثين في ذلك. ومن هنا يمكن أن نتفق في حكم عامي لم يتعلم نابع من سلبيته حول تركيب لهجي عامي؛ بينما لا يمكننا الركون إلى أي حدس أو سليقة لغوية حول الفصحي بعد عصور الاستشهاد. فأثقل في سلبيقة

النجدى حول لهجة منطقته في نجد، وسليقة المغربي حول منطقته في المغرب بينما لا أثق في سليقتهم حول الفصحي مهما بلغا من المكانة اللغوية.

٥. لكل متحدث أصلي مملكة لغوية (language faculty) من نوع ما هي غاية في التجريد. فهذه المملكة سواء توجهت إلى الفصحي اكتساباً أو العامية أو اللغة الإنجليزية فهي موهبة من الخالق تتعدد تمثيلاتها وتشكلاتها الأدائية. فيما يرى سوريس (Sorace, 2003:152) مذكور في 2007 أنه يمكن التغلب على صعوبة المفهوم بالاتفاق على ما يخرج منه أي نتفق على من هو غير المتحدث الأصلي، وأما ما يقع بينهما ففجوة لا يمكن ردتها مصطلحياً. ويبدو هذا إخفاقاً في تحديد المفهوم بتحديد عدمه.

ونظراً للحالة الخاصة باللغة العربية المتمثلة في وجود مستويين لغوين: المستوى الفصيح والمستوى العامي فسنعرّج على قضية هل يمكن أن يصح وصف من يتعلم اللغة وليس يكتسبها يصح وصفه بأنه متحدث أصلي؟ فنحن نتعلم الفصحي ولا نكتسبها. وفي الأديب نقاش ذكره ديفز (Davies, 2004:436) على صيغة تسؤال ربما يصلح لطرحه على وضع العربي مع الفصحي، هذا التساؤل: إلى أي مدى يمكن لتعلم اللغة أن يصبح متحدثاً أصلياً للغة الهدف التي يحاول تعلمها؟ وللإجابة عن هذا التساؤل وضع ستة محددات:

١ - الاكتساب في مرحلة الطفولة: فإن اكتسبها (وليس تعلمها) في مرحلة الطفولة أي الفترة الحرجة فهو متحدث أصلي لها وليس متعلمها، وإن اكتسب اللغة الأم واللغة الثانية (الهدف) فهو ثنائي اللغة متحدث أصلي لكتلتيهما. ففي العربية كلنا نكتسب العامية دون إشكال؛ لكن

الجدل في الفصحي : هل نكتسبها (لا مجرد نتعلمها) في فترة الطفولة مع متحدثين أصليين أم لا ؟ يبدو أن الإجابة دون تردد : لا ؛ بل نحن نتعلمها في نهاية الفترة الحرجة وما بعدها.

٢ - السليقة والحدس حول قواعده الخاصة (idiolectal grammar)، والسليةة والحدس لا تتوفر إلا بفرص احتكاك وتدريب وتعرض في اللغة الهدف مع أهلها الأصليين. وهذا غير متحقق لل المستوى الفصيح للعربية إلا مع متن جامد صامت ليس فيه تفاعل (أي النصوص العربية التراثية المكتوبة).

٣ - السليقة والحدس حول القواعد المعاييرية (the standard language grammar)، وهذه أيضاً غير ممكنة لأي عربي على المستوى الفصيح.

٤ - التحكم بالخطاب والتدالية والتمكن منهما ، ومن الصعوبة التمكن من هذين المستويين على غير المتحدث الأصلي ، فإذا تملك زمامهما فيمكن أن يقال عنه إنه متحدث أصلي.

٥ - الأداء الإبداعي : وكل عربي يمكن -من حيث المبدأ - أن ينتج فنا وإبداعاً في المستوى اللهجي دون كبير مشقة ؛ أما على المستوى الفصيح فلا بد من درية وتعلم.

٦ - التفسير والترجمة ، أي القدرة على تفسير الخطابات والمفردات والنصوص وكذلك الترجمة من وإلى اللغة الأم إذا كان يعرف لغتين. وبهذا العرض السريع للمتحدث الأصلي نخلص إلى عدم وجود متحدث أصلي للعربية المعاييرية بعد عصور الاحتجاج ؛ إنما المتوفر المتحدث الأصلي لكل لهجة عربية على مستوى الأقطار العربية. ولتجليه المصطلح بشكل أكبر

سنعرض في المبحث القادم مصطلحات ذات علاقة بالمتحدث الأصلي وتناول  
في أي نقاش علمي حوله وبفهمها يتحدد المصطلح بشكل أكثر دقة.

#### **مصطلحات ذات علاقة بمفهوم المتحدث الأصلي:**

سأحاول فيما يلي تقسيم الحديث قسمين:

الأول: ما يمكن أن نسميه أركاناً لا بد من توفرها ليوصف شخص بأنه  
متحدث أصلي.

الثاني: مصطلحات تذكر في الأديبيات حين الحديث عن المتحدث الأصلي  
وأرى من الضرورة توضيحها للقارئ العربي خاصة في تعلقها بالعربية.  
فنبداً بالأركان ، وهي التي سنناقشها في المبحث التالي (اللغة الأم ،  
والكفاية ، والاكتساب) :  
**اللغة الأم ، والكفاية ، والاكتساب :**

فلا يمكن أن يوجد متحدث أصلي دون أن يكون لديه كفاية في مستوى ما  
بلغة أم ويكتبها اكتسابا. فهذه أركان عملية الاكتساب اللغوي ؛ وبدونها  
مجتمعه أو وجود أطرافها كاملة لا يمكن أن نقول بوجودها ولا يمكن وصف  
أحد بأنه متحدث أصلي. فنتيجة الأركان الثلاثة خروج متحدث أصلي : لغة  
أم + كفاية + عملية اكتساب = متحدث أصلي. وفيما يلي توضيح لهذه  
المصطلحات.

**اللغة الأم (أو اللسان الأم:** mother-tongue: Trask, 1999:179  
**اللغة المحلية:** native language: Richards and Schmidt, 1985:386 ) هي  
اللغة الأولى في حياة الفرد التي يواجهها في طفولته قبل غيرها من اللغات.  
فالعربي مثلاً في عصر الاحتجاج كان يواجه إلى حد كبير- المستوى الذي قعد  
له علماء العربية فيما بعد ؛ بينما بعد ذلك العصر بامتداده إلى عصرنا الحاضر

فأول ما يواجه أي عربي هو اللهجة أو العامية أو الدارجة، وهي بذلك لغته الأم وليس الفصحى التي يتعلمها في المدرسة بعد أن يكون نظام لغته الأولى (العامية) قد استقر في فترة الاتساب. فاللغة الأم لأي عربي بعد عصر الاحتجاج هي العامية أو الدارجة في بيته ومحيط أسرته. ووصفها (أي اللغة الأم) ريتشاردز وشميدت (Richards and Schmidt, 1985:386) بأنها اللغة التي يتعرض لها الطفل ويستمر في استعمالها لغة مهيمنة بشكل صحيح نحوها وطلق وبشكل مناسب ولائق مقامياً، ولديه السليقة التي يحكم بها على هذه اللغة. فهي التي يستمر استعمالها ولا يخبو ولا ينطفئ ولا يتلاشى.

**الاتساب:** ذكر كريستال (Crystal, 1980:7-8) أن الاتساب عملية استحواذ أو تملك لغة ما في سن الطفولة (الفترة الحرجة)، وهذا التملك قد يكون لظهور من مظاهر اللغة أو للغة برمتها، ويتم عبر مراحل انتقالية لا دفعه واحدة (وهو هنا يشير إلى قضية النمو). كما أكد أن بعض المنظرين فرقوا بين الاتساب (acquisition) والنمو (development)؛ إذ يشير الاتساب إلى تعلم القاعدة اللغوية (نحوية أو صوتية أو دلالية) بينما يشير النمو إلى استخدام هذه القاعدة اللغوية المكتسبة في موقف لغوية واجتماعية؛ في الوقت الذي لا يرى البعض أي فرق بينهما بل يستخدم المصطلحين بالتناوب. بالإضافة إلى تفريق كراشن بين التعلم والاتساب؛ فالتعلم عملية واعية تحدث في أي وقت في عمر الإنسان؛ بينما الاتساب عملية لا واعية وتحدث في فترة معينة في حياة الإنسان، وإذا تجاوزها انطفأت وتلاشت.

فالاتساب إذن عملية تتالف من مراحل ولابد من كونها في سن الفترة الحرجة.

وغالباً تقتصر أدبيات الاتتساب على مرحلة معينة في الطفولة تسمى الفترة الحرجة، وهي ما سنعرضه تالياً. فالفترة الحرجة (Critical Period) فرضية تقول بوجود مرحلة زمنية محددة لدى الأطفال لاكتسابهم لغتهم الأولى (الأم) بكل يسر وسهولة (Crystal, 1980:118) وبشكل ضمني لا صريح. وهذه الدورة الزمنية تتوقف في مرحلة البلوغ؛ لأن الدماغ حينها يستقر ولا يستمر في التكيف واستيعاب أي لغة اكتساباً (Crystal, 1980:118). فالاتتساب في هذه الفترة يعتمد على جزء بايولوجي معدّ للاكتساب؛ وحين يتجاوز المرء هذه الفترة أو المرحلة العمرية يكون اعتماده في تعلم اللغة على أجزاء الدماغ الأخرى ولذلك يسمى تعلماً لا اكتساباً. وقد أكد كريستل (Crystal, 1980:118) أن هذه الفرضية يدور حولها الجدل وليس متتفقاً عليها لأنّه يصعب اختبارها على أرض الواقع. فهي من الناحية النظرية تنظر إلى اكتساب اللغة كنظرتها إلى المشي في سن الطفولة أو طيران الطيور في مرحلة مبكرة، فلو تعدى المخلوق هذه الفترة لما استطاع السيطرة على النشاط وإتقان ذلك النشاط.

كما أضاف تراسك (Trask, 1999:162) أن فرضية الفترة الحرجة تقول إن جميع الأطفال [الطبعيين بطبيعة الحال] يكتسبون لغة أمّا يعرضون لها بشكل كاف في سنّيهم الأولى وبشكل متقن دون تدريس أو تعليم صريحين. وهذه الفرضية القائلة بأنّنا نولد ولدينا قدرة محددة -قد تكون بفعل بعض عوامل البرمجة الجينية- لتعلم اللغات لكنها تطفئ عند البلوغ أو سن الثالثة عشرة -وهو سن التوقف عن اكتساب اللغة الأم- من اقتراح عالم الأعصاب الأمريكي في الستينيات من القرن الماضي إيريك لينيبرغ (Eric Lenneberg 1999:162). على كل فرّيما يكون الانطفاء أو التوقف في نظام

الاكتساب – في رأيي – بسبب وجود أنظمة أخرى تبدأ بالعمل مثل القدرة التحليلية والتجريدية وغيرها مما يكون الفرد في حاجة إليه أكثر من الاكتساب في سن البلوغ والشباب. فلو أراد شخص تعلم لغة بعد سن البلوغ فلن يتمكن من اكتسابها عن طريق ذلك العضو الذي خبا وانطفأ بل سيعتمد على قدرات أخرى تعلما. وربما نلحظ أن العرب كانوا محقين في إرسال أولادهم للبواudi فترة الصغر لاكتساب اللغة الفصحى من الأصحاح؛ فهذه أنساب فترة لاكتساب المستوى اللغوى المرغوب فيه.

أما الكفاية: فتشير إلى "معرفة" المتحدثين بلغاتهم، وأنظمة القواعد التي أتقنوها لكي يكونوا قادرين على فهم وإنتاج عدد لا نهائى من الجمل ويفيزوا كذلك الأخطاء النحوية ويفكوا الغموض ويزيلوا اللبس (ترجمة من Crystal, 1980:87-8 شفرات الرسائل اللغوية وكذلك إرسال الرسائل اللغوية.

وقد أشار كريستال (Crystal, 1980:88) إلى أن المصطلح "مفهوم افتراضي نموذجي" أي مثالي في مقابل الأداء اللغوي (المادي المحسوس). ولا بد من الإشارة إلى أن بعض المحللين يرون صعوبة في تحديد دقيق وتقدير فاصل بين الأداء والكفاية (Crystal, 1980:88). ولا بد من التأكيد على كلمة (معرفة) فالشخص قد ينطوي في الأداء (فهمًا لمقرؤه أو مسموع، أو إنتاجاً لمنطق أو مكتوب) وهذا قد يعكس الكفاية لديه وقد لا يعكسها بالضرورة كما يقرّر ذلك تشومسكي. وقد أكّد هذا المعنى تراسك (Trask, 1999:47) إذ يرى أن تشومسكي يذهب إلى أن كل فرد منا يملّك كفاية لغوية تجريدية مستقلة عن الأخطاء اللغوية التي نقع فيها أحياناً.

وبناء على هذا الجدل العميق لنا أن نطرح التساؤل التالي : إلى أي مدى يمكن أن تُعد متعلمين للفصحي؟ حيث مسألة الاكتساب في الفترة المحرجة من أعمارنا غير مطروحة حسب هذا التوجه. فكلنا نتعلم الفصحي بعد أن نكون قد اكتسبنا المستوى العامي اللهجي ، ولا أعتقد أن طفلاً عربياً بعد عصر الاستشهاد والاحتجاج قد اكتسب المستوى الفصيح للغة العربية بوصفه أول نظام يصادفه في حياته منذ نعومة أظفاره .

وقد أشار كريستال (Crystal, 1980:88) إلى نقاش ماتع يتعلق بالمتحدث الأصلي نجد من الفائدة أن نشير إليه هنا ، وهو مصطلح الكفاية التواصيلية (communicative competence) التي ترکّز على قدرة المتحدث الأصلي على إنتاج وفهم الجمل التي تظهر في سياق لغوي اجتماعي ما ، وما يحتاج المتحدثون إليه للتواصل بفعالية في السياقات الاجتماعية المختلفة . فالمصطلح يتضمن المحددات الاجتماعية للسلوك اللغوي بما في ذلك الأمور الظرفية كالعلاقة بين المتحدث والسامع وكذلك الضغوط الناشئة من وقت التحدث ومكانه . وهي في النهاية معرفة مغروسة في اللاوعي .

ولعل من المفيد الإشارة إلى رأي تشومسكي في الكفاية اللغوية والذي شرحه كوك ونيوسن (Cook and Newson, 2007:221) وهو الجدل حول ما يمكن تسميته بالصفاء أو النقاء (purity) اللغوي ، فقد أشارا إلى أن النظرية اللغوية لدى تشومسكي تهتم بالمتحدث-السامع النموذجي في بيئه أو جماعة لغوية أحادية اللغة (Chomsky, 1965:4) مقتبس من Cook and Newson, 2007:221). وهذا مشابه لما يراه اللغويون العرب من أن وسط الجزيرة العربية في عصر الاحتجاج وما قبله بيئه للعرب الخالص الذين لم يتأثروا بالعجمة وبما

تأثرت به الأطراف من الاحتكاك بالأمم المجاورة. وقد أشارا إلى أن هذه الأحادية اللغوية تختلف عن بيئة فيها تعددية لغوية أو حتى تعددية لهجية؛ لأنها لن تكون حينئذ نقية خالصة (pure). والسبب في ذلك كما يراه تشومسكي (Cook and Newson, 1986:17 Chomsky, 2007:221) أن التعددية تتيح اختيارات لغوية للمتحدث ولا تقتصره على اختيار واحد. فوصف متحدث أصلي بنظام لغوي واحد معقد بما فيه الكفاية فما بالك بأكثر من نظام لغوي ! فالنحو الكلي (universal grammar) يهتم بوصف نظام قواعد واحد، ويبقى متصورا أو نموذجيا (idealized). وأضيف أن المتحدث في بيئة تعددية ربما يتقن لغة في سياقات ولا يتقنها في أخرى؛ وربما هذا الذي حدا بتشومسكي إلى أن يقصر النقاء عليه إذ سيضطر إلى إتقان اللغة في كل السياقات فهما وإنجاها.

إذن ؛ لا يمكن أن نقول إن هناك عملية اكتساب حاليا للفصحي في ظل تعدد اللهجات العامة في البيئة العربية، فكل بيئة عربية لها لهجتها اللغوية التي تختلف إلى حد ما عن النظام اللغوي للفصحي على جميع المستويات اللغوية المستخدمة في كلتيهما.

وما دمنا أشرنا إلى علاقة الكفاية لدى تشومسكي بالنحو الكلي (universal grammar:UG) فلا بد -لأجل الشرح والتوضيح- من توضيح المصطلح والمصطلحات الأخرى ذات الصلة بشيء من الإيجاز، وهو ما سنعرض له في المبحث التالي.

## مصطلحات رئيسة: النحو الكلبي، والسلية اللغوية، والفطرة اللغوية، والملكة اللغوية، واللغة المعيار:

يذكر كريستال (Crystal, 1980:483,4) أن النحو الكلبي يعد هدفا نهائيا للسانين ، وهو ما يكّنهم من التحديد الدقيق لبنيّة القواعد (النظام اللغوي) البشرية ؛ فهناك قواعد وأنظمة لغوية في كل لغات البشر مثل الإبداع والتوليد والحذف والتقدير، وهي أمور مشتركة تحدث في كل اللغات لكن على اختلاف بينها في التطبيقات والأداء. أما على مستوى المفهوم فيحدث في اللغات البشرية كلها. ففي اللغة العربية حذف وإبداع وتوليد وتقدير، كما توجد هذه المظاهر في الإنجليزية وغيرها ؛ لكن تطبيق الحذف قد يختلف عنه في الإنجليزية وغيرها من اللغات وهكذا.

كما أشار تراسك (Trask, 1999:312) إلى أن تشومسكي (Chomsky, 1999:312) يرى أن النحو الكلبي مجموع المواهب الجينية الفطرية في عقول جميع البشر منذ الولادة من مبادئ محورية لبناء الجمل في كل اللغات ، لكنه في مقابل ذلك أشار (Trask, 1999:313) إلى أن هناك من اعترض عليها مشككا في وجود شيء اسمه النحو الكلبي أو القواعد الكلية.

تنقل الآن إلى مفهوم آخر مهم في عملية الاتّساب وهو **السلية اللغوية** للغة الأم التي يمتلكها المتحدث الأصلي. فالسلية (intuition) مصطلح يشير إلى حكم (judgement) المتحدث الأصلي حول لغته من حيث مقبولية جملة -أو تركيب- من عدمه (Crystal, 1980:243)، كما تشير أحيانا إلى المعرفة (المضمرة، المقدرة، الضمنية) لهذا المتحدث حول لغته (Crystal, 1980:243).

وقد فرق كريستال (Crystal, 1980:243) بين السلية الفطرية لدى

المتحدث الأصلي والسليقة التي يمتلكها اللغوي/اللسانی. فسليقة اللغوي تدور حول دقة التحليل اللغوي؛ أما المتحدث الأصلي فتدور سليقتة حول الحكم بالتماثل أو الاختلاف أو العلاقات بين الجمل (كريستال Crystal, 1980:243) دون الذهاب أبعد من ذلك. فهو عمل تلقائي ارتجالي وليس منهجا يقوم على مصطلحات خاصة، وربما نوضح ذلك بقصة الأعرابي الذي "وقف على مجلس الأخفش فسمع كلام أهله في النحو وما يدخل معه، فحار وعجب، وأطرق ووسوس، فقال له الأخفش: ما تسمع يا أخا العرب؟ قال: أراكם تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا" (القصة مذكورة في الإمتناع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي). فالمتحدث الأصلي يعرف الصحيح من الخطأ حول اللغة دون أن يمتلك بالضرورة تفسيرا أو تعليلا نحويا. فربما يكون ذلك الأعرابي حجة في المقبولية وعدمها؛ وهذه الحجية لا تتوفر لدى الحاضرين في مجلس الأخفش؛ في المقابل يمتلك الأخفش وجلساؤه الأدوات التحليلية التي يعتقد بها ذلك الأعرابي، وهي سليقة اللغوي أو اللسانی.

كما عَبَر عنها تراسك (Trask, 1999:126) بشيء من البساطة إذ قال: "هي أحاسيسك الفطرية حول الحقائق في لغتك الأم" "your 'gut feeling'" "about the facts of your native language على المشاعر أو الشعور لا على الحقائق والمنطق اللغوي التحليلي.

فلدى كل فرد منا سليقة لغوية حول المقبول والمرفوض والخطأ والصواب في لغاتنا (بمستواها الذي اكتسبناه وليس مجرد تعلمناه)، دون اعتبار لامتلاك تعليل من عدمه. فكل متحدث يمتلك هذه الهبة الفطرية الجينية حول لغة ما،

هذه اللغة هي لغته الأم، وهو متحدث أصلي بها. ومن المؤكد أننا لا نمتلك سليةة بالفصحي؛ لكن نمتلك سليةة بالعامية. ولهذا فنحن نحاكم جمل الفصحي بما (تعلمناه) من القواعد بينما نحاكم العامية بما (اكتسبناه) من نظام لغوي دون أن يكون لها قواعد مكتوبة. ويبقى السؤال هل نحاكم الفصحي بما نعرفه في عاميتنا؟ أي هل تؤثر عاميتنا على فصحانا أم لا؟ سياتي نقاش موسع لهذه القضية عند نقاش نموذج وايت وحديث الفهرى هنا.

وربما يكون مفيداً أن نشير إلى قضية الاستدلال والاحتجاج بسليةة المحدث الأصلي في التحليل اللغوي، وكما ذكر تراسك (Trask, 1999:126) من أن القضية الأساس هل يمكننا -وكذلك إلى أي مدى إن

امكن ذلك- أن نجعل سليةة المحدثين ضمن توصيفات اللغة؟

هناك تاريخ ذكره تراسك (Trask, 1999:126,7) على ثلاث مراحل لقيمة السليةة اللغوية للمحدث الأصلي على مدى القرنين الماضيين:

الأولى: اعتمادها في التحليل اللغوي مع المنطق أو الأداء اللغوي.

الثانية: اعتمادها والتعويل عليها عند تشومسكي مع رفض المنطق. وقد أشار كريستال (Crystal, 1980:243) إلى أن هذه المعرفة/الحكم (السليةة) يراها تشومسكي جزءاً أساسياً من المعطيات التي يجب أن يعتمد عليها التحليل اللغوي في التعريف للغة. إن لم تكن لديه في رأيه المعتمد الأساس.

الثالثة: رفض للسليةة مصدرها معتبراً ذات قيمة.

ننتقل الآن إلى مصطلح ذي علاقة وثيقة بالسليةة بل يتداخل معها وهو **الفطرة اللغوية** (Language Instinct)؛ إذ قد يحدث التداخل والخلط بينهما. وهي كما ذكر تراسك (Trask, 1999:142) "النزعه القوية [الفطرية، الطبيعية]

لدى الأطفال لاكتساب اللغة". وهي كما قرر: الجذاب قوي بايولوجي (حيوي) نحو تعلم اللغة لدى الأطفال يولدون وهم يملكونها (Trask, 1999:142). كما أثني على ستيفن بنسكر (Steven Pinker) عالم النفس اللغوي الكندي الذي سكّ هذا المصطلح في تسعينيات القرن العشرين مشيرا إلى المنحة البايولوجية الموروثة لدى البشر لاكتساب أي لغة (Trask, 1999:143).

ولا بد من توضيح مصطلح يتدخل مع الكفاية والفطرة والسلبية وهو مصطلح **الملكة اللغوية** (language faculty) وهو: "قدرنا البايولوجية [الحيوية] على استخدام اللغة" (Trask, 1999:140). فربما ما يفرقها عن الكفاية أنها هنا حيوية مرئية.

على كل ، فالقول بوجود هذه الملكة الحيوية عورضت بأمررين (Trask, 1999:140):

- ١ - هناك تجارب على بعض المخلوقات التي عُلّمت لغة الإشارة ونجحت إلى حد ما ، مع معارضة فريق من العلماء لهذه التجارب وخلال صفاتها.
- ٢ - جادل بعض علماء النفس مثل بياجيه وبرونر (Jean Piaget) بأنه على رغم وجود ملكة فطرية لدى البشر فليست صفة مميزة ومستقلة للنظام الحيواني الموروث البشري ؛ بل هي تشکل لقدرنا الإدراكية العامة.

على كل فكثير من اللسانيين يرون أن الملكة اللغوية مستقلة و مختلفة عن قدرنا الإدراكية العامة ، وأنها فعلا موجودة (Trask, 1999:140). والتأكيد هنا على مورث جيني حيوي في البشر فقط ؛ أما الكفاية فهي نظام تجربدي

كما مر بنا.

وفي هذا الصدد يتكرر مصطلح **اللغة المعيار**، وهو ما سنعرض له تاليا. فاللغة المعيارية أو المعيار (standard language) هي المستوى العالي من اللغة في المجموعة الكلامية أو الجماعة اللغوية (Crystal, 1980:431)، وقد يطلق على تنوع معين اللغة المعيار أو اللهجة المعيار أو التنوع المعيار وهي التي توحد الأقاليم وتستخدم في الإعلام والتربية والتعليم (Crystal, 1980:431)، وهي التي تحاول الجماعة اللغوية فرضها وجعلها معياراً وتحاول معيرتها (Crystal, 1980:431) وجعلها النموذج الذي يحاكي. ولا بد من الاعتراف بصعوبة التحديد؛ إذ مثلاً في اللغة الإنجليزية توجد الإنجليزية البريطانية، والإنجليزية الأمريكية، والكندية، والأسترالية وغيرها (Crystal, 1980:431). طبعاً هذا التعريف مستوحى من الإنجليزية المعيار عند كريستال وربما لا ينطبق بشكل تام على العربية لأنها في العربية تم جعل الفصحى في عصر الاستشهاد هي المعيار، ولم يتم اختيار تنوع لهجي في العصر الحالي؛ بل تم عد لهجة أو لغة قريش أعلى اللغات أو المستويات. فالمعيار في أي لغة غير العربية تعد التنوع للهجي المستخدم لغةً أمّا لدى بعض المتكلمين الأصليين؛ بينما في العربية المعيار هو المستوى القديم الذي يُتعلم – لا يُكتسب – من خلال القواعد التحوية والصرفية، وهذا المعيار لا يمكن أن يكون لغةً أمّا لأي متحدث بعد عصور الاستشهاد.

وقد ذكرت دوتي ولوونق (Doughty and Long. 2003:4-5) أنه ربما يتم قمع أو استهجان تنوع معين للغة (variety of a language)؛ بل وفي بعض الأحيان يحدث ذلك من المتحدثين الأصليين أنفسهم مما ينتج عنه وضع يحتاجون فيه إلى اكتساب لهجة ثانية (second dialect acquisition:SDA).

لأسباب تربوية وأسباب التوظيف وغيرها من الأسباب. وقد مثلاً بالدارجة الأمريكية الأفريقية (الأفارقة السود) في الولايات المتحدة. وهذا في رأيي ينطبق على العاميات والدارجات العربية في مقابل الفصحي أي العربية ما بين ماضيها وحاضرها. والنتيجة كما ذكرنا هي اختيار لهجة تكون معياراً على الرغم من صعوبة معيرة المسطوقة بشكل موضوعي وصعوبة التحكم في تغير اللغة وبدلها مما يجعل المعيار في هذه الحالة لغة ثانية أو لهجة ثانية سواء للطلاب أو للمعلمين مما يؤثر سلباً على التحصيل الأكاديمي. على كل ريا لا يكون هذا مشكلاً في اللغات غير العربية لأن متحدثي المعيار الأصليين لا يزالون على قيد الحياة ويمكن ممارسة هذا المعيار معهم؛ بينما في العربية لا يوجد أي متحدث أصلي للمعيار ثالثة لغة أمّا له بحيث نطمئن إلى الممارسة اللغوية معه ما عدا النصوص التراثية الصامدة التي لا تفاعل فيها معنا نحن العرب الذين على قيد الحياة. ويرى تراسك (Trask, 1999:182) أن الاعتراف بلغة واحدة فقط وتشجيعها لغة وطنية واحدة هو مظهر أيديولوجية اللغة المعيار، لأن اللغات الأخرى مقومة أو مهملة أو متغيرة أو محقرة. وقد حاول ديفز (Davies, 2007:154) الخروج من مأزق تعريف اللغة المعيار بأن جعل المفهوم نفسه تحريراً خالصاً (idealization)، وأن المتحدث الأصلي يقترن بشكل دائم باللغة المعيار، وأنه في اللغويات التطبيقية يمكننا تحديد المتحدث الأصلي بأنه هو التجسيد المادي للغة المعيار. وهنا نلمس من ديفز أنه يمارس عملية الدور؛ يعرف اللغة المعيار بالإحالة إلى المتحدث الأصلي ويعرف المتحدث الأصلي بأنه تجسيد للغة المعيار. فاللغة المعيار تحرير يتجسد في المتحدث الأصلي. وقريب منه محاولة تراسك (Trask, 1999:149)

حين حديثه عن المحدث الأصلي لدى الإدراكيين الذين يمثلهم شومسكي ، وبما أنه تجريدي يرى اللغويون الاجتماعيون أهمية للتنوع أو الأسلوب اللغوي لأنه يتحدد به المحدث الأصلي بشكل إجرائي ؛ فاللغة المعيار هي ملوك التشخيص والتتمثل فيما هو تجريدي (المحدث الأصلي) ، ولم يجد أي تحفظ على كون اللغة المعيار أيضا مصطلحا غامضا ويصعب تحديده وتعريفه إلا أنها حقيقة متمثلة وظاهرة ملموسة اجتماعيا. وبهذا نكون استبعادنا تجسس العربية المعيار بمحدث أصلي في عصور ما بعد الاحتجاج والاستشهاد.

وأتفق مع رونالد نونان (Ronald And Nunan, 2001:3) في أن هناك متحدثين أصليين للتنوعات واللهجات ، وقد مثلا بالمصرية العربية والإسبانية المكسيكية ، ثم تحدثا عن الإنجليزية وتنوعاتها مشيرين إلى أن بعض التنوعات أو اللهجات تقع ضمن طيف متصل ، ويشمل هذا الطيف اللغات أو اللهجات المعيارية التي تتعلم في المدارس وتكون لها أهمية سياسية واقتصادية. وقد تطرقا إلى مسألة تنوع الإنجليزية مما يجعل اللغة الإنجليزية لنقوا فرانكا (lingua franca) بمعنى لغة مشتركة<sup>١</sup> أي هناك تنوع مشترك للإنجليزية للتواصل الدولي بين المتحدثين الأصليين و المتعلميها لغة ثانية ؛ وبما أننا قلنا إن الفصحي لا تعد لغة أمّاً بالنسبة لنا أبناء العربية فهل يمكن أن نطرح التساؤل التالي :

هل العربية الفصحي التي نتعامل بها مع الأقطار المختلفة تعد لنقوا فرانكا؟ فهي اللغة المشتركة بيننا ، ولا يمكن أن ننسبها إلى أي منا ؟

<sup>١</sup> هناك من يترجم مصطلح (lingua franca) بـ لغة مشتركة لكنني لا أرى ذلك؛ لأن هذه الترجمة في رأيي تفسير وتوضيح، وهي عبارة عامة ولا تصلح مصطلحا، ولهذا سأستخدم اللقطة الإنجليزية لأن كثيراً من قائلتهم في المؤتمرات يستخدمونها.

طبعا الإجابة ليست يسيرة لكن سأستمر في عرض الجدل في الأديبيات لعل القارئ يلحظ ما يمكن أن يعينه في الإجابة عن التساؤل. فيرى تراسك (Trask, 1999:272) أن اللغة المعيار هي ذلك التنوع الذي يراه متحدثوها الأنسب في السياقات الرسمية والتربوية. ونلاحظ أن هناك تركيزا في كل التعريفات على السياق التربوي. ثم انتقل للحديث عن اللغة الإنجليزية مشيرا إلى تعددتها ما بين الأقاليم والمجموعات الاجتماعية التي تتحدثها حتى في الإقليم الواحد؛ ولذلك يتحدث اللسانيون الاجتماعيون اليوم عما يمكن تسميته (الإنجليزيات) "Englishes" للإشارة إلى التعدد والاختلاف، وأعتقد أنه يمكن لنا تطبيق ذلك على العربية إذ نقول إنها مجموعة عربيات، فمثلا يستخدم المغرب العربي تنوعا يختلف إلى حد ما عما يستخدم في المشرق وإن كان التنوعان مفهومين لكلا الإقليمين - على اختلاف درجة الفهم. أما الفصحى الموحدة فهي التي كما يراها تراسك في الإنجليزية المعيارية لها مكانة خاصة وتقدير من متحدثيها (Trask, 1999:272). ويرى أن هذه المعيار تكتسب من خلال التربية.

ثم يعرّج للحديث عن الإنجليزية المعيار، ولا بد أن نشير إليها هنا لأنها من الخصائص في اللغات المعيار الحديثة التي لا تنطبق على العربية لتجدر العربية في التاريخ على مدى أربعة عشر قرنا. فيرى (Trask, 1999:273) أن الإنجليزية المعيار ليست ثابتة؛ بل هي تتغير وتطور من جيل إلى آخر، وأن الإنجليزية المعيار في القرن الثامن عشر تختلف عن إنجليزية القرن التاسع عشر، وأن المعيار المنطوق مختلف عن المكتوب، وأنه لا يوجد شيء اسمه الإنجليزية المعيار قبل ٥٠٠ سنة؛ إنما تنوعات لغوية لكن الضغوط الاجتماعية والسياسية أعطت تنوعا وحيدا فرصة ليكون مقبولا بوصفه إنجليزية معيارية،

لدرجة أن هناك جدلاً أي تنوّع له الحق في أن يكون الإنجليزية المعيار، هل هو تنوّع لندن أم غير لندن من المدن البريطانية؟

طبعاً في العربية لا وجود لمثل هذا الجدل في بعض الخصائص مثل: أنه لا وجود للعربية المعيار قبل خمسة قرون؛ بل هي موجودة منذ أربعة عشر قرناً، كما أن التغيير والتطور في العربية أبطأ من الإنجليزية لارتباط العربية المعيار بنموذج قديم لا يمكن أن تختلف عنه جذرياً أو تنسليخ عنه تماماً. بالإضافة إلى أن الدين عامل مهم في التنوّع الذي توقفت عنده التطورات المقبولة في العربية المعيار؛ إذ هو لغة قريش وغيرها من القبائل التي حافظت على فصاحتها المرتبطة بالقرآن الكريم. وكما ذكر الفهري (١٩٩٩ : ١٨) أن اللغوين في القرون الأربع الأولى جمعوا اللغة مشافهة بشكل مباشر مفضليين الاستشهاد بالبدو دون الحضر ومقدّمين بعض القبائل على بعض. كما نقل عن المعجم الوسيط (٩) أن النقل اللغوبي توقف زماناً ومكاناً: الزمان عند القرن الثاني لعرب المدن والقرن الرابع لأعراب البوادي والمكان يقتصر على شبه الجزيرة العربية (الفهري، ١٩٩٩ : ١٩). وقد تحول النقل اللغوبي من المصدر (المتكلّم الأصلي) إلى المتن الساكن (الفهري، ١٩٩٩ : ٢٠). هذه التوصيفات تجعلنا نستبعد بعض الصفات في اللغات الحديثة المعيار وتطبيقاتها على الفصحي لكن تبقى إمكانية الخوض في مسألتي اللغة العربية بوصفها لغة مشتركة (لنقول فرانكاً) وكذلك مسألة العربيات قياساً على الإنجليزيات.

وفي خضم هذا الجدل نرى أن من الأهمية أن نشير بشكل عابر إلى فرضيات كراشن حول تعلم اللغة خاصة ما يتعلّق بالمراقب لأهميته هنا، إضافة إلى الحديث عن الاكتساب والتعلم. وهو موضوع البحث التالي.

**فرضيات كراشن:**

تشترك فرضية -أو نظرية كما يسميهما البعض- المراقب (Monitor Theory) مع القواعد الكلية في عدد من المبادئ لكنها تتجه إلى اكتساب اللغة الثانية<sup>١</sup>، وهي نظرية تشمل (أو تدخل ضمن) خمس فرضيات لكراشن (Krashen) التي هي (التعلم والاكتساب، المراقب، الترتيب، الدخل اللغوي، المرشح الوجданى)، وأساس النظرية وجود فرق بين التعلم والاكتساب (acquisition & learning)؛ فالاكتساب للغة الثانية (أو الهدف) مشابه للغة الأولى (أو الأم التي يعد المكتسب متحدثاً أصلياً لها) من حيث التركيز المتعلم على الرسالة التواصيلية والمعانى؛ بينما التعلم عمليات واعية ينصب اهتمام المتعلم على القواعد والأنمط اللغوية، وعلى كيف يركب أو يبني المتعلم جملة. ففرضية المراقب ترى أنه مع أن التحدث التلقائى بتجذر النظام اللغوى المكتسب في الدماغ إلا أن ما تم تعلمه يحرر ويصحح ويراقب حديث المتعلم إن كان لديه وقت ورغبة للتركيز على الدقة اللغوية (accuracy) (Spada and Lightbown, 2002:115-132). بمعنى أن المراقب اللغوى ينشط ربياً بشكل واع إذا كانت اللغة متعلمة وليس هي اللغة الأم وليس المتحدث متحدثاً أصلياً ويرغب المتحدث بالدقة أكثر من رغبته بالطلاق وإيصال الرسالة ولو بالتركيز على المعنى؛ في المقابل حينما يكون المتحدث أصلياً ولغة هي لغته الأم فالمراقب لا يكون نشيطاً لأن الإنتاج تلقائى، وقارن ذلك في أي جملة أو مجموعة جمل بأن تحاول إيصالها بالمستوى الفصيح وحاول ذلك بالمستوى اللهجى الذي تعلمته في طفولتك، كلنا سنجد انسياية في الإنتاج بالمستوى اللهجى مع

<sup>١</sup> لعل القارئ الكريم يلحظ أننا نضطر إلى الحديث حول اكتساب اللغة الثانية ولا نقتصر على أدبيات اكتساب الأولى أو الأم لأن الفصحى ليست أبداً ولا أبداً بالنسبة لنا.

راحة للمراقب في داخلنا ؛ في مقابل ما سنجده من التدقيق والنشاط للمراقب واختيار الألفاظ والإعراب المزامن للكلام.

وقد عزّز هذا الرأي ما تراه اللغويات النفسية من أن اللغة تكون أمّا والمحذث أصلياً والعملية اكتساباً إذا توفر عاماً آليّة (automization) والسرعة (speed) (Handke, 2012). وهذا العاملان حاسمان فيرأيي لو لاحظناهما في أنفسنا وفي العربي مع لهجته مقارنة بعدم توفرهما بنفس المقدار فيما وفي العربي مع الفصحي ؛ إذ يكون الإنتاج بطبيئاً وليس آلياً بانسيابية اللهجة التي هي أمّ بالنسبة لنا ؛ بل يتباطأ ويزول عامل الآلية ليحل محله المراقب الذي ينشط في هذه المرحلة. وهذا يعزّز ما قرره الفهري من أن العربية الفصحي ليست الأولى لنا (الفهري، ١٩٩٩ : ٢٠) مقرراً أنها في الوقت نفسه ليست ثانية ؛ بل بين الأولى والثانية، وإن كان هذا التوصيف يحتاج إلى نموذج أو إطار مفاهيمي في الأدبيات نطبقه عليه.

وقد نقول في ختام الجدل السابق: إن المحدث الأصلي هو من يكتسب اللغة في الفترة الحرجة من عمره ويكتون لديه فطرة لغوية، وهذه اللغة لغته الأم، ويحتاج بكلامه ويستشهد بفطنته وسلبياته. وينبغي الإشارة إلى بعد مهم أشارت إليه الأدبيات وهو بعد الثقافي وبعد الانتماء الذي يحسه المحدث باللغة، ونظراً لأهميته خاصة ما يتعلق منه بالفصحي سنفرد له المبحث التالي.

### **الانتماء الثقافي للغة :**

أشار ديفز (Davies, 2004:433) إلى أن المحدث الأصلي يعني من ضمن ما يعنيه انتساب الشخص لعصوبية لغة أم، وقدرته على أن يدي مهارة في الكلام وفي الكتابة عند الدراسة في المدرسة، ومهاراته على أن يكون قادراً على التواصل مع

أبناء اللغة، وكذلك يتولد لديه إحساس بالعضوية وتقاسم الثقافة وغيرها من سمات اللغة (العادات مثلاً والقيم والاعتقادات). وطرح (Davies, 2004:431) سؤالاً حول هل المتحدث الأصلي هوية؟ وعلقاً بأن المصطلح يستخدم عالمة تمييزية فارقة في التعريف، مستبعداً من ليس كذلك. وقد يكون هذا الجدل مشابهاً للجدل في التراث حول العربي عرقاً والعربي باللسان.

وقد أكد (Davies, 2004:436) على البعد الثقافي بالشعور بالانتماء لأهل اللغة، وذكر (ص ٤٣٩) أن كونك متحدثاً أصلياً للغة يعطيك انتماء وقوة، هذا الانتماء وهذه القوة والسلطة من الصعب الحصول عليها في لغة غير لغتك الأم مهما كان اكتسابك وتعلمك ناجحاً، فيبقى فيرأيي - عامل تقبل المجتمع الهدف لك عاماً حيوياً في تحديد مدى انتمائك للغة، كما أشار (ص ٤٤٠) إلى الإحساس بالهوان عند عدم كونك متحدثاً أصلياً للغة؛ ولهذا فالإنجليزية تعزز هذا الشعور لأن متعلميها لن يصلوا أو لا يصلون إلى متحدثين أصليين. وفي هذا الصدد يمكن لنا بكل سهولة ملاحظة تأثير الضمير والشعور النفسي بالهزيمة عند العرب الذين يثمنون الفصحى على لهجتهم ويحاولون التظاهر من العامية وجعلها خصماً وعدوا للفصحى؛ بل يصفها بعضهم بالدنس. وهي درجة أعلى مما مرتنا من قضية الاستهجان والقمع لتنوع ما في اللغة الذي أشار إليه دوتي ولونق (Doughty and Long, 2003:4-5).

وربما نعد المشاركة - وإن كانت بدرجة أقل من الانتماء - عاماً مهماً في الانتماء بوصف المتمي متحدثاً أصلياً للغة المتمي إليها. فقد ذكر ديفز (١٩٩٩ : ١٥٥) من ضمن المناظير التي تحدثت عن المتحدث الأصلي النظرية الاجتماعية الثقافية (socio-cultural theory) التي ناقشت مبدأ المشاركة

الاجتماعي والاكتساب الفردي. ويذهب ديفز قائلاً: أي أنك لا تصبح متحدثاً بمفردك؛ بل لا بد من مشاركة مع آخرين تتفاوض معهم في إطار نظرية فوتسكي (Vygotsky) منطقة النمو القريبة (the zone of proximal development). ومن ذلك في رأيي أن الطفل (المرء) قد يكون متحدثاً أصلياً لأكثر من لغة أم إذا تعلمها (اكتسبها) قبل البلوغ، وكذلك بعد البلوغ ليس حصول الاكتساب مستحيلاً لكنه صعب جداً (Davies, 2004:433)، وهناك دراسات حول إمكانية أن يصبح غير المتحدث الأصلي متحدثاً أصلياً بعد البلوغ لكنها من الصعوبة بمكان (Davies, 2004:437).

ولعل هذه الأفكار المطروحة ليست بعيدة عن رأي ابن خلدون بوصفه عالم اجتماع في مقدمته التي تشرّها عبر مواضع متعددة وربطه الاكتساب (الملكة) بالبيئة المناسبة. فقد ذكر أن اللغة مملكة توجد عند البشر ترسخ بالسماع والتكرار (ابن خلدون، ٥٥٤)، وقد نلمح هنا أخذها بالمخذفين السلوكي والفطري معاً، ثم أكد على أن "الملكة إنما تحصل بالتعليم كما قلناه" (٥٥٨)، ثم يستطرد في البيان والتفصيل جاماً بين الملكة والتكرار والحفظ والاستعمال قائلاً:

"إلا أن اللغات لما كانت ملkapات كما مرّ كان تعلمها ممكناً، شأن سائر الملkapات. ووجه التعليم لمن يتغيّر هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن وال الحديث، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أشعارهم وأشعارهم، وكلمات المؤلدين أيضاً في سائر فنونهم؛ حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم

والمتثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم، ثم يتصرف بعد ذلك [نلاحظ هنا انطلاق الإبداع تأسيسا على الحفظ والتكرار] في التعبير بما في ضميره على حسب عباراتهم، وتأليف كلماتهم، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم؛ فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال [نلاحظ هنا أن الملكة نتيجة الحفظ والاستعمال وربما ليست فطرية ابتداء]، ويزداد بكثرتهم رسوحا وقوه" (٥٥٩).

ثم قرر أن الملكة (الدى العرب) قد فسدت بالمخالطة لغير العرب (٥٥٥)؛ فالمخالطة لغير أبناء العربية يفسد لغة المتحدث الأصلي لدى ابن خلون؛ ولهذا يرى أن لغة قريش (الواقعة في الوسط والمركز) أفصح اللغات العربية إليهم ما اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة ثم... فهو يعتد بالمكان -إضافة إلى التعليم والملكة- في الملكة اللغوية وفصاحتها. ونلاحظ أيضاً تركيزه على الاستعمال حتى بالتعلم الذاتي والحفظ وكذلك النشأة الاجتماعية، وهذا طبيعي إذ لا يتبع ابن خلدون منظوراً فلسفياً معيناً؛ بل يكتب ملاحظات لا يتنظمها خط منهجي معين. وإن كان واضحاً أنه بتركيزه على حفظ المتون لا يغير اهتماماً كبيراً للتفاعل ضمن جماعة لغوية للغة الهدف وهو ما يخالف نظرية فوتسكى (Vygotsky).

كما أنه يلحّ على الاتساب الذي سماه الملكة وأنه غير التعليم؛ إذا قال: "وملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم..." (٥٥٩). ثم ذكر من الصناعة العلم بقوانين الإعراب وفرقه عن الإعراب نفسه (تطبيقاً) ثم عقب: "فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليها ملكة" (٥٦٠). ثم يستطرد بوصف حالنا: "الفصل الثاني والخمسون في أن أهل

الأمسار على الإطلاق قاصدون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم أبعد عن اللسان العربي كان حصولها له أصعب وأعسر، والسبب في ذلك ما يسبق إلى المتعلم من حصول ملكة منافية للملكه المطلوبة [ربما العامية لا الفصحى] (٥٦٣).

فلدى ابن خلدون يمكن حصول الملكة لكن يبقى السؤال الأهم هل نصبح حجة في الفصحى؟ الجواب يتضح من خلال ما طرحته أن الإجابة لا. كما أن الاكتساب الذي يرمي إليه ليس الاكتساب الذي يتحدث عنه تعلم اللغة الثانية؛ فالاكتساب عند ابن خلدون هو درجة عليا من حصول التعلم وملازمة العالي من الكلام فيتحصل بذلك اكتساب.

وربما يتعلق بموضوع الاتماء الثقافي نطرح بعض الإشكالات والتساؤلات الخاصة باللغة العربية تدور على الاتجاه نحوها والمشاعر التي يحملها مكتسبوها أو متعلموها، والتي طرح ديفز (٢٠٠٤) بعضا منها فيما يتعلق باللغة الإنجليزية في انتشارها خارج موطنها الأصلي، منها:

هل الجدل حول الإمبريالية اللغوية للإنجليزية يمكن أن يطبق على العربية الفصحى في بلدانها أو في البلاد الإسلامية غير العربية؟ كما هو الحال في إنجليزية بريطانيا وأمريكا: عربية الدول العربية. فالتنوعات الحاصلة في الإنجليزية الآن توحى بأن الأستراليين مثلا لا يلقون بالا للتقاليد والأعراف اللغوية للإنجليزية البريطانية ومثلهم السنغافوريون (ص ٤٤٦). وأعتقد أن انتشار العربية في البلدان الإسلامية لا يفسر بأنه إمبريالية لأنه موضع ترحيب من أهل تلك البلاد، فلا يوجد تضجر من انتشار العربية مثل وضع الإنجليزية

وانتشارها في سنغافورة أو الهند أو الفلبين ؛ بل هو موضع ترحيب في الحالتين (في حالة البلاد العربية والبلاد الإسلامية).

وهل هناك شعور بالرغبة بكون الشخص متحدثاً أصلياً للعربية لكن لا يمكنه ذلك ؟ وهل مدرس العربية من غير الناطقين الأصليين نفس المشاعر السلبية أو الإيجابية (كونه يعلم ويتعلم لغة غير لغته ؟) فقد وضح كرامش ولام في براين (Kramsch and Lam, 1999. in Brain, 1999) مذكور في ديفز، ٢٠٠٤ : ٤٤٢) أن كونك غير متحدث لها ميزات منها الشعور بتحدثك لغة أخرى كما هو حال معلمي الإنجليزية حول العالم في شعورهم بالفخر لتحدثهم اللغة العالمية الأولى ؛ لكن مع الأخذ بالحسبان ما لاحظه سينغ (Singh, 1998) و (Brain, 1999) (مذكوران في ديفز، ٢٠٠٤ : ٤٤٤) أنه في أمريكا الشمالية يوجد تمييز ضد مدرسي الإنجليزية غير الناطقين بها ؛ لكن في المجتمعات غير ناطقة بالإنجليزية أصلاً قد يكون الأمر مختلفاً إذ ربما يدل على رفعة ومكانة ، وهذا مشابه لتجربتي مع أساتذة جامعات أندونيسيا وتجربتي مع أساتذة جامعات الصين الذين يفتخرن فيما بينهم لكن يحسون بالنقص حين يتعاملون معنا. كما أشار هوليدي (Holliday مذكور في ريتشاردز وشميدت (Richards and Schmidt, 1985:386) إلى مصطلح الأصالة (native-speakerism) وهو الاعتقاد بأن معلمي الإنجليزية الأصليين أعلى قدرًا من معلميها من غير أهلها ، ويُ يكن أن نقيس ذلك على العربية أيضاً. فمعلم اللغة من غير أهلها قد يعتريه شعور بالدونية في بيئتها لكن هذا الشعور يتحول إلى فخر في بيئه لا تتحدثها. ولهذا فهي تعبير عن الهوية (قضية اجتماعية) أكثر منها قضية لغوية لدى المتحدث نفسه (ديفرز، ٢٠٠٤ : ٤٤٦)، وربما ينطبق هذا على من يتحدث العربية بلكتنة خاصة.

ولعلنا في المبحث التالي نفرد الحديث حول اللغة العربية بمستوييها العامي والفصيح في محاولة اجتهادية للمقاربة بنظور النحو الكلي تأسيساً على ما ذكرته وايت (White, 2007:37-41)؛ فالنقاش مشابه إلى حد كبير لوضع اللغة العربية مع اكتساب اللغة الأولى والثانية. وأعتقد أن النموذج صالح إلى حد كبير للغة العربية بمستوييها العامي والفصيح وإن كان لا يخلو من إشكالات شأنه في ذلك شأن أي منظور علمي آخر.

### **العربية بمستوييها العامي والفصيح:**

في هذه الفقرات سأعرض المناقشة التي عرضتها وايت (White, 2007:37-41) في حديثها عن اكتساب اللغتين الأم والثانية سوى أنني سأبدل العامية بالأم على اعتبار أنها أول ما يواجهه العربي ، والفصحي بالثانية على اعتبار أنها تصادف العربي وقد استقر لديه نظام لغوي هو نظام العامية.

فقد تحدثت في موضوع الكفاية اللغوية لدى المتحدث الأصلي (اللغة الأم) ومكتسب اللغة الأولى مؤكدة أن النظرية التوليدية اللغوية (Generative linguistic theory) تهدف إلى توصيف الكفاية اللغوية وشرح كيفية التمكن منها لدى الأطفال للغتهم الأولى الأم (في حالتنا العامية). مؤكدة في الوقت نفسه أن لدى هذه النظرية هدفاً موازياً يتعلق باكتساب اللغة الثانية (في حالتنا هذه الفصحي) وشرح طبيعة اكتساب الكفاية المرحلية (acquisition of interlanguage competence).

وتقرّر أن هذه المعرفة غير الواقعية (الضمينة وغير الصريرة) لا تستوجب تعلمها خلال اكتساب اللغة الأم (العامية)؛ إنما تشقق من النحو الكلي (Universal Grammar:UG)، وهذا الادعاء مبني - كما تقول - على إشكال

نلاحظه و تحدث عنه تشومسكي (Chomsky, 1986) وهو منطقى جدا - كما تصفه - بأن الدخل اللغوى الذى يتلقاه الطفل فى مرحلة الفترة الحرجة يكتفى الخطأ النحوى ومع ذلك يصل الأطفال إلى مرحلة النضج اللغوى والتمكن (ultimate attainment) من اللغة. وهذا ظاهر فى حديثنا مع أطفالنا حيث نخاطبهم بجمل ناقصة وغير صحيحة تركيبيا فى أحيان كثيرة وتكون النتائج إتقان أطفالنا للغة الأم (العامية).

و تستدل على ما يراه تشومسكي بأن الطفل لا يعتمد على الدخل فقط فى اكتسابه للغة بدليل أن المتحدث الأصلي والمكتسب للنظام اللغوى يستطيعان إنتاج -وكذلك فهم- جمل لم يسمعا بها من قبل ، كما يستطيعان الحكم على الخطأ بأنه خطأ نحوى دون أن يتعلما تعليميا صريحا ذلك ، كما يتقنان المقامات المقبولة لبعض الجمل دون مقامات و سياقات أخرى.

و يمعنى آخر - تؤكد و ايت - أن الدخل اللغوى يؤثر سلبا على كفاية الطفل اللغوية ؛ ولهذا نقول إن الطفل لا بد من أنه يكون لديه معرفة داخلية فطرية مغروسة في دماغه يستخدمها في اكتساب لغته الأم بغض النظر عن الدخل المشوه الذي يتعرض له أو الغموض الذي يكتفى الدخل اللغوى في أحيان كثيرة.

وبناء على النموذج المقبول لدى النظرية التوليدية اللغوى في حالة اللغة الأم ترى و ايت أن لديها أيضا تفسيرا مقبولا لاكتساب اللغة الثانية (الفصحي في حالتنا) ، هذا على افتراض أن النحو المراحل (interlanguage) المغروس على صفة النحو الكلى يشمل معرفة ضمنية بالظاهر اللغوية للغة الثانية على الرغم من عدم الاتفاق على طبيعة هذا النحو بشكل دقيق ملموس.

وتسدل على ذلك بأن مكتسيبي ومتلمني اللغة الثانية (الفصحي) يكتسون النظام اللغوي على الرغم من تشوّهه بالدخل الذي يتلقونه مما يجعلنا نفترض أن الكفاية المركبة تخضع لنفس المبدأ الذي تخضع له الكفاية اللغوية الأم. وفي هذا الصدد يرى الفهري أن العربية الفصيحة لغة بين الأولى والثانية للعرب، فلا هي بالأولى اعتماداً على عدم تشابه اكتسابها باكتساب الفرنسيين لغتهم الأم الفرنسية ولا بالثانية اعتماداً على عدم تشابه اكتسابها أو تعلمها باكتساب أو تعلم غير الناطق بالفرنسية للغة الفرنسية، ونحن ننقل كثيراً من معرفتنا بالعربية للفصحي (الفهري، ١٩٩٩: ٢١). ولا أجد نموذجاً في الأدبيات لافتراض الفهري للغة تقع بين بين فيما ذكر من نماذج الأم والثانية. على أية حال ترى وايت أن هناك اعترافاً يتadar إلى الذهن وهو أنه ربما يرى البعض أن المعرفة التي يظهرها مكتسب اللغة الثانية ربما لا تكون النحو الكلي (كما في حالة اللغة الأم)؛ بل قد تكون النحو للغة الأم، وربما نقبل في العربية ذلك إذا لا حظنا تأثير الفصحي بلغتنا العالمية في كثير من المظاهر اللغوية. في المقابل لو لاحظنا أن المعرفة لم تكن موازية للمظاهر العالمية فإننا نفترض مع وايت أن هذه المعرفة مشتقة من النحو الكلي.

وتلخص وايت الفكرة بما يلي (سأعرضها مقرونة بتوضيحي وشرحي للعربية بمستوييها) :

إذا قبلنا أن الكفاية اللغوية للمتحدث الأصلي تشتمل على معرفة ضمنية على الرغم من الغموض والخطأ اللغوي في الدخل الذي يتعرض لها، فهذا يجعلنا نفترض أن الأطفال يتلذّبون خصائص فطرية جينية للغة (النحو الكلي). ومتى رأينا وضعاً مشابهاً لكتسيبي أو متلمني اللغة الثانية (الفصحي)

فإننا نفسر ذلك أيضاً إما بالنحو الكلي أو بالكتفافية المرحلية حين لا يتطابق النظامان اللغويان.

على كلٍّ ينبغي ألا نغفل عن وضع تطرق إليه كوك ونيوسن (Cook and Newson, 2007) خلال حديثهما عن المرحلة النهائية أو مرحلة الكمال (final state) لاكتساب اللغة الثانية والتي يتقن فيها المكتسب اللغة تماماً؛ لكن هناك باحثين (Larsen-Freeman and Long, 1989:35; Spolsky, 1991:153 و Birdsong, 1992:706) أشاروا إلى أن هذا الوضع ليس هو الوضع الذي يحدث إنما هو الوضع الاستثنائي؛ أما الوضع الشائع فهو عدم إتقان اللغة وأن فشل التمكّن هو الحوصلة النهائية الشائعة، وهذا ربما ما يحدث تماماً مع الفصحي في اكتسابنا لها.

وقد لا نرى بأساً في اعتبار حالنا مع الفصحي بأنه ليس الوضع المثالي للمتحدث الأصلي؛ بل ربما يكون الوصف المناسب له هو شبيه المتحدث الأصلي (native-speaker-like) كما أشرنا إلى ذلك سابقاً عند هيلتنستان وأبراهامسون (Hyltenstam and Abrahamsson, 2000).

ومن المهم أن نشير مرة أخرى إلى قضية الانتفاء التي يحسها العربي إلى الفصحي مما يجعلنا نتوقف في عدم اعتبار الفصحي لغته الأم؛ خاصة إذا تجاوزنا في بعض الموصفات المطلوبة للمتحدث الأصلي ووصفنا العربي بأنه مثال غير ممدوحي للمتحدث الأصلي لا أن نقول إنه ليس متحدثاً أصلياً للفصحي أبداً. هنا نربط بمفهوم بروتوتايب prototype (Trask, 1999:236-) الذي يفسر المفهوم بأفضل مثال له؛ فاما متحدث أصلي ممدوحي (في حالتنا هذه) أو انتفاء المفهوم كلية. وما يؤيد ذلك حين نعرف أننا نتحدث عن

تعريف مداري طيفي مختلف درجةً لا عن تعريف لا يقبل التعدد من حيث الإجادة وعدهما. بل ربما يكون الأمر في الفصحي أكثر من كونه شعورا بالاتتماء إلى موقف أيديولوجي نحو المستوى المعياري للفصحي الذي عده تراسك (كما أشرنا إلى ذلك سابقا) بأنه مظهر من مظاهر أيديولوجية اللغة المعيار، بل ربما لا يوجد في اللغات الأخرى غير العربية أن يشعر المتحدث الأصلي باحتقار لهجته والرغبة في إهمالها وزوالها كما يحدث لكثير من العرب مع المستوى العامي في سبيل المستوى الفصيح. هذا يجعلنا نقبل القول بلأنهائية الجدل حول الوضع غير الطبيعي للعربي مع عاميته والفصحي وأنها قضية غير محسومة. وفي البحث التالي سنعود إلى أسئلة البحث التي طرحتها في البداية.

#### **عودة إلى الأسئلة المطروحة ومحاولة الإجابة :**

قبل أن نختتم هذا البحث سنعود إلى الأسئلة التي طرحتها في البداية محاولين الإجابة عنها بما نراه متوافقا مع ما طرحت هنا. وسنطرح كل تسؤال يتلوه الإجابة مقتضبة لأن المسائل قد نوقشت بعمق في ثنايا البحث.

- هل يوجد متحدث أصلي في العربية الفصحي؟

يمكنا القول دون تردد إنه لا يوجد متحدث أصلي للعربية الفصحي بحيث يمكن الاحتكام إلى سلبيته في الأحكام النحوية؛ بل سيعتمد على تعلمه لا اكتسابه. كما أنه لا يمكننا الاحتجاج بكلام أي عربي بعد عصور الاحتجاج.

- متى توقف هذا الوصف في العربية الفصحي؟ خاصة في ضوء تشدد بعض اللغويين فيمن تؤخذ عنهم اللغة وشروطهم في المتحدث الأصلي. كما نقلنا سابقا إنه توقف عند القرن الثاني للأمصار والقرن الرابع للبواطي على أبعد تقدير، مع اختلاف في من يؤخذ عنه من القبائل (وليس

الأفراد)، فالتحديد العربي القديم بالقبائل يتوافق مع المنظور الاجتماعي (اللغة الفصحى) وليس المنظور الفردي (المتحدث الأصلي). فهو يقرر بناء على القبيلة لا على الشخص، بمعنى أنه –نظرياً- يقبل من أي شخص من قريش وهذيل لكن في الوقت نفسه لن يأخذ من القبائل الخارجة عن الجزيرة العربية المحاذية للأمم الأخرى مهما بلغ فصاحة وبياناً.

- وهل من المستحيل أن يكون للفصحى متحدث أصلي؟  
ليس مستحيلاً إذا استبعدنا فكرة الاحتجاج والاستشهاد؛ فلو فسّرنا التحدث الأصلي بأنه الاستخدام فذلك ممكن. كما أنها قد نرى أن متقن العربية في العصور المتأخرة قد يوصف بأنه شبيه المتحدث الأصلي إذا اعتبرنا أيضاً صفة أخرى غير الاستخدام المتقن وهي أن يكون الشخص متعلماً استثنائياً فذا كما نقلناه سابقاً.

- هل يمكن أن يكون الشخص متحدثاً أصلياً لأكثر من لغة؟  
الأديبات تتجه إلى القول بذلك على أن يكون الاكتساب قبل مرحلة البلوغ.  
- هل متعلم العربية الذي يتحدث الفصحى في المواقف التي تتطلب العالمية يطلق عليه متحدث أصلي للعربية؟

حقيقة لا بد من التنبيه على الخطأ الذي يقع فيه كثير من المתחمسين للفصحى سواء المتعلمون أو أهلهما؛ إذ يتحدثون بالمستوى الأعلى في مواقف عامة تقضي الحديث باللهجة؛ فيقعون ضحية للتندر والسخرية. والإشكال أنهم يفسرون هذا بأنه انتقاد من العربية الفصحى بينما هو في رأيي رفض للمستقبل بأن تتحدث بمستوى لغوي في موقف يقتضي استخدام المستوى الآخر. فمن لا يقبل هذا التصرف في موقف يقتضي العالمية لن يجد أى سبب

للرفض إذا كان في موقف رسمي يقتضي الفصحي؛ بل سيرفض أيضا استخدام العامية في مواقف تتطلب الفصحي. ومن هنا ينبغي التأكيد على المحافظة على المستويات اللغوية مقتربة بموافقتها التي تتطلبتها.

- وهل اللغة الأم عبء على المتحدث الأصلي أم أن من شروطها أن تكون آلية أوتوماتيكية سيالة متداقة إلى حد كبير؟ قارن بين الارتياح في التحدث بالعامية والمعاناة في التحدث بالفصحي.

أشرنا فيما نقلناه أن اللغة الأم تكون انسيابية وليس لها معاناة للمتكلم. فإن كان استخدامها معاناة فهي ليست لغة أمّا.

- هل نحن متحدثون أصليون بالفصحي أم بالعامية أم بكلتيلهما؟ كما أشرنا في نقاشنا للسؤال الثالث من هذه الأسئلة، نحن مستخدمون للفصحي ومتعلومن استثنائيون لها ونخس بالولاء والمشاركة والانتماء الثقافي لها. في المقابل لا يمكن الاحتجاج بكلامنا ولا استشارة سلبيتنا اللغوية. وهذا ما يجعلنا نتحفظ على إطلاق الحكم بأننا متحدثون أصليون بالفصحي دون توضيح أو قيود.

أما في المستوى العامي الدارج فنحن متحدثون به على أنه لغة أم بالنسبة لنا نحن العرب.

كما أثنا قد قبل الوصف بشبيه المتحدث الأصلي في المستوى الفصيح الذي يقتصر على الاستخدام الصحيح دون اعتبار للاحتجاج أو سلبيّة يحتمكم ويركّن إليها. وربما هذا هو الوصف الذي رمى إليه الفهري كما نقلنا سابقاً بقوله: إن الفصحي بالنسبة لنا بين الأولى والثانية، وإن كان لم يشر إلى ذلك صراحة.

ولتعلق الأمر بما طرحتنا سابقاً من تصور المفاهيم التالية على طرفٍ طيفٍ متواصلٍ:

متحدثٌ أصلي---شبيهٌ المتتحدث الأصلي---المكتسب ثنائيٌ اللغة---  
المتعلم بعد البلوغ ثنائيٌ اللغة---غيرٌ المتتحدث الأصلي  
المتعلّم الأصلي حجةٌ ولديه سليةٌ وملكةٌ.  
أما شبيهه فينقصه بعض الصفات مثل الحجية أو امتلاك السلية.  
وكذلك المكتسب ثنائيٌ اللغة فيقى متعلماً مكتسباً لكن ليس حجة.  
ويليه المتعلم الذي ليس متتحدثاً أصلياً لكنه يجيد الاستخدام. وربما يتوهّم  
من ليس متتحدثاً باللغة أنه يجيد استخدامها وقد لا يكون كذلك.  
وأقل المفاهيم هو من يبدو عليه التعلم أكثر من الأصلية. وقد يكتشفه من  
ليس متتحدثاً باللغة.  
وقد قلنا بأنه على طيفٍ متواصلٍ تحاشياً لتصور حدودٍ جامعةٍ مانعةٍ يمكنه  
أن نطمئن إليها في مثل هذه المسائل الشائكة.

\* \* \*

## خاتمة:

يمكن لنا أن نختتم بخلاصة ذكرها ديفز (٤٤٧ : ٢٠٠٤) وهي أن الاختلاف حول المتحدث الأصلي بوصفه ظاهرة مرده إلى الاختلاف حول المفهوم لكل باحث، وأن من المقاربات الرئيسية أن المتحدث الأصلي هو حافظ ومستودع للغة الصحيحة وهذه نظرة لغوية؛ بينما النظرة الأخرى اجتماعية وترى المتحدث الأصلي واضعاً للمعايير (Deveis, 2007:155)، وهذا في رأيي موازٍ للنظرة لمن يحتاج بكلامه في الفصحي بأنه مشروع للفصحي. ثم خلص إلى أن النظرين الرئيسيين تتناخلان مع بعضهما لأنهما تنظران إلى نفس الظاهرة لكن من زوايا مختلفة؛ إذ إن كان محل النظر هو المتحدث فالاهتمام لغوي؛ بينما الاجتماعيون ينظرون إلى ارتباط المتحدث ب مجتمعه وتقاليدها ولغتها. فيمكن لنا القول بأن للظاهرة أبعاداً مختلفة: لغوية، ونفسية، واجتماعية، وأخرى تتعلق بُعد مرتبط بالهوية.

كما علّقت سيدلهاوفر (Seidlhofer, 2000:54) مذكور في ديفز، ٢٠٠٤ : ٤٤٤ تعليقاً طريفاً عن إتقان المتحدث الأصلي أو ما يمكن تسميته موديل أو نموذج بأنه ينبغي ألا يكون أي متحدث هو الموديل للمتحدث الأصلي إنما هو جزء من الحقيقة، والجزء الآخر في المتن الذي يحوي متوناً لمتحدث إنجليزية كلنجوا فرانكا. ويرى ديفز أنها تزيد قلب نموذج المتحدث الأصلي ليصبح من يتحدث الإنجليزية كلنجوا فرانكا وهم غالبية المتعلمين أكثر من يتحدث الإنجليزية كلغة أم. وربما هذا واضح بشكل جلي مع العرب متحدثي العربية الفصحي لا كلغة أم، بعبارة أخرى يجب أن ندرك أن من يتحدث الإنجليزية ومن يتحدث الفصحي وليسوا متحدثين أصليين لأنها ليست لغتهم الأم يفوق

عدهم من لغته الأم الإنجليزية أو الفصحي ويوصفون بأنهم متحدثون أصليون لهما.

ولعل من المفيد أن نذكر بأن الارتباط بين المتحدث الأصلي والفصحي في التراث العربي كان في قضية الاستشهاد باللغة وفي مجال الحافظة عليها من اللحن. وفي هذا الصدد نقول إن النحويين الذين لم يكونوا يستشهدون بالقرآن الكريم ويلحقون بعض قراءاته كما ذكر ذلك عنهم السيوطي (٤٢٧ : ٤٠) كانوا على رأي مقبول منهجيا لأن القرآن الكريم لم يصدر عن متحدث أصلي؛ إنما صادر عن الله سبحانه المتعالي على كل المتحدثين. وقد مر بنا أن قضية المتحدث الأصلي لا تنفك عن السليقة والفطرة والكافية والفترة الحرجة واللغة الأم للمتحدث التي يتعالى الخالق عنها سبحانه. فلا يصح بحال إن يوصف قائل القرآن - سبحانه - بأي وصف من الأوصاف التي تطلق على البشر. فربما يكون استبعادهم للقرآن الكريم لأنه منزه عن الدخول في معادلة المتحدث الأصلي البشري ذي السليقة والتي تعد اللغة لغة أمّا بالنسبة له تلقاها في فترة حرجة من عمره.

وقد نوجز الآراء المطروحة على أربعة أقسام:

- من يرى أن المصطلح ممكن التتحقق، ومن وضع له محددات.
- من يرى أنه أسطورة.
- من ذهب إلى تفضيل مصطلح المستخدم الأصلي.
- من رأى إمكانية تحقق شبيه المتحدث الأصلي.

ويبقى أن نشير إلى أن المتحدث الأصلي هو من يرجع إليه في مسألة الصحة والمقبولية اللغوية دون أن يطلب منه تعليل نحوي أو أن يكون متخصصا لغويًا.

ويمكن أن نخلص إلى أن وصفنا بمتحدثين أصليين للهجاتنا العامية ليس فيه خلاف؛ إذ نحن نتحدث بها تحدثاً أصلياً وهي لغتنا الأم؛ لكن الاختلاف حول من يرى أن الفصحى لغة أم بالنسبة لنا وبالتالي فنحن متحدثون أصليون بها أو أنها ليست كذلك. والحكم في ذلك يرجع إلى المدرسة البحثية التي تتبعها والتي تم عرض بعضها (المدارس البحثية) في ثنايا البحث.

\* \* \*

**المصادر والمراجع:  
العربية والترجمة:**

- التوحيد ، أبو حيان. الإمتناع والمؤانسة. أحمد أمين وأحمد الزين. بيروت: دار مكتبة الحياة.
- الجاحظ ، عمرو بن بحر. ١٩٨٦. البيان والتبيين. تحقيق: فوزي عطوي. بيروت: دار صعب.
- الحمد ، ماجد. وحسين عبيادات. ١٤٣٧هـ (ترجمة). المرجع في اللغويات التطبيقية ، آلن ديفيس وكاثرين ألدر. جامعة الملك سعود.
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد. ١٤١٦هـ. المقدمة. تحقيق: درويش الجويدي. بيروت-صيدا: المكتبة العصرية. الطبعة الثانية.
- السيوطني ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين. ١٤٢٧. الاقتراب في أصول النحو. تحقيق: عبدالحكيم عطية وعلاء الدين عطية. دمشق: دار البيروتي.
- الشويرخ ، صالح. ١٤٣٨هـ. قضايا معاصرة في اللسانيات التطبيقية. مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية.
- الفهري ، عبدالقادر الفاسي. ١٩٩٩. المعجم العربي : نماذج تحليلية جديدة. المغرب. دار توبقال. الطبعة الثانية.
- مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. القاهرة.

\* \* \*

## **List of References:**

### **Works cited**

- A-tawhedi, Abu Hayan. Al-Emtaa w al-Moanasah Ahmed Ameen & Ahmed AZain (eds). Beirut: Dar Maktabat Al-Hyat.
- Al-Jahidh, Amr Ibn Bahr. 1986. Al-Bayan w al-Tabeen. Faezi Atawi (ed): Beirut: Dar Sab.
- Al-Hamad, Majid & Husain Ubaidat. 1437H. (Translation). The Handbook of Applied Linguistics. Davies, Alanand Catherine Elder. King Saud University.
- Ibn Khaldun, AbdulRahman Ibn Mohammad. 1418H. Al-Moqadimah. Darweesh Al-Juaidi (ed). Beirut-Saida: Al-Maktabah Al-Asryiah. 2nd edition.
- A-Seuti, AbdulRahman Ibn Abi Bakr, Jalal Adden. 1427H. Al-Eqterah fi Usul a-Naho. AbdulHakeem Atyiah & Allaa Atyiah. Dumasq: Dar Al-Baieruti.
- Al-Shwerekh, Salih. 1438H. Modern Issues in Applied Linguistics. King Abdulah International Centre for Serving Arabic Language.
- Al-Fihri, Abdul Kadir Al-Fasi. 1999. Arabic Lexicon: new analytical models. Morocco: Dar Tobkal. 2nd edition.
- Majma Arabic Language. Al-Moajam al-Waset. Cairo.

\*

\*

\*

# The Concept of Native Speaker in Modern Linguistics And the native Speaker of Arabic

**Dr. Saleh bin Fahd Al-Oseimi**  
Department of Linguistic Preparation  
Institute for Teaching Arabic

## **Abstract:**

The current research paper presents the running debate concerning the concept of “native speaker” in modern Linguistics and the controversies of its definition discussed in the literature. It also sheds light on related technical terms that have emerged in the midst of this profound academic debate whose comprehension is taken to be necessary for Arabic scholarship. The debate in Western linguistic scholarship is relevant to both *fasih* (classical) Arabic and Arabic heritage. It discusses the extent to which the concept of the native speaker applies to the speaker of High Form (standard) Arabic in the modern era and its Low Form (non-standard language). The paper concludes that there is no native speaker of the standard Arabic in the history of Arabic language after the fourth century of Hijri calendar. At the end of the research, the model presented by White (2007: 37-41) is applied to the acquisition of standard and non-standard Arabic.

Keywords: native speaker, *fasih* Arabic, modern standard Arabic, High forms and Low forms in language, White's language acquisition model.

تناوب الزحاف بين السببين الخفيفين  
دراسة عروضية صوتية

أ.د. حسام محمد أيوب  
قسم اللغة العربية - جامعة طيبة



## تناول الزحاف بين السبيبين الخفيفين - دراسة عروضية صوتية -

أ.د. حسام محمد أيوب

قسم اللغة العربية - جامعة طيبة

تاريخ قبول البحث: ١٤٣٩/٨/١٤

تاريخ تقديم البحث: ١٤٣٩/٦/١٦

### ملخص الدراسة:

نهض هذا البحث بمقدمة ، وأربعة مباحث ، تناولت في المقدمة مشكلة البحث ، ومسوغات الدراسة ، وأهميتها ، والدراسات السابقة ، ومنهج الدراسة . درست في المبحث الأول : إتاحة تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين ، وحددت الأنماط المقطعة الأربع المحتملة لتجاورهما . ودرست في المبحث الثاني والباحث الثالث : تقييد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين في تفعيلة واحدة أو بين تفعيلتين ، ولحظت انخفاض عدد الاحتمالات المقطعة لتجاورهما إلى ثلاثة احتمالات . وعالجت في المبحث الرابع : وجوب تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين ، ولحظت انخفاض عدد الاحتمالات للأنماط المقطعة لتجاورهما إلى احتمالين فقط . وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها . الكلمات المفتاحية : العروض ، الأوزان الشعرية ، الخليل بن أحمد الفراهيدي .



## المقدمة:

## مشكلة الدراسة:

ت تكون التفعيلات الشعرية من (أسباب وأوتاد)، وتشتمل كل تفعيلة على (سبب واحد أو أكثر، وعلى وتد واحد فقط) وعليه قد يتجاور سببان خفيفان ضمن التفعيلة الواحدة، أو ضمن تفعيلتين متجاورتين<sup>(١)</sup>، ولأن الزحاف يختص بثوابي الأسباب فإن الوضع الطبيعي يسمح بوقوع الزحاف في كلا السببين الخفيفين المتجاورين أو في أحدهما، أو في عدم وقوع الزحاف من الأساس، وهو ما عرف لدى العروضيين "بالمكافنة"<sup>(٢)</sup> وهي الأصل<sup>(٣)</sup>، لذا

(١) لخص أبو سعيد الآثاري الأحكام الناتجة عن اجتماع السببين الخفيفين في ألفيته

(الوجه الجميل في علم الخليل) في الأبيات من ١٤١ إلى ١٥٧ بدأها بقوله:

في واحد من سببين الزحف<sup>إِنْ</sup> / كانا بجزء أو بجزئين رُكِنْ

فتارة يدعونه المعاقبة / وتارة يدعونه المراقبة

وتارة يدعونه المكافنة / إِذْ حَصَّ كُلَّ واحد منها صفة

أبوسعيد الآثاري، الوجه الجميل في علم الخليل، ص ٦٤، ٦٥

(٢) يعرف الأسنوي المكافنة بقوله: "وأما المكافنة فهي أن يجوز اجتماعهما على السلامة

والسقوط، وأن يسلم أحدهما ويسقط الآخر" الأسنوي، نهاية الراغب في شرح عروض

ابن الحاجب، ص ١١١

(٣) تجدر الإشارة إلى أن ابن رشيق عندما تحدث عن زحاف الحشو عُنيَ بظاهره المعاقبة

وظاهره المراقبة والفرق بينهما، ولم يعنَ بالحديث عن المكافنة. ابن رشيق، العمدة في

محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج ١، ص ١٤٩.

ونجد الأمر نفسه لدى السكاكي، ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٧٩٠

يضاف إلى ذلك تصريح الخطيب التبريري بأن "الزحاف جائز كالأصل" الخطيب

البريري، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص ١٩

جاز عدم زحاف كلا السبيبين الخفيفين في (مُسْتَفْعِلُنْ) وفي (مَفْعُولَاتُ ) في بحور: الرجز، والبسيط، والسريع، والمسرح، كما جاز خبنهما وطيهما معاً أو خبن أحدهما أو طيه.

وتكمّن المشكلة في عدم جواز زحاف كلا السبيبين الخفيفين المتجاورين معاً خلافاً للأصل كالجمع بين:

القبض والكاف لتفعيلة (مَفَاعِيلُنْ) في بحر الطويل.

القبض والكاف لتفعيلة (مَفَاعِيلُنْ) في بحر المزج.

العقل والنقص لتفعيلة (مَفَاعِلْتُنْ) المعصوبة في بحر الوافر.

الوَقْصُ والخَزْلُ لتفعيلة (مُتَفَاعِلُنْ) المضمرة في بحر الكامل.

الخبن والطي لتفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ) في عروض المسرح.

فما التفسير الصوتي لعدم جواز مزاحفة كلا السبيبين الخفيفين المتجاورين في البحور الخمسة سالفة الذكر، على الرغم من جواز ذلك كما مر بنا فيما عرف بالملائفة؟

ولا يقتصر الأمر على مستوى التفعيلة الواحدة وإنما يتعدّد عدم الجواز إلى مستوى التفعيلتين المتجاورتين، (كَكَاف لتفعيلة وخبن التي تليها) في بحور المديد، والمحث، والرمل، والخفيف. وقد عُرِفتْ هذه الظاهرة لدى العروضيين "بالمُعاقبة" <sup>(١)</sup> فما التفسير الصوتي لعدم جواز مزاحفة كلا السبيبين الخفيفين المتجاورين بين تفعيلتين في البحور الأربع سالفة الذكر؟

(١) يُعرف ابن السراج المُعاقبة: "أن أحد السبيبين إذا زُوِّجَ لِمَ يُزَاحِفُ الآخر، فلَا يَعْمَّها جمِيعاً الزحاف" ابن السراج، كتاب العروض، ص ٤١٧  
ويفرق الزجاج بين ثلاثة أنواع من المُعاقبة: هي

وفي موضعين آخرين تبرز المشكلة بخلاف من خلال وجوب مزاحفة أحد السببين الخفيفين المجاورين على الرغم من أن الأصل جواز الزحاف:

- وجوب زحاف أحد السببين الخفيفين المجاورين بالقبض أو الكف في (مَفَاعِيلُنْ) في بحر المضارع.

- وجوب زحاف أحدهما بالخبن أو الطي في (مَفْعُولَاتُنْ) في بحر المقتضب.  
وُعرفت هذه الظاهرة لدى العروضيين "بِالْمُراقبَة" <sup>(١)</sup> وعليه ما التفسير الصوتي لوجوب مزاحفة أحد السببين الخفيفين المجاورين في هذين البحرين؟  
**مسوغات الدراسة وأهميتها:**

لا شك في أن الواقع العروضي هو واقع لغوي في الأساس، فالبنية الإيقاعية لأي لغة تنبثق من بنيتها الصوتية، والصرفية، والمعجمية، وال نحوية.

---

عجز: وهو ما زوحف آخره لمعاقبة ما بعده.

صدر: ما حذف أوله لمعاقبة ما قبله.

طرفان: ما حذف أوله وآخره لمعاقبة ما قبله وما بعده.

ينظر: الزجاج، كتاب العروض، ص ١٤٧

(١) يعرف الزجاج المراقبة بقوله: "أَنْ يُرَاقِبَ آخْرُ السُّبُبِ الَّذِي فِي آخِرِ الْجُزْءِ، وَهُوَ نُخُوْنُ فِي مَفَاعِيلِنْ، آخِرُ السُّبُبِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَهُوَ الْيَاءُ فِي مَفَاعِيلِنْ" الزجاج، كتاب العروض، ص ١٧٠

ويفرق الدمامي بين المعاقبة والمراقبة بقوله: "فِتَجَامِعُ الْمُرَاقِبَةُ الْمُعَاقِبَةُ فِي أَنَّهُ إِذَا حُذِفَ أَحَدُ السَّاكِنِينَ مِنَ السَّبَبِيْنِ ثَبَّتَ الْآخِرُ وَجُوبِيَا، وَتَفَارِقُهَا فِي أَنَّ الْمُعَاقِبَةَ يَحْوِزُ إِثْبَاتَهُمَا مَعًا، وَالْمُرَاقِبَةَ يَتَنَعَّجُ فِيهَا ذَلِكُ. وَيَقُولُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَيْضًا بِأَنَّ الْمُعَاقِبَةَ تَكُونُ بَيْنَ السَّبَبِيْنِ الْمُتَلَاقِيْنِ فِي جُزْءٍ وَاحِدٍ أَوْ فِي جَزَائِنِ، وَالْمُرَاقِبَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا إِذَا كَانَ السَّبَبُيْنِ مُتَجَاوِرِيْنِ فِي جُزْءٍ وَاحِدٍ" الدمامي، العيون الغامزة على خبايا الرامزة، ص ٩٤

من هنا يجب على الدراسات العروضية أن تدرك أنها تدرس ظاهرة لغوية صوتية، ومن المنطقي في هذه الحالة توظيف مقولات علم اللغة في دراسة هذه الظاهرة.

### وتتلاعُّصُ أهمية هذه الدراسة في :

فهم تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيين المجاورين على مستوى المقاطع الصوتية. التأكُّد من صحة أحكام العروضيين في مسألة تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيين المجاورين.

سد الثغرة المتمثلة في عدم وجود دراسة عروضية مقطعة تناولت تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيين المجاورين على مستوى المقاطع الصوتية. تقديم تفسير علمي (مقطعي) لبعض الانطباعات الشعورية حول قبول بعض الزحافات المجاورة واستهجان بعضها.

### الدراسات السابقة :

يلحظ عزوف كُّتب العروض التعليمية عن تناول هذه الظاهرة، فضلاً عن الدراسات العلمية الحكمة في مجال العروض والإيقاع الشعري، لكن ثمة دراسات على وصلة وثيقة بموضوع البحث :

الدراسة الأولى : الزحاف والعلة : رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع  
للباحث أحمد كشك<sup>(١)</sup>

تناول الباحث في فصل من فصول الدراسة الكمية والزحافات والعلل، عرض فيه مفهوم المقطع الصوتي، وأنواعه في اللغة العربية، وخلص إلى أنه

---

(١) كشك، أحمد - الزحاف والعلة : رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٥ م.

محاولة أوروبية فرضت على الشعر من قبل المستشرين، لذا لم يتبنَّ هذا الطرح لأسباب عدّة منها:

تواتي المقاطع الصوتية لا يظهر أي نسق إيقاعي على المستوى الصوتي. اشتراك كل من المقطع القصير المغلق والمقطع الطويل المفتوح في الرمز العروضي نفسه على الرغم من اختلافهما من حيث الكلم.

أن الأسباب والأوتاد تختلف من حيث أعداد المقاطع، وعليه رفض أن تكون هذه الوحدات الصغرى المكونة للتفعيلة هي الأساس الكمي للشعر.

وتوصل إلى أن أساس الكلم الشعري هو كم التفعيلة الذي يحدد مدة مقابلة اللغوي. ولا يختلف مع الباحث في أن تواتي المقاطع الصوتية لا يظهر أي نسق إيقاعي على المستوى الصوتي، فلابد من وجود نظام هندسي لتواليها، وهكذا تتكامل الكمية مع الكيفية، وهو نظام لا يساوي بين السبب الخفيف والوتد (المجموع أو المفروق)، فالسبب الخفيف يتكون من مقطع صوتي واحد، والوتد (المجموع أو المفروق) يتكون من مقطعين صوتيين، لذا فإن المقاطع الصوتية المكونة للأسباب هي في علاقة تقابل مع المقاطع الصوتية المكونة للأوتاد ضمن حديّ التفعيلة، وهذا قانون ثابت في أي إيقاع، فلابد من تقابل نزعتين متضادتين حتى يتشكل أي نسق إيقاعي، يضاف إلى ذلك أن الأوتاد تستقر في مواضع متناظرة من حيث الكيف، وتساوى في أن أعداد المقاطع المكونة لها من حيث الكلم، ويولد الإيقاع من خلال الجمع بين تفعيلتين مختلفتين كما وكيفا، لتناظر موقع الأوتاد، لذا عند إنشاد الشطر الواحد تبرز مقاطع متناظرة في مواقعها، ومتساوية في أعدادها، على الرغم من اختلافها كما وكيفا.<sup>(١)</sup>

---

(١) للتوسيع في هذا الطرح لهندسة المقاطع الصوتية في الشعر العربي يمكن الإفادة من:

أما عن اشتراك كلٌ من المقطع القصير المغلق والمقطع الطويل المفتوح في الرمز العروضي نفسه، فلا شك في أنهما مقطوعان مختلفان من حيث الكم اللغوي، ولكن هذا الاختلاف لا يعني أنهما متباينان كثيراً من حيث الكم الفيزيقي لهما، لذا منحنا في علم العروض الرمز نفسه.

الدراسة الثانية: توظيف المصطلح اللساني في دراسة العروض العربي /المجلة الأردنية للغة العربية /٢٠٠٨م، للباحث حسام محمد أيوب<sup>(١)</sup> وظف الباحث مصطلح المقطع الصوتي في دراسة الزحافات والعلل دون الالتزام بسميات الخليل لها، كما جمع بين أنواع مختلفة منها في نوع واحد لانطباق تحول مقطعي واحد عليها جميعاً، وفرق الباحث بين ثلاثة أنماط من الزحاف:

النمط الأول: ويتمثل في تحول (المقطع القصير المغلق أو الطويل المفتوح) إلى المقطع القصير المفتوح، ويقع في التفعيلات التالية:

ب ب -	فَعِلْنُ	- ب -	فَاعِلْنُ
ب ب - -	فَعَلَائِنُ	- ب - -	فَاعَلَائِنُ
ب - - ب	مَعُولَاتُ	- - ب	مَفْعُولَاتُ
ب - ب -	مُتَفْعِلُنُ	- - ب -	مُسْتَفْعِلُنُ
- ب ب -	مُسْتَعِلُنُ	- - ب -	مُسْتَفْعِلُنُ

أيوب، حسام محمد - النوى الإيقاعية في بحور الشعر العربي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات ع: ٩، ٢٠١٢م، ص ١٥٧ - ٢٠٢

(١) أيوب، حسام محمد- "توظيف المصطلح اللساني في دراسة العروض العربي" المجلة الأردنية للغة العربية، المجلد (٤) العدد: (٤) (٢٠٠٨م) ص ٢٤٢ - ٢٢٠

مَفْعُولَاتُ	ب	مَفْعُولَاتُ
فَعُولُ	ب	فَعُولُ
مَفَاعِلُنْ	ب	مَفَاعِلُنْ
مَفَاعِيلُنْ	ب	مَفَاعِيلُنْ
فَاعِلَاتُ	ب	فَاعِلَاتُ
مُسْتَفْعِلُ	ب	مُسْتَفْعِلُ
فَعِلَاتُ	ب	فَاعِلَاتُ
مُتَعَلِّنْ	ب	مُسْتَفْعِلُنْ

لنمط الثاني: وفيه يتحول المقطعان المتاليان القصيران المفتوحان إلى

(مقطع قصير مغلق أو طويل مفتوح)، ويقع في تفعيلتين هما:

— — ب —	مُتَفَاعِلْنُ	ب ب — ب	مُتَفَاعِلْنُ
— — — ب	مُفَاعَلْتُنُ	ب — ب ب —	مُفَاعَلْتُنُ

النحو الثالث: يقوم هذا النحو على حذف مقطع قصير مفتوح من التفعيلة، وهو نادر الورق، ويقع في تفعيلتين هما:

ب - ب -	مَفَاعِلُنْ	ب ب - ب -	مُفَاعِلُنْ
ب - ب -	مُفَاعِتُنْ	ب - ب ب -	مُفَاعِتُنْ

ملحوظة: قد يجتمع النمط الأول والنمط الثاني من الزحاف في التفعيلة

ذاتها مثل :

مُتَفَعِّلُونْ مُتَعَالِلُونْ

مُفَاعَلَتُنْ

ب - ب ب -

مُفَاعَلَتُ

ب - - ب

وتتناول الدراسة أيضاً قضايا مهمة لكنها ليست في صلب دراستي كعمل الزيادة والنقص من حيث المقاطع الصوتية، ومكونات القافية من حيث الصوامت والصوائب، واكتفيت بعرض الجانب الذي سأتفع به في دراستي، لأنّه سيعطيني أفقاً أوسع في فهم الزحاف من خلال التركيز على قوانينه العامة، وعدم الاقتصار على الفروق القائمة بين الزحافات، لتفسير سبب إتاحته، أو تقييده، أو وجوبه.

الدراسة الثالثة: ما يلزم من الزحاف دراسة عروضية رقمية / مجلة الآداب

جامعة الملك سعود، ٢٠١٦ م. للباحث حسام محمد أيوب <sup>(١)</sup>

وتقطاع هذه الدراسة مع بحثي، لأنّها تتناول ظاهرة لزوم الزحاف، لكنها لا تشمل ما أسمّيته بوجوب تناوب الزحاف بين السبيّن الخفيّين المتجاورين، فالدراسة تركز على الزحاف اللازم في تفعيل العروض والضرب، ولم تتطرق للزحاف اللازم في الحشو مثل: قبض (مَفَاعِلُنْ) في بحر المضارع، وطي (مَفْعُولَاتُ ) في بحر المقتضب، لذا عندما تحدث الباحث عن بحر المقتضب عرض لطي العروض والضرب، لأن دراسته رقمية، والتغيير الرقمي لا يكون إلا في تفعيل العروض والضرب، فهما موضعاً العلل، أما الزحاف في الحشو فلا يغير من تلك المنظومات الرقمية، لذا لم يعنَ به الباحث، على الرغم من إشارته إلى شيوع الطي في الحشو مع ندرة الخبن، لأنّ زحاف الطي لم يرتبط بعلة، ولم يطرأ أي تغيير على المنظومة الرقمية، كما أنّ الطي يشيع

(١) أيوب، حسام محمد - ما يلزم من الزحاف دراسة عروضية رقمية، مجلة الآداب

جامعة الملك سعود، مج ٢٨ ع: ١ يناير ٢٠١٦ م، ص ٣٠ -

في حشو المقتضب، مع ندرة الخبن (مَعْوِلَاتُ)، وعند المقارنة بين نسق توالى المقاطع عند اجتماع الطيين يلحظ الباحث أن كل نواة تتكون من مقطعين صوتيين في تعاقب مستمر (مقطع طويل مفتوح - فمقطع قصير مفتوح ب) في تفعيلة (مَفْعَلَاتُ)، وكذلك في تفعيلة (مُسْتَعِلُنُ).

#### منهج الدراسة :

سأحاول الجماع في هذه الدراسة بين الدرس العروضي والصوتيات بوصفها مستوى من مستويات اللسانيات وفرعا من فروعها.

**المبحث الأول: إتاحة تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاوريين**

**المطلب الأول: إتاحة تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاوريين في تفعيلة (مُسْتَفْعِلُنُ)**

- الصور الأربع لتفعيلة (مُسْتَفْعِلُنُ ) في بحور (الرجز<sup>(١)</sup> ، والبسيط<sup>(٢)</sup> ، والسريع<sup>(٣)</sup> ) لإتاحة تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاوريين.

---

(١) ينظر: (الأخفش، كتاب العروض، ص ٥٤، أبو الحسن العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص ١٣٣، ٢٠٥، ابن جني، كتاب العروض، ص ١٠٩، أبو الحسن الريعي، كتاب العروض، ص ٣٩)

(٢) ينظر: (الأخفش، كتاب العروض، ص ٥٤، ابن السراج، كتاب العروض، ص ٤٢٢، أبو الحسن العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص ١١٠، ابن جني، كتاب العروض، ص ٧٩)

(٣) ينظر: (الأخفش، كتاب العروض، ص ٥٤، ٥٥، أبو الحسن العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص ١٤٣، ابن جني، كتاب العروض، ص ١٢٣، ١٢٤، أبو الحسن الريعي، كتاب العروض، ص ٤٦)

ت تكون تفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ) من سببين خفيين و وتد مجموع ، و عليه يمكن أن ترد على أربع صور بسبب إتاحة التناوب بين السببين الخفيين المتجاورين :

الصورة الأولى : مُسْتَفْعِلُنْ - ب - سالمة

قول الشاعر :

دار لسلمى إد سليمى جاره // قفر ترى آياتها مثل الزبر<sup>(١)</sup>  
مُسْتَفْعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ  
الصورة الثانية : مُتَفْعِلُنْ ب - ب - محبونة

قول الشاعر :

أرد من الأمور ما ينبغي // وما تُطِيقه وما يستقيم<sup>(٢)</sup>  
مُتَفْعِلُنْ / مُتَفْعِلُنْ / مفعلاً // مُتَفْعِلُنْ / مُتَفْعِلُنْ / مفعلات  
الصورة الثالثة : مُسْتَعِلُنْ - ب ب - مطوية

قول الشاعر :

ارتحلوا غدوة فانطلقوا بكرًا // في زمرٍ منهم يتبعها زمر<sup>(٣)</sup>  
مُسْتَعِلُنْ / فاعلن / مُسْتَعِلُنْ / فعلن // مُسْتَعِلُنْ / فاعلن / مُسْتَعِلُنْ / فعلن  
الصورة الرابعة : مُتَعِلُنْ ب ب - خبولة

قول الشاعر :

وَثَقَلَ مَنَعَ خَيْرَ طَلَبٍ // وَطَلَبَ مَنَعَ خَيْرَ ثُؤَدَه<sup>(٤)</sup>

(١) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ٧٧

(٢) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ٩٩

(٣) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ٤٥

(٤) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ٨١

مُتَعْلِنْ / مُتَعْلِنْ / مُتَعْلِنْ // مُتَعْلِنْ / مُتَعْلِنْ / مُتَعْلِنْ

إن تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في تفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ)

يتيح إنتاج أربعة أنماط مقطوعية لأول مقطعين صوتيين في التفعيلة وهي :

الأول : ( - ) مثل : (مُسْتَفْ ) وهمما مقطعان صوتيان طويلاً مفتوحان

أو قصيران مغلقان.

الثاني : ( ب - ) مثل : (مُ تَفْ ) وهمما مقطعان صوتيان : الأول قصير

مفتوح ، والثاني (طويل مفتوح أو قصير مغلق).

الثالث : ( - ب ) مثل : (مُسْتَ ) وهمما مقطعان صوتيان : الأول (طويل

مفتوح أو قصير مغلق) والثاني قصير مفتوح .

الرابع : ( ب ب ) مثل : (مُتَ ) وهمما مقطعان صوتيان قصيران مفتوحان.

ولا يجد المتكلم بالعربية ثقلاً في هذه الأنماط الأربع ( - ) ( ب - ) ( -

ب ) ( ب ب ) لذا أتيح التناوب بلا قيود أو وجوب.

ويلاحظ في الصورة الرابعة توالياً ثلاثة مقاطع صوتية قصيرة، لوجود وتد

مجموع بعد السبيبين المزاحفين ، وهو نمط مستقبح حتى إن تفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ)

في عروض المسرح امتنع وورودها محبولة على صورة (مُتَعْلِنْ).

ومما يؤكّد هذا الرأي :

ما قاله الأخفش عن تفعيلة (مُتَعْلِنْ) : " وأما الرجز (فَعَلَتْنُ ) فيه أحسن

منه في البسيط ، والسريع ، لأن الرجز يستعملونه كثيراً، وإنما وضعوه

للحداء ، والحداء غناوهم وكلامهم إذا كانوا في عمل أو سوق إبل ، فالحذف

ما يكثُر" <sup>(١)</sup> ، وعليه فإن الأخفش لم يستحسن (مُتَعْلِنْ) بشكل عام ، وسوغ

(١) الأخفش ، كتاب العروض ، ص ٥٤

قبولها في الرجز بأسباب عده: كالغناه وكثرة الاستخدام مما يستدعي الحذف.  
ويقول ابن السراج: "وليس في الشعر أربعة أحرف متتالية متحركة إلا في  
مزاحف وهو قليل"<sup>(١)</sup>.

كما أشار أبو الحسن العروضي إلى أن كثرة المتحركات المتواالية أي:  
(المقاطع الصوتية القصيرة المفتوحة) هي من خصائص النثر، وفي هذا يقول:  
فأما الكلام فقد تتوالى ست حركات وأكثر إذا كان ذلك في كلمتين مثل:  
(ذهب سكن) و (سلس حسن)، فاما الشعر فلا يجوز أن تتوالى فيه أكثر من  
أربع حركات وذلك قليل، وليس ذلك يحسن في الإنشاد."<sup>(٢)</sup>

ولم يكن العروضيون يستسيغون توالياً أكثر من ثلاثة متحركات بعدهما  
ساكن أي: أكثر من مقطعين قصيرين مفتوحين بعدهما مقطع (طويل مفتوح  
أو قصير مغلق) أي: فاصلة صغرى.

وتجدر الإشارة إلى أن تعبير: أربعة حروف أو أربع حركات<sup>(٣)</sup> يدل على  
ثلاثة مقاطع صوتية قصيرة مفتوحة، لأن المتحرك الرابع يكون جزءاً من مقطع  
تالٍ (قصير مغلق أو طويل مفتوح) مثل: (شبَّكَةٌ) تتكون من: (شَ + بَ + كَ)  
+ (ثُنْ).

وفيما يلي بيان لمواضع إتاحة تناوب الزحاف بين السبيبين في بحور الرجز  
والبسيط والسريع

(١) ابن السراج، كتاب العروض، ص ٤١٤، ٤١٥

(٢) أبو الحسن العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص ٥٣

(٣) ويعرف أيضاً بالفاصلة الكبرى، ويعرفها ابن جنى بقوله: "والكبيرة أربعة أحرف  
متحركة بعدها ساكن، نحو (ضرَّبَتْ)" ابن جنى، كتاب العروض، ص ٦١

جدول رقم (١)

إاتحة تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين في بحر الرجز

عُلُنْ	مُسْتَفْ	عُلُنْ	مُسْتَفْ	عُلُنْ	مُسْتَفْ
- ب	- -	- ب	- -	- ب	- -
وتد مجموع	سيبيان خفيفان	وتد مجموع	سيبيان خفيفان	وتد مجموع	سيبيان خفيفان
إاتحة التناوب بلا قيود أو وجوب			إاتحة التناوب بلا قيود أو وجوب		إاتحة التناوب بلا قيود أو وجوب
مُسْتَفْعِلُنْ		مُسْتَفْعِلُنْ		مُسْتَفْعِلُنْ	

جدول رقم (٢)

إاتحة تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين في بحر البسيط

عُلُنْ	فَ	عُلُنْ	مُسْتَفْ	عُلُنْ	فَاً	عُلُنْ	مُسْتَفْ
- ب	ب	- ب	- -	- ب	-	- ب	- -
وتد مجموع	سبب خفيف	وتد مجموع	سيبيان خفيفان	وتد مجموع	سبب خفيف	وتد مجموع	سيبيان خفيفان
			إاتحة التناوب بلا قيود أو وجوب				إاتحة التناوب بلا قيود أو وجوب

فَعِلْنُ	مُسْتَفْعِلْنُ	فَاعِلْنُ	مُسْتَفْعِلْنُ
----------	----------------	-----------	----------------

### جدول رقم (٣)

إتاحة تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين في بحر السريع

لَا	مَفْعَمْ	عَلْنُ	مُسْتَفْتَ	عَلْنُ	مُسْتَفْتَ
-	- ب	ب -	--	ب -	--
وَتَدْ مَفْرُوقْ (١)	سَبِيَانْ خَفِيفَانْ	وَتَدْ مَجْمُوعْ	سَبِيَانْ خَفِيفَانْ	وَتَدْ مَجْمُوعْ	سَبِيَانْ خَفِيفَانْ
	الطي واجب في العروض والضرب باستثناء الضرب الأصلم (مَفْعُونْ)		إتاحة التناوب بلا قيود أو وجوب		إتاحة التناوب بلا قيود أو وجوب
	مَفْعَلَانْ	مُسْتَفْعِلْنُ		مُسْتَفْعِلْنُ	

(١) القول بأن (لا) هي وَتَدْ مَفْرُوقْ أو ما تبقى منه بصورة أدق لا يعتمد على الأصل العروضي فحسب ، وإنما يعتمد على نظام هندسة المقاطع الصوتية في العروض العربي ، وهو نظام يوجب تناول الأوتاد ، فالوَتَدْ (عَلْنُ) في التفعيلة الأولى يناظر الوَتَدْ (عَلْنُ) في التفعيلة الثانية وبينهما مقطعان صوتيان ، وهذا يستدعي أن يرد الوَتَدْ الثالث (لات أو لا) بعد مقطعين صوتين أيضا.

تجدر الإشارة إلى عدم إتاحة التناوب في (مُسْتَفْعِلُنْ) في بحر المقتضب لكون التناوب مقيداً بين (مُتَفْعِلُنْ) أو (مُسْتَعِلُنْ) في تفعيلة العروض، فضلاً عن لزوم زحاف الطyi (مُسْتَعِلُنْ) في الضرب.

**المطلب الثاني:** إتاحة تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين في تفعيلة (مَفْعُولَاتُ).

- الصور الأربع لتفعيلة (مَفْعُولَاتُ) في بحر المسرح<sup>(١)</sup> لإتاحة تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين.

ت تكون تفعيلة (مَفْعُولَاتُ ) من سبيبين خفيفين ووتد مفروق، ويمكن أن ترد على أربع صور بسبب إتاحة التناوب بين السبيبين الخفيفين المجاورين:

الصورة الأولى: مَفْعُولَاتُ - - - ب سالمة

قول الشاعر:

إِنَّ ابْنَ زِيدٍ لَا زَالَ مُسْتَعِلًا // لِلخَيْرِ يُفْشِي فِي مَصْرِهِ الْعُرُفًا<sup>(٢)</sup>  
مُسْتَفْعِلُنْ / مَفْعُولَاتُ / مُسْتَعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / مَفْعُولَاتُ / مُسْتَعِلُنْ

الصورة الثانية: مَعُولَاتُ ب - - ب مخونة

قول الشاعر:

مَنَازِلُ عَفَاهُنَّ بَذِي الْأَرَا (م) لَكُ كُلُّ وَايْلٍ مُسْبِلٍ هَطِيل<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر: (الأخفش)، كتاب العروض، ص ٥٥، ابن السراج، كتاب العروض، ص ٤٣٤، أبو الحسن العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص ١٤٨، ابن جني، كتاب العروض، ص ١٢٩

(٢) الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص ١٠٣

(٣) الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص ١٠٦

مُتَفَعِّلُنْ / مَعُولَاتُ / مَتَفَعِلُنْ / / مُتَفَعِّلُنْ / مَعُولَاتُ / مُسْتَعِلُنْ

الصورة الثالثة: مَفْعَلَاتُ - ب - ب مطوية

كقول الشاعر:

إِنْ سُمِّيَّاً أَرَى عَشِيرَتَه / / قَدْ حَلِبُوا دُونَهُ وَقَدْ أَنْفَوَا<sup>(١)</sup>

مُسْتَعِلُنْ / مَفْعَلَاتُ / مَسْتَعِلُنْ / / مُسْتَعِلُنْ / مَفْعَلَاتُ / مُسْتَعِلُنْ

الصورة الرابعة: مَعَلَاتُ ب ب - ب مخولة

كقول الشاعر:

وَبَلَدٌ مُتَشَابِهٌ سَمَّتُهُ / / قَطَعَهُ رَجُلٌ عَلَى جَمَلَه<sup>(٢)</sup>

مُتَعِلُنْ / مَعَلَاتُ / مُسْتَفْعِلُنْ / / مُتَعِلُنْ / مَعَلَاتُ / مُسْتَعِلُنْ

إن تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في تفعيلة (مَفْعُولَاتُ)

وفي تفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ)<sup>(٣)</sup> يتيح إنتاج أربعة أنماط مقطوعية لأول مقطعين

صوتين في التفعيلة وهي :

الأول: (- -) مثل: (مَفْ عُوْ) أو (مُسْ تَفْ) وهمما مقطعان صوتيان طويلان مفتوحان أو قصيران مغلقان.

الثاني: (ب -) مثل: (مَ عُوْ) أو (مُ تَفْ) وهمما مقطعان صوتيان:

الأول قصير مفتوح والثاني (طويل مفتوح أو قصير مغلق).

الثالث: (- ب) مثل: (مَفْ عَ) أو (مُسْ تَ) وهمما مقطعان صوتيان:

الأول (طويل مفتوح أو قصير مغلق) والثاني قصير مفتوح.

(١) الخطيب التبريزى، كتاب الكافى في العروض والقوافي، ص ١٠٦

(٢) الخطيب التبريزى، كتاب الكافى في العروض والقوافي، ص ١٠٧

(٣) إن إتاحة التناوب في (مستفعلن) في بحر المسرح في أول الشطرين ماثل لما ذكر في  
الرجز والسريع والبسيط.

الرابع: (ب ب) مثل: (م ع) أو (م ت) وهمما مقطعان صوتيان قصيران مفتوحان.

ولا يجد المتكلم بالعربية ثقلاً في هذه الأنماط الأربع: (ب -) (ب -) (ب ب) (ب ب) لذا أتيح التناوب بلا قيود أو وجوب.

وفيما يلي بيان لموضع إتاحة تناوب الزحاف بين السبيبين في بحر المسرح حيث يقع التناوب في: التفعيلة الأولى (مُسْتَفْعِلُنْ) من شطري المسرح، لأن التناوب في العروض مقيد بعدم الجمع بين الخبن والطي من جهة، وللزوم الطyi في الضرب من جهة أخرى. وفي تفعيلة (مَفْعُولَاتُ ) في الحشو.

#### جدول رقم (٤)

إتاحة تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في بحر المسرح

عُلُنْ	مُسْتَ	لَاتُ	مَفْعُو	عُلُنْ	مُسْتَفْ
- ب	- ب	- ب	- -	ب -	- -
وتد	سبيان	وتد	سبيان	وتد	سبيان خفيفان
مجموع	خفيفان	مفروق	خفيفان	مجموع	
تقيد التناوب في العروض، وتفعيلة الضرب مطوية وجوباً			إتاحة التناوب بلا قيود أو وجوب		إتاحة التناوب بلا قيود أو وجوب
مُسْتَعِلُنْ			مَفْعُولَاتُ		مُسْتَفْعِلُنْ

## المبحث الثاني: تقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في تفعيلة واحدة

المطلب الأول: تقيد تناوب الزحاف بين (القبض أو الكف) لتفعيلة (مَفَاعِيلُنْ) في بحر الطويل

- الصور الثلاث لتفعيلة (مَفَاعِيلُنْ) في بحر الطويل <sup>(١)</sup> لتقييد التناوب بين السبيبين الخفيفين المتجاورين.

الصورة الأولى: مَفَاعِيلُنْ ب - - - سالمة

كما في قول الشاعر:

أقيموا بني النعمان عنّا صدوركم // وإلّا تقيموا صاغرين الرُّؤوسا  
فَعُولُنْ / مَفَاعِيلُنْ / فَعُولُنْ / مَفَاعِيلُنْ / فَعُولُنْ / مَفَاعِيلُنْ / فَعُولُنْ / مَفَاعِيلُنْ

الصورة الثانية: مَفَاعِيلُنْ ب - ب - مقبوسة

كما في قول الشاعر:

أطلبُ مَنْ أسوُدُ بِيَشَةَ دُونَهُ // أبو مطرِّ وعامرٌ وأبو سعدٍ <sup>(٣)</sup>  
فَعُولُ / مَفَاعِيلُ / فَعُولُ / مَفَاعِيلُ / فَعُولُ / مَفَاعِيلُ / فَعُولُ / مَفَاعِيلُ

الصورة الثالثة: مَفَاعِيلُ ب - ب مكفوفة

(١) ينظر: (الأخفش، كتاب العروض، ص ٥٣، ٥٤، الزجاج، كتاب العروض، ص ١٤٢، ابن السراج، كتاب العروض، ص ٤١٨، أبو الحسن العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص ٩٨، الجوهري، عروض الورقة، ص ٦)

(٢) الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص ٢٤

(٣) الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص ٢٨

كما في قول الشاعر:

شاقَّتْكَ أحَداجُ سُلَيْمَى بِعَاقِلٍ // فَعِينَاكَ لِلَّبِينِ تَجُودَانِ بِالدَّمَعِ<sup>(١)</sup>  
عُولُونُ / مَفَاعِيلُ / فَعُولُونُ / مَفَاعِيلُنُ / // فَعُولُونُ / مَفَاعِيلُ / فَعُولُونُ /  
مَفَاعِيلُنُ

إن تقييد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين في تفعيلة (مَفَاعِيلُنُ ) يتيح إنتاج ثلاثة أنماط مقطعية لآخر مقطعين صوتين في التفعيلة وهي :

الأول: ( - ) مثل: (عِيْ لُنْ ) وهمما مقطعان صوتيان طويلان مفتوحان أو قصيران مغلقان.

الثاني: ( ب - ) مثل: (ع لُنْ ) وهمما مقطعان صوتيان: الأول قصير مفتوح، والثاني (طويل مفتوح أو قصير مغلق).

الثالث: ( - ب ) مثل: (عِيْ لُ ) وهمما مقطعان صوتيان: الأول (طويل مفتوح أو قصير مغلق)، والثاني: قصير مفتوح.

ولايجد المتكلم بالعربية ثقلا في هذه الأنماط الثلاثة ( - ) ( ب - ) ( - ب ) ولكن يلحظ انخفاض عدد الصور الفرعية إلى ثلاث صور بدلًا من أربع كما رأينا في إتاحة التناوب، بسبب وجود قيد عدم الجمع بين مزاحفة السبيبين، فلا يجوز أن ترد (مَفَاعِيلُنُ ) مقبوسة ومكفوفة معا، فما تفسير هذا الانخفاض؟

ذكرت في المبحث الأول قبول الذوق العربي توالى المقطعين الصوتين القصيرين ( ب ب ) ولكنه في بحر الطويل، وعند الجمع بين الزحافين تتواتى

(١) الخطيب التبريزى، كتاب الكافى في العروض والقوافي، ص ٢٨

ثلاثة مقاطع صوتية قصيرة مفتوحة لوجود مقطع قصير مفتوح بعد السبيبين الخفيفين المجاورين يشكل بداية الوتد المجموع.<sup>(١)</sup>

ويقدم الزجاج تفسيراً لهذه الظاهرة بقوله: "إلا أن تأويل المعاقبة أن الحرفين لا يجتمعان في الحذف، وإنما لم يجتمعوا لأنهما ليسا بعده وتد يعتمد عليه السبيبان في حذفها"<sup>(٢)</sup> ويقول في موضع آخر: "ولا تمحفف الياء ولا النون معاً، لأنهما ليسا بعدهما وتد متصل بهما فيعتمد عليه بالحذف"<sup>(٣)</sup> أي أن علة عدم الجمع بين الزحافين هي عدم وجود وتد بعد السبيبين في التفعيلة نفسها يعتمد عليه.

وفيما يلي بيان لوضع تقييد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين في بحر الطويل

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن توالي ثلاثة مقاطع صوتية قصيرة مفتوحة في الشعر العربي مقتصر على تفعيلة واحدة فقط هي تفعيلة (مُتَعَلِّنْ ب ب ب -) في بحور: الرجز والسريع والمسرح، وامتنع وروده في الكامل في تفعيلة (مُفَعَّلْنْ ب ب ب -) الموقوضة المخزولة.

وعلى الرغم من قبول تفعيلة (مُتَعَلِّنْ ب ب ب -) من الناحية النظرية إلا أنها: تفعيلة نادرة الورود، وتعد زحافاً مستقبلاً يعرف (بالخبل) من جهة. فضلاً عن امتناعها في عروض المسرح من جهة ثانية.

وهو توالي يقع في تفعيلة واحدة قبل وتد من جهة ثالثة.

ويقع في تفعيلة واحدة وليس بين تفعيلتين من جهة رابعة.

(٢) الزجاج، كتاب العروض، ص ١٤٢

(٣) الزجاج، كتاب العروض، ص ١٥٤

جدول رقم (٥)

تقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في بحر الطويل

عِلْنُ	مَقَاعِنُ	لُنْ	فَعُونُ	عِيلْنُ	مَقَاعِنُ	لُنْ	فَعُونُ
ب -	- ب	-	- ب	- -	- ب	-	- ب
سبيان	وتد	سبب	وتد	سبيان	وتد	سبب	وتد
خفيفان	مجموع	خفيف	مجموع	خفيفان	مجموع	خفيف	مجموع
القبض واجب في العروض				تقيد التناوب بعدم الجمع بين القبض والكف			
مَقَاعِلُنْ		فَعُولُنْ		مَقَاعِلُنْ		فَعُولُنْ	

**المطلب الثاني:** تقيد تناوب الزحاف بين (القبض أو الكف) لتفعيلة (مَفَاعِلُنْ) في بحر المزج  
الصور الثلاث لتفعيلة (مَفَاعِلُنْ) في بحر المزج <sup>(١)</sup> لتقيد التناوب بين

(١) ينظر: (الأخفش)، كتاب العروض، ص ٥٣، ٥٤، الزجاج، كتاب العروض، ص ١٥٤، أبو الحسن لعروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص ١٢٧، ٢٠٤، ابن القطاع، كتاب البارع في علم العروض، ص ١٤٩

السبعين الخفيفين المجاورين  
الصورة الأولى: مَفَاعِيلُنْ ب - - - سالمة  
كما في قول الشاعر:

وَمَا ظَهَرَ لِبَاغِيِ الْضَّيْمِ بِالظَّهَرِ الدَّلَوِ<sup>(١)</sup>  
مَفَاعِيلُنْ / مَفَاعِيلُنْ / مَفَاعِيلُنْ / مَفَاعِيلُنْ  
الصورة الثانية: مَفَاعِيلُنْ ب - ب - مقبوسة  
كما في قول الشاعر:

فَقُلْتُ لَا تَخْفُ شَيْئاً / / فَمَا عَلَيْكَ مِنْ بَأْسٍ<sup>(٢)</sup>  
مَفَاعِيلُنْ / مَفَاعِيلُنْ / مَفَاعِيلُنْ / مَفَاعِيلُنْ  
الصورة الثالثة: مَفَاعِيلُنْ ب - ب مكفوفة  
كما في قول الشاعر:

فَهَذَا يَنْدُو دَان / / وَذَا مِنْ كَثَبٍ يَرْمِي<sup>(٣)</sup>  
مَفَاعِيلُ / مَفَاعِيلُ / مَفَاعِيلُ / مَفَاعِيلُ

ويلاحظ أيضاً انخفاض عدد الصور الفرعية إلى ثلاثة صور بدلاً من أربع  
كما رأينا في إتاحة التناوب، بسبب وجود قيد عدم الجمع بين مزاحفة  
السبعين، فلا يجوز أن ترد (مَفَاعِيلُنْ) مقبوسة ومكفوفة معاً، فما تفسير هذا  
الانخفاض؟

لا يرجع السبب إلى النمط المقطعي (ب ب) وإنما يرجع إلى البنية المقطعة لبيت  
الهزج، ففي الجمع بين الزحافتين تتوالى ثلاثة مقاطع صوتية قصيرة لوجود مقطع

(١) الخطيب التبريزى، كتاب الكافى في العروض والقوافي، ص ٧٤

(٢) الخطيب التبريزى، كتاب الكافى في العروض والقوافي، ص ٧٤

(٣) الخطيب التبريزى، كتاب الكافى في العروض والقوافي، ص ٧٥

قصير مفتوح بعد السبيبين الخفيفين يشكل بداية الوتد المجموع (مَفَّا).  
وفيما يلي بيان لوضع تقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين في بحر الهزج  
جدول رقم (٦)

### تقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في بحر الهزج

عِيْلُنْ	مَفَّا	عِيْلُنْ	مَفَّا
--	ب -	--	ب -
سبيان خفيفان	وتد مجموع	سبيان خفيفان	وتد مجموع
الضرب سالم أو مخدوف (١)	تقيد التناوب بعدم الجمع بين القبض والكف		
مَفَّاعِيلُنْ		مَفَّاعِيلُنْ	

**المطلب الثالث:** تقيد تناوب الزحاف بين (العقل أو النقص) لتفعيله  
(مُفَّاعِلُنْ) المقصوبة في بحر الوافر  
الصور الثلاث لتفعيله (مُفَّاعِلُنْ) المقصوبة في بحر الوافر<sup>(٢)</sup> لتقيد

(١) قد يرد زحاف الكف في عروض الهزج دون أن يكون ملزما، إلا أنه لا يرد في  
الضرب لعدم جواز الوقف على مقطع قصير مفتوح في الشعر العربي. ينظر: خلوصي،  
فن التقسيط الشعري، ص ١١٨، ١١٩.

(٢) ينظر: (الأخفش، كتاب العروض، ص ٥٣، أبو الحسن العروضي، الجامع في  
العروض والقوافي، ص ١١٥، ٢٠١، الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض  
والقوافي، ص ٥٣، الزمخشري، القسطناس في علم العروض، ص ٤٠)

التناوب بين السبيبين الخفيفين المتجاورين

الصورة الأولى: مُفَاعِلْتُنْ ب - - - معصوبة

كما في قول الشاعر:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدْعُهُ // وَجَاؤَهُ إِلَى مَا تَسْتَطِعُ<sup>(١)</sup>

مُفَاعِلْتُنْ / مُفَاعِلْتُنْ / مُفَاعِلْ / مُفَاعِلْتُنْ / مُفَاعِلْتُنْ / مُفَاعِلْ

الصورة الثانية مُفَاعِلْتُنْ ب - ب - معقوله

كما في قول الشاعر:

مَنَازِلُ لَفَرْتَنَا قَفَارُ // كَائِنَّا رَسُومُهَا سَطُورُ<sup>(٢)</sup>

مُفَاعِلْتُنْ / مُفَاعِلْتُنْ / مُفَاعِلْ / مُفَاعِلْتُنْ / مُفَاعِلْتُنْ / مُفَاعِلْ

الصورة الثالثة: مُفَاعِلْتُ ب - ب منقوصه (عصب+كاف)

كما في قول الشاعر:

لِسَلَامَةَ دَارُ بِحَفِيرٍ // كَبَّاقي الْخَلَقِ السَّحْقِ قَفَارُ<sup>(٣)</sup>

مُفَاعِلْتُ / مُفَاعِلْتُ / مُفَاعِلْ / مُفَاعِلْتُ / مُفَاعِلْتُ / مُفَاعِلْ

ويلاحظ أيضاً انخفاض عدد الصور الفرعية إلى ثلاثة صور بدلاً من أربع كما رأينا في إتاحة التناوب، بسبب وجود قيد عدم الجمع بين مزاحفة السبيبين، فلا يجوز أن ترد (مُفَاعِلْتُنْ) معقوله ومنقوصه معاً، فما تفسير هذا الانخفاض؟

لا يرجع السبب إلى النمط المقطعي (ب ب) وإنما يرجع إلى البنية المقطعيه

(١) الخطيب التبريزى، كتاب الكافى في العروض والقوافي، ص ٥٤

(٢) الخطيب التبريزى، كتاب الكافى في العروض والقوافي، ص ٥٥

(٣) الخطيب التبريزى، كتاب الكافى في العروض والقوافي، ص ٥٥

لبيت الواffer: فعند مزاحفة السبيين تتوالى ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة لوجود وتد مجموع بعد السبيين يمثل بداية التفعيلة التالية لهما. وفي هذا يقول الأخفش: " ولم يسقطوا نون مفَاعَلْتُنْ لأن فيها ثلاثة أحرف متحركة وبعدها حرفان متحركان فتجمع خمسة متحركات" <sup>(١)</sup>

تجدر الإشارة إلى أن كلام الأخفش ينطبق على (مُفَاعَلْتُنْ) السالمة من العصب ، وفي هذه الحالة تتوالى أربعة مقاطع صوتية قصيرة مفتوحة ، وهو ما يعرف بتوالي خمسة متحركات.

وفيما يلي بيان لوضع تقيد تناوب الزحاف بين السبيين الخفيفين في بحر الواffer

جدول رقم (٧)

تقيد تناوب الزحاف بين السبيين الخفيفين المتجاورين في بحر الواffer

عِلْ	مُفَاعَلْ	عَلْتُنْ (عصب)	مُفَاعَلْ	عَلْتُنْ (عصب)	مُفَاعَلْ
-	- ب	- -	- ب	- -	- ب
سبب خفيف	وتدمجموع	سبيان خفيفان	وتدمجموع	سبيان خفيفان	وتدمجموع
العروض والضرب مقطوفان (عصب+حذف)		تقيد التناوب بعد الجمع بين العقل والنقص		تقيد التناوب بعد الجمع بين العقل والنقص	
مُفَاعَلْ		مُفَاعَلْتُنْ		مُفَاعَلْتُنْ	

(١) الأخفش، كتاب العروض، ص ٥٣

**المطلب الرابع :** تقيد تناوب الزحاف بين (الوقص والخزل) لتفعيلة (مُتَفَاعِلُنْ) المضمرة في بحر الكامل

- الصور الثلاث لتفعيلة (مُتَفَاعِلُنْ) المضمرة في بحر الكامل<sup>(١)</sup> لتقيد التناوب بين السبيبين الخفيين المجاورين.

الصورة الأولى: مُتَفَاعِلُنْ - - ب - مضمرة

كما في قول الشاعر:

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا // شَطْرِي وَأَحْمَي سَائِرِي بِالْمَنْصِل<sup>(٢)</sup>

مُتَفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلُنْ

الصورة الثانية: مُفَاعِلُنْ ب - ب - موقوصة

كما في قول الشاعر:

يَدْبُبُ عَنْ حَرِيمِهِ بِسِيفِهِ // وَرُمْجَهُ وَبَلْهُ وَيَحْتَمِي<sup>(٣)</sup>

مُفَاعِلُنْ / مُفَاعِلُنْ / مُفَاعِلُنْ / مُفَاعِلُنْ / مُفَاعِلُنْ

الصورة الثالثة: مُتَعْلِنْ - ب ب - مخولة (إضمار+طي)

كما في قول الشاعر:

مَنْزَلَةُ صَمَّ صَدَاهَا وَعَفَتْ // أَرْسُمُهَا إِنْ سُئِلْتُ لَمْ تُحِبْ<sup>(٤)</sup>

(١) ينظر: (الأخفش، كتاب العروض، ص ٥٣، أبو الحسن العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص ١٢٢، ٢٠١، ابن جنبي، كتاب العروض، ص ٩٦، أبو الحسن الريعي، كتاب العروض، ص ٣٢)

(٢) الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص ٦٥

(٣) الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص ٦٦

(٤) الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص ٦٦

مُتَفَعِّلُنْ / مُتَفَعِّلُنْ / مُتَفَعِّلُنْ / مُتَفَعِّلُنْ / مُتَفَعِّلُنْ

ويلاحظ كذلك انخفاض عدد الصور الفرعية إلى ثلاثة صور بدلاً من أربع كما رأينا في إتاحة التناوب، بسبب وجود قيد عدم الجمع بين مزاحفة السبيبين، فلا يجوز أن ترد (مُتَفَاعِلُنْ) موقعة ومحزولة معاً، فما تفسير هذا الانخفاض؟

لا يرجع السبب إلى النمط المقطعي (ب ب) وإنما يرجع إلى البنية المقطعيية لتفعيلة (متفاعلن)؛ فعند مزاحفة السبيبين الخفيفين تتوالى ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة في تفعيلة (مُفَعِّلُنْ) لوجود وتد مجموع في آخر التفعيلة.

وفيما يلي بيان لمواضع تقييد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين في بحر الكامل

#### جدول رقم (٨)

#### تقييد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في بحر الكامل

عُلُنْ	مُتَفَعِّلُنْ (إضمار)	عُلُنْ	مُتَفَعِّلُنْ (إضمار)	عُلُنْ	مُتَفَعِّلُنْ (إضمار)
- ب	- -	- ب	- -	- ب	- -
وتدم	سبيان خفيفان	وتدم	سبيان	وتدم	سبيان
مجموع		مجموع	خفيفان	مجموع	خفيفان
	تقييد التناوب بعدم الجمع بين الوقف والخzel		تقييد التناوب بعدم الجمع بين الوقف والخzel		تقييد التناوب بعدم الجمع بين الوقف والخzel
مُتَفَاعِلُنْ		مُتَفَاعِلُنْ		مُتَفَاعِلُنْ	

**المطلب الخامس:** تقييد تناوب الزحاف بين (الثبن أو الطي) لتفعيلة (مُسْتَفَعِلُنْ) في عروض المسرح.

الصور الثلاث لتفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ) في عروض المسرح<sup>(١)</sup> لقييد التناوب بين السبيبين الخفيفين المتجاورين  
الصورة الأولى: مُسْتَفْعِلُنْ - - ب - سالمة  
الصورة الثانية: مُتَفْعِلُنْ ب - ب - محبونة  
كما في قول الشاعر:

إِنَّ ابْنَ زِيدٍ لَا زَالَ مُسْتَعْمِلًا // لِلْخَيْرِ يُفْشِي فِي مَصْرِهِ الْعُرُفًا  
مُسْتَفْعِلُنْ / مَفْعُولَاتُ / مُسْتَفْعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / مَفْعُولَاتُ / مُسْتَعْلِنْ  
الصورة الثالثة: مُسْتَعْلِنْ ب - ب - محبونة

هذا من الناحية النظرية، فتفعيلة العروض المسرح إما سالمة أو مطوية، والخرين إن وجد فهو نادر. وتجدر الإشارة إلى أن منهج القياس في العروض معتبر، وأشار الأخفش في مواضع عدّة إلى عدم السمع والاعتماد على القياس، لكنه وضع ضابطاً له وذلك في قوله: "فِإِنْ لَمْ تَقْسِ الْجَزْءَ بِالْجَزْءِ لِزْمَكَ أَلَا تَزَاحِفَ فِي الْجَزْءِ إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي وَجَدَتْهُ مَزَاحِفًا"<sup>(٢)</sup> ويعني عدم جواز اتباع معايير مزدوجة في القياس، فالذّي يرفض القياس في الجزء لا يجوز له اتباع القياس في زحاف الجزء، لذا يلزمـه التـزام السـمع.

الصورة الثالثة: مُسْتَعْلِنْ - ب ب - مطوية  
إِنَّ سُلَيْمَى وَاللَّهُ يَكْلُلُهَا // ضَنَّتْ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزُقُهَا<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر: (الأخفش، كتاب العروض، ص ٥٦، أبو الحسن العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص ١٤٨، الخطيب التبريزى، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص ١٠٥، ١٠٦، ابن القطاع، كتاب البارع في علم العروض، ص، ١٧٦)

(٢) الأخفش، كتاب العروض، ص ٥٥

(٣) الخطيب التبريزى، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص ١٠٤

مُسْتَعِلُنْ / مَفْعُولَاتُ / مُسْتَعِلُنْ // مُسْتَغْفِلُنْ / مَفْعُولَاتُ / مُسْتَعِلُنْ

ويلاحظ كذلك انخفاض عدد الصور الفرعية إلى ثلاثة صور بدلًا من أربع كمارأينا في إتاحة التناوب ، بسبب وجود قيد عدم الجمع بين مزاحفة السبيبين الخفيفين المجاورين ، فلا يجوز أن ترد (مُسْتَغْفِلُنْ) مخونة ومطوية معا ، فما تفسير هذا الانخفاض ؟

لا يرجع السبب إلى النمط المقطعي (ب ب) وإنما يرجع إلى البنية المقطعيية  
لبيت المسرح :

إن وقوع الحين والطفي في تفعيلة (مُسْتَغْفِلُنْ) وتحولها إلى (مُتَعِلُنْ) المخولة يشكل توالياً ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة مسبوقة بقطع قصير مفتوح أيضاً هو تاء مَفْعُولَاتُ ، وعليه يصبح المجموع أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة ، وهو نمط مقطعي لم يرد في بحور الشعر العربي كافة ، بما فيها بحر الرجز.

وفي هذا يقول الأخفش : " اعلم أنه لا يجتمع في الشعر خمسة أحرف متحركة لا يفصل بينها ساكن ، كما لم يجتمع بين ساكنين ، وقد يكون فيه أربعة متحركة ولكن قليل " <sup>(١)</sup> ويقصد بالحروف الخمسة المتحركة أربعة مقاطع صوتية ، لأن المتحرك الخامس يتبعه ساكن ويشكلان معاً مقطعاً صوتياً واحداً ، وهو قصير مغلق أو طويل مفتوح ، لذا لا يتم احتسابه .

وفيمالي لبيان مواضع تقييد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين في بحر المسرح

---

(١) الأخفش ، كتاب العروض ، ص ٤٢

### جدول رقم (٩)

تقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في عروض المسرح

عِلْنُ مُسْتَفْ	لَاتُ مَفْعُوْ	عِلْنُ مُسْتَفْ
ب - --	- ب - -	ب - -
وتـد مـجمـوع	سـبـيـان خـفـيـفـان	وتـد مـفـرـوـق
تقـيـيدـ التـنـاـوب بعـدـ الـجـمـع بيـنـ الـخـبـنـ والـطـيـ	سـبـيـان خـفـيـفـان	سـبـيـانـ خـفـيـفـان
مـسـتـفـعـلـنـ الـعـرـوـضـ صـحـيـحةـ والـضـرـبـ مـطـوـيـ	مـفـعـوـلـاتـ	مـسـتـفـعـلـنـ

**المبحث الثالث : تقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في تفعيلتين متجاورتين**

**المطلب الأول : تقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في**

بحـرـ المـدـيدـ<sup>(١)</sup>

(١) ينظر: (الأخفش، كتاب العروض، ص ٥٥، الزجاج، كتاب العروض، ص ١٤٦، ابن السراج، كتاب العروض، ص ٤٢٠، أبو الحسن العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص ١٠٥)

أولاً : الاحتمالات الثلاثة لتوالي (فَاعِلَاتُنْ) مع (فَاعِلُنْ) في بحر المديد

الاحتمال الأول :

فَاعِلَاتُنْ - ب - سالمة من الكف + فَاعِلُنْ - ب - سالمة من

الخين

كما في قول الشاعر :

يَا لِبَكْرٍ اشْرُوا لِي كُلِّيَاً // يَا لِبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفَرَارُ<sup>(١)</sup>  
(فَاعِلَاتُنْ / فَاعِلُنْ) / فَاعِلَاتُنْ // (فَاعِلَاتُنْ / فَاعِلُنْ) / فَاعِلَاتُنْ

الاحتمال الثاني :

فَاعِلَاتُ - ب - ب مكفوفة + فَاعِلُنْ - ب - سالمة من الخين

كما في قول الشاعر :

لَنْ يَزَالَ قَوْمًا مُّخْصِبِينَ // صَالِحِينَ مَا اتَّقَوْا وَاسْتَقَامُوا<sup>(٢)</sup>  
(فَاعِلَاتُ / فَاعِلُنْ) / فَاعِلَاتُ // (فَاعِلَاتُ / فَاعِلُنْ) / فَاعِلَاتُنْ

الاحتمال الثالث :

فَاعِلَاتُنْ - ب - سالمة من الكف + فَعِلُنْ ب - مخونة

كما في قول الشاعر :

وَمَتَى مَا يَعِي مِنْكَ كَلَامًا // يَتَكَلَّمُ فَيُجِبُكَ بِعَقْلِ<sup>(٣)</sup>

(فَعِلَاتُنْ / فَعِلُنْ) / فَعِلَاتُنْ // (فَعِلَاتُنْ / فَعِلُنْ) / فَعِلَاتُنْ

ثانياً : الاحتمالات الثلاثة لتوالي (فَاعِلَاتُنْ) مع (فَاعِلُنْ) في بحر المديد

(١) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ٣١

(٢) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ٣٧

(٣) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ٣٦

الاحتمال الأول :

فَاعِلَّاثُنْ - ب - سالمة من الكف + فَاعِلَّاثُنْ - ب - سالمة من الخبر

كما في قول الشاعر :

يا ليكِرِ انسُرُوا لي كُلِّيَا // يا ليكِرِ أينَ أينَ الفرارُ  
فَاعِلَّاثُنْ / فَاعِلُنْ / (فَاعِلَّاثُنْ / فَاعِلَّاثُنْ) / فَاعِلُنْ / فَاعِلَّاثُنْ

الاحتمال الثاني :

فَاعِلَّاتُ - ب - ب مكفوفة + فَاعِلَّاثُنْ - ب - سالمة من الخبر

كما في قول الشاعر :

لن يزالَ قومُنا مُخْصِبِينَ // صالحينَ ما اتَّقُوا واستقاموا  
فَاعِلَّاتُ / فَاعِلُنْ / (فَاعِلَّاتُ / فَاعِلَّاتُ) / فَاعِلُنْ / فَاعِلَّاثُنْ

الاحتمال الثالث :

فَاعِلَّاثُنْ - ب - سالمة من الكف + فَعِلَّاثُنْ ب ب - مخونة

كما في قول الشاعر :

ليتَ شِعْرِي هل لنا ذاتَ يوْمٍ // بجنوب فارع من تلاقٍ<sup>(١)</sup>  
فَاعِلَّاثُنْ / فَاعِلُنْ / (فَاعِلَّاثُنْ / فَعِلَّاثُنْ) / فَاعِلُنْ / فَاعِلَّاثُنْ

ويلاحظ أن الاحتمالات الثلاثة في كلتا المسألتين أي : (فَاعِلَّاثُنْ + فَاعِلُنْ) و (فَاعِلَّاثُنْ + فَاعِلَّاثُنْ) تشتراك في أمر واحد وهو تشكيل الأنماط المقطعية الثلاثة التي مرت بنا في المبحث الأول والمبحث الثاني وهي :

(١) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ٣٨

الأول : ( - ) مثل : ( ثُنْ فَأْ ) وهمما مقطuan صوتيان طويلان مفتوحان أو قصيران مغلقان.

الثاني : ( ب - ) مثل : ( تُ فَأْ ) وهمما مقطuan صوتيان : الأول قصير مفتوح ، والثاني ( طويل مفتوح أو قصير مغلق ).

الثالث : ( - ب ) مثل : ( تُنْ فَ ) وهمما مقطuan صوتيان : الأول ( طويل مفتوح أو قصير مغلق ) ، والثاني قصير مفتوح .

وهي الأنواع التي قبلها العروض العربي ومررت بنا في المبحثين الأول والثاني ، وإذا كان النمط الرابع ( ب - ب ) قد غاب عن تقييد تناوب الزحاف في السبيبين الخفيفين المتجاورين في تفعيلة واحدة لتجنب توالى ثلاثة مقاطع صوتية قصيرة أو أكثر ، مما السر وراء امتناع هذا النمط في تقييد تناوب الزحاف في السبيبين الخفيفين المتجاورين في تفعيلتين متجاورتين في بحر المديد ؟ لو افترضنا مجيء التفعيلة الأولى مكفوفة ( فَاعِلَاتُ - ب - ب ) فهذا يعني أنها تنتهي بقطع قصير مفتوح ، وعند مجيء التفعيلة الثانية مخونة ( فعلن ب ب - ) أو ( فَعِلَاثُنْ ب ب - ) تتوالى ثلاثة مقاطع صوتية قصيرة ، وهذا هو السبب نفسه وراء امتناع الجمع بين الزحافين في السبيبين الخفيفين المتجاورين في تفعيلة واحدة .

وفيما يلي بيان لمواضع تقييد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين في بحر المديد

## جدول رقم (١٠)

تقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين في بحر المديد

الشطر الأول							
ثُنْ	عِلَّا	فَا	عِلْنُ	فَا	ثُنْ	عِلَّا	فَا
-	ب	-	-	ب	-	ب	-
سبب خفيف	وتد مجموع	سبب خفيف	وتد مجموع	سبب خفيف	سبب خفيف	وتد مجموع	سبب خفيف
تقيد التناوب بالكف ليسلم اللاحق				تقيد التناوب بالخدين ليسلم السابق	تقيد التناوب بالكف ليسلم اللاحق		
فَاعْلَاثُنْ		فَاعْلُنْ		فَاعْلَاثُنْ			
الشطر الثاني							
ثُنْ	عِلَّا	فَا	عِلْنُ	فَا	ثُنْ	عِلَّا	فَا
-	ب	-	-	ب	-	ب	-
سبب خفيف	وتد مجموع	سبب خفيف	وتد مجموع	سبب خفيف	سبب خفيف	وتد مجموع	سبب خفيف
				تقيد التناوب	تقيد التناوب		تقيد التناوب

				بالخبن ليسلم السابق	بالكف ليسلم اللاحق		بالخبن ليسلم السابق
فَاعِلَاثُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاثُنْ					

المطلب الثاني : تقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في

بحر الرمل <sup>(١)</sup>

- الاحتمالات الثلاثة لتوالي (فَاعِلَاثُنْ) مع (فَاعِلَاثُنْ) في بحر الرمل

الاحتمال الأول :

فَاعِلَاثُنْ - ب - سالمة من الكف + فَاعِلَاثُنْ - ب - سالمة من الخبن

كما في قول الشاعر :

أَبْلَغَ النُّعْمَانَ عَنِي مَالْكًا / أَنَّهُ قَدْ طَالَ صَبْرِي وَانْتِظَارُ<sup>(٢)</sup>  
(فَاعِلَاثُنْ / فَاعِلَاثُنْ) / فَاعِلَا / (فَاعِلَاثُنْ / فَاعِلَاثُنْ) / فَاعِلَاتُ

الاحتمال الثاني :

فَاعِلَاتُ - ب - ب مكفوفة + فَاعِلَاثُنْ - ب - سالمة من الخبن

كما في قول الشاعر :

لِيسَ كُلُّ مِنْ أَرَادَ حَاجَةً / / ثُمَّ جَدَّ فِي طَلَابِهَا قَضَاها<sup>(١)</sup>

(١) ينظر : (الأخفش ، كتاب العروض ، ص ٥٥ ، الزجاج ، كتاب العروض ، ص ١٥٨ ، ابن السراج ، كتاب العروض ، ص ٤٣١ ، أبو الحسن العروضي ، الجامع في العروض والقوافي ، ص ١٣٧)

(٢) الخطيب التبريزي ، كتاب الكافي في العروض والقوافي ، ص ٨٤

(فَاعِلَاتُ / فَاعِلَاتُ ) / فَاعِلًا / (فَاعِلَاتُ / فَاعِلَاتُ ) / فَاعِلَاتُنْ

الاحتمال الثالث :

فَاعِلَاتُنْ - ب - سالمة من الكف + فَاعِلَاتُنْ ب ب - محبونة

كما في قول الشاعر :

وإذا راية مجد رُفعتْ // نهضَ الصَّلتُ إِلَيْهَا فَحَوَاهَا <sup>(٢)</sup>

(فَاعِلَاتُنْ / فَعَلَاتُنْ) / فَعَلًا / (فَعَلَاتُنْ / فَعَلَاتُنْ) / فَعَلَاتُنْ

ويلاحظ أن الاحتمالات الثلاثة لتجاوز (فَاعِلَاتُنْ + فَاعِلَاتُنْ) تشتراك في أمر

واحد وهو تشكيل الأنماط المقطوعية الثلاثة التي مرت بنا وهي :

الأول : ( - ) مثل : ( ثُنْ فَأْ ) وهمما مقطعان صوتيان طويلان مفتوحان أو

قصيران مغلقان .

الثاني : ( ب - ) مثل : ( تُ فَأْ ) وهمما مقطعان صوتيان : الأول قصير مفتوح ، والثاني (طويل مفتوح أو قصير مغلق).

الثالث : ( - ب ) مثل : ( ثُنْ فَ ) وهمما مقطعان صوتيان : الأول (طويل مفتوح أو قصير مغلق) ، والثاني قصير مفتوح .

وإذا كان النمط الرابع ( ب ب ) قد غاب عن تقيد تناوب الزحاف في السبيبين الخفيفين المتجاورين في تفعيله واحدة لتجنب توالى ثلاثة مقاطع صوتية قصيرة أو أكثر ، فما السر وراء امتياز هذا النمط في تقيد تناوب الزحاف في السبيبين الخفيفين المتجاورين في تفعيلتين متجاورتين في بحر الرمل ؟

(١) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ٨٨

(٢) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ٨٨

لو افترضنا مجيء التفعيلة الأولى مكفوفة (فَاعِلَاتُ - ب - ب) فهذا يعني أنها تنتهي بقطع قصير مفتوح، وعند مجيء التفعيلة الثانية (فَعَلَاتُنْ ب ب - -) مخboneة تتوالى ثلاثة مقاطع صوتية قصيرة، وهذا هو السبب نفسه وراء امتناع الجمع بين الزحافين في السبيبين الخفيفين المجاورين في تفعيلة واحدة في بحور: (الطويل والهزج والوافر والكامل والمنسرح) وبين تفعيلتين في بحر (المديد). وفيما يلي بيان لوضع تقييد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين في بحر

الرمل

جدول رقم (١١)

تقييد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين في بحر الرمل

الشطر الأول							
عَلَّا	فَأَ	تُنْ	عَلَّا	فَأَ	تُنْ	عَلَّا	فَأَ
ب -	-	-	ب -	-	-	ب -	-
وتـ	سبـبـ	سبـبـ	وتـدـ	سبـبـ	سبـبـ	وتـدـ	سبـبـ
مـجـمـعـ	خـفـيفـ	خـفـيفـ	مـجـمـعـ	خـفـيفـ	خـفـيفـ	مـجـمـعـ	خـفـيفـ
	تقـيـيـدـ			تقـيـيـدـ		تقـيـيـدـ	
	الـتـنـاـوـبـ			الـتـنـاـوـبـ		الـتـنـاـوـبـ	
	بـالـكـفـ			بـالـخـبـنـ		بـالـكـفـ	
	لـيـسـلـمـ			لـيـسـلـمـ		لـيـسـلـمـ	
	الـلـاـحـقـ			الـسـابـقـ		الـلـاـحـقـ	
فَاعِلَّا		فَاعِلَاتُنْ			فَاعِلَاتُنْ		
الشطر الثاني							

ثُنْ	عِلَّا	فَاً	ثُنْ	عِلَّا	فَاً	ثُنْ	عِلَّا	فَاً
-	- ب	-	-	- ب	-	-	- ب	-
سبب	وتد	سبب	سبب	وتد	سبب	سبب	وتد	سبب
خفيف	مجموع	خفيف	خفيف	مجموع	خفيف	خفيف	مجموع	خفيف
	تقيد التناوب بالخبن ليسلم السابق	تقيد التناوب بالكف ليسلم اللاحق			تقيد التناوب بالخبن ليسلم السابق	تقيد التناوب بالكف ليسلم اللاحق		
فَاعْلَاثُنْ			فَاعْلَاثُنْ			فَاعْلَاثُنْ		

**المطلب الثالث:** تقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في

بحر الخفيف <sup>(١)</sup>

أولاً: الاحتمالات الثلاثة لتوالي (فَاعْلَاثُنْ) مع (مُسْتَفْعِلُنْ) في بحر الخفيف

الاحتمال الأول:

فَاعْلَاثُنْ - ب - - سالمة من الكف + مُسْتَفْعِلُنْ - - ب - سالمة

من الخبن

كما في قول الشاعر:

لِيْتَ شِعْرِيْ هَلْ ثُمَّ هَلْ آتَيْنَهُمْ // أَمْ يَحُولَنْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ الرَّدِيْ <sup>(١)</sup>

(١) ينظر: (الأخفش)، كتاب العروض، ص ٥٧، الزجاج، كتاب العروض، ص ١٦٥، أبو الحسن العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص ١٥٢، ٢٠٧، ابن جني، كتاب العروض، ص ١٣٥

(فَاعِلَاثُنْ / مُسْتَفْعُ لُنْ) / فَاعِلَاثُنْ / (فَاعِلَاثُنْ / مُسْتَفْعُ لُنْ) / فَاعِلَاثُنْ

الاحتمال الثاني :

فَاعِلَاتُ - ب - ب مكفوفة + مُسْتَفْعُ لُنْ - - ب - سالمه من الخبن

كما في قول الشاعر :

يا عَمَيرُ ما تُظَهِرُ مِنْ هُوَكَ // أَوْ تُجِنُّ يُسْتَكِرُ حِينَ يَبْدُ<sup>(٢)</sup>

(فَاعِلَاتُ / مُسْتَفْعُ لُنْ) / فَاعِلَاتُ / (فَاعِلَاتُ / مُسْتَفْعُ لُنْ) / فَاعِلَاثُنْ

الاحتمال الثالث :

فَاعِلَاثُنْ - ب - سالمه من الكف + مُتَفْعُ لُنْ ب - ب - محبونه

كما في قول الشاعر :

لَيْتَ مَا فَاتَ مِنْ شَبَابِي يَعُودُ // كَيْفَ وَالشَّيْبُ كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُ<sup>(٣)</sup>

(فَاعِلَاثُنْ / مُتَفْعُ لُنْ) / فَاعِلَاثُنْ / (فَاعِلَاثُنْ / مُتَفْعُ لُنْ) / فَاعِلَاثُنْ

ثانياً : الاحتمالات الثلاثة لتوالي (مُسْتَفْعُ لُنْ) مع (فَاعِلَاثُنْ) في بحر الخفيف

الاحتمال الأول :

مُسْتَفْعُ لُنْ - - ب - سالمه من الكف + فَاعِلَاثُنْ - ب - سالمه

من الخبن

كما في قول الشاعر :

لَيْتَ مَا فَاتَ مِنْ شَبَابِي يَعُودُ // كَيْفَ وَالشَّيْبُ كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُ

فَاعِلَاثُنْ / (مُتَفْعُ لُنْ / فَاعِلَاثُنْ) / فَاعِلَاثُنْ / (مُتَفْعُ لُنْ / فَاعِلَاثُنْ)

(١) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ١١٠

(٢) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ١١٤

(٣) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ١١٠

الاحتمال الثاني :

مُستَفْعِلُ - ب - ب مكفوفة + فَاعِلَاتُنْ - ب - سالمة من الخبن

كما في قول الشاعر :

يا عُمَيْرُ ما تُظَهِرُ مِنْ هَوَاكَ // أَوْ تُجِنُّ يُسْتَكْثُرُ حِينَ يَبْدُو  
فَاعِلَاتُ / (مُسْتَفْعِلُ / فَاعِلَاتُ) / فَاعِلَاتُ / (مُسْتَفْعِلُ / فَاعِلَاتُنْ)

الاحتمال الثالث :

مُسْتَفْعِلُنْ - ب - سالمة من الكف + فَاعِلَاتُنْ ب - ب - مخونة

وَفَوَادِي كَعْهَدِه لَسْلِيمِي // بَهْوَى لَمْ يَحُلْ وَلَمْ يَتَغَيَّرُ<sup>(١)</sup>

فَاعِلَاتُنْ / (مُتَفْعِلُنْ / فَاعِلَاتُنْ) // فَاعِلَاتُنْ / (مُتَفْعِلُنْ / فَاعِلَاتُنْ)

ثالثاً : الاحتمالات الثلاثة لتوالي (فَاعِلَاتُنْ) مع (فَاعِلَاتُنْ) في بحر الخفيف

الاحتمال الأول :

فَاعِلَاتُنْ - ب - سالمة من الكف + فَاعِلَاتُنْ - ب - سالمة من الخبن

كما في قول الشاعر :

لَيْتَ مَا فَاتَ مِنْ شَبَابِي يَعُودُ // كَيْفَ وَالشَّيْبُ كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُ  
فَاعِلَاتُنْ / مُتَفْعِلُنْ / (فَاعِلَاتُنْ / فَاعِلَاتُنْ) / مُتَفْعِلُنْ / فَاعِلَاتُنْ

الاحتمال الثاني :

فَاعِلَاتُ - ب - ب مكفوفة + فَاعِلَاتُنْ - ب - سالمة من الخبن

كما في قول الشاعر :

يا عُمَيْرُ ما تُظَهِرُ مِنْ هَوَاكَ // أَوْ تُجِنُّ يُسْتَكْثُرُ حِينَ يَبْدُو  
فَاعِلَاتُ / مُسْتَفْعِلُ / (فَاعِلَاتُ / فَاعِلَاتُ) / مُسْتَفْعِلُ / فَاعِلَاتُنْ

الاحتمال الثالث :

(١) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ١١٢

فَاعِلَاثُنْ - ب - سالمة من الكف + فَعِلَاثُنْ ب ب - محبونة  
كما في قول الشاعر:

وفؤادي كعهده لسلمي / بهوى لم يَحُلْ ولم يتَغَيَّرْ  
فَعِلَاثُنْ / مُتَفْعِلْ لُنْ / (فَعِلَاثُنْ / فَعِلَاثُنْ) / مُتَفْعِلْ لُنْ / فَعِلَاثُنْ  
ويلاحظ أن الاحتمالات الثلاثة لتجاور (فَاعِلَاثُنْ + مُسْتَفْعِلْ لُنْ) و (مُسْتَفْعِلْ لُنْ + فَاعِلَاثُنْ) و (فَاعِلَاثُنْ + فَاعِلَاثُنْ) تشتراك في أمر واحد وهو تشكيل الأنماط  
المقطعية الثلاثة التي مرت بنا وهي:

الأول: (- -) مثل: (تُنْ مُسْ) أو (لُنْ فَـ) أو (تُنْ فَـ) وهما مقطعان  
صوتيان طويلان مفتوحان أو قصيران مغلقان.

الثاني: (ب -) مثل: (تُ مُسْ) أو (لُ فَـ) أو (تُ فَـ) وهما مقطعان  
صوتيان: الأول قصير مفتوح، والثاني (طويل مفتوح أو قصير مغلق).

الثالث: (- ب) مثل: (تُنْ مُـ) أو (لُنْ فـ) أو (تُنْ فـ) وهما مقطعان  
صوتيان: الأول (طويل مفتوح أو قصير مغلق)، والثاني قصير مفتوح.

ولو افترضنا وجود بيت شعري من الخفيف زوحفت أسبابه الخفيفة  
المجاورة بهذا الشكل:

فَاعِلَاثُ / مُتَفْعِلُ / فَعِلَاثُ / فَعِلَاثُ / مُتَفْعِلُ / فَعِلَاثُ  
- ب - ب / ب - (ب ب / ب ب) - (ب / ب ب) - ب / ب -  
(ب ب / ب ب) -

فسوف يتولد عن مزاحفة الأسباب الخفيفة المجاورة ما يلي:  
تواتي أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة بين التفعيلتين: الخامسة والسادسة  
(مُتَفْعِلُ + فَعِلَاثُنْ) وهذا لم يرد في بحور الشعر العربي

توالي أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة بين التفعيلتين : الثانية والثالثة : (مُتَّفِعُ لُ + فَعَلَاتُ ) وهذا لم يرد في بحور الشعر العربي

توالي ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة بين التفعيلتين الثالثة والرابعة ( فَعَلَاتُ + فَعَلَاتُ ) وهذا لم يرد إلا في تفعيلة ( مَتَّعْلِنُ ) المخولة .

ولكن تجدر الإشارة إلى امتناع زحاف السبيبين الخفيفين المجاورين بين التفعيلتين : الأولى والثانية ( فَاعَلَاتُ + مُتَّفِعُ لُ ) وكذلك بين التفعيلتين : الثالثة والرابعة ( فَعَلَاتُ + مُتَّفِعُ لُ ) على الرغم من وجود مقطعين قصيرين مفتوحين فقط ، وليس ثلاثة مقاطع ، أو أربعة مقاطع ، كما رأينا في المباحث والمطالب السابقة ، ولعل ما يميز هذه الحالة هو وجود مقطعين قصيرين مفتوحين قبل وتد مفروق بين تفعيلتين ، لذا امتنع ورود النمط المقطعي الرابع ( ب ب ) وفيما يلي بيان لوضع تقييد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين في بحر الخفيف

#### جدول رقم ( ١٢ )

تقييد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين في بحر الخفيف

الشطر الأول									
ثُنْ	عِلَّا	فَا	لُنْ	تَفْع	مُسْن	ثُنْ	عِلَّا	فَا	
-	ب	-	-	-	-	-	ب	-	
-	-			ب			-		
سبب خفيف	وتد مجموع	سبب خفيف	سبب خفيف	وتد مفروق	سبب خفيف	سبب خفيف	وتد مجموع	سـ بـ خفيف	

تَقْيِيد الْتَّنَاوِب بِالْكَفِ لِيْسَمْ الْلَّاحِق	تَقْيِيد الْتَّنَاوِب بِالْخَبْنِ لِيْسَمْ الْسَّابِق	تَقْيِيد الْتَّنَاوِب بِالْكَفِ لِيْسَمْ الْلَّاحِق	تَقْيِيد الْتَّنَاوِب بِالْخَبْنِ لِيْسَمْ الْسَّابِق	تَقْيِيد الْتَّنَاوِب بِالْكَفِ لِيْسَمْ الْلَّاحِق	تَقْيِيد الْتَّنَاوِب بِالْخَبْنِ لِيْسَمْ الْسَّابِق	تَقْيِيد الْتَّنَاوِب بِالْكَفِ لِيْسَمْ الْلَّاحِق	فَاعْلَمْتُنْ	مُسْتَفْعِلْنُ	فَاعْلَمْتُنْ
الشطر الثاني									
ثُنْ عِلَّا فَأْ لُنْ تَفْعُ مُسْنْ ثُنْ عِلَّا فَأْ									
-	-	ب	-	-	-	-	-	ب	-
سَبِب	وَتَد	سَبِب	سَبِب	وَتَد	سَبِب	سَبِب	وَتَد	سَبِب	وَتَد
خَفِيف	مُجْمَع	خَفِيف	خَفِيف	مُفْرُوق	خَفِيف	خَفِيف	مُجْمَع	خَفِيف	خَفِيف
	تَقْيِيد الْتَّنَاوِب بِالْخَبْنِ لِيْسَمْ الْسَّابِق	تَقْيِيد الْتَّنَاوِب بِالْكَفِ لِيْسَمْ الْلَّاحِق			تَقْيِيد الْتَّنَاوِب بِالْخَبْنِ لِيْسَمْ الْسَّابِق	تَقْيِيد الْتَّنَاوِب بِالْكَفِ لِيْسَمْ الْلَّاحِق			تَقْيِيد الْتَّنَاوِب بِالْخَبْنِ لِيْسَمْ الْسَّابِق
فَاعْلَمْتُنْ مُسْتَفْعِلْنُ فَاعْلَمْتُنْ									

المطلب الرابع : تقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في بحر المجتث<sup>(١)</sup>

أولاً : الاحتمالات الثلاثة لتوالي (مُسْتَفْعِلْنُ ) مع (فَاعِلَّاتُ ) في بحر المجتث الاحتمال الأول :

مُسْتَفْعِلْنُ - - ب - سالمه من الكف + فَاعِلَّاتُ - ب - سالمه من الخبن  
كما في قول الشاعر :

البطُّنُ مِنْهَا خمِيصٌ // وَالوِجْهُ مِثْلُ الْمَلَلِ (٢)  
(مُسْتَفْعِلْنُ / فَاعِلَّاتُ ) // (مُسْتَفْعِلْنُ / فَاعِلَّاتُ )

الاحتمال الثاني :  
مستفع لُ - - ب ب مكفوفة + فَاعِلَّاتُ - ب - سالمه من الخبن  
كما في قول الشاعر :

ما كَانَ عَطَاؤُهُنَّ // إِلَّا عِدَّةٌ ضِيمَارَا (٣)  
(مُسْتَفْعِلُ / فَاعِلَّاتُ ) // (مُسْتَفْعِلُ / فَاعِلَّاتُ )

الاحتمال الثالث :  
مُسْتَفْعِلْنُ - - ب - سالمه من الكف + فَعِلَّاتُ ب ب - مخونة  
ولو علقتَ بسلمي // علمتَ أَنْ ستموتُ<sup>(٤)</sup>  
(مُسْتَفْعِلْنُ / فَعِلَّاتُ ) // (مُسْتَفْعِلْنُ / فَعِلَّاتُ )

(١) ينظر : (الأخفش ، كتاب العروض ، ص ٥٨ ، الزجاج ، كتاب العروض ، ص ١٧١ ، ابن السراج ، كتاب العروض ، ٤٣٧ ، أبو الحسن العروضي ، الجامع في العروض والقوافي ، ص ١٥٣ ، ١٦٢).

(٢) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ١٢٢

(٣) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ١٢٣

(٤) الخطيب التبريزى ، كتاب الكافى في العروض والقوافي ، ص ١٢٣

ثانياً: الاحتمالات الثلاثة لتوالي (فَاعِلَاثُنْ) مع (مُسْتَفْعِلُنْ) في بحر المجتث  
الاحتمال الأول:

فَاعِلَاثُنْ - ب - سالمة من الكف + مُسْتَفْعِلُنْ - ب - سالمة من الخبن  
كما في قول الشاعر:

البطنُ منها خميسٌ // والوجهُ مثلُ الهلالِ  
مُسْتَفْعِلُنْ / (فَاعِلَاثُنْ // مُسْتَفْعِلُنْ) فَاعِلَاثُنْ

الاحتمال الثاني:

فَاعِلَاثُ - ب - ب مكفوفة + مُسْتَفْعِلُنْ - ب - سالمة من الخبن  
كما في قول الشاعر:

ما كانَ عطاًهُنَّ // إِلَّا عَدَّةٌ ضِيمَارَا  
مُسْتَفْعِلُ / (فَاعِلَاثُ // مُسْتَفْعِلُ) / فَاعِلَاثُنْ

الاحتمال الثالث:

فَاعِلَاثُنْ - ب - سالمة من الكف + مُتَفْعِلُنْ ب - ب - محبونة  
كما في قول الشاعر:

ولو علقتَ بسلمي // علمتَ أَنْ ستموتُ  
مُتَفْعِلُنْ / (فَاعِلَاثُنْ // مُتَفْعِلُنْ) / فَاعِلَاثُنْ

تشترك الاحتمالات الثلاثة لتجاور السبيبين الخفيفين في كل من: (مُسْتَفْعِلُنْ + فَاعِلَاثُنْ) و (فَاعِلَاثُنْ + مُسْتَفْعِلُنْ) في بحر المجتث في أمر واحد هو تشكيل الأنماط المقطعة الثلاثة التي مرت بنا وهي:

الأول: (-) مثل: (لُنْ فَاً) أو (ثُنْ مُسْ) وهما مقطعان صوتيان  
طويلان مفتوحان أو قصيران مغلقان.

الثاني : (ب -) مثل : (لُفَاً) أو (تُمسُّ) وهما مقطعان صوتيان : الأول قصير مفتوح ، والثاني (طويل مفتوح أو قصير مغلق).  
 الثالث : (- ب) مثل : (لُنْفَ) أو (تُنْمُ) وهما مقطعان صوتيان : الأول (طويل مفتوح أو قصير مغلق) ، والثاني قصير مفتوح .  
 ولو افترضنا وجود بيت شعري من المجتث زوحفت أسبابه الخفيفة المجاورة بهذا الشكل :  
 مُتَفْعِلُ / فَعِلَّاتُ // مُتَفْعِلُ / فَعِلَّاتُ  
 ب - (ب ب / ب ب) - (ب // ب) - (ب ب / ب ب) - -  
 فسوف يتولد عن مزاحفة الأسباب الخفيفة المجاورة ما يلي :  
 توالى أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة بين التفعيلتين : الأولى والثانية (مُسْتَفْعِلُ + فَعِلَّاتُنْ) وهذا لم يرد في بحور الشعر العربي .  
 توالى أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة بين التفعيلتين : الثالثة والرابعة : (مُتَفْعِلُ + فَعِلَّاتُنْ) وهذا لم يرد في بحور الشعر العربي .  
 ولكن تجدر الإشارة إلى امتناع زحاف السبيبين الخفيفين المجاوريين بين التفعيلتين : الثانية والثالثة (فَعِلَّاتُ + مُتَفْعِلُ) على الرغم من وجود مقطعين قصيرين مفتوحين فقط وليس أربعة مقاطع ، ولعل ما يميز هذه الحالة هو وجود مقطعين قصيرين مفتوحين قبل وتد مفروق بين تفعيلتين من شطرين ،  
 لذا امتنع ورود النمط المقطعي الرابع (ب ب) .  
 وفيما يلي بيان لوضع تقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين في بحر المجتث .

### جدول رقم (١٣)

تقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في بحر المبحث

الشطر الأول					
ثُنْ	عَلَّا	فَا	لُنْ	تَقْعُمْ	مُسْ
-	ب -	-	-	- ب	-
سبب خفيف	وتدميٰ مجموع	سبب خفيف	سبب خفيف	وتدميٰ مفروق	سبب خفيف
تقيد التناوب بالكف ليس لم اللاحق		تقيد التناوب بالخبن ليس لم السابق	تقيد التناوب بالكف ليس لم اللاحق		
فَاعْلَاثُنْ			مُسْتَقْعُمْ لُنْ		

الشطر الثاني					
ثُنْ	عَلَّا	فَا	لُنْ	تَقْعُمْ	مُسْ
-	ب -	-	-	- ب	-
سبب خفيف	وتدميٰ مجموع	سبب خفيف	سبب خفيف	وتدميٰ مفروق	سبب خفيف
		تقيد التناوب بالخبن ليس لم السابق	تقيد التناوب بالكف ليس لم اللاحق		تقيد التناوب بالخبن ليس لم السابق
فَاعْلَاثُنْ			مُسْتَقْعُمْ لُنْ		

المبحث الرابع : وجوب تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين  
المطلب الأول : وجوب تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين  
(كالقبض أو الكف) في (مَفَاعِيلُنْ) في بحر المضارع.

-الصورتان الفرعيتان لتفعيلة (مَفَاعِيلُنْ) في بحر المضارع<sup>(١)</sup>

الصورة الأولى : مَفَاعِيلُنْ ب - ب - مقبوضة  
كما في قول الشاعر :

إذا دنا منك شبراً // فأدنه منه باعا<sup>(٢)</sup>

مَفَاعِيلُنْ / فَاعَ لَاثُنْ // مَفَاعِيلُنْ / فَاعَ لَاثُنْ

الصورة الثانية : مفاعيلُ ب - ب مكفوفة

كما في قول الشاعر :

دعاني إلى سعادٍ // دواعي هوى سعاد<sup>(٣)</sup>

مَفَاعِيلُ / فَاعَ لَاثُنْ // مَفَاعِيلُ / فَاعَ لَاثُنْ

ويلاحظ أن الخيارين في كلتا التفعيلتين الفرعيتين (مَفَاعِيلُنْ ومفاعيلُ)  
يشتركان في أمر واحد هو تشكيل النمطين المقطعين التاليين :  
الأول : (ب -) مثل : (ع لُنْ) وهمما مقطعان صوتان : الأول قصير  
مفتوح، والثاني (طويل مفتوح أو قصير مغلق).

(١) ينظر : (الأخفش ، كتاب العروض ، ص ٥٨ ، الزجاج ، كتاب العروض ،  
ص ١٧٠ ، ابن السراج ، كتاب العروض ، ص ٤٣٦ ، أبو الحسن العروضي ، الجامع في  
العروض والقوافي ، ص ١٦٠ ، ٢٠٨)

(٢) الخطيب التبريزي ، كتاب الكافي في العروض والقوافي ، ص ١١٨

(٣) الخطيب التبريزي ، كتاب الكافي في العروض والقوافي ، ص ١١٧

الثاني : ( - ب ) مثل : ( عِيْ لُ ) و هما مقطعان صوتيان : الأول ( طويل مفتوح أو قصير مغلق ) ، والثاني قصير مفتوح .

وعليه فقد انخفض عدد الاحتمالات من ثلاثة احتمالات كما مر بنا في تقيد تناوب الزحاف إلى احتمالين فقط ، و تم استبعاد النمط المقطعي ( - ) ، ولا يرجع السبب إلى بنية التفعيلة ( مَفَاعِيلُنْ ) ، وإنما يرجع إلى البنية المقطعة لبحر ( المضارع ) ففي اشتراط وجوب مزاحفة أحد السبيبين الخفيفين المجاورين تتم المزاوجة بين النمطين ( ب - ) و ( - ب ) في ثلاث مجموعات متتالية مما يضفي على هذا الوزن خصوصية .

والدليل على ذلك استهجان الزحاف نفسه أي : ( مَفَاعِيلُنْ و مَفَاعِيلُ ) في حشو الطويل ، فقد ذكر الأخفش أن الخليل يجيز طرح ياء ( مَفَاعِيلُ ) في موضع ، ولا يجيزها في موضع <sup>(١)</sup> مما يؤكد أن المسوغ هو تماثل البنية المقطعة للبيت بوصفه كلاماً متكاماً .

يضاف إلى ذلك أن استبعاد النمط ( - ) يقلل من المقاطع ( الطويلة المفتوحة أو القصيرة المغلقة ) المتواالية ، وهي ما تعرف لدى العروضيين بالسواكن ، فلهذا التوالي أثر سلبي في عذوبة البيت الشعري ، وهو ما أشار إليه أبو الحسن العروضي في قوله : " وكذلك السواكن إذا كثرت في البيت لم تكن له عذوبة ". <sup>(٢)</sup>

وفيما يلي بيان لوضع وجوب تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين في بحر المضارع

(١) الأخفش ، كتاب العروض ، ص ٥٤

(٢) أبو الحسن العروضي ، الجامع في العروض والقوافي ، ص ٥٣

## جدول رقم (١٤)

وجوب تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين في بحر المضارع

لَأُثْنَ	فَاعْ	عَيْلُنْ	مَعَا
- -	- ب	- -	ب -
سبيبان خفيفان	وتدم فرقو	سبيبان خفيفان	وتدم مجموع
		وجوب التناوب بين (القبض أو الكف)	
فَاعْ لَأُثْنَ		مَفَاعِلُنْ (مقبوضة) أو مَفَاعِيلُ (مكفوفة)	

**المطلب الثاني:** وجوب تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاورين  
(اللخبن أو الطي) في مَعْوَلَاتٍ في بحر المقتضب

- الصورتان الفرعيتان لتفعيلة (مَعْوَلَاتٍ) في بحر المقتضب <sup>(١)</sup>

**الصورة الأولى:** مَعْوَلَاتٍ ب - - ب مخبونة

كما في قول الشاعر:

أَقَانَا مُبَشِّرُنَا / / بِالبِيَانِ وَالنُّذُرِ <sup>(٢)</sup>

(١) ينظر: (الأخفش)، كتاب العروض، ص ٥٨، الزجاج، كتاب العروض، ص ١٧١، ابن السراج، كتاب العروض، ص ٤٣٧، أبو الحسن العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص ١٥٧، ٢٠٨

(٢) الخطيب التبريزي، كتاب الكافي في العروض والقوافي، ص ١٢١

مَعُولَاتُ / مُسْتَعْلِنُ // مَفْعَلَاتُ / مُسْتَعْلِنُ  
الصورة الثانية: مَفْعَلَاتُ - ب - ب مطوية  
كما في قول الشاعر:

أقبلتْ فلاحَ لها // عارضان كالبرد<sup>(١)</sup>

مَفْعَلَاتُ / مُسْتَعْلِنُ // مَفْعَلَاتُ / مُسْتَعْلِنُ

ويلاحظ أن الخيارين في كلتا التفعيلتين الفرعيتين (مَعُولَاتُ وَمَفْعَلَاتُ)  
يشتركان في أمر واحد هو تشكيل النمطين المقطعين التاليين:

الأول: (ب -) مثل: (مَ عُوْ) وهمما مقطعان صوتيان: الأول قصير  
مفتوح، والثاني (طويل مفتوح أو قصير مغلق).

الثاني: (- ب) مثل: (مَفْ عَ) وهمما مقطعان صوتيان: الأول (طويل  
مفتوح أو قصير مغلق)، والثاني قصير مفتوح.

وعليه فقد انخفض عدد الاحتمالات من ثلاثة احتمالات كما مر بنا في  
تقيد تناوب الزحاف في بحر المضارع إلى احتمالين فقط، وتم استبعاد النمط  
المقطعي (-)، ولا يرجع السبب إلى بنية التفعيلة (مَفْعُولَاتُ)، وإنما يرجع  
إلى البنية المقطعة لبحر (المقتضب)، ففي اشتراط وجوب مزاحفة أحد السبيعين  
الخفيفين المجاورين تتم المزاوجة بين النمطين (ب -) و (- ب) في أربع  
مجموعات متتالية في الشطر الواحد، لكون الطyi واجبا في العروض والضرب  
أيضا. يضاف إلى ذلك أن استبعاد النمط (-) يقلل من المقاطع (الطويلة  
المفتوحة أو القصيرة المغلقة) المتواالية، وهي ما تعرف لدى العروضيين  
بالسوakan، فلهذا التواليي أثر سلبي في عذوبة البيت الشعري كما مر بنا.

(١) الخطيب التبريزى، كتاب الكافى في العروض والقوافي، ص ١٢٠

وفيما يلي بيان لوضع وجوب تناوب الزحاف بين السبيبين الحقيقين في بحر المقتضب

جدول رقم (١٥)

وجوب تناوب الزحاف بين السبيبين الحقيقين المتجاورين في بحر المقتضب

مَفْعُوْه	لَّاتُ	مَسْتَ	عُلُنْ
- -	- ب	- ب	- ب
سبيان خفيفان	وتد مفروق	سبيان خفيفان	وتد مجموع
وجوب التناوب بين (الخبن أو الطي)		الطي واجب	
مَعُولَاتُ (مخبونة) أو مَفْعَلَاتُ (مطوية)			مُسْتَعْلِنْ

\* \* \*

## الخاتمة:

حاولت في هذه الدراسة فهم تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين على مستوى المقاطع الصوتية، والتأكد من صحة أحكام العروضيين في مسألة تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين، وسد الثغرة المتمثلة في عدم وجود دراسة عروضية مقطعة تناولت تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين على مستوى المقاطع الصوتية، وتقديم تفسير علمي (مقطعي) لبعض الانطباعات الشعورية حول قبول بعض الزحافات المجاورة واستهجان بعضها.

ولتحقيق الأهداف السابقة درست إتاحة تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين، وحددت الأنماط المقطعة الأربع المحتملة لتجاورهما. ودرست تقييد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين في تفعيلة واحدة أو بين تفعيلتين، ولاحظت انخفاض عدد الاحتمالات المقطعة لتجاورهما إلى ثلاثة احتمالات. كما عالجت وجوب تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين، ولاحظت انخفاض عدد الاحتمالات للأنماط المقطعة لتجاورهما إلى احتمالين فقط.

وفيما يلي عرض تفصيلي لأهم النتائج التي توصلت إليها: أتيح التناوب بين السبيبين الخفيفين المجاورين في تفعيلة (مُسْتَفْعِلُنْ) وتفعيلة (مَفْعُولَاتُ لِإِنْتَاجِ أَرْبَعَةِ أَنْمَاطِ مَقْطُوعَةِ لِأَوْلِ مَقْطُوعَيْنِ صَوْتَيْنِ) في التفعيلة وهي:

الأول: (-) مثل: (مُسْتَفْ) أو (مَفْعُوْ) وهمما مقطعان صوتيان طويلان مفتوحان أو قصيران مغلقان.

الثاني: (ب -) مثل: (مُ تَفْ) أو (مَ عُوْ) وهمما مقطعان صوتيان: الأول قصير مفتوح، والثاني (طويل مفتوح أو قصير مغلق).

الثالث : ( - ب ) مثل : ( مُسْتَ ) أو ( مَفْعَ ) وهما مقطعان صوتيان :  
الأول ( طويل مفتوح أو قصير مغلق ) والثاني قصير مفتوح .  
الرابع : ( ب ب ) مثل : ( مُتَ ) أو ( مَعَ ) وهما مقطعان صوتيان قصيران  
مفتوحان .

ولا يجد المتكلم بالعربية ثقلاً في هذه الأنماط الأربع ( - ) ( ب - ) ( - ب ) ( ب ب ) لذا أتيح التناوب بلا قيود أو وجوب .

قُيِّد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين في تفعيلة واحدة في  
بحور : ( الطويل والهزج والوافر والكامل والمنسرح ) فأنتجت ثلاثة أنماط  
مقطعة بدلاً من أربع وهي :

الأول : ( - - ) مثل : ( عيْلُنْ ) أو ( عَلْتُنْ ) أو ( مُتْفَ ) أو ( مُسْتَفَ )  
وهما مقطعان صوتيان طويلان مفتوحان أو قصيران مغلقان .

الثاني : ( ب - ) مثل : ( عُلُنْ ) أو ( عَتُنْ ) أو ( مُفَ ) أو ( مُتْفَ ) وهما مقطعان  
صوتيان : الأول قصير مفتوح ، والثاني ( طويل مفتوح أو قصير مغلق ) .

الثالث : ( - ب ) مثل : ( عيْلُ ) أو ( عَلْتُ ) ( مُتْفَ ) أو ( مُسْتَ ) وهما  
مقطعان صوتيان : الأول ( طويل مفتوح أو قصير مغلق ) والثاني قصير مفتوح .  
وغياب النمط الرابع ( ب ب ) عن تقييد تناوب الزحاف في السبيبين  
الخفيفين المجاورين في تفعيلة واحدة في بحور : ( الطويل والهزج والوافر  
والكامل ) تجنبًا لتوالي ثلاثة مقاطع صوتية قصيرة .

كما غاب في عروض المنسرح تجنبًا لتوالي أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة .  
تشترك الاحتمالات الثلاثة لتجاوز السبيبين الخفيفين في كل من :  
( فَاعِلَانْ + فَاعِلُنْ ) و ( فَاعِلَانْ + فَاعِلَانْ ) في بحر ( المديد ) وبحر ( الرمل ) في أمر  
واحد هو تشكيل الأنماط المقطعة الثلاثة وهي :

الأول : ( - - ) مثل : ( تُنْ فَ ) وهما مقطعان صوتيان طويلان مفتوحان أو  
قصيران مغلقان .

الثاني : ( ب - ) مثل : ( تُ فَ ) وهما مقطعان صوتيان : الأول قصير  
مفتوح ، والثاني ( طويل مفتوح أو قصير مغلق ) .

الثالث : ( - ب ) مثل : ( ثُنْ فَ ) وهمما مقطعان صوتيان : الأول ( طويل مفتوح أو قصير مغلق ) ، والثاني قصير مفتوح . وغاب النمط الرابع ( ب ب ) عن تقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين بين تفعيلتين في بحر المديد والرمل تجنبًا لتوالي ثلاثة مقطعين صوتية قصيرة .

تشترك الاحتمالات الثلاثة لتجاور السبيبين الخفيفين في كل من ( فَاعِلَاتُنْ + مُسْتَفْعِلُنْ ) و ( مُسْتَفْعِلُنْ + فَاعِلَاتُنْ ) و ( فَاعِلَاتُنْ + فَاعِلَاتُنْ ) في بحر الخفيف في أمر واحد هو تشكيل الأنماط المقطوعية الثلاثة التي مرت بنا وهي : الأول : ( - - ) مثل : ( ثُنْ مُسْ ) أو ( لُنْ فَ ) أو ( ثُنْ فَ ) وهمما مقطعان صوتيان طويلان مفتوحان أو قصيران مغلقان .

الثاني : ( ب - ) مثل : ( تُ مُسْ ) أو ( لُ فَ ) أو ( تُ فَ ) وهمما مقطعان صوتيان : الأول قصير مفتوح ، والثاني ( طويل مفتوح أو قصير مغلق ) . الثالث : ( - ب ) مثل : ( ثُنْ مُ ) أو ( لُنْ فَ ) أو ( ثُنْ فَ ) وهمما مقطعان صوتيان : الأول طويل مفتوح أو قصير مغلق ، والثاني قصير مفتوح . وقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المجاورين في بحر الخفيف وغاب النمط الرابع ( ب ب ) تجنبًا لـ :

توالي أربعة مقطعين قصيرة مفتوحة بين التفعيلتين : الخامسة والسادسة ( مُتَفْعِلُ لُ + فَعِلَاتُنْ ) وهذا لم يرد في بحور الشعر العربي توالى أربعة مقطعين قصيرة مفتوحة بين التفعيلتين : الثانية والثالثة : ( مُتَفْعِلُ لُ + فَعِلَاتُ ) وهذا لم يرد في بحور الشعر العربي

توالي ثلاثة مقطعين قصيرة مفتوحة بين التفعيلتين الثالثة والرابعة ( فَعِلَاتُ + فَعِلَاتُ ) وهذا لم يرد إلا في تفعيلة ( مُتَعَلِّنْ ) المخبولة .

زحاف السبيبين الخفيفين المجاورين بين التفعيلتين : الأولى والثانية ( فَاعِلَاتُ + مُتَفْعِلُ لُ ) وكذلك بين التفعيلتين : الثالثة والرابعة ( فَعِلَاتُ + مُتَفْعِلُ لُ )

ل') على الرغم من وجود مقطعين قصيرين مفتوحين فقط وليس ثلاثة مقاطع أو أربعة مقاطع، لوجود مقطعين قصيرين مفتوحين قبل وتد مفروق بين تفعيلتين.

تشترك الاحتمالات الثلاثة لتجاوز السبيبين الخفيفين في كل من : (مُسْتَفْعِلُنُ + فَاعِلَاثُنُ ) و (فَاعِلَاثُنُ + مُسْتَفْعِلُنُ ) في بحر المجتث في أمر واحد هو تشكيل الأنماط المقطعية الثلاثة التي مرت بنا وهي :  
الأول : ( - ) مثل : (لُنْ فَاً) أو (تُنْ مُسْ) وهمما مقطعان صوتيان طويلان مفتوحان أو قصيران مغلقان.

الثاني : (ب - ) مثل : (لُ فَاً) أو (تُ مُسْ) وهمما مقطعان صوتيان :  
الأول قصير مفتوح ، والثاني (طويل مفتوح أو قصير مغلق).  
الثالث : ( - ب ) مثل : (لُنْ فَ) أو (تُنْ مُ ) وهمما مقطعان صوتيان : الأول (طويل مفتوح أو قصير مغلق) والثاني قصير مفتوح.

وقيد تناوب الزحاف بين السبيبين الخفيفين المتجاوزين في بحر المجتث تجنبًا لـ توالي أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة بين التفعيلتين : الأولى والثانية (مُسْتَفْعِلُنُ + فَاعِلَاثُنُ ) وهذا لم يرد في بحور الشعر العربي  
توالي أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة بين التفعيلتين : الثالثة والرابعة : (مُتَفْعِلُنُ + فَاعِلَاثُنُ ) وهذا لم يرد في بحور الشعر العربي

زحاف السبيبين الخفيفين المتجاوزين بين التفعيلتين : الثانية والثالثة (فَاعِلَاثُنُ + مُتَفْعِلُنُ ) على الرغم من وجود مقطعين قصيرين مفتوحين فقط وليس أربعة مقاطع ، ولعل ما يميز هذه الحالة هو وجود مقطعين قصيرين مفتوحين قبل وتد مفروق بين تفعيلتين في شطرين ، لذا امتنع ورود النمط المقطعي الرابع (ب ب).

- وفي موضعين آخرين يجب مزاحفة أحد السبيبين الخفيفين المتجاورين :
- وجوب زحاف أحد السبيبين الخفيفين (القبض أو الكف) في (مَفَاعِيلُنْ)
  - في بحر (المضارع).
  - وكذلك وجوب زحاف أحدهما (الخبن أو الطyi) في (مَفْعُولَاتُ)
  - بحر (المقتضب).

ويلاحظ أن الخيارين في كلتا التفعيلتين الفرعيتين (مَفَاعِيلُنْ وَمَفَاعِيلُ) من جهة (مَفْعُولَاتُ وَمَفْعَلَاتُ ) من جهة أخرى ، يشتراكان في أمر واحد وهو شكل النمطين المقطعين التاليين :

- الأول : (ب -) مثل : (ع لُنْ) أو (م عُونْ) وهمما مقطعان صوتيان : الأول قصير مفتوح ، والثاني طويل مفتوح أو قصير مغلق.
  - الثاني : (- ب) مثل : (عِي لُ ) أو (مَفْعَعَ ) وهمما مقطعان صوتيان :
- الأول (طويل مفتوح أو قصير مغلق) ، والثاني قصير مفتوح.
- وعليه فقد انخفض عدد الاحتمالات من ثلاثة احتمالات كما مر بنا في تقييد تناوب الزحاف إلى احتمالين فقط ، وتم استبعاد النمط المقطعي (- -) ، ولا يرجع السبب إلى بنية التفعيلة (مَفَاعِيلُنْ) أو التفعيلة (مَفْعُولَاتُ ) وإنما يرجع إلى البنية المقطعة لبحر (المضارع) وبحر (المقتضب) ففي اشتراط وجوب مزاحفة أحد السبيبين الخفيفين المتجاورين تتم المزاوجة بين النمطين (ب -) و (- ب) في ثلاث مجموعات في بحر (المضارع) وفي أربع مجموعات في بحر (المقتضب) ، مما يضفي تناوباً عكسيًا في إيقاع هذين البحرين ، يضاف إلى ذلك أن استبعاد النمط (- -) يقلل من المقاطع (الطويلة المفتوحة أو القصيرة المغلقة) المتواالية ، وهي ما تعرف لدى العروضيين بالسوakan ، فلهذا التوالي أثر سلبي في عذوبة البيت الشعري.

## النحوبيات:

يوصي الباحث بتوظيف هذا المنهج العروضي المقطعي في دراسة ظواهر عروضية أضفي عليها أحكام انتباعية مثل الزحاف المستحسن والزحاف المستقبح ، وتقديم تفسيرات صوتية مقطعية لها.

\* \* \*

## المراجع:

- الآثاري، أبوسعيد شعبان بن محمد (ت ٧٩٣هـ) - الوجه الجميل في علم الخليل (ط١) تحقيق هلال ناجي، بيروت، عالم الكتب، ١٩٩٨م.
- الأخفش، سعيد بن مساعدة (ت ٢١١هـ) - كتاب العروض، تحقيق ودراسة سيد البحراوي، ١٩٩٧م.
- الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٧٢هـ) - نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب (ط١) تحقيق د. شعبان صلاح، بيروت، دار الجليل، ١٩٨٩م.
- أيوب، حسام محمد - "توظيف المصطلح اللساني في دراسة العروض العربي" المجلة الأردنية للغة العربية، المجلد (٤) العدد: (٤)، (٢٠٠٨) ص ٢٤٢-٢٢٠
- أيوب، حسام محمد ما يلزم من الزحاف دراسة عروضية رقمية، مجلة الآداب بجامعة الملك سعود، مجل ٢٨ ع: ١ يناير ٢٠١٦م. ص ٣٠-٣
- أيوب، حسام محمد- النوى الإيقاعية في بحور الشعر العربي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات ع: ٩، ٢٠١٢م، ص ١٥٧-٢٠٢
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢هـ) - كتاب العروض (ط٢) تحقيق: أحمد فوزي الهيب، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.
- الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ) - عروض الورقة (ط١)، تحقيق محمد سعدي جوكنلي، جامعة آتاتورك، أرضروم، ١٩٩٤م.
- الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢هـ) - كتاب الكافي في العروض والقوافي (ط٣) تحقيق: الحسانى حسن عبد الله، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٩٤م
- خلوصي، صفاء (ت ١٩٩٥م)، فن التقطيع الشعري والقافية، ط ٥، منشورات مكتبة المثنى، بغداد. ١٩٧٧م.
- الدماميني، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (٨٢٧هـ) - العيون الغامزة على خبايا الراizza، (ط٢) تحقيق: الحسانى حسن عبد الله، مكتبة الخانجى، القاهرة،

١٩٩٤ م.

الربيعي ، أبو الحسن علي بن عيسى (ت ٤٢٠ هـ) - كتاب العروض (٢٢) تحقيق محمد أبو الفضل بدران ، بيروت-برلين ، دار النشر الكتاب العربي والشركة المتحدة للتوزيع ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م.

ابن رشيق القير沃اني ، أبو علي الحسن (ت ٤٥٦ هـ) - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقدته (٢)، ط٥ ، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد ، سوريا ، دار الجليل ، ١٩٨١ م. الزجاج ، أبو سحق إبراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ) - كتاب العروض ، مجلة الدراسات اللغوية ، تحقيق سليمان أبو سته ، الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات ، المجلد (٦) العدد (٤) (٢٠٠٠ م) ص ٨٧-١٨٦.

الزمخشري ، محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) - القسطاس في علم العروض (ط٢) تحقيق فخر الدين قباوة ، بيروت ، مكتبة المعرف ، ١٩٨٩ م.

ابن السراج ، أبو بكر (ت ٣١٦ هـ) - "كتاب العروض" ، تحقيق: عبد الحسين الفتلي ، مجلة كلية الآداب ، بغداد ، العدد (١٥) (١٩٧٢ م). ص ١١-٤٤٠.

السكاكبي ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت ٦٢٦ هـ) - مفتاح العلوم ، (ط١) تحقيق: أكرم عثمان يوسف ، مطبعة دار الرسالة ، ١٩٨١ م.

العروضي ، أبو الحسن أحمد بن محمد (ت ٣٤٢ هـ) - الجامع في العروض والقوافي (ط١) تحقيق زهير غازي زاهد ، وهلال ناجي ، بيروت ، دار الجليل ، ١٤١٦ هـ.

ابن القطاع ، أبو القاسم علي بن جعفر (ت ٥١٥ هـ) - كتاب البارع في علم العروض ، تحقيق أحمد محمد عبد الدايم ، مكة المكرمة ، المكتبة الفيصلية ، ١٩٨٥ م.

كشك ، أحمد- الزحاف والعلة: رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٥ م.

\* \* \*

## **List of References:**

### **Works cited**

- Al-Damāminī, M. A. (1994). Al-`Iūn Al-Ghāmizah 'Ala Khabāya Al-Rāmizah . (2nd ed.) (A. H. Abdu Allah, Ed.). Cairo: Maktabat Al-Khāniji.
- Al-Rub'ī, A. B. (2000). Kitāb Al-`UrūDH (2nd ed.) (M. A. Badrān, Ed.) Beirut-Berlin: Dār Al-Nashr Al-Kitāb Al-`Arabī & Al-Sharikah Al-MutaHidah Liltawazi`.
- Al-Qyrwānī, 'I. 'A. (1981). Al-`Umdah fi MaHāsin Al-Shi'r wa 'Adābih wa Naqdih (Vol. 2). (5th. ed.) (M. M. Abdu Al-Hamyid, Ed.). Syria: Dār Al-Jīl.
- Al-Zajāj, A. 'I. (2004). Kitāb Al-`UruDH (S. Abu Sitah, Ed.). Majalat Al-Dirasāt Al-Lughawīyah, 6(3), 87-186. Ryiad: Markaz Al-Malik Faisl LilbuHuth wa Al-Dirasāt.
- Al-Zamakhsharī, M. 'U. (1989). Al-QisTas fi `Ilm Al-`UruDH (2nd ed.) (F. D. Qbāwah, Ed.). Beirut: Dār Maktabat Al-Ma`ārif.
- 'Ibn Al-Sirāj, A. B. (1972). Kitāb Al-`UruDH (^A. Al-Ftī, Ed.). Majalat Kuliyat Al-Adāb, (3), 87-186. Baghdad.
- Al-Sakāki, A. Y. (1981). MiftāH Al-'Ulum (1st ed.) (A. 'U. Yusif, Ed.). MaTba`at Dār 'Al-Risālah.
- Al-`ArūDHī, A. A. (1416AH). Al-Jāmi` fi Al-`UruDH wa Al Qawāfi (1st ed.) (Z. GH. Zāhyid & H. Nājī, Ed.). Beirut: Dār Al-Jīl.
- 'Ibn Al-QaTā', A. A. (1985). Kitāb Al-Bāri` fi `Ilm Al-`UruDH (A. M. `Abd Al-Dāyim, Ed.). Mekkah: Al-Maktabah Al-FayiSalīah.
- Kashk, A. (1995). Al-Zakhārif wa Al-`Ilah: Ruw'yah Fi Al-Tajriyd wa Al-'ASwāt wa Al-'Iqā` . Maktabat Al-NahDHah Al-MaSriyah.

\*

\*

\*

# Rotation of "al zehaf" between "al sababain al khafefain": A Prosodic Phonetic Investigation

**Prof. Husam Muhammed Ayyoub**

Department of Arabic Language

Taibah University

## **Abstract:**

This research paper opens with an introduction and moves to tackle four subtopics. The introduction presents the research problem and rationale of studying the rotation of Al zahaf, its significance, a review of previous works, and the current approach to the study of prosodic aspects.

The first subtopic examines permitted rotation of the two light causes (alsababayn alkhafifayn) in Arabic poetic prosody and identifies four possibilities to their juxtaposition.

The second and third subtopics shed light on the restrictions on the rotation of two neighboring light causes in one or between two metric units, noting the decrease of their number in juxtaposition to three possibilities.

The fourth subtitle examines obligatory rotation of movement (alzehaf) between the light causes (alsababayn alkhafifayn"), noting the decrease of the number of neighboring metric units to two possibilities.

Finally, the conclusion reports the main findings of the study and some recommendations for further study.

**Keywords:** Prosody – Poetic meters – Alkhalil Ibn Ahmad Al-Frahidy

**III. Documentation:**

1. Footnotes should be placed in the footer area of each page respectively..
2. Sources and references must be listed at the end.
3. Sample images of the verified/edited manuscript should be inserted in their respective areas.
- 4 - Clear pictures and graphs that are related to the research should be included in appendices.

**IV.** In case the author is dead, the date of his death, in Hijri calendar, is used after his name in the main body of the research.

**V.** Foreign names of authors are transliterated in Arabic script followed by Latin characters between brackets. Full names are used for the first time the name is cited in the paper.

**VI:** Submitted articles for publication in the journal are refereed by two reviewers, at least.

**VII.** The modified articles should be returned on a CD-ROM or via e-mail to the journal.

**VIII.** Rejected articles will not be returned to authors.

**IX.** Authors are given two copies of the journal and fifteen reprints of their article.

**Address of the Journal:**

All correspondence should be sent to the editor of the Journal of Arabic Studies:

Riyadh, 11432 P.O. Box 5701

Tel: 2582051 - Fax 2590261

[www.imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

E.mail: [arabicjournal@imamu.edu.sa](mailto:arabicjournal@imamu.edu.sa)

## **Criteria of Publishing**

The Journal of Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University for Arabic Studies is a peer reviewed journal published by the Deanship of Scientific Research on University Campus. It publishes scientific research according to the following regulations:

### **I. Acceptance Criteria:**

1. Originality, innovation, academic rigor, research methodology and logical orientation.
2. Complying with the established research approaches, tools and methodologies in the respective disciplines.
3. Accurate documentation.
4. Language accuracy.
5. Previously published submissions are not allowed.
6. Submissions must not be extracted from a paper, a thesis/dissertation, or a book by the author or anyone else.

### **II. Submission Guidelines:**

1. The author should write a letter showing his interest to publish the work, coupled with a short CV and a confirmation that the author owns the intellectual property of the work entirely and that he will not publish the work without a written agreement from the editorial board.
2. Submissions must not exceed 50 pages (A4).
3. Submissions are typed in Traditional Arabic, in 17-font size for the main text, and 14-font size for footnotes, with single line spacing.
4. A hard copy and soft copy must be submitted with an attached abstract in Arabic and English that does not exceed 200 words or one page.

## **Editor –in- Chief**

- **Prof. Sa`ad Abdulaziz Maslouh**  
Professor -Department of Arabic Language–College of Arts  
Kuwait University
- **Prof. Abdulaziz Ibn Saleh Al-Ammar**  
Professor of Rhetoric, Criticism and Approach to Islamic  
Literature –College of Arabic Language-Al-Imam  
Muhammad Ibn Saud Islamic University
- **Prof. Abdulkareem Ibn Ali Awfi**  
Professor of Arabic Language and Literature - College of  
Humanities-King Khalid University
- **Prof. Abdullah SaleemAl-Rasheed**  
Professor, Department of Literature, College of Arabic  
Language
- **Prof. Muhammad Muhammad Abu Musa**  
Professor -Department of Rhetoric and Criticism –Faculty of  
Arabic Language- Al-Azhar University
- **Prof. Muhammad Ibn Nafi` Al-Enizi**  
Professor -Department of Applied Linguistics –Arabic Language  
Teaching Institute-Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic  
University
- **Dr. HishamAbdulaziz Mohammed Al-Sharqawy**  
Secretary Editor of the Journal of Arabic Studies, Deanship  
of Scientific Research



Chief Administrator  
**Dr. Mahmoud Ibn Sulaiman Almahmoud**  
Acting / Rector of The University  
Vice Rector for Graduate Studies and Scientific Research



**Editor –in- Chief**  
**Dr. Abdulrahman Abdulaziz Al-Muqbel**  
Dean of Scientific Research



**Managing Editor**  
**Prof. Ahmed Ibn Mohamed Abdallah Hazzazi**  
Vice-dean, Deanship of Scientific Research and publishing